الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية

المصادر العربية
مؤرخو القرن السادس (١)

تأليف وتحقيق وترجمة

الأستاذ الدكتور سهيل زكار

الجزء الحادي عشر

دمشق

١٩٩٥ ــ ١٤١٦هـ

المصادر العربية (مؤرخو القرن السادس)

١ ـ ابن القلانسي
٢ ـ العظيمي
٣ ـ ابن عساكر
٤ ـ ابن الازرق الفارقي
٥ ـ ابن الجوزي
٦ ـ العماد الصفهاني الكاتب (صاحب البستان الجامع)

دمشق ١٤١٥ / ١٩٩٤

سنة تسعين واربعمائة

... وفي هذه السنة كان مبدأ تواصل الاخبار بظهور عساكر الافرنج من بحر القسطنطينية ، في عالم لا يحصى عدده كثرة ، وتتابعت الانباء بذلك ، فقلق الناس لسماعها وانزعجوا لاشتهارها ، وصحت الاخبار بذاك عند الملك (داود بن سليمان بن قتلمش وكان اقرب اليهم دارا ، فشرع في الجمع والاحتشاد ، واقامة مفروض الجهاد ، واستدعى من امكنة من التركمان للاسعاد عليهم والانجاد ، فوافاه منهم مع عسكر اخيه العدد الكثير ، وقويت بذلك نفسه ، واشتدت شوكته فزحف الى معابرهم ومسالكهم وسبلهم (٧٣ و) فأوقع بكل من ظفر به منهم ، بحيث قتل خلقا كثيرا ، وعادوا اليه ، واستظهروا عليه ، وكسروا عسكره ، فقتلوا منهم واسروا ونهبوا وسبوا ، وانهزم التركمان بعد اخذ اكثر دوابهم ، واشترى ملك الروم من السبي خلقا كثيرا ، وحملهم الى القسطنطينية ، وتواصلت الاخبار بهذه النوبة المستبشعة في حق الاسلام ، فعظم القلق ، وزاد الخوف والفرق ، وكانت هذه الوقعة لعشر بقين من رجب .

وفي النصف من شعبان توجه الامير يغي سغان صاحب انطاكية والامير سكمان بن ارتق والامير كربوقا في العسكر الى انطاكية ، وقد وردت الاخبار بقرب الافرنج منها ، ونزولهم البلانة (١) وخف يغي سغان الى انطاكية ، وسير ولده الى دمشق الى الملك دقاق ، والى جناح الدولة بحمص ، والى سائر البلاد والاطراف بالاستصراخ والاستنجاد ، والبعث على الخفوف الى الجهاد ، وقصد تحصين انطاكية ، واخراج النصارى منها .

وفي اليوم الثاني من شوال نزلت عساكر الافرنج على بغراس واغاروا (٢) على اعمال انطاكية (٣) ، فعند ذلك عصى من كان في الحصون والمعاقل المجاورة لانطاكية ، وقتلوا من كان فيها وهرب من هرب منها وفعل اهل ارتاح (٤) مثل ذلك ، واستدعوا المدد من الافرنج ، وفي شعبان ظهر الكوكب ذو الذؤابة من الغرب واقام طلوعه تقدير عشرين يوما ، ثم غاب ، فلم يظهر ، وكان قد نهض من عسكر الافرنج فريق « وافر » يناهز ثلاثين الفا ، فعاثوا في الاطراف ووصلوا الى البارة (٥) وقتلوا فيها تقدير خمسين رجلا ، وكان عسكر دمشق وصل الى ناحية شيزر لانجاد يغي سغان ، فلما نزلت هذه الفرقة المذكورة على البارة ، نهضوا نحوهم ، وتطاردوا وقتل منهم جماعة ، وعاد الافرنج الى الروج (٦) ، وتوجهوا الى انطاكية ، وغلا سعر الزيت والملح ، وغير ذلك ، وعدم في انطاكية ، وتواصل ذلك اليها سرقة ، فرخص فيها ، وجعل الافرنج بينهم وبين انطاكية خندقا لكثرة الغارات عليهم من عسكر انطاكية ، وقد كان الافرنج عند ظهورهم عاهدوا ملك الروم ووعدوه بأن يسلموا اليه اول بلد يفتحونه ، ففتحوا نيقية وهي اول ما كان فتحوا ، فلم يفوا له بذلك ولا سلموها اليه على الشرط (٧) ، وافتتحوا في طريقهم بعض الثغور والدروب ....

سنة احدى وتسعين واربعمائة

في آخر جمادى الاولى منها ورد الخبر بأن قوما من اهل انطاكية من جملة الامير يغي سغان من الزرادين عملوا على انطاكية وواطوا الافرنج على تسليمها اليهم لاساءة تقدمت منه في حقهم ومصادرتهم ، ووجدوا الفرصة في برج من ابراج البلد ، مما يلي الجبل باعوه للأفرنج ، واطلعوهم الى البلد منه في الليل ، وصاحوا عند الفجر ، فانهزم يغي سغان ، وخرج في خلق عظيم ، فلم يسلم منهم شخص ، ولما حصل بالقرب من ارمناز ، ضيعة بالقرب من معرة مصرين ، سقط عن فرسه على الارض ، فحمله بعض أصحابه واركبه ، فلم يثبت على ظهر الفرس ، وعاود سقط ، فمات رحمه الله .

وأما انطاكية ، فقتل منها واسر وسبي من الرجال والنسوان والاطفال ما لا يدركه حصر ، وهرب الى القلعة تقدير ثلاثة آلاف تحصنوا بها ، وسلم من كتب الله سلامته ...

... وفيها توجه الافرنج الى معرة النعمان بأسرهم ، ونزلوا عليها في اليوم التاسع والعشرين من ذي الحجة ، وقاتلوهم ونصبوا عليها البرج والسلالم ، وبعد افتتاح الافرنج(٨) بلد (٧٤ و) أنطاكية بتدبير الزراد ، وهو رجل أرمني اسمه نيروز في ليلة الجمعة مستهل رجب ، تواصلت الاخبار بصحة ذلك فتجمعت عساكر الشام في العدد الذي لا يدركه حصر ولا حزر ، وقصدوا عمل أنطاكية للايقاع بعسكر الافرنج ، فحصروهم حتى عدم القوت عندهم حتى أكلوا الميتة ، ثم زحفوا وهم في غاية من الضعف الى عساكر الاسلام وهم في الغاية من القوة والكثرة ، فكسروا المسلمين ، وفرقوا

-٥٠٢٦-
جموعهم ، وانهزم أصحاب الجرد السبق ، ووقع السيف في الرجال المتطوعين والمجاهدين والمغاليين في الرغبة في الجهاد ، وحماية المسلمين ، في ذلك ، في يوم الثلاثاء السادس من رجب في السنة (٩).

واهلت سنة اثنتين وتسعين واربعمائة

في المحرم منها زحف الافرنج الى سور معرة النعمان من الناحية الشرقية والشمالية ، واسندوا البرج الى سورها ، وهو أعلى منه ، فكشفوا المسلمين عن السور ، ولم تزل الحرب عليه الى وقت المغرب من اليوم الرابع عشر من محرم ، وصعدوا السور ، وانكشف اهل البلد عنه ، وانهزموا بعد ان ترددت اليهم رسل الافرنج في التماس التقرير والتسليم واعطاء الأمان على نفوسهم وأموالهم ، ودخول الشحنة اليهم ، فمنع من ذلك الخلف بين اهلها وما قضاه الله تعالى وحكم به ، وملكوا البلد بعد صلاة المغرب ، وقتل فيه خلق كثير من الفريقين ، وانهزم الناس الى دور المعرة للاحتماء بها ، فأمنهم الافرنج وغدروا بهم ، ورفعوا الصلبان فوق البلد ، وقطعوا على اهل البلد القطائع ، ولم يفوا بشيء مما قرروه ، ونهبوا ما وجدوه ، وطالبوا الناس بما لا طاقة لهم به ، ورحلوا يوم الخميس السابع عشر من صفر الى كفر طاب .

ثم قصدوا بعد ذلك ناحية بيت المقدس آخر رجب من السنة ، وأجفل الناس منهم من اماكنهم ، ونزلوا أولا على الرملة فملكوها عند ادراك الغلة ، وانتقلوا الى بيت المقدس ، فقاتلوا اهله ، وضيقوا عليهم ، ونصبوا عليه البرج واسندوه الى السور ، وانتهى اليهم خروج الافضل من مصر في العساكر الدثرة ، لجهادهم والايقاع بهم ، وانجاد البلد عليهم وحمايته منهم ، فشدوا في قتاله ، ولازموا حربه الى آخر نهار ذلك اليوم ، وانصرفوا عنه ، ووا عدهم الزحف اليهم من الغد ، ونزل الناس عن السور وقت المغرب ، (٧٤ ظ) فعاود الافرنج الزحف اليه ، وطلعوا البرج ، وركبوا سور

البلد ، فانهزم الناس عنه ، وهجموا البلد فملكوه ، وانهزم بعض أهله الى المحراب ، وقتل خلق كثير وجمع اليهود في الكنيسة وأحرقوها عليهم ، وتسلموا المحراب بالأمان في الثاني والعشرين من شعبان من السنة ، وهدموا المشاهد وقبر الخليل عليه السلام .

ووصل الأفضل في العساكر المصرية ، وقد فات الأمر ، فانضاف اليه عساكر الساحل ، ونزل بظاهر عسقلان في رابع عشر شهر رمضان ، منتظرا لوصول الاسطول في البحر والعرب ، فنهض عسكر الافرنج اليه ، وهجموا عليه في خلق عظيم ، فانهزم العسكر المصري الى ناحية عسقلان ، ودخل الأفضل اليها ، وتمكنت سيوف الافرنج من المسلمين ، فأتى القتل على الراجل والمطوعة واهل البلد ، وكانوا زهاء عشرة آلاف نفس ، ونهب العسكر ، وتوجه الافضل في خواصه الى مصر ، وضايقوا عسقلان الى ان قرروا عليها بعده للأفرنج عشرين الف دينار ، تحمل اليهم ، وشرعوا في جبايتها من اهل البلد ، فاتفق حدوث الخلاف بين المقدمين ، فرحلوا ولم يقبضوا من المال شيئا ، وحكي ان الذين قتلوا في هذه الوقعة من اهل عسقلان من شهودها وتنائها وتجارها وأحداثها ، سوى أجنادها الفان وسبعمائة نفس .

سنة ثلاث وتسعين واربعمائة

وفي رجب منها خرج بيمند ملك الافرنج صاحب أنطـاكية الى حصن أفـامية ونزل عليه ، وأقـام ايامـا وأتلف زرعه ووصـل الخبر بـوصول الدانشـمند (١٠) الى ملطية في عسـكره مـن الاتراك ، في خلق عظيم ومن عسكر (قلج أرسلان بن) سـليمان ابن قتلمش ، فعاد بيمند عند معرفة ذلك الى انطـاكية ، وجمـع وحشد ، وقصد عسكر المسلمين ، فنصر الله تعـالى المسـلمين عليه ، وقتلوا من حزبه خلقا كثيرا (٧٥ و) وحصل في قبضـة الأسر مع نفر من اصحابه ، ونفذت الرسل الى نوابه بـأنطاكية يلتمسون تسليمها ، في العشر الثاني من شهر صفر سنة ثـلاث وتسعين واربعمائة .

وفيها وردت الاخبار بأن الآبار غارت في عدة جهات من اعمال الشمال ، والمنابع في أكثر المعـاقل ، وقلت وتقلصـت الاسـعار فيها .

سنة أربع وتسعين وأربعمائة

فيها جمع الامير سكمان بن أرتق خلقا كثيرا من التركمان ، وزحف بهم الى أفرنج الرها وسروج ، في شهر ربيع الأول وتسلم سروج واجتمع اليه خلق كثير ، وحشد الافرنج ايضا ، والتقى الفريقان ، وقد كان المسلمون مشرفين على النصر عليهم ، والقهر لهم ، فاتفق هروب جماعة من التركمان ، فضعفت نفسه وانهزم ، ووصل الافرنج الى سروج ، فتسلموها وقتلوا اهلها وسبوهم ، إلا من افلت منهم هزيما ....

وفي هذه السنة وصل كندفري صاحب بيت المقدس الى ثغر عكا ، وأغار عليه فأصابه سهم فقتله ، وكان قد عمر يافا وسلمها الى طنكري ، فلما قتل كندفري سار أخوه بغدوين القمص صاحب الرها الى بيت المقدس ، في خمسمائة فارس وراجل ، فجمع شمس الملوك دقاق عند معرفة خبر عبوره ، ونهض اليه معه الأمير جناح الدولة صاحب حمص ، فلقوه بالقرب من ثغر بيروت ، فسارع نحوه جناح الدولة في عسكره فظفر به وقتل بعض اصحابه .

وفيها افتتح الافرنج حيفا ، على ساحل البحر بالسيف ، وأرسوف بالأمان ، وأخرجوا أهلها منها ، وفي آخر رجب منها فتحوا قيسارية بالسيف وقتلوا اهلها ، ونهبوا ما فيها ، واعانهم الجذونيون عليها ...

وفي هذه السنة خرج من مصر عسكر كثيف مع الامير سعد الدولة المعروف بالعواسي ووصل الى (٧٦ و) عسقلان لجهاد

الافرنج في أول شهر رمضان ، وأقام بحيث هو الى ذي الحجة منها ، ورحل عن عسقلان ، ونهض اليه من الافرنج الف فارس وعشرة آلاف راجل ، والتقى الفريقان فكسرت ميمنة المسلمين وميسرتهم وتبعوهم ، وبقي سعد الدولة المقدم في نفر يسير من عسكره في القلب ، فحمل الافرنج عليه ، وطلب الثبات ، فعاجله القضاء ، وكبا به جواده ، وسقط عنه الى الأرض ، فاستشهد مكانه رحمه الله ، ومضى شهيدا مأجورا ، وعاد المسلمون على الافرنج ، وتذامروا عليهم ، وبذلوا النفوس في الكرة اليهم ، فهزموهم الى يافا ، وقتلوا منهم وأسروا ، وغنموا وكانت العقبى الحسنة لهم ، ولم يفقد الا نفر يسير منهم....

سنة خمس وتسعين واربعمائة

.... وفيها وصل قمص(١١) الرها ، مقدم الافرنج في عسكره المخذول الى ثغر بيروت ، فنزل عليه طامعا في افتتاحه ، وحاربه وضايقه وطال مقامه عليه ، ولم يتهيأ فيه مراد فرحل عنه .

ووردت مكاتبات فخر الملك بن عمار صاحب طرابلس يلتمس فيها المعونة على دفع ابن صنجيل النازل في عسكره من الافرنج على طرابلس ، ويستصرخ بالعسكر الدمشقي ، ويستغيث بهم ، فأجيب الى ما التمس ، ونهض العسكر نحوه ، وقد استدعى الأمير جناح الدولة صاحب حمص ، فوصل ايضا في عسكره ، فاجتمعوا في عدد دثر ، وقصدوا ناحية انطرطوس ، ونهد الأفرنج اليهم في جمعهم وحشدهم ، وتقارب الجيشان والتقيا هناك ، فانفل عسكر المسلمين من عسكر المشركين ، وقتل منهم الخلق الكثير ، وقفل من (٧٦ وسلم الى دمشق وحمص بعد فقد من (٧٦ ظ) فقد منهم ، ووصلوا في الثاني والعشرين من جمادى الآخرة ....

وفي هذه السنة خرجت العساكر المصرية من مصر ، لانجاد ولاة الساحل في الثغور الباقية في ايديهم منها على منازليهم من أحزاب الافرنج ، ووصلت الى عسقلان في رجب ، ولما عرف بغدوين قمص بيت المقدس وصولهم ، نهض نحوهم في جمعه من الافرنج في تقدير سبعمائة فارس وراجل ، اختارهم ، فهجم بهم على العسكر المصري ، فنصره الله على حزبه المفلول ، وقتلوا اكثر خيله ورجالته ، وانهزم الى الرملة في ثلاثة نفر ، وتبعوه واحاطوا به ، فتنكر وخرج على غفلة منهم ، وقصد

يافا ، وأفلت منهم ، فكان قد اختفى في أجمة قصب حين تبع ، وأحرقت تلك الأجمة ، ولحقت النار بعض جسده ، ونجا منها ، وحصل بيافا ، فأوقع السيف في أصحابه وقتل وأسر من ظفر به في الرملة من رجاله وأبطاله ، وحملوا الى مصر في آخر رجب من السنة .

وفي هذا الوقت وصلت مراكب الافرنج في البحر ، تقدير أربعين مركبا ، ووردت الأخبار بأن البحر هاج بها ، واختلفت أرياحه عليها ، فعطب أكثرها ولم يسلم منها إلا القليل ، وكانت مشحنة بالرجال والمال .

سنة ست وتسعين واربعمائة

....وفيها ورد الخبر من حمص ، بأن صاحبها الأمير جناح الدولة حسين اتابك ، نزل من القلعة الى الجامع ، لصلاة الجمعة وحوله خواص اصحابه بالسلاح التام ، فلما حصل بموضع مصلاة على رسمه ، وثب عليه ثلاثة نفر عجم من الباطنية ومعهم شيخ ، يدعون له ويستميحونه ، في زي الزهاد ، فوعدهم ، فضربوه (١٢) بسكاكينهم ، وقتلوه وقتلوا معه جماعة من اصحابه ، وكان في الجامع عشرة نفر من متصوفة العجم ، وغيرهم ، فاتهموا ، وقتلوا صبرا مظلومين في الوقت عن آخرهم .

وانزعج أهل حمص لهذا الحادث واجفلوا في الحال وهرب أكثر سكانها من الاتراك إلى دمشق ، واضطربت الأحوال بها ، وراسلوا الملك شمس الملوك بدمشق يلتمسون إنفاذ من يتسلم حمص ، ويعتمد عليه في حمايتها ، والذب عنها قبل انتهاء الخبر الى الافرنج ، وامتداد أطماعهم فيها ، فسار الملك شمس الملوك وظهير الدين أتابك في العسكر من دمشق ، ووصل إلى حمص ، وتسلمها ، وحصل في قلعتها ، ووافق ذلك وصول الافرنج إليها ، ونزولهم على الرستن لمضايقتها ومنازلتها ، فحين عرفوا ذلك احجموا عن القرب إليها والدنو منها ، ورحلوا عنها .

وقد كان المعروف بالحكيم المنجم الباطني ، صاحب الملك فخر الملوك رضوان صاحب حلب أول من أظهر مذهب الباطنية في حلب والشام ، وهو الذي ندب الثلاثة النفر لقتل جناح الدولة بحمص ، وورد بهلاكه بعد الحادثة بأربعة عشر (١٣) يوما .

... وخرجت العساكر المصرية من مصر الى البر ، و الاسطول في البحر مع شرف المعالي ولد الافضل شاهنشاه ، و كتب في استدعاء المعونة على(٧٧ ظ) الجهاد ، و بنصرة العباد و البلاد ، بانفاذ العسكر الدمشقي ، فأجيب الى ذلك ، و عاقت عن مسيرهأسباب حدثت ، و صوادف صدفت ، ووصل اسطول البحر ، و نزل على يافا آخر شوال ، وأقام اياما و تفرق الأسطول و العساكر الى الساحل و كانت الأسعار قد ارتفعت ، و الاقوات قد قلت ، فصلحت بما وصل من الأسطول من الغلة و رخص الأسعار ، إلا أن غارات الأفرنج متصلة عليها .....

سنة سبع و تسعين و أربعمائة

في رجب منها وردت الأخبار بوصول مراكب الافرنج في البحر من بلادهم إلى ظاهر اللاذقية مشحونة بالتجار والاجناد و الحجاج ، و غير ذلك ، و أن صنجيل المنازل لطرابلس استنجد بهم على طرابلس ، في مضايقتها و المعونة على ملكتها ، وانهم وصلوا إليه فاجتمعوا معه على منازلتها ومضايقتها ، فقاتلوها أياما ورحلوا عنها ، ونزلوا على ثغر جبيل فقاتلوه وضايقوه وملكوه بالأمان ، فلما حصل في ملكتهم ، غدروا بأهله ، ولم يفوا بما بذلوه من الامان وصادروهم ، واستنفدوا أحوالهم وأموالهم بالعقوبات وأنواع العذاب

وورد الخبر باجتماع الاميرين : سكمان بن ارتق ، و جكرمش صاحب الموصل في عسكرهما(و أنهما) تعاهدا و تعاقدا على المجاهدة في اعداء الله الافرنج ، و بذل الطاقة و الاستطاعة في حربهم ، و نزلا في أوائل شعبان من السنة نفسها برأس العين ، و نهض بيمند و طنكري في عسكريهما من ناحية انطاكية إلى الرها لانجاد صاحبها على الأميرين المذكورين ، فلما قربا من عسكر المسلمين النازلين على الرها ، تأهب كل من الفريقين للقاء صاحبه ، فالتقوا في تاسع شعبان فنصر الله المسلمين عليهم ، و هزموهم و قتلوا منهم (٧٨ و) مقتله كثيرة ، و كانت عدتهم تزيد على عشرة آلاف فارس و راجل سوى السواد والاتباع ، و انهزم بيمند و طنكري في نفر يسير و كان نصرا حسنا للمسلمين لم يتهيأ مثله ، و به ضعفت نفوس الافرنج ، و قلت عدتهم ، و فلت شوكتهم و شكتهم و قويت نفوس المسلمين و ارهفت(١٤) عزائمهم في نصرة الدين ، و مجاهدة الملحدين ،

و تباشر الناس بالنصر عليهم ، و ايقنوا بالنكاية فيهم ، و الادالة منهم .

و في هذا الشهر ورد الخبر بنزول بغدوين ملك الافرنج ، صاحب بيت المقدس ، في عسكره على ثغر عكا ، و معه الجنويون في المراكب في الأبحر و البر وهم الذين كانوا ملكوا ثغر جبيل في نيف وتسعين مركبا ، فحصروه من جهاته وضايقوه من جوانبه ، ولازموه بالقتال الى أن عجز واليه ورجاله عن حربهم ، و ضعف أهله عن المقاتلة لهم و ملكوه بالسيف قهرا ، و كان الوالي به الأمير زهر الدولة بنا (١٥) الجيوشي قد خرج منه لعجزه عن حمايته ، و ضعفه عن المراماة دونه ، و انفذ يلتمس منه الأمان له و لأهل الثغر ، ليأسه من وصول نجدة أو معونة ، فلما ملك الثغر تم على حاله منهزما الى دمشق ، فدخلها و أكرمه ظهير الدين اتابك ، و احسن تلقيه ، و كان وصوله الى دمشق في يوم الخميس لثلاث بقين من شعبان ، و تقدم شمس الملوك دقاق و ظهير الدين أتابك في حقه ، بما طيب نفسه و اكد انسه ، و أقام بدمشق الى أن تسهلت له السبيل في العودة الى مصر ، فتوجه اليها عائدا ، ووصل اليها سالما ، و اوضح عذره فيما تم عليه من الغلبة ، فقبل عذره بعد الانكار عليه ، و الغيظ من فعله ....

و في هذه السنة ورد الخبر من ناحية طرابلس بظهور فخر الملك ابن عمار ، صاحبها في عسكره و اهل البلد ، و قصدهم الحصن الذي بناه صنجيل عليهم(١٦) و انهم هجموا عليه على غرة ممن فيه فقتل من به و نهب ما فيه ، و أحرق ، و اخرب ، و اخذ منه السلاح و المال والديباج و الفضة الشيء الكثير ، و عاد الى طرابلس سالما غانما ، في التاسع عشر من ذي الحجة ، و قيل إن بيمند صاحب انطاكية ركب في البحر ، و مضى الى الافرنج يستصرخهم ، و يستنجد بهم على المسلمين في الشام ، و أقام مدة ، و عاد عنهم منكفئا الى انطاكية .

سنة ثمان و تسعين و اربعمائة

فيها عرض لظهير الدين اتابك مرض اشتد به ، ولازمه ، وخـاف منه على نفسه ، و اشفق على اهله وولده وأصحابه و رعيته إن تم عليه ، وتواصلت مكاتبات فخر الملك بن عمار (٧٩ ظ) ورسله من طرابلس بالاستصراخ و الاستنجاد على الأفـرنج النازلين عليها ، والبعث على تعجيل اعانتـه بمـن يصـل اليه مـن العساكر ، لكشف غمته ، وتفريج كربته ...

وفي هذه السنة وردت الأخبار بهلاك صـنجيل مقـدم الافـرنج النازلين على ثغر طرابلس ، في رابع جمـادى الاولى ، بعـد أن كان الأمر استقر بينه و بين فخر الملك بن عمار صاحب طرابلس من المهادنة، على أن يكون ظاهر طـرابلس لصـنجيل بحيث لا (٨٠ و) يقطع الميرة عنها ، و لا يمنع المسافرين منها ...

و في أول شـعبان تـوجه ظهير الدين أتـابك الى بعلبـك في العسـكر ، و نزل عليها ... و رحـل عنهـا متـوجها الى ناحية حمص ، و قصد رفنية ، و نزل عليها ، ووفد عليه خلق كثير من جبل بهراء(١٧) فهجموا رفنية على حين غفلة مـن أهلهـا ، و غرة من مستحفظها ، و قتلوا من بها ، و بأعمالها ، والحصـن المحدث عليها من الافرنج ، و احرق مـا أمـكن مـن احـراقه في الحصن و غيره ، و هدم الحصن ، و ملكت ابراج رفنية و قتـل من كان فيها و عاد العسكر الى حمص

و في رجب خرج الملك فخر الملوك رضوان صاحب حلب و جمع خلقا كثيرا ، و عزم على قصد طرابلس لمعونة فخر الملك بن عمار على الافرنج النازلين عليه ، و كان الأرمن الذين في حصن ارتاح

قد سلموا اليه الحصن لما شملهم من جور الافرنج ، و تزايد ظلمهم ، فلما عرف طنكري ذلك ، خرج من انطاكية لقصد ارتاح ، و استعادتها ، و جمع من في اعماله من الافرنج ، و نزل عليها ، وتوجه نحوه فخر الملوك في عسكره لابعاده عنها ، وقد جمع وحشد من أمكنة من عمل حلب ، والاحداث الحلبيين ، لقصد الجهاد ، فلما تقاربا نشبت الحرب بين الفريقين ، فثبت راجل المسلمين ، وانهزمت الخيل ، ووقع القتل في الرجالة ، ولم يسلم منهم الا من كتب الله سلامته ، ووصل الفل الى حلب واحصي المفقود من الخيل والرجل ، فكان تقدير ثلاثة آلاف نفس ، وحين عرف ذلك من كان في ارتاح من المسلمين ، هربوا باسرهم منها ، وقصد الافرنج بلد حلب ، فأجفل أهله منه ، ونهب من نهب ، وسبي من سبي ، وذلك في الثالث من شعبان ، واضطربت احوال من بالشام بعد الأمن والسكون (١٨) .

وفي هذه السنة خرج من مصر عسكر كثيف يزيد على عشرة آلاف فارس وراجل مع الأمير شرف المعالي ولد الأفضل ، وكوتب ظهير الدين اتابك بالاستدعاء للمعونة والاعتضاد الى جهاد الكفرة الأضداد ، فلم يتمكن من الاجابة الى المراد ، لاسباب عاقته عن المعونة والاسعاد ، وتوجه في العسكر الى بصرى ، فنزل عليها عازما على مضايقتها ، وفيها الملك ارتاش ابن تاج الدولة وايتكين الحلبي ، لانهما كانا عند الافرنج على ماشرح من امرهما اولا ، ثم استدرك الرأي واستصوب المسير الى العسكر المصري للاعتضاد على الجهاد ، فسار اليه ووصل (٨١ و) الى ظاهر عسقلان ، ونزل قريبا منه ، وعرف الافرنج الخبر ، فتجمعوا ، وقصدوا عسقلان ، والتقى الفريقان في رابع عشر ذي الحجة من السنة ، فيما بين يافا وعسقلان ، فاستظهر الافرنج على المسلمين ، وقتلوا والي عسقلان ، واسروا بعض المقدمين ، وانهزم عسكر مصر الى عسقلان ، وعسكر دمشق الى بصرى ، وقيل ان الذين قتلوا من المسلمين بازاء الذين قتلوا من

المشركين ، ولما عاد ظهير الدين والعسكر الى بصرى ، وجد الملك ارتاش وايتكين الحلبي لما يئسا من نصرة الافرنج لهما ، قد قصدا ناحية الرحبة ، واقاما بها مدة وتفرقا ، وراسل المقيمان ببصرى : أذوشتكين وفلوا من (١٩)ظهير الدين يطلبان منه الامان ، والمهلة لهما بالتسليم مدة اقتراحهما ، فأجاب الى ماالتمساه منه ، ورحل عنهما ، ولما بلغ الأجل منتهاه ، والوعد مداه ، سلما بصرى اليه ، وخرجا منها ، ووفى لهما بما وعدهما من الأمان والاقطاع ، وزاد على ذلك ، وأقاما عليه مدة أيامه •

سنة تسع وتسعين واربعمائة

فيها خرج الأفرنج الى سواد طبرية وشرعوا في عمارة حصن علعال (٢٠) فيما بين السواد والبثنية ، وكان من الحصون الموصوفة بالمنعة والحصانة ، فلما عرف ظهير الدين اتابك هذا العزم منهم ، أشفق من اتمام الأمر فيه ، فيصعب تدارك الأمر وتلافيه ، فنهض في العسكر ، وقصدهم وهو على غفلة مما دهمهم ، فأوقع بهم ، وقتلهم بأسرهم ، وملك الحصن بما فيه من آلاتهم وكراعهم وأثاثهم ، وعاد الى دمشق برؤوسهم وأسرائهم وغنائمهم ، وهي على غاية الكثرة ، في يوم الأحد النصف من شهر ربيع الآخر ....

وفي السادس والعشرين من جمادى الأولى ورد الخبر بقتل خلف بن ملاعب ، صاحب افامية قتله قوم من الباطنية نفذهم اليه المعروف بأبي طاهر الصائغ العجمي ، من حلب ، وهو الذي قام للباطنية مقام الحكيم المنجم الباطني ، بعد هلاكه ، بموافقة رجل (٨١ ظ) من دعاتهم يعرف بابن القنج السرميني (٢١) ، كان مقيما بافامية ، وقد قرر ذلك مع اهلها ، فنقبوا نقبا في السور حتى تمكنوا من الوصول اليه ، فلما قربوا منه ، واحس بهم لقيهم فوثب اليه بعضهم فطعنه في جوفه فرمى نفسه في القلعة يريد بعض دور اولاده (٢٢) فطعنه أخر طعنة ثانية فعاش ساعة ومات ، وصاح الصائح على القلعة و (حين نادوا بشعار الملك رضوان نجا اولاده وخاصته من السور) (٢٣) ، وملكوا عليهم الموضع وقتلوا من قتلوا ، وسلم ولده مصبح بن خلف ابن ملاعب ، وتوجه الى شيزر ، واقام هناك مدة فأطلق منها .

ووصـل طنكري الى افـامية عقيب هـذه الكائنة طـامعا فيها ، ومعه أخ كان لابن القذج الداعي السرميني كان مأسورا في يده ، فقرر له شيئا دفعه اليه ، فرحل عنه ....

وورد الخبر بأن مصبح بن ملاعب الذي افلت من ذوبة افامية التجأ الى طنكري صاحب انطاكية ، وحـرضه على العـود الى افامية ، وأطمعه في اخـذها لقلة القـوت بهـا ، فنهض اليها ، ونزل عليها ، وضايقها الى ان تسلمها بالأمان في الثالث عشر من المحرم سنة خمسـمائة ، فلمـا حصـل ابـن القذج السرميني الباطني في يده قتله بـالعقوبة ، وحمـل ابا طـاهر الصائغ معه واصحابه اسرى ، ولم يف لهـم بمـا بـذل مـن الامان ، وكان القوت قد ذفد من افامية ، ولم تزل الأسرى في يده الى ان فدوا ذفوسهم بمال بذلوه له فأطلقهم ووصلوا الى حلب .

سنة خمسمائة

فيها تزايد فساد الافرنج في أعمال السواد وحوران وجبل عوف ، وانتهت الاخبار بذلك وشكا اهلها الى ظهير الدين اتابك فجمع العسكر ، ومن انضاف اليه من التركمان ، ونهض بهم وخيم في السواد ، وكان الامير عز الملك الوالي بصور قد نهض منها في عسكره الى حصن (٢٤) تبنين من عمل الافرنج ، فهجم ربضه ، وقتل من كان فيه ونهب وغنم ، واتصل الخبر ببغدوين ملك الافرنج ، فنهض اليه من طبرية ، ونهض اتابك الى حصن بالقرب من طبرية فيه جماعة من فرسان الافرنجية ، فقاتله وملكه ، وقتل من كان فيه وانكفأ الى المدان (٢٥) وعاد الافرنج اليه ، فلما قربوا منه اندفع العسكر الى ناحية زرا (٢٦) ، وتلاقت طلائع الفريقين وعزموا على المصاف والالتقاء ، وقد قويت نفوس المسلمين ، فلما كان من غد ذلك اليوم ، ركب العسكر ، وقد تأهب اللقاء على تلك النية وزحفوا الى موضع مخيمهم ، فصادفوهم وقد رحلوا عائدين الى طبرية ، ثم منها الى عكا فعاد ظهير الدين عند ذلك في العسكر الى دمشق ....

وفي هذه السنة تتابعت المكاتبات الى السلطان غياث الدنيا والدين محمد بن ملك شاه ، من ظهير الدين اتابك ، وفخر الملك ابن عمار ، صاحب طرابلس بعظيم ما ارتكبه الافرنج من الفساد في البلاد ، وتملك المعاقل والحصون بالشام والساحل ، والفتك في المسلمين ، ومضايقة ثغر طرابلس ، والاستغاثة اليه ، والاستصراخ والحض على تدارك الناس بالمعونة ، فندب السلطان لما عرف هذه الحال الامير جاولي سقاوه ، واميرا من مقدمي عسكره كبيرا في عسكر كثيف من الاتراك ، وكتب الى

بغداد ، والى الامير سيف الدولة صدقة بن مزيد ، والى جكرمش صاحب الموصل بتقويته بالمال والرجال على الجهاد ، والمبالغة في اسعاده وانجاده ، واقطع الرحبة وما على الفرات ، فثقل امره على المكاتبين ، فدافعه ابن مزيد ، وسار نحو الموصل يلتمس من جكرمش ما وقع به عليه ، فتوقف عنه ، فنزل (٨٥ و) على قلعة السن (٢٧) ونهبها ، واجتمع اليه خلق كثير ، وخرج جكرمش الى لقائه فظفر به جاولي سقاوه باستباح عسكره ، وانهزم ولده الى الموصل ، فلما عرف ولده ذاك كاتب قلج ارسلان بن قتلمش يستنجده من ملطية ، ويبذل له تسليم البلاد والاعمال التي في يده اليه ، وكان جكرمش قد جمع مالا عظيما من الجزيرة والموصل ، وكان جميل السيرة (٢٨) في الرعية ، عادلا في ولايته ، مشهورا بالانصاف في اعمال اياالته ، فلما عرف قلج ارسلان بن سليمان ماكتب به اليه ولد جكرمش ، اجابه الى ملتمسه ، وسار نحوه في عسكره ، ووصل الى نصيبين ، لانه كان في بعض عسكره وباقيه في بلاد الروم لانجاد ملك القسطنطينية على الافرنج ، ولما تقارب عسكر قلج من عسكر جاولي سقاوه ، والتقت طلائع الفريقين ، ظفر قوم من اصحاب قلج بقوم من اصحاب جاولي فقتلوا بعضا ، واسروا بعضا ، فرحل جاولي يطلب عسكر قلج ، وقد عرف انه قد انفذ يستدعي بقية عسكره من بلاد الروم ، وانه في قل ، وطلب ناحية الخابور ، وتوجه منها الى الرحبة ، ونزل عليها وضايقها ، وراسل محمدا واليها من قبل الملك شمس الملوك دقاق صاحب دمشق — وعنده الملك ارتاش بن تاج الدولة الهارب من دمشق بعد وفاة الملك دقاق اخيه مقيما — بالتسليم اليه ، فلم يحفل بمراسلته وايسه من طلبته ، فأقام عليها مضايقا لها مدة .

ووصل اليه الامير نجم الدين ايل غازي بن ارتق ، في جماعة وافرة من عسكره التركمان ، واستنجد عليها بالملك فخر الملوك

رضوان ، فوصل اليه في عسكره بعد ان هادن طغكري صاحب انطاكية ، فلما فصل عن حلب ، وعرف جوسلين صاحب تل باشر بعده عن حلب ، واصل الغارات على اعمالها من جميع جهاتها ، ولم يزل جاولي مقيما على الرحبة منذ اول رجب والى الثاني والعشرين من شهر رمضان ، وزاد الفرات زيادته المعروفة ، فركب اصحاب جاولي الزواريق وصعدوا (٨٥ ظ) طالبين سور البلد بمواطأة من بعض اهل البلد ، فلم يتهيأ لهم امر مع من واطأهم ، بل هجموا السور وملكوا البلد ونهبوه ...

وقد كان قلج ارسلان انفذ بعض مقدمي اصحابه الى بلاد الروم ، في خلق كثير من التركمان ، لانجاد ملك القسطنطينية على بيمند ومن معه من الافرنج الواصلين الى الشام ، فانضافوا الى ملك الروم وماحشده من عساكر الروم ، فلما اجتمع الفريقين ماجتمع رتبوا (٨٦ و) المصاف ، والتقوا فاستظهر الروم على الافرنج ، وكسروهم كسرة شنيعة اتت على اكثرهم بالقتل والاسر ، وتفرق السالم الباقي منهم عائدين الى بلادهم ، وفصل اصحاب قلج ارسلان الاتراك الى اماكنهم ، بعد ان اكرمهم ، وخلع عليهم ، واحسن اليهم ....

وفي هذه السنة وصل الى دمشق الامير الاصفهبذ التركماني من ناحية عمله ، فأكرمه ظهير الدين ، واحسن تلقيه ، واقطعه وادي موسى ومآب والشراة والجبال والبلقاء ، وتوجه اليها في عسكره ، وكان الافرنج قد نهضوا الى هذه الاعمال ، وقتلوا فيها وسبوا ونهبوا ماقدروا عليه منها ، فلما وصل اليها وجد اهلها على غاية من الخوف ، وسوء الحال عما جرى عليهم من الافرنج فأقام بها .

ونهض الافرنج اليه لما عرفوا خبره من ناحية البرية ، ونزلوا

بازاء المكان الذي هو نازل به ؛ واهملوه الى ان وجدوا الفرصة فيه فكبسوه على غرة ، فانهزم في اكثر عسكره ، وهلك باقيه ، واستولوا على سواده ، ووصل الى عين الكتيبة من ناحية حوران ، والعسكر الدمشقي نازل عليها ، فتلقاه ظهير الدين متوجعا له بما جرى عليه ، ومسليا عما ذهب وعوضه ، واطلق له ماصلحت به حاله .

سنة احدى وخمسمائة

فيها جمع ملك الافرنج بغدوين حزبه المفلول ، وعسكره المخذول ، وقصد صور ، ونزل بازائه ، وشرع في عمارة حصن بظاهرها على تل المعشوقة ، واقام شهرا ، وصانعه واليه على سبعة الاف دينار ، فقبضها منه ورحل عنه .....

وفي شعبان من هذه السنة اشتد الامر بفخر الملك بن عمار بطرابلس ، من حصار الافرنج ، وتطاول ايامه ، وتمادى الترقب لوصول الانجاد ، وتمادى تأخر الاسعاد ، فأنفذ الى دمشق يستدعي وصول الامير ارتق بن عبد الرزاق ، احد امراء دمشق اليه ، ليتحدث معه بما في نفسه ، فأجابه الى ذلك ، واستأذن ظهير الدين في ذلك ، فأذن له ، وتوجه نحوه وقد كان فخر الملك خرج من طرابلس في البر في تقدير خمسمائة فارس وراجل ، ومعه هدايا وتحف اعدها للسلطان عند مضيه اليه الى بغداد ، فلما وصل ارتق اليه واجتمع معه ، تقررت الحال بينهما على وصوله الى دمشق في صحبته ، فوصل اليها وانزل في مرج باب الحديد بظاهرها ، وبالغ ظهير الدين في اكرامه ، وتناهى في احترامه ، وحمل اليه امراء العسكرية ومقدموه من الخيل والبغال والجمال وغير ذلك ما امكنهم حمله واتحافه به ، وكان فخر الملك المذكور قد استناب عنه في حفظها ابا المناقب ابن عمه ، ووجوه اصحابه وغلمانه ، واطلق لهم واجب ستة اشهر ، واستحلفهم وتوثق منهم ، فأظهر ابن عمه الخلاف له والعصيان عليه ، ونادى بشعار الافضل بن امير الجيوش بمصر ، فلما عرف فخر الملك ما بدا منه كتب الى اصحابه يأمرهم بالقبض عليه ، وحمل الى حصن

الخوابي (٢٩) ، ففعل ذلك ، وتوجه فخر الملك الى بغداد ومعه تاج الملوك بوري بن ظهير الدين أتابك ....

فلما وصلا الى بغداد لقي فخر الملك من السلطان من الاكرام والاحترام مازاد على امله ، وتقدم الى جماعة من اكابر الامراء بالمسير معه لمعونته وانجاده على طرد محاصري بلده ، والايقاع بهم ، والابعاد لهم ، وقرر مع العسكر المجرد معه الالمام بالموصل ، وانتزاعها من يدي جاولي سقاوه ، ثم المصير بعد ذلك الى طرابلس ، فجرى ماتقدم به الشرح من ذلك ، وطال مقام فخر الملك ، طولا ضجر معه ، وعاد الى دمشق في نصف المحرم سنة اثنتين وخمسمائة .

..... واقام فخر الملك بن عمار في دمشق بعد وصوله اليها اياما ، وتوجه منها مع خيل من عسكر دمشق جردت معه الى جبلة ، فدخلها واطاعه اهلها ، وانفذ اهل طرابلس الى الافضل بمصر يلتمسون منه انفاذ وال يصل اليهم في البحر ، ومعه الغلة والميرة في المراكب لتسلم اليه البلد ، فوصل اليهم شرف الدولة ابن أبي الطيب واليا من قبل الافضل ، ومعه الغلة فلما وصل اليها ، وحصل فيها ، قبض على جماعة اهل فخر الملك بن عمار واصحابه ، وذخائره والاته واثاثه ، وحمل الجميع الى مصر في البحر .

وفي هذه السنة اسرى ظهير الدين اتابك في عسكره الى طبرية ، وفرق عسكره فرقتين نفذ احداهما الى ارض فلسطين ، والاخرى غار بها على طبرية ، فخرج اليه صاحبها في رجاله المعروف بجرفاس ، وهو من مقدمي الافرنج المشهورين بالفروسية والشجاعة (٨٨ و) والبسالة ، وشدة المراس ، يجري مجرى الملك بغدوين في التقدم على الافرنج ، فالتقاه واحاطت خيل الاتراك به وباصحابه ، فقتل اكثرهم واسر هو وجماعة معه ،

وحملوا الى دمشق (٣٠) ، فأنفذ بعضهم هدية الى السلطان وقتل جرفاس ومن كان معه في الاسر من اصحابه بعد ان بذلوا في اطلاقهم جملة من المال فلم يقبلها ...

وفي هذه السنة نهض بغدوين في عسكره المخذول من الافرنج نحو ثغر صيدا ، فنزل عليه في البحر والبر ، ونصب البرج الخشب عليه ، ووصل الاسطول المصري للدفع عنه ، والحماية له فظهروا على مراكب الجذوية ، وعسكر البر ، واتصل بهم نهوض العسكر الدمشقي لحماية صيدا ، والذب عنها ، فرحلوا عنها عائدين الى اماكنهم .

سنة اثنتين وخمسمائة

فيها انفذ صاحب عرقة(٣١) الى ظهير الدين اتابك رسوله ، يلتمس منه المعونة على دفع الافرنج عنها ، وانفاذ من يتسلمها ، فندب بعض ثقاته فتسلمها ، واقام واليها(٣٢) ، منتظرا وصول العسكر اليها ، والوفاء بما وعد به من الخلع عليه ، والاحسان اليه ، فحدث في (٨٨ ظ) الوقت من الثلوج والامطار ماعاق المسير اليها ، وقل القوت بها ، وانقطعت الميرة عنها ، فبادر الافرنج بالنزول عليها ، وتوجه ظهير الدين عند ذاك اليها ، فصادفهم قد احاطوا بها ، ولم يتمكن من دفعهم عنها ، وعاد الى حصن الاكمة (٣٣) ، ونزل عليه وقاتله فلما عرف الافرنج ذلك ، نهضوا اليه في تقدير ثلاثمائة فارس لانجاد من بالاكمة ، فوصلوا اليهم ليلا ، فقويت نفوسهم ، واقتضى رأي اتابك الرحيل عنها بحكم من صار فيها منهم ، فرحل كالمنهزم ، وطمع فيه ، وتتبع العسكر ، فغنم من الخيل والكراع غنيمة كبيرة وتفرق العسكر في الشجر والجبال ، ووصلوا الى حمص على اقبح صفة ، وا شنع صورة ، من غير لقاء ولامحاربة ، وعاد الافرنج الى عرقة وعدم القوت فيها ، فملكوها بالامان ...

وفي شعبان من هذه السنة وصل ريمند بن صنجيل ، الذي كان نازلا على طرابلس ، من بلاد الافرنج في جملة ستين مركبا في البحر مشحونة بالافرنج والجنويين ، فنزل على طرابلس ، ووقع بينه وبين السرداني ابن اخت صنجيل مشاجرة ، ووصل طنكري صاحب انطاكية اليه لمعونة السرداني (٣٤) ، ووصل الملك بغدوين صاحب بيت المقدس في عسكره فأصلح بينهم ، وعاد السرداني الى عرقة ، ووجد بعض الافرنج في زرعها ، فأراد ضربه فضربه

الافرنجي فقتله ، ولما بلغ الخبر ريمند بن صنجيل ، وجه من تسلم عرقة من اصحابه ، .

ونزل الافرنج بجموعهم وحشدهم الى طرابلس ، وشرعوا في قتالها ومضايقة اهلها منذ اول شعبان الى الحادي عشر من ذي الحجة (٨٩ و) من السنة ، واسندوا ابراجهم الى السور ، فلما شاهد الجند والمقاتلة واهل البلد سقط في ايديهم ، وايقنوا بالهلاك وذلت نفوسهم لاسيما مع اليأس من تأخر وصول الاسطول المصري في البحر بالميرة والنجدة ، وقد كانت علة الاسطول ازيحت ، وسير والريح ترده ، لما يريد الله تعالى من نفاذ الامر المقضي ، فشدد الافرنج القتال عليها وهجموها من الابراج ، فملكوها بالسيف في يوم الاثنين لاحدى عشرة ليلة خلت من ذي الحجة من السنة ، ونهبوا ما فيها ، واسروا رجالها ، وسبوا نساءها واطفالها ، وحصل في ايديهم من امتعتها ونخائرها ودفاتر دار علمها ، وماكان منها في خزائن اربابها مالا يحد عدده ، ولايحصر فيذكر ، وسلم الوالي بها وجماعة من جنده ، كانوا التمسوا الامان قبل فتحها فلما ملكت اطلقوا ، ووصلوا الى دمشق بعد ايام من فتحها ، وعوقب اهلها واستصفيت اموالها ، واستثيرت نخائرهم من مكامنها ، ونزل بهم اشد البلاء ومؤلم العذاب (٣٥) .

وتقرر بين الافرنج والجنويين على ان يكون للجنويين الثلث من البلد ، ومانهب منه ، والثلثان لريمند بن صنجيل ، وافردوا للملك بغدوين من الوسط مارضي به ، وكان طغتكين لما لم ينل ماأراد من نصرة السرداني ، قد عاد ونزل على بانياس وافتتحها وامن اهلها في شوال من السنة ، ونزل على ثغر جبيل وفيه فخر الملك بن عمار ، والقوت فيه نزر قليل ، فلم يزل مضايقا له ولاهله الى يوم الجمعة الثاني والعشرين من ذي الحجة ، فراسلهم وبذل لهم الامان ، فأجابوه الى ذلك ، فتسلمه بالامان ، وخرج منه فخر الملك ابن عمار سالما ، وقد وعده بإحسان النظر والاقطاع .

ووصل عقيب ذلك الاسطول المصري ، ولم يكن خرج للمصريين فيما تقدم مثله كثرة رجال ومراكب وعدد وغلال لحماية طرابلس ، وتقويتها بالغلة الكثيرة والرجال والمال لمدة سنة ، مع تقوية ما في المملكة المصرية من ثغور الساحل واهله ، ووصل الى صور في يوم الثامن من فتح طرابلس ، وقد فات الامر فيها القضاء النازل بأهلها ، واقام بالساحل مدة وفرقت الغلة في جهاتها ، وتمسك به اهل صور وصيدا (٨٩ ظ) وبيروت ، وشكوا احوالهم وضعفها عن محاربة الافرنج ، ولم يمكن الاسطول المقام ، فأقلع عائدا عند استقامة الريح الى مصر .

وفيها وصل بيمند صاحب انطاكية من بلاد الافرنج ، عائدا الى مملكته في خلق كثير ، ونزل بالقرب من قسطنطينية ، وخرج ملكها اليه ومعه خلق كثير من التركمان المجاورين له فاقتتلوا اياما ، وطلب الروم تقبيحهم بكل نوع الى ان تفرقوا وتبددوا في البلاد ، واصلح بيمند امره مع الملك ، ودخل عليه ووطىء بساطه ، ومن معه وكفى الله ، وله الحمد امرهم وصرف عن الاسلام شرهم

وفيها ترددت رسل الملك بغدوين الى ظهير الدين في التماس المهادنة والموادعة ، فاستقر الامر بينهما ، على ان يكون السواد وجبل عوف اثلاثا : للاتراك الثلث ، وللافرنج والفلاحين الثلثان ، فانعقد الامر على هذه القضية ، وكتب الشرط على هذه النية .

وكان فخر الملك بن عمار ، لما ملك الافرنج جبيل ، خرج منها وتوجه الى شيزر ، فأكرمه صاحبها سلطان بن علي بن المقلد بن منقذ الكناني ، واحترمه ، وجماعته ، وعرض عليه المقام عنده ، فلم يفعل ، وتوجه إلى دمشق عائدا الى ظهير الدين أتابك فأكرمه وأنزله في دار ، وأقطعه الزبداني وأعمالها في المحرم سنة ثلاث وخمسمائة .

سنة ثلاث وخمسمائة

لما فرغ الافرنج من طرابلس بعد افتتاحها ، وتدبير اعمالها ، وتقرير أحوالها ، نهضوا إلى رفنية وعرف ظهير الدين ذاك من قصدهم ، فنهض في العسكر نحوها لحمايتها ، وخيم بإزائهم بحمص ، فلم يتمكن الأفرنج من منازلتها ومضايقتها ، وترددت بينه وبينهم مراسلات ومخاطبات أفضت الى أن اجاب كل واحد من الفريقين (٩٠ و) الى تقرير الموادعة على الاعمال ، والمسالمة ، واستقر في ذلك على أن يكون للافرنج الثلث من استغلال البقاع ويسلم اليهم حصن المنيطرة(٣٦) وحصن ابن عكار (٣٧) ويكفوا عن العيث والفساد في الأعمال والأطراف وأن يكون حصن مصيات (٣٨) وحصن الطوفان (٣٩) وحصن الأكراد(٤٠) داخلا في شرط الموادعة ويحمل أهلها عنها مالا معينا في كل سنة الى الافرنج ، فأقاموا على ذلك مدة يسيرة فلم يلبثوا على ماتقرر وعادوا الى رسمهم في الفساد والعناد .

.... وقد كان ظهير الدين أتابك في عوده من وادي المياه ، قد اتصل به أن كمشتكين الخادم التاجي ، الوالي ببعلبك قد راسل الافرنج بالتماس المصافاة منهم ، وبعثهم عن شن الغارات على الأطراف ، وأنه قد سير أخاه بايتكين الخادم التاجي الى السلطان للتوصل بالمحال الى افساد الحال فحين سمع ظهير الدين هذا الخبر وذفونه ندب جماعة من العسكر وقرر معهم المصير إلى المسالك والطرقات التي لابد من عبوره فيها لمسكه وحمله اليه فلم يقف لبايتكين المذكور على خبر وسار ظهير الدين في العسكر من طريقه وكتب الى تاج الملوك يأمره بالخروج في العسكر الى بعلبك ، والنزول عليها ، فسارع الى امتثال امره ، وسار اليها ونزل عليها على غفلة من أهلها وغرة ممن بها ثم أرسل الخادم المذكور يلتمس منه الدخول في

الطاعة وتسليم الموضع إليه ويحذره مـن الاستمرار على المخـالفة والعصيان ويخوفه الاقامة على مايفضي إلى سفك الدمـاء وبـالغ في الاعذار له والانذار، فلم يجب الى المراد والايثـار واصر على الخلاف والانكار،ووافى عقيب ذلك ظهير الدين في العسكر ومـن جمعـه مـن الرجالة،وزحف الى بعلبك مقاتلا لها،ونصب عليها المناجيق،وشرع في عمل آلة الحرب والذقوب لقصد الاماكن المستضعفة منهـا لانتهـاز الفرصة فيها(٩١و)، وترامي اليه مـن الاحـداث اهلهـا وأجنادهـا جماعة احسن اليهم وخلع عليهم ، وزحف الى سورها وقـاتل مـن عليه ، فقتل جماعة منهم ، فحين شاهدوا الجد في القتـال والصـبر على النزال جنحـوا إلى الدخـول في الطـاعة والتمس الخـادم الاقالة ، وبذل تسليم البلد والحصن على شرط اشترطه ، واقطاع عينه ، وطلب بعض المقدمين للحديث معه والتوثق لنفسه ، فنفذ اليه الامير بلتاش لمحله من الدولة فتقررت الحال على مـا اقترحه وسـلم البلد والحصن الذي هو غاية في المنعة والحصـانة ومـن العجـائب المذكورة والقلاع المشهورة ، وخرج إليه وجرى على عادتـه الجميلة في الصفح عمن أساء إليه وأظهر العصيان عليه ، وعوضه عن بعلبك حصن صرخد وهو مشهور بالحصانة والمنعة أيضا (٤١) ، وأعاد إليه ماكان قبض عنه من ملك وإقـطاع (٤٢) بـدمشق ، وسـلم ظهير الدين أتابك ، بعلبك إلى ولده تاج الملوك بوري ، فرتب فيهـا من ثقات أصحابه من اعتمد عليه في حفظها وقرر أحـوالها ، وكانت مدة المقام في منازلتها خمسة وثلاثين يوما وسلمت وتسلمت في اليوم الثاني والعشرين من شهر رمضان سنة ثلاث وخمسمائة وأمر ظهير الدين بإزالة حـوادث الظلم عن أهـل بعلبـك ، وتسـويغ بعض خراجها (٤٣) أهلها ، وأعاد عليهم أملاكا كانت قد اغتصـبت في قديم الزمان ، وكثر له الدعاء ، وتواصل عليه الثناء وعاد مذكفيا إلى دمشق ، وورد عليه الخبر بعود السلطان من بغداد الى أصـفهان في شوال من السنة ...

وفي هذه السنة خرج طنكري من أنطاكية في حشده وافيفه المخذول ، إلى الثغور الشامية فملك طرسوس وماوالاها ، وأخرج صاحب ملك

الروم منها ، وعاد إلى انطاكية ، ثم خرج الى شيزر وقرر عليها عشرة آلاف دينار ، مقاطعة تحمل إليه بعد أن عاث في عملها ، ونزل على حصن (٩١ ظ) الاكراد فتسلمه من أهله وتوجه إلى عرقة ، وكان الملك بغدوين وابن صنجيل قد نزلا على ثغر بيروت برا وبحرا ، فعاد طنكري إلى أنطاكية ، وسار جوسلين صاحب تل باشر (٤٤) إلى ثغر بيروت لمعاونة النازلين عليه من الأفرنج ، ويستنجد بهم على عسكر الأمير مودود النازلين على الرها ، وشرع الافرنج في عمل البرج ، ونصبه على سور بيروت ، فحين نجز وزحفوا به كسر بحجارة المناجيق وأفسد ، فشرعوا في عمل غيره ، وعمل ابن صنجيل برجا آخر ، ووصل في الوقت من اسطول مصر في البحر تسعة عشر مركبا حربية ، فظهروا على مراكب الأفرنج وملكوا بعضها ، ودخلوا بالميرة الى بيروت فقويت بها نفوس من فيها من الرعية ، وأنفذ الملك الى السويدية يستنجد بمن فيها من الجنوية في مراكبهم ، فوصل منها الى بيروت اربعون مركبا مشحنه بالمقاتلة ، فزحف الافرنج في البروالبحر إليها بأسرهم في يوم الجمعة الحادي والعشرين من شوال ، ونصبوا على السور برجين اشتدوا في القتال ، فقتل مقدم الاسطول المصري ، وخلق كثير من المسلمين ولم ير الافرنج من ماتقدم وتأخر أشد من حرب هذا ، وانخذل الناس في البلد وأيقنوا بالهلكة ، فهجم الافرنج على البلد آخر نهار هذا اليوم ، فملكوه بالسيف قهرا وغلبة وهرب الوالي الذي كان فيه في جماعة من اصحابه [ثم امسك] وحمل الى الافرنج فقتل ومن كان، وغنموا ماكان استصحبه من المال ، ونهب البلد وسبي من كان فيه ، وأسر واستصفيت أموالهم ونخائرهم ، ووصل عقيب ذلك من مصر ثلاثمائة فارس نجده لبيروت ، فحين حصلوا بالاردن خرجت عليهم فرقة من الافرنج يسيرة العدد ، فانهزموا منهم إلى الجبال ، فهلك منهم جماعة .

فلما تقرر أمر بيروت رحل الملك بغدوين في الافرنج ، ونزل على ثغر صيدا ، وراسل أهله يلتمس منهم تسليمه ، فاستمهلوه مدة

عيذوها ، فاجابهم إلى المهلة بعد أن قـرر عليهـم سـتة الاف دينار تحمل اليه مقاطعة ، وكانت قبل ذلك ألفي دينار ، ورحـل عنهـا الى بيت المقدس للحج ...

وفيها كاتب السلطان غياث الدنيا والدين الأمير سـكمان القـطبي ، صاحب أرمينية وميافارقين ، وشرف الدين مودود صاحب الموصـل يأمرهما بالمسير في العساكر الى جهـاد الافـرنج ، وحمـاية بـلاد الموصل ، فجمعا واحتشدا ، ونهضا ونزلا بجزيرة بني نمير إلى أن تكامل وصول ولاة الاطراف اليهما ، وخلق كثير من المتطوعة ووصل اليهما ايضا الامير نجم الدين ايل غازي بن ارتـق في خلق كثير مـن التركمان ، واجتمع المسلمون في عدد لايقوم بلقائه جميع الافـرنج ، واتفقت الآراء على افتتاح الجهاد بقصد الرها ومضايقتها ، إلى أن يسهل الله افتتاحها بحكم حصانتها ومنعتها .

فرحلوا باسرهم ونزلوا عليها في العشر الثاني من شوال، واحـاطوا بها من جهاتها كالنطاق ، ومنعوا الداخل والخارج بالمسير إليهـا ، وكان القوت بها قليلا فأشرف من بها على الهلاك ، وغلا بها السـعر وطالت مدة الحصر لها ، والتضييق عليهـا ، وحين عرف الافـرنج صورة هذه الحال ، شرعوا في الجمـع والاحتشـاد والتـأهب للذب عنها ، والاستعداد ، واتفقت الكلمـة بينهـم على هـذه الحـال ، واجتمع (٩٢ ظ) طنكري صاحب أنطاكية وابن صـنجيل صـاحب طرابلس ، والملك بغدوين ومقـدموا ولاة الأعمـال مـن الافـرنج ، وتعاهدوا وتعاقدوا على الثبات في الحرب والمصابرة واللباث ، فلمـا اسـتقرت الاحـوال بينهـم على البينة رحلوا بـأسرهم الى ناحية الرها .

واتصلت الاخبار بظهير الدين أتابك ، وعرف صورة الحال فيما تقرر بينهم فسار من دمشـق في العسـكر وخيم على سـلمية ، وعرف ان الافرنج قد قصدوا في طريقهم رفنية ، وفيها الامير شمس الخـواص

واليها ، وأنهم لما نزلوا عليها ظهر إليهم في خيله وقتل منهم جماعة ، ووصل الى المخيم بسليمة ، واجتمع إليه خلق كثير من الشام . ووصل الخبر بحصول الافرنج على الفرات عازمين على قطعه (قصد) الرها ، فرحل اتابك في الحال وتوجه الى ناحية الرقة وقلعة جعبر ، وقطع الفرات وتلوم هناك إلى أن عرف خبر الافرنج ، أنهم قد احجموا عن العبور لتفرق سرايا العساكر الاسلامية وطلائعهم في سائر الجهات والمسالك إلى الفرات .

ولما عرف المسلمون قرب الافرنج منهم ، اتفقت الآراء فيما بينهم على الافراج،لهم ليتمكنوا من لقائهم في الفضاء من شرقي الفرات ، ورحلوا عن الرها في آخر ذي الحجة منها ، ونزلوا أرض حران على سبيل الخديعة والمكر ، وكانت حران قد حصلت للامير مودود ، وسلمها إلى نجم الدين ايل غازي بن أرتق ، وتوقف المسلمون عن لقاء الافرنج إلى أن يقربوا منهم ، ويصل إليهم عسكر دمشق ، وفطن الافرنج لهذا التدبير والاتفاق عليه ، فخافوا واستشعروا الهلاك والخذلان ، وأجفلوا ناكصين على الأعقاب إلى شاطىء الفرات ، وبلغ المسلمين خبرهم ، فنهضوا في إثرهم وأدركهم سرعان الخيل وقد قطع الفرات بعضا من مقدميهم ، فغنم المسلمون سوادهم وأثقالهم ، وأتوا على العدد الدثر من اتباعهم قتلا وأسرا وتمزيقا في الفرات ، وامتلأت الأيدي من الغنائم والاسلاب والسبي والدواب ، ولم يتمكن المسلمون من قطع الفرات للحاق بهم بحكم اشتغالهم بأمر الرها ، والعود إليها ، وكانوا قد أخرجوا منها كل ضعيف الحال ، ورتبوا جماعة من الارمن لحفظها ، وحملوا إليها ماصحب العسكر الواصل من الاقوات تقوية لها وخرج بغدوين الرويس (٩٣ و) صاحبها عنها وتوجه صحبة الافرنج المنهزمين ، واقام عسكر الاسلام على الفرات اياما نازلا بازائهم ، ورحل طالبا للعود الى منازلة الرها ، وعرف ظهير الدين اتابك خبر عودهم على تلك الصفة فعاد منكفئا الى عمله لحمايته منهم ، بعد أن نفذ شطرا وافرا من معسكره الى النازلين على الرها لمعونتهم ، ووصل الى دمشق واقام من كان أنهضه من عسكره الى الرها الى ان خلت

البلاد منهم وأذن لهم في العود الى اماكنهم بعد اكرامهم والاحسان اليهم (٤٥) .

وترددت بين اتابك ظهير الدين ، وبين الامير شرف الدين مودود مراسلات ، افضت الى استحكام المودة بينهما ، واتفاق الكلمة ، وتاكيد اسباب الالفة ، فطال مقام عسكر الاسلام على الرها لامتناعها وحصانتها ، وقل تواصل الميرة الى المخيم ، وعدم وجودها ، فدعتهم الحاجة الى العود عنها ، فتفرقوا بعد ان رتبوا من يقيم على حران لحصر الرها .

وحدث لنجم الدين ايل غازي بن ارتق استيحاش من سكمان القطبي لامر تجدد بينهما ، فاجفل من حران الى ماردين ، فقبض سكمان على ابن اخيه بلك ، وحمله معه الى بلده مقيدا .

وبعد تفرق العسكر الاسلامية عن الرها عاد اليها بغدوين الرويس صاحبها ، وحصل بها ، والغارات متواصلة على اطرافها ، وقد كان الملك فخر الملوك رضوان صاحب حلب لما عرف هزيمة الافرنج خرج الى اعمال حلب ، واستعاد ما كان غلب الافرنج عليه منها ، وغار على عمل انطاكية ، وغنم منه غنيمة وافرة ، ولما عرف خبر عودهم عاد الى حلب ، ووصل الافرنج عقيب ذلك فافسدوا في عمل حلب ، وقتلوا واسروا خلقا كثيرا ، وعاد طنكري ونزل على الاثارب(٤٦) ، وملكها بعد طول حصرها والمضايقة لها ، وذلك في جمادى الاخرة من السنة ، وآمن اهلها ، وخرج منها من أراد الخروج ، واقام من آثر المقام ، واستقرت الموادعة بعد ذلك بين الملك فخر الملوك رضوان وبين طنكري ، على أن يحمل اليه الملك من مال حلب في كل سنة عشرين الف دينار مقاطعة ، وعشرة أرؤس خيلا ، وفكاك الاسرى ، واستقرت على هذا القضية .

وفيها وصل الملك بغدوين صاحب (٩٣ظ) بيت المقدس الى

ناحية بعلبك وعزم على العيث والافساد في ناحية البقاع ، وتـرددت المراسلة بينه وبين ظهير الدين اتابك في هذا المعنى ، الى ان تقـررت الموادعة بينهما على ان يكون الثلث من استغلال البقـاع للافـرنج ، والثلثان للمسلمين والفلاحين ، وكتبت بينهما المواصفة بهذا الشرح في صفر من السنة ، ورحل عائدا الى عمله ، وقد فاز بمـا حصـل في يده وايدي عسكره من غنائم بعلبك ، والبقاع .

ووردت الاخبار فيها بوصول بعض ملوك الافرنج في البحر ، ومعه نيف وستون مركبا مشحونة بالرجال لقصد الحـج والغـزو في بـلاد الاسلام ، فقصد بيت المقدس ، وتوجه اليه بغدوين واجتمـع معـه ، وتقرر بينهما قصد البلاد ، فلما عادا من بيت المقدس نزلا على ثغـر صيدا في ثالث شهر ربيع الاخر سنة اربع وخمسائة وضـايقوه بـرا وبحرا ، وكان الاسطول المصري مقيما على ثغر صور ، ولم يتمـكن من انجاد صيدا ، فعملوا البرج وزحفوا به اليها ، وهو ملبس بحطب الكرم والبسط وجلود البقر الطرية ، ليمنع من الحجارة والنفـط ، وكانوا اذا احكموه على هذه الصورة نقلوه على بكر تركب تحتـه في عدة ايام متفرقة ، فاذا كان يوم الحرب وقرب من السور ، زحفوا به وفيه الماء والخل لطفي النار ، والة الحرب .

فلما عاين من بصيدا هذا الامر ، ضعفت نفوسهم ، واشفقوا من مثل نوبة بيروت ، فاخرج اليهما قاضيها وجماعة مـن شـيوخها ، وطلبوا من بغدوين الامان ، فاجابهم الى ذلك ، وامنهم والعسـكرية معهم على النفوس والاموال ، وإطلاق من أراد الخـروج منهـا الى دمشق ، واستحلفوه على ذلك وتوثقوا منه وخـرج الوالي والزمـام وجميع الاجناد والعسكرية ، وخلق كثير من اهـل البلد ، وتـوجهوا الى دمشق لعشر بقين من جمـادى (الاولى)(٤٧) لسـنة اربـع وخمسمائة ، وكانت مدة الحصـار سـبعة واربعين يومـا ، ورتـب بغدوين الاحوال بها والحافظين لها ، وعاد الى بيت المقدس ، ثم عاد بعد مدة يسيرة الى صيدا ، فقرر على من اقام بها نيفا وعشرين الفـ

دينار ، فافقرهم واستغرق احوالهم ، وصادر مـــن علم ان له تنبـــه منهم .

سنة اربع وخمسمائة

(٩٤و) في هذه السنة وردت الاخبار بان جماعة من التجار المسافرين خرجت من تنيس (٤٨) ودمياط ومصر ببضائع واموال جمة ، كانوا قد ضجروا وملوا طول المقام ، وتعذر مسير الاسطول في البحر ، وحملوا نفوسهم على الخطر ، واقلعوا في البحر ، فصادفتهم مراكب الافرنج ، فاخذتهم وحصل في ايديهم من الامتعة والمال مايزيد على مائة الف دينار ، واسروهم وعاقبوهم ، واشتروا انفسهم بما بقي لهم من الذخائر في دمشق وغيرها .

واما بغدوين فانه لما عاد من صيدا ، قصد عسقلان ، وغار عليها ، وكان واليها المعروف بشمس الخلافة يراسل بغدوين ، فاستقرت الحال بينهما على مال يحمله اليه ، ويرحل عنه ويكف الانية عن عسقلان ، وكان شمس الخلافة ارغب في التجارة من المحاربة ، ومال الى الموادعة والمسالمة وايمان السابلة ، وقرر على اهل عسقلان سبعة الاف دينار تحمل اليه في مدة سنة وثلاثة شهور ، وانتهى الخبر بذلك الى الافضل صاحب مصر في شوال ، فانكر هذه الحال ، واسرها في نفسه ، ولم يبدها لاحد من خاصته ، وجهز عسكرا كثيفا الى عسقلان مع وال يكون مكان شمس الخلافة ، فلما قرب من عسقلان وعرف شمس الخلافة ذاك اظهر الخلاف على الافضل ، وجاهر بالعصيان عليه ، واخرج من كان عنده من العسكرية لخوفه من تدبيرهم عليه من الافضل لما يعلمه من الامور التي انكرها عليه ، ونقمها منه ، ومراسلته لبغدوين يلتمس منه المصافاة والمعونة بالرجال والغلال ، وإن دهمه امر ، وحزبه خطب ، سلم اليه عسقلان فطلب منه العوض عنها ، فلما عرف الافضل ذلك اشفق من تمام هذا الامر ، فكاتبه بما يطيب نفسه ، وغالطه واقطعه عسقلان واقر اقطاعه بمصر عليه ، وازال

الاعتراض لشيء من ماله في ديار مصر من خيل وتجارة واثاث ، وخاف شمس الخلافة من اهل البلد ، فاستدعى جماعة من الارمن فاثبتهم في عسقلان ، ولم يزل على هذه الحال الى اخر سنة اربع وخمسمائة ، فانكر امره اهل البلد ، ووثب عليه قوم من كتامة وهو راكب فجرحوه ، وانهزم الى داره فتبعوه واجهزوا عليه ، ونهبوا داره وماله ، وتخطفوا بعض دور (١٩٤) الشهود والعامة ، وانتهى الخبر الى صاحب الستارة فبادر الى البلد ، فاطاع امره من به ، وانفذوا رأسه الى الافضل الى مصر ، وانهوا جلية حاله ، فحسن موضع ذلك منه وموقعه ، واحسن الى الواردين بهذه البشرى ، ثم تقدم بمطالبة القوم القاتلين بما نهبوه من داره ، واستولوا عليه من ماله ، ومال اهل البلد ، واعتقالهم ، وقبض جماعة من اهل البلد ، وحملهم الى مصر ، ولما وصلوا اعتقلوا فيها ....

وفيها وصل السلطان غياث الدين محمد بن ملك شاه من همذان الى بغداد ، في جمادى الاولى منها ، ووردت الكتب والرسل اليه من الشام بانهاء الحال ، وما جرى من الافرنج بعد عودهم عن الفرات ، وذوبة صيدا والاثارب واعمال حلب .

ولما كان اول جمعة من شعبان حضر رجل من الاشراف الهاشميين من اهل حلب ، وجماعة من الصوفية والتجار والفقهاء الى جامع السلطان ببغداد ، فاستغاثوا وانزلوا الخطيب عن المنبر ، وكسروه ، وصاحوا وبكوا لما لحق الاسلام من الافرنج ، وقتل الرجال وسبي النساء والاطفال ، ومنعوا الناس من الصلاة ، والخدم والمقدمون يعدونهم عن السلطان بما يسكنهم من انفاذ العساكر ، والانتصار للاسلام من الافرنج والكفار ، وعاودوا في الجمعة الثانية المصير الى جامع الخليفة ، وفعلوا مثل ذلك من كثرة البكاء والضجيج والاستغاثة والنحيب ....

وفي جمادي الآخرة منهـا ، وصـل رسـول متملك الروم بهـدايا وتحف ومراسلات ، مضمونها البعث على قصد الافرنج ، والايقاع بهم والاجتماع على طردهم من هذه الاعمـال ، وتـرك التـراخي في أمرهم ، واستعمال الجد والاجتهاد في الفتك بهم قبل اعضال خطبهم واستفحال شرهم ، ويقول أنه قد منعهـم مـن العبـور الى بـلاد المسلمين ، وحاربهم ، فان طمعوا فيها ، بحيث تتواصل عساكرهم وأمدادهم الى البلاد الاسلامية احتاج الى مداراتهم وإطلاق عبورهم ومساعدتهم عل مقـاصدهم وأغراضـهم ، للضرورات القـائدة الى ذلك ، ويبالغ في الحـث والتحـريض على الاجمـاع على حـربهم ، وقلعهم من هذه الديار بالاتفاق عليهم ٠

وفي هذه السنة نقض الملك بغدوين صاحب بيت المقـدس الهـدنة المستقرة بين أتابك وبينه ، وكتب الى ابن صنجيل صاحب طرابلس يلتمس منه الوصول اليه في عسكره ، ليجتمع معه في طبرية ، وجمع وحشد ، ورحـل الى ناحية بيت المقـدس لتقـرير أمـر كان في نفسه ، فحدث له في طريقه مرض أقام بـه أيامـا ، ثـم أبـل منه وافاق ، وقصد في حشده ناحية البثنية من حوران ، وقد أطـرح كل من في الشام ، ولم يبق في عينه منهم أمـر يحفـل بـه مـن جهتهـم ، فنهض ظهير الدين أتـابك عند معـرفته قصـده في عسكره ، ونزل في المنزل المعروف برأس الماء (٤٩) ، ثم رحل عنه الى اللجاة ، ونهض الافرنج في اثره الى الصنمين (٥٠) ، ففـرق أتابك العسكر عليهم من عدة جهات ، وبث في المعابر والمسـالك خيلا تمنع من حمل الميرة اليهم ، وضايقهم مضايقة الجاتهم الى الدخول في حـكم المسـالمة والموادعة ، وتـرددت المراسـلات في ذلك (٩٥ ظ) الى أن اسـتقرت الحـال بينهمـا على أن يكون لبغدوين النصف من ارتفاع جبل عوف والسـواد والحباينة مضـافا الى مافي يده ، ومن هذه الاعمال التي يليها في أيدي العـرب مـن آل جراح ، وكتب بينهما هذا الشرط ، ورحل كل منهمـا منكفـئا الى عمله في آخر ذي الحجة منها .

وقد كان الامر تقرر مع السلطان غياث الدنيا والدين على انهاض العساكر عقيب تلك الاستغاثة المقدم شرحها ببغداد ، والتقدم الى الأمراء بالتأهب للمسير الى الجهاد ، فتأهبوا لذلك ، وكان أول من نهض منهم الى أعمال الافرنج الأمير الاسفهسلار شرف الدين مودود ، صاحب الموصل ، في عسكر الى شبختان (٥١) فافتتح تل قراد (٥٢) وعدة حصون هناك بالسيف والامان ووصل اليه الأمير أحمديل (٥٣)في عسكر سكمان القطبي من بلاد أرمينية وديار بكر ، فاجتمعوا في أرض حران ، وكتب اليهم سلطان بن علي ابن منقذ صاحب شيزر يعلمهم نزول طنكري صاحب انطاكية أرض شيزر ، وشروعه في بناء تل ابن معشر في مقابلة شيزر ، وحمل الغلال اليه ، ويستصرخهم ويبعثهم على الوصول الى جهته ، فحين عرفوا ذاك رحلوا الى الشام ، وقطعوا الفرات في النصف من المحرم وأقاموا عليه منتظرين وصول الأمير برسق بن برسق صاحب همذان ، وكان قد أمر من السلطان بالتقدم عليهم ، فوصل اليهم في بعض عسكره ، وبه مرض من علة النقرس ، وسكمان القطبي ايضا مريض ، والآراء بينهما مختلفة ، وقاتل المطوعة والسوقة هذا الحصن ونقبوه ، فأنفذ جوسلين صاحب تل باشر الى الأمير احمديل الكردي يلاطفه بمال وهدية ، ويبذل له الكون معه ، والميل اليه ، وكان أكثر العسكر مع أحمديل ، وسأله الرحيل عن الحصن وينزل اليه ، فأجابه الى ذلك ، على كراهية من باقي الأمراء ، واشتد مرض سكمان القطبي ، وعزم احمديل على العود طمعا منه في ان السلطان يقطعه بلاد سمكان ، وكان قد عقد بينهما وصلة وصهر ، فعادوا عن تل باشر الى حلب ، ونزلوا عليها ، وعاثوا في أعمالها وفعلوا آقبح من فعل الافرنج في الفساد ، وتوقعوا خروج (٩٦ و) الملك فخر الملوك رضوان صاحب حلب اليهم ، أو خدمة ينفذها لهم ، فلم يلتفت الى أحد منهم ، وأغلق أبواب حلب ، وأخذ رهائن أهلها الى القلعة ، ورتب الجند وأحداث الباطنية والطائعين لحفظ الاسوار ، ومنع الحلبيين من الصعود الى السور ، وأطلق الحرامية في أخذ من يظفرون به من أطراف العسكر (٥٤)

وقـــد كان ظهير الدين أتـــابك عند اجتمـــاع هؤلاء الامراء ، وعبورهم الفرات قد كاتبوه بالوصول اليهم ، ورد التدبير فيما يعتمدونه عليه اليه ، ووصل اليه كتاب السلطان بمثل هـذه الحال ، فاقتضت الصورة ، وصائب الرأي أن ينهض في العسكر نحوهم للاعتضاد على الجهاد ، وتقوية النفوس على حماية هـذه البلاد من أهل الشرك والالحاد ، وجمع من أمكنه من رجال حمص وحماة ورفنية وسائر المعاقل الشامية ، وسار اليهم ووصلهم على ظاهر حلب ، فتلقوه بالاكرام والمزيد في الاحترام ، وقويت بوصوله النفوس ، واشتدت الظهور ، وسروا بحصوله عندهم سرورا ، ظهر منهم وشـاع ، فلم ير منهم عزيمة صادقة في جهـاد ، ولاحمـاية بلاد .

وأما سكمان القطبي فان المرض اشتد به ، واشفى منه فانفصل عنهم وعاد الى بلده (٥٥)، وورد الخبر بوفاته في طريقه قبل وصوله (٥٦) الفرات وأما برسق فانه كان يحمل في المحفة ولايتمكن من فعل ولاقول ، أما أحمديل فان عزمه قوي على العود بسبب بلاد سكمان وطمعه في اقتطاعها من السلطان فاستجرهم ظهير الدين اتابك الى الشام ، فرحلوا في آخر صفر ونزلوا معرة النعمان ، فاقاموا على ذلك المنهاج الاول ، وامتار العسكر من عملها ماكفاهم ، وقصروا عن جملة العلوفات والاقوات ، وظهر لظهير الدين من سوء نية المقدمين فيه ما أوحشه منهم ، ونفر قلبه من المقام بينهم ، وذكر له أن الملك فخر الملوك رضوان راسل بعض الامراء في العمل عليه ، والايقاع به ، فاتفق مع الأمير شرف الدين مودود ، وتأكدت المصافاة والمعاهدة بينهما ، وحمل الى بقية الامراء ماكان صحبه من الهدايا لهم والتحف ، والحصن العربية السبق ، والاعلاق المصرية (٩٦ ظ) وقوبل ذلك منه بالاستكثار له والاستطراف والشكر والاعتراف ، ووفى له مودود بما بذله ، وثبت على المودة ، وجعل اتابك يحرضهم على قصد طرابلس ، ويعدهم حمل مايحتاجون اليه من المير من دمشق

وعملها ، وان أدركهم الشتاء أنزلهم في بلاده ، فلم يفعلوا وتفرقوا أيدي سبأ ، وعاد برسق بن برسق واحمديل ، وتبعوا عسكر سكمان القطبي ، وتخلف منهم الأمير مودود مع أتابك ، فرحلا عن المعرة ونزلا على العاصي .

ولما عرف الافرنج رحيل العساكر ، وتفرقهم اجتمعوا ، ونزلوا افامية بأسرهم : بغدوين وطنكري ، وابن صنجيل ، بعد التباين والمنافرة والخلاف ، وصاروا يدا واحدة وكلمة متفقة على الاسلام وأهله ، وساروا لقصدهم ، فخرج سلطان بن منقذ من شيزر بنفسه وجماعته ، واجتمع مع أتابك ومودود ، وحرضهما على الجهاد ، وهون عليهما أمر الافرنج ، فرحلوا وقطعوا العاصي ، ونزلوا في قبلي شيزر ، وصار سوق العسكر في سوق شيزر ، ونزل عسكر مودود حول شيزر ، وبالغ ابن منقذ وجماعته في الخدمة والمواصلة بالميرة ، وأصعد أتابك ومودود وخواصهما الى حصن شيزر ، وباشر خدمتهما بنفسه وأسرته ، ونزل الافرنج شمالي تل ابن معشر ودبر أمر العسكر احسن تدبير ، وبث الخيل من جميع جهاتهم تطوف حولهم ، وتجول عليهم ، وتمنع من الوصول اليهم ، وضيقوا عليهم وحلأوهم عن (٥٧)الماء وذادوهم عن العاصي لكثرة الرماة على شطوطه وجوانبه من قبليه ، فما يدنو منه من الافرنج شخص الا وقد قتل ، وطمع الأتراك فيهم وسهل أمرهم عليهم ، وكانت خيل المسلمين مثل خيل الافرنج الا أن راجلهم أكثر ، وزحف الأتراك اليهم فنزلوا للحرب عن تل كانوا عليه ، فهجمت الأتراك عليهم من غربيهم ونهبوا جانبا من عسكرهم ، وملكوا عدة من خيامهم وأثقالهم ، وجالوا حولهم ، فعادوا الى مكانهم الذي كانوا به ، ورجعوا منه ، وذلك في شهر ربيع الاول ، ولايصل اليهم شخص ، وعاد المسلمون لصلاة الجمعة في جامع شيزر ، فرحل الافرنج الى افامية ولم ينزلوا فيها ، بل تعدوها ، وتبعهم المسلمون عند معرفة (٩٧ و) رحيلهم ، وتخطفوا أطرافهم ، ومن ظفروا به

- ٥٠٦٧ -

ســـائرا على آثـــارهم ، وعادوا الى شـــــيزر ، ورحلوا الى حماة ، واستبشر الناس بعود الافرنج على هذه الحال .

سنة خمس وخمسمائة

واستحكمت المودة بين ظهير الدين أتابك ، وبين الامير مودود .

وفي هذه السنة جمع بغدوين الملك من أمكنه جمعه من الافرنج ، وقصد ثغر صور ، فبادر عز الملك واليه وأهل البلد بمراسلة ظهير الدين أتابك بدمشق يستصرخون به ويستنجدونه ، ويبذلون تسليم البلد اليه ، ويسألونه المبادرة والتعجيل بانفاذ عدة وافرة من الاتراك تصل اليهم سرعة لمعونتهم وتقويتهم ، وان تأخرت المعونة عنهم قادتهم الضرورة الى تسليمه الى الافرنج ، ليأسهم من نصرة الافضل صاحب أمر مصر ، فبادر أتابك بانفاذ جماعة وافرة من الاتراك بالعدد الكاملة تزيد على المائتين فرسانا ورماة أبطالا ، فوصلت اليهم ، واتت أهل صور رجالة كثيرة من صور وجبل عاملة رغبوا في ذلك مع رجاله من دمشق ، وصلوا اليهم ، وحصلوا عندهم ، وشرع أتابك في انفاذه عدة أخرى ، فحين عرف بغدوين ماتقرر بين أتابك وأهل صور ، بادر النزول عليها فيمن جمعه وحشده في اليوم الخامس وعشرين من جمادى الأول سنة خمس وخمسمائة ، وتقدم بقطع الشجر والنخل ، وبنى بيوت الاقامة عليها ، وزحف اليها فقاتلها عدة دفعات ، ويعود خاسرا لم ينل منها غرضا ، وقيل ان أهل صور رشقوا في بعض أيام مقاتلتها في يوم واحد بعشرين ألف سهم .

وخرج ظهير الدين من دمشق حين عرف نزولهم على صور ، وخيم ببانياس وبث سراياه ورجالة الحرامية في أعمال الافرنج ، وأطلق لهم النهب والقتل والسلب والاخراب والحرق طلبا لازعاجهم وترحيلهم عنها ، فتدخل العدة الثانية الى صور ، فلم يتمكن من الدخول ، ونهض ظهير الدين الى الحبيس (٥٨) الذي في السواد وهو حصن منيع لا يرام ، فشدد القتال عليه ، وملكه

بالسيف قهرا ، وقتل من كان فيه قسرا ، وشرع الافرنج في عمل برجي خشب للزحف بهما الى سور صور ، وزحف ظهير الدين اليهم عدة دفعات ليشغلهم بحيث يخرج (٩٧ ظ) عسكر صور فيحرق البرجين ، وعرف الأفرنج قصده في ذلك ، وخندقوا عليهم من جميع الجهات ، ورتبوا على الخندق الرجال بالاسلاح لحفظه ، وحفظ الأبراج ، ولم يحفلوا بما يفعل وما يجري على اعمالهم من الغارات عليها ، والفتك بمن فيها ، وهجم الشتاء فلم يضر بالأفرنج لأنهم كانوا نزولا في ارض رملة صلبة ، والاتراك بالضد من ذلك كابدوا من مقامهم شدة عظيمة ، ومشقة مؤلمة ، الا انهم لا يخلون من غارة وفائدة ، وقطع ميرة عن الافرنج ومادة ، وأخذ مايحمل اليهم .

وقطع الأتراك الجسر الذي كان يعبر عليه الى صيدا لتقطع المادة ايضا عنهم فعدلوا عند ذلك الى استدعاء الميرة في البحر من جميع الجهات ، ففطن ظهير الدين لذلك ، ونهض في فريق من العسكر الى ناحية صيدا ، وغار على ظاهرها ، فقتل جماعة من البحرية ، وأحرق تقدير عشرين مركبا على الشط ، وهو مع ذلك لا يهمل اصدار الكتب الى اهل صور بتقوية قلوبهم ، وتحريضهم على استعمال المصابرة للأفرنج ، والجد في قتالهم .

وتم عمل البرجين وكباشهما التي تكون فيهما في تقدير خمسة وسبعين يوما ، وشرع في تقديمهما ، والزحف بهما في عاشر شعبان ، وقربا من سور البلد ، واشتد القتال عليهما ، وكان طول البرج الصغير منهما نيفا واربعين ذراعا ، والكبير يزيد على الخمسين ذراعا .

ولما كان اول شهر رمضان خرج اهل صور من الأبراج بالنفط والحطب والقطران وآلة الحرق ، فلم يتمكنوا من الوصول الى شيء منهما ، فألقوا النار قريبا من البرج الصغير بحيث لم يتمكن

الافرنج من دفعهـا فهبـت ريح ، والقـت النار على البـرج الصغير ، فاحترق بعد المحاربة الشديدة عليه ، والمكافحة العظيمة عنه ونهب منه زرديات كثيرة وطـوارق وغير ذلك ، واتصـلت النار بالبرج الكبير ، واتصل الخبر بالمسلمين بأن الافـرنج قـد هجمـوا خربة البلد ، للاشتغال بحريق البـرج ، فـانثنوا عن المقـاتلة على الابراج ، وشد الافرنج عليهم وكشفوهم عن البرج ، واطفـأوا مـا علق به من النار ، ورتبوا عدة وافرة مـن ابـطالهم لحفـظ البـرج والمنجنيقات من جميع الجهات (٩٨ و) ، وواظبوا الزحف اليهـا الى آخر شهر رمضـان ، وقـربوا البـرج الى بعض ابـراج البلد ، وطموا الثلاثة الخنادق التي امـامه ، وعمـد اهـل البلد الى تعليق حائط البرج الذي بـازاء بـرج الافـرنج ، واطلقـوا النار فيه ، فاحترق التعليق ، وسقط وجه الحائط في وجه البرج فمنع من تقديمه الى السور والزحف به ، وصار الموضع الذي قصدوه قصيرا وابراج البلد تحكم عليه ، وبطل تقديمه مـن ذلك الوجـه ، وكشـف الافرنج الردم وجروه الى برج آخـر مـن ابـراج البلد ، ودفعـوه اليه ، وقربوه من سـور البلد ، وصـدموا بـالكباش التـي فيه السور ، فزعزعوه ووقع منه شيء من الحجارة ، واشرف اهل البلد على الهلاك فعمد رجل من مقدمي البحرية عارف بـالصندقة (٥٩) من اهل طرابلس له فهم ومعرفة بأحوال الحـرب الى عمـل كلاليب حديد لمسك الكبش ، اذا نطح به السور من رأسه ومن جانبه بحبال يجذبها الرجال حتى يكاد البرج الخشـب يميل مـن شـدة جـذبهم بها ، فتارة تكسره الافـرنج خـوفا على البـرج ، وتـارة يميل او يفسد ، وتـارة ينكسر بصـخرتين تلقيان عليه مـن البلد مشـدودة احداهما الى الاخرى ، فعملوا عدة من الكباش ، وهي تـكسر على هذه الصفة واحدا بعد واحد ، وكان طول كل واحد منها ستين ذراعا معلقا في البرج الخشب بحبال في رأس كل واحد من الكبـاش حـديد يزيد وزنه على عشرين رطلا ، فلما طال تجديد الكبـاش ، وقـربوا البرج من السور ، عمد هذا الرجل البحري المقدم ذكره الى خشـبة طويلة جافية قوية اقامها في برج البلد الذي بازاء برج الافرنج ، وفي

رأسها خشبة على شكل الصليب طولها اربعون ذراعا تدور على بكر بلولب كيف ما أراد متـوليها ، على مثـال مـا يكون في الصـواري البحرية ، وفي طرف الخشبة التي تدور سـهم حـديد ، وفي طـرفها الآخر حبال مدارة بها على ما يريد متوليها ، وكان يرفع فيها جرار القذر والنجاسة ، ليشـغلهم بـطرح ذلك عليهـم في البـرج عن الكباش ، وضاق الأمـر بـالناس ، وشـغلهم ذلك عن امـورهم واشـغالهم ، وعمـد البحـري المذكور الى سلال العنب والقفاف ، فيجعل فيها الزيت والقير (٩٨ ظ) والسراقـة (٦٠) والقلفونية وقشر القصب ، ويطلق فيه النار ، فاذا علقت بذلك وقـع ذلك في الآلة المذكورة حتى يوازي برج الافرنج ، فتقـع النار في اعلى البرج ، فيبادروا باطفائها بالخل والماء ، فيبادر برفع اخرى ، ومع هذا يرمي ايضا بالزيت المغلي في قدور صغار على البـرج ، فيعـظم الوقيد ، فلما كثرت النار ، وحمل بعضها بعضا ، وقـويت قهـرت الرجلين المتولين لرأس البرج ، وقتل احدهما وانهزم الآخر ، ونزل منه فتمكنت النار من رأسـه ، ونزلت الى الطبقـة الثـانية مـن رأسه ، ثم الى الوسطى ، وعملت في الخشـب ، وقهـرت مـن كان حوله في الطبقات ، وعجزوا عن اطفائها ، وهرب كل من فيه وحوله من الافرنج ، وخـ ج اهل صور اليه ، فنهبوا ما فيه ، وغنموا مـن السلاح والآلات ر 'عدد ما لا يحده وصف .

فعند ذلك وا ـع يأس الافـرنج منه ، وشرعوا في الرحيل عنه ، واحـرقوا البيوت التـي كانت قـد عمـروها في المنزل لسكناهم ، واحـرقوا كثيرا مـن المراكب التـي كانت لهـم على الساحل ، لأنهم كانوا اخـذوا صـواريها وارجلهـا وآلاتهـا للأبراج ، وكانت عدتها تقدير مائتي مركب كبارا وصـغارا ، منهـا تقدير ثلاثين مركبا حربية ، حملوا في بعضـها مـا خـف مـن اثقالهم ، ورحلوا اربعة اشهر ونصف شهر ، وقصدوا عكا وتفرقوا الى اعمالهم .

وخرج اهل صور وغنموا ماظفروا بـه منهـم ، وعادت الاتـراك

المندوبون لاسعادهم الى دمشق ، وقد فقد منهم في الحرب نحو عشرين رجلا ، وكان لهم فيها الجراية والواجب في كل شهر ، ولم يتم على برج من ابراج الافرنج في القديم والحديث مثل ما تم على هذا البرج من احراقه من رأسه الى اسفله ، والذي اعان على هذا هو تساوي البرجين في الارتفاع ، ولو طال احدهما على الآخر لهلك اقصرهما ، وكان عدد المفقودين من اهل صور اربعمائة نفس ، ومن الافرنج في الحرب ايضا على ما حكى الحاكي العارف تقدير الفي نفس ، ولم يف اهل صور بما كانوا بذلوه لظهير الدين اتابك من تسليم البلد اليه ، ولم يظهر لهم في ذلك قولا ، وقال : انما فعلت ما فعلت لله تعالى وللمسلمين ، ولا لرغبة (٩٩ و) في مال ولا مملكة ، فكثر الدعاء له ، والشكر بحسن فعله ، ووعدهم انه متى دهمهم خطب مثل هذا سارع اليه ، وبالغ في المعونة عليه ، وعاد الى دمشق بعد مكابدة المشقة في مقابلة الافرنج ، الى أن فرج الله عن اهل صور ، وشرع أهل صور في ترميم ما شعثه الافرنج من سورها ، واعادوا الخنادق الى حالها ، ورسمها بعد طمها ، وحصنوا البلد ، وتفرق من كان فيه من الرجالة .

وفي الثاني من شعبان ورد الخبر بهلاك بدران بن صنجيل (٦١) ، صاحب طرابلس بعلة لحقته ، واقام ابنه في الامر من بعده ، وهو طفل صغير كفله اصحابه ، ودبروا امره مع طنكري صاحب انطاكية ، وجعلوه من خيله (٦٢) واقطعه انطرطوس وصافيتا ، ومرقية (٦٣) وحصن الأكراد .

وفيها وردت الاخبار بوصول الأمير شرف الدين مودود صاحب الموصل في عسكره ، ونزوله على الرها ورعيه لزرعها في ذي القعدة منها واقام عليها الى المحرم سنة ست وخمسمائة ورحل عنها الى سروج ورعى زرعها ، وهو في غفلة غير متحفظ من عدو يطرق ومسلم يرهق ، ولم يشعر الا وجوسلين صاحب تل باشر في خيله من الافرنج ، ودواب العسكر منتشرة في المرعى ، هجم عليها من ناحية

سروج ، على حين غفلة من مودود واصحابه ، فقتلوا منهم جماعة ، واستاقوا اكثر كراعهم ، وقتل بعض المقدمين ، واستيقظ من كان من المسلمين غافلا ، وتأهبوا للقائه ، فعاد الى حصن سروج ....

سنة ست وخمسمائة

فيها اشتد خوف اهـل صـور مـن عود الافـرنج الى منازلتهم ، فأجمعوا امرهم مع عز الملك انوشتكين الافضلي الوالي بها ، على تسليمها الى ظهير الدين اتابك ، بحـكم مـا سـبق مـن نصرته لهم في تلك النوبة ، ومعاضدته اياهم في تلك الشدة ، وندبـوا رسولا وثقوا به وسكنوا اليه في الحديث مع ظهير الدين اتابك في هذا الباب ، ووصـل الى بـانياس وواليهـا الأمير سـيف الدولة مسعود ، فتحدث معه ، وسار الأمير مسعود مع الرسول الى دمشق لتقرير الحال بمحضر منه ، فصادف ظهير الدين اتابك قد توجه الى ناحية حماة ، لتقـرير الحـال فيمـا بينه وبين فخـر الملوك رضوان ، صاحب حلب ، فأشفق الأمير مسعود ان يتأخر الأمر الى حين عود ظهيرالدين من حماة ،فيبـادر بغـدوين بـالنزول على صور ، ويفوت الغرض المطلوب فيها ، فقـرر مـع ولده تـاج الملوك بوري النائب عنه في دمشق ، المصير معه الى بـانياس ، وانتهـاز الفرصة في تسليم صور اليه ، فأجاب الى ذلك ، وتـوجه معـه الى بانياس ، وتم مسعود الى صور ، ومعـه مـن يعتمـد عليه مـن العسكر ، ولم يتنظر وصول اتـابك ، ووصـل اليهـا وحصـل بها ، وانتهت الحال في ذلك الى اتابك ، فأنهض فـرقة وافـرة مـن الاتراك الى صور تقوية لها ، فوصلت اليها وحصلت بها ، واستقر امر الأتراك فيها ، وحمل اليهم من دمشق ما انفـق فيهـم ، وطيب نفوس اهل البلد واجروا على الرسم في اقامة الدعوة والسكة على ما كانت عليه لصاحب مصر ، ولم يغير لهم رسم .

وكتب ظهير الدين اتابك الى الافضل بمصر يعلمه : « إن بغدوين قد جمع وحشد للنزول على صـور ، وان اهلهـا اسـتنجدوا بـي عليه ، والتمسوا مني دفعه عنهم ، فبـادرت بـانهاض مـن اثـق

بشهامته لحمايتها ، والمراماة دونها اليه ، وحصلوا فيها ، ومتى وصل اليها من مصر من يتولى امـرها ، ويذب عنهـا ، ويحميهـا بادرت بتسليمها اليه ، وخروج ذوابي منها ، وأنا أرجو أن لايهمـل أمرها ، وانفاذ الاسطول بالغلة اليها ، والتقوية لها ».

وحين عرف بغدوين هذا الخبر رحل في (١٠٠ و) الحـال مـن بيت المقدس الى عكا ، فوجد الأمر قـد فـات ، وحصـل بهـا الاتراك ، فأقام بعكا ووصـل اليه مـن العـرب الزر يقيين مـن بلد عسقلان رجل يعلمه « ان القافلة الدمشقية قد رحلت من بصرى الى ديار مصر ، وفيها المال العظيم ، وأنا دليلك اليها ، وتطلق لي مـن أسر مـن أهلي » فنهض بغـدوين مـن وقتـه عن عكا في طلب القافلة ، واتفق ان بعض بني هـوبر تخـطف بعضـها ، وخلصـت منهم ، ووصلت الى حلة بني ربيعة فمسكوها اياما وأطلقوها بعـد ذلك ، وخـرجت مـن نقـب عازب (٦٤) وبينه وبين بيت المقـدس مسافة يومين للفارس ، فلما حصـلت بـالوادي اشرفـت الافـرنج عليها ، فهرب من كان بها ، فالذي صعد منها الجبل سلم ، وأخـذ ماله ، وأخذت العرب أكثر الناس ، فاشتمل الافرنج على مافيها من الامتعة والبضائع ، وتتبعت العرب من أفلت منهم فأخذوه ، وحصل لبغدوين منها مايزيد على خمسين ألف دينار وثلاثمائة أسير ، وعاد الى عكا ، ولم يبق بلد من البلاد الا وقد أصيب بعض تجاره في هـذه القافلة .

وفي هذه السنة وصل ابن الملك تكش بن السـلطان ألب أرسـلان أخي السلطان العادل ملك شاه ، الى حمص هاربا مـن ابـن عمـه السـلطان غياث الدنيا والدين محمـد ، ولم يمـكنه المقـام بحمص ولاحماة فتوجه الى حلب ، وكان فخر الملوك رضوان صاحب حلب في الدركاه السلطانية ، فأشفق من المقام بحلب ، فتـوجه الى طنكري صاحب انطاكية فـاستجاره فـأجاره ، واكرمـه وأحسـن اليه ، واجتمع اليه جماعة من الاتراك الذين مـع طنكري ، فـأقام

عنده ، وخرج طذكري من انطاكية في أول جمادي الآخـرة الى ناحية كريسيل (٦٥) ، مقـدم الأرمـن وكان قـد هلك طمعـا في تملك بلاده ، فعرض له مرض في طريقه أوجب عوده الى انطاكية ، فاشتد به المرض ، فهلك في يوم الأربعاء الثامن جمـادى الآخـرة وقـام في الأمر بعده ابن أخيه سـير رجـال (٦٦) فتسـلم انطـاكية وأعمالها ، واستقام له (١٠٠ ظ) الامر فيها ، بعد أن جرى بين الافرنج خلاف بسببه الى أن أصلح بينهم القسوس ، وطلب من الملك رضوان مقاطعة حلب المستقرة ، فأجابه الى ذلك ، ومبلغها عشرون الف دينار ، والخيل ، وطلب مقاطعة شـيزر ، فـأجاب صـاحبها اليها ، وهي عشرة آلاف دينار ، وتواترت غارات بغدوين على عمل البثنية من أعمال دمشق ، وانقطعت الطريق ، وقلت الاقـوات بهـا وغلا السعر فيها ، وتتابعت كتب ظهير الدين أتابك الى الأمير شرف الدين مودود صاحب الموصـل بشرح هـذه الأحـوال في هـذه الأعمال ، وبعثـه على الوصـول اليه للاعتضـاد على دفـع المردة الأضداد ، والفوز بفضيلة الجهاد ، وكان مودود قد شـنع عليه عند السلطان غياث الدنيا والدين ، بشناعات من المحال لفقها الحسـدة الأعداء ، أوجبت استيحاشه منه وبعـده عنه ، قيل في جملتهـا أنه عازم على الخلاف والعصيان ، وأن يده ويد أتابك قـد صـارت يدا واحدة ، وآرا ؤهما متوافقة ، وأهـوا ؤهـما متوافقة ، فلما عرف ذلك سير والده وزوجته الى بـاب السـلطان بـأصفهان للتنصـل والاعتذار ، وابطال ما رقي اليه من المحال ، والتبرىء مما افتـري عليه وعزي اليه ، والاستعطاف له ، والاعلام بأنه جار على مـاألف منه على اخـلاص الطـاعة والعبـودية والمناصـحة في الخدمة ، والاهتمام بالجهاد .

ثم جمع عسكره من الاتراك والأكراد ومن أمـكنه ، وتـوجه الى الشام ، وقطع الفرات في ذي القعدة من السنة ، فحين اتصل خبره ببغدوين الملك قلق لذلك ، وانزعج لخبره ، وكان جوسلين صاحب تل باشر قد اختلف هو وخاله بغدوين الرويس ، صاحب الرها ، وصار

مع بغدوين صاحب بيت المقدس ، وأقطعه طبـرية ، واتفقـا على أن راسل جوسلين لظهير الدين اتابك يبذل المصافاة والمودة ، ويرغبه في الموادعة والمسالمة ، ويسلم اليه حصن تبنين المجاور لحصن هـونين (٦٧) وجبل عاملة ، ويتعـوض عن ذلك بحصـن الحبيس الذي في السواد ، ونصف السـواد ، ويضـمن عن بغـدوين الوفـاء بذلك ، والثبات على المودة ، والمصافاة وتـرك التعـرض لشيء مـن أعمال دمشق ، ولايعرض هو لشيء من أعمال الافرنج ، فلم يجـب الى ذلك ، ونهض مـن دمشـق في العسـكر للقـاء الأمير مودود ، والاجتماع بـه ، على الجهـاد ، فـاجتمعا بمـرج سلمية ، واتفق رأيهما على قصد بغدوين (١٠١ و) وسارا وقـد استصحب أتـابك جميع العسـكر ، ومـن كان بحمص وحمـاة ورفنية ، ونزلا يوم عيد النحر بقدس (٦٨) ورحلا منهـا الى عين الجر (٦٩) بالبقاع ثم منهـا الى وادي التيم ، ثم نزلا ،بانياس .

ونهضت فرقة من العسكر فقصدت ناحية تبنين (٧٠) فلم يظفـر منها بمراد

ووصل اليها بغدوين وقـد كان لما يئس مـن اجـابة اتـابك الى الموادعة ، واصل الغارات والفساد في الشام الى ان وصـل عسـكر المسلمين الى عمله ، وبـالغ اتـابك فيمـا حمله الى الأمير مـودود واعظامه واكرامه وماحمله اليه والى مقدمي عسكره ، وخواصه من أنواع الملبوس والمأكول والمركوب ، ثم نهضوا معاملين على النزول على الاقحوانة ، ووصل الى بغدوين سير رجال صـاحب انطـاكية وصاحب طـرابلس ، وأجمعـوا رأيهـم على النزول غربـي جسر الصنبرة (٧١) ثم يقطعون الى الاقحوانة للقاء المسـلمين ، وقـد احتـاطوا على اثقـالهم وراء الجسر ، والمسـلمون لايعلمـون بذلك ، وانهم عارضوهم في المسير الى هذا المنزل فسبق الاتراك الى نزولهم في الاقحـوانة وقـطع بعض عسـكر الاتـراك الجسر لطلب العلوفات والزرع ، فصادفوا الافرنج قد ضربوا خيامهم وقـد تقـدم بغدوين للسبق الى هذا المنزل ، ونزل صاحـب انطـاكية وصـاحب طرابلس وراءه يتبعونه اليه .

ونشبت الحـــرب بين المتعلقـــة وبين الافـــرنج ، وصـــاح الصائح ، ونفر الناس ، وقطعوا الجسر ، وهم يظنون أنه جوسلين لأنه صاحب طبرية ، فوقف أتـابك على الجسر ، وتسرع خلق كثير من العسكر الى قطع الجسر ، وقطع الأمير تميراك بن ارسلانتاش في فريق وافر من العسكر ، ونشبت الحرب بين الفـريقين مـن غير تـــأهب للقـــاء ، ولاضرب خيام ولا اســـــتقرار في منزل ، ولامجـال ، واختلط الفـــريقان ، فمنح الله الكريم ، وله الحمد ، المسلمين النصر على المشركين بعد ثلاث كرات ، فقتل فيها من الافرنج تقدير ألفي رجـل مـن الأعيان ، ووجـــوه الأبـــطال والشجعان ، وملكوا ماكان نصب من خيامهم ، والكنيسة المشهورة (٧٢) ، وأفلت بغدوين بعد مـاقبض ، وأخـذ سـلاحه ، وملكت دواب الرجالة ، ومـاكان لهـم ، وغرق منهـم خلق كثير في البحيرة (٧٣) ، واختلط الدم ، وامتنع الناس مـن الشرب منهـا اياما حتى صفت منه وراقت ، والتجـأ مـن نجـا مـن الافرنج (١٠١ ظ) الى طبرية ، وأكثـرهم جـرحى ، وذلك في يوم السبت الحادي عشر من المحرم سـنة سـبع وخمسـمائة ، وبعـد انفصال الأمر وصل بـاقي الافـــرنج اصــحاب طنكري وابـــن صنجيل ، فلاموه على التسرع وفندوا رأيه ، ونصبوا ماكان سـلم من خيامهم على طبرية ، وفي غد يوم الوقعة نهض فريق من عسـكر الاتراك الى ناحية طبرية ، واشرفـوا على الافـرنج بناحية طبـرية وعزموا على النزول اليهم والايقاع بهم ، فخافهم الافرنج وأيقنوا بالهلاك وأقام الاتراك على الجبـل عامـة نهـارهم ،وانكفـأوا الى معسكرهم ، وطلع الافرنج الى الجبل وتحصنوا به لصعوبة مرتقاه ، وهو من غربـي طبـرية ، والماء ممتنع على مـن يكون فيه ، فعـزم المسلمون على الصعود اليه ومواقعتهم ، واستدعى أتـابك العـرب الطائيين والكلابيين (٧٤) والخفاجيين ، فـوصلوا في خلق كثير بالزادات والروايا والابل لحمل الماء ، وصعدت الطلائع الى الجبل من شماله ، وعرفوا أن هذا الجبل لايمكن الحرب فيه لصعوبته على الفارس والراجل ، وعلم المسـلمون ان الظفـر قـد لاحـت دلائله

وأماراته ، والعدو قد ذل وانخزل ، وفل وانخذل (٧٥) ، وسرايا الاسلام قد بلغت في ألنهيض الى أرض بيت المقدس ويافا وأخربت أعمالهم ودوختها ، واستاقت عواملها ومواشيها ، وغنمت ماوجدته فيها فانثنى الرأي عن الصعود ، ودامت الحال على هذه القضية الى آخر صفر .

وعقيب هذه النوبة ، وصل من حلب من عسكر الملك فخر الملوك رضوان مائة فارس على سبيل المعونة ، خلاف ماكان قرره ، وبذله فأنكر ظهير الدين أتابك وشرف الدين مودود ذلك منه ، وأبطلا العمل بما كانا عزما عليه من الميل اليه ، واقامة الخطبة له ، وذلك في أول شهر ربيع الأول سنة سبع وخمسمائة ، وسيرا رسولا الى السلطان غياث الدنيا والدين الى مدينة اصفهان ، بالبشارة بهذا الفتح ، ومعه جماعة من أسارى الافرنج ، ورؤوسهم وخيولهم وطوارقهم ، ومضاربهم ، وأنواع سلاحهم .

ثم ان العسكر رحل من المنزل الى وادي المقتول ونزل الافرنج عند ذلك عن الجبل الى منزلهم ، والتجأوا الى جبل في المنزل ، وتواصلت اليهم ميرهم وأزوادهم وامدادهم من أعمالهم ، فعاد اليهم عسكر الاتراك من منزلهم جرائد في بضع عشر كردوسا ، ولزموا اياما يرومون ان يخرجوا اليهم ، فلم يظهروا للحرب ، ولازم بعضهم (١٠٢ و) بعضا الفارس والراجل في مكان واحد ، لايظهر منهم شخص ، وجعل الاتراك يحملون عليهم فيصيبون منهم بالنشاب مايقرب منهم ، ويمنعون الميرة والعلوفة عنهم وقد أحدقوا بهم كالنطاق أو هالة الآفاق ، فاشتد بهم فرحلوا عن منزلهم في ثلاثة أيام تقدير فرسخ عائدين ، فلما كان الليل قصدوا الجبل الذي كانوا أولا عليه ملتجئين اليه ومحتمين به ، وواظب المسلمون قصدهم والتلهف على مايفوت منهم ، ومن غنائمهم بالاستمرار على الاحجام عن ظهورهم ، على ان مقدمي العسكر

- ٥٠٨٠ -

منعوهم من التسرع اليهم والاقدام في منزلهم عليهم ، ويعدونهم بفرصة تنتهز فيهم ، فطال أمد المقام ، وضاقت صدور اصحاب مودودلبعد ديارهم ، وتأخر عودتهم ، وتعذر أوطارهم ، فتفرق أكثرهم وعادوا الى بلادهم ، فاستأذن آخرون في العود فأذن لهم ، وعزم مودود على المقام بالشام ، والقرب من العدو ينتظر مايصله من الأمر السلطاني ، والجواب عما أنهاه وطالع به ، فيعمل بحسبه ، ولم يبق في بلاد الافرنج مسلم ، الا وأنفذ يلتمس الامان من أتابك ، وتقرير حاله ، ووصل اليه بعض ارتفاع نابلس ، ونهبت بيسان ، ولم يبق بين عكا والقدس ضيعة عامرة ، والافرنج على حالهم في التضيق عليهم ، والحصر على الجبل .

واقتضى الرأي عود اتابك ومودود ، فعادا الى دمشق في الحادي والعشرين من شهر ربيع الاول سنة سبع وخمسمائة ....

سنة سبع وخمسمائة

.... وقد تقدم من ذكر ماكان من نوبة صور ، وانتقال ولايتها الى ظهير أتابك ، واستنابته مسعودا في حفظها وحمايتها ، وتدبير أمرها وانفاذ رسوله الى الافضل بشرح حالها ، ولم يزل الرسول المسير الى مصر مقيما بها الى ذي الحجة من سنة ست وخمسمائة وظهر للأفضل صورة الحال فيها ، وجلية الأمر بها ، وأعاد الرسول بالجواب الجميل ، وأن :« هذا أمر وقع منا أجمل موقع ، وأحسن موضع » ، واستصوب رأي ظهير الدين فيما اعتمده واحماد ماقصدة ، وتقدم بتجهيز الاسطول اليها بالغلة والميرة ، ومال النفقة في الاجناد والعسكرية ، ومايباع على الرعية من الغلات ، ووصل الاسطول بذلك الى صور – ومقدمه شرف الدولة بدر بن ابي الطيب الدمشقي ، الوالي كان بطرابلس عند تملك الافرنج لها – في آخر صفر سنة سبع وخمسمائة ، بكل مايحتاج اليه ، فرخصت الاسعار بها ، وحسنت حالها ، واستقام امرها ، وزال طمع الافرنج فيها ، ووصل في جملته خلع فاخرة من طرف مصر ، برسم ظهير الدين وولده تاج الملوك بوري وخواصه ، ولمسعود الوالي المستناب بها ، وأقام الاسطول عليها الى أن استقام الريح له ، فأقلع عنها في العشر الاخير من شهر ربيع الأول منها .

وارسل بغدوين الملك الى الامير مسعود واليها يلتمس منه المهادنة والموادعة والمسالمة ، لتحسم أسباب الأنية عن الجانبين ، فأجابه الى ذلك ، وانعقد الامر بينهما على السداد ، واستقامت الاحوال على المراد ، وأمنت السابلة للمترددين والتجار والسفار الواردين من جميع (١٠٣)الأقطار ، وتوفي رحمه الله في عاشر شوال سنة سبع وخمسمائة وقد كان صاحب انطاكية لما فصل عن الملك بغدوين بعسكره عائدا الى انطاكية فسخ عنه ولد

الملك تكش بن السلطان ألب أرسلان ، وقصد صــور ، وانفــذ الى ظهير الدين أتابك في الوصول الى دمشق ، فأجابه بالاعتذار الجميل والاحتجاج المقبول ، ودفعه أحسن دفع ، فلمــا أيســه تــوجه الى مصر ، ولقي من الافضل ماأحب من الاكرام والمزيد مــن الاحتــرام والانعام واطلاق مايعود اليه بصالح الحال ، وتحقيق الآمال ...

ولما حصل (دقاق بن تاج الدولة) في دمشــق اتصــلت بينه وبين بغدوين ملكالافرنج في ايقاع المهادنة والموادعة والمســالمة ، لتعمير الاعمال بعد الاخــراب ، وتأمن (١٠٤ ظ) الســوابل مــن شر المفســــدين والخــــراب ، فــــــــــــاستقرت هذه الحال بينهما ، واستحلف كل منهما صاحبه على الثبات والوفاء واخلاص المودة والصفاء ، وامنت المســالك والاعمــال ، وصــلحت الاحوال وتوفر الاستغلال .

سنة ثمان وخمسمائة

.... وفيها وردت الاخبار من ناحية الافرنج بهلاك ملكهم بغدوين بعلة هجمت عليه ، مع انتقاض جرح كان اصابه في الوقعــة الكائنة بينه وبين المصرين ، فهلك بها ، وقام مقــامه مــن بعــــده مــــن ارتضي به(٧٧) ....

سنة تسع وخمسمائة

في هذه السنة قويت شوكة الافرنج في رفنية ، وبالغوا في تحصينها وشحنها بالرجال ، وشرعوا في الفساد والتنا هي في العناد ، فصرف ظهير الدين همه الى الكشف عن احوالهم والبحث عن مقاصدهم في اعمالهم ، وترقب الفرصة فيهم ، ومعرفة الغرة منهم ، وتقدم الى وجوه العسكر ومقدميه بالتأهب والاستعداد ، لقصد بعض الجهات لاحراز فضيلة الجهاد ، والنهوض(١٠٥ و) لامر من المهمات ، ثم اسرى اليهم مغذا ، حتى ادركهم وهم في مجاثمهم غارو ن ، فلم يشعروا الا والبلاء قد احاط بهم من جميع جهاتهم ، فهجمت الاتراك عليهم البلد ، فملكوه وحصل كل من كان فيه في قبضة الاسر ، وربقة الذل والقهر ، فقتل من قتل ، واسر من اسر ، وغنم المسلمون سوادهم وكراعهم واثاثهم ماامتلأت به الايدي ، وسرت به النفوس ، وقويت بمثله القلوب ، وذلك في يوم الخميس لليلة خلت من جمادى الاخرة من السنة ، وانكفأ المسلمون الى دمشق ظافرين مسرورين غانمين لم يفقد منهم بشر ، ولا عدم شخص ، ومعهم الاسرى ورؤوس القتلى ، فأطيف بهم في البلد بحيث تضاعف بمشاهدتهم السرور ، وانشرحت الصدور ، وقويت من الجند في الجهاد والغزو الظهور ...

سنة عشر وخمسمائة

في هذه السنة ورد الخبر بان بدران بن صنجيل (٧٨) ، صاحب طرابلس ، قد جمع وحشد ، وبالغ واجتهد ، ونهض الى ناحية البقاع لاخرابه بالعيث والفساد والاضرار والعناد ، وكان الاصفهسلار سيف الدين البرسقي ، صاحب الموصل ، قد وصل الى دمشق في بعض عسكره ، لمعونة ظهير الدين اتابك على الافرنج ، والغزو فيهم ، وبالغ اتابك في الاكرام له والتعظيم لمحله ، وصادف ورود هذا الخبر بنهضة الافرنج الى البقاع ، فاجتمع رأيهما على القصد لهما جميعا ، واغذا السير ليلا ونهارا ، بحيث هجموا عليهم ، وهم غارون ، في مخيمهم قارون ، لايشعرون فأرهقهم العسكر ، فلم يتمكنوا من ركوب خيلهم ، ولاأخذ سلاحهم ، فمنحهم الله النصر عليهم ، واطلقوا السيف فيهم قتلا واسرا ونهبا ، فأتوا على الراجل وهم خلق كثير ، قد جمعوا من اعمالهم ، واسروا وجوه فرسانهم ومقدميهم ، واعيان شجعانهم ، وقتلوا الباقين منهم ، ولم يفلت منهم غير مقدمهم بدران بن صنجيل والمقدم كند اصطبل ، ونفر يسير معهما ، ممن نجا به جواده ، وحماه اجله ، واستولى الاتراك على العدد الجمة ، والخيول والكراع والسواد ، و ذكر الحاكي المشاهد العارف ان المفقود والمقتول من الافرنج الخيالة والاسر جندية (٧٩) الرجالة ، والنصارى الخيالة والرجالة في هذه الوقعة مايزيد على ثلاثة الاف نفس ...

سنة احدى عشرة وخمسمائة

... وفي النصف من المحرم منهما هجمت الافرنج على ربض حماة في ليلة خسوف القمر ، وقتلوا من اهلها تقدير مائة وعشرين رجلا . وورد الخبر بهلاك دوقس انطاكية (٨٠) ...

وفيها وردت الاخبار من القسطنطينية بموت متملك الروم الكرانكس (٨١) وقام في الملك بعده ولده يوحنا ، واستقام له الامر ، وعمل بسيرة أبية ، وفيها وردت الاخبار بهلك بغدوين ملك الافرنج صاحب بيت المقدس بعلة طالت به وكانت سبب هلاكه في ذي الحجة منها ، وقام بعده في الامر كند هو (الذي كان) الملك (بالرها) (٨٢).

سنة اثنتي عشرة وخمسمائة

في هذه السنة شاعت الاثار والاخبار من ناحية الافرنج ، بطمعهم في المعاقل والبلاد ، واجماعهم على قصدها بالعيث والافساد ، لغفلة الاسلام عن قصدهم بالغزو والجهاد ، وانهم قد شرعوا في التأهب لهذه الحال ، والاستعداد وكاتب ظهير الدين اتابك ارباب الجهات والمناصب ، وبعثهم على التعاون على دفع شر الملاعين ، بالتوازر والتواظب .

وورد الخبر بتوجيه الامير نجم الدين ايل غازي الى دمشق ، في عسكره ، للاجتماع مع ظهير الدين اتابك على اعمال الراي في التدبير والتشاور في العمل والتقدير ، هذا بعد ان راسل طوائف التركمان بالاستدعاء لاداء فريضة الجهاد والتحريض على الباعث لذاك والاحتشاد .

ووصل الامير المذكور الى دمشق من حلب ، في بعض اصحابه وخواصه ، واجتمعا وتعاهدا وتعاقدا على بذل المكنة والاجتهاد في مجاهدة الكفرة الاضداد ، وطردهم عن الافساد في هذه المعاقل والبلاد ، ووقع الاتفاق بينهما على (مصير) (٨٣) الامير (١١٠ و) نجم الدين ايل غازي بن ارتق الى ماردين لانجاز امره ، وجمع التركمان من الاعمال ، وحضهم على النكاية في احزاب الشرك والضلال ، واقتضت الاراء مصير الامير ظهير الدين معه لتأكيد الحال ، وتسهيل الامال ، وسارا في العشر الاول من شهر رمضان سنة اثنتي عشرة وخمسمائة ، وعاد ظهير الدين عنه بعد ان قررا مع طوائف التركمان اصلاح احوالهم والتأهب للوصول الى الشام بجموعهم الموفورة وعزائمهم المنصورة في صفر سنة ثلاث عشرة

وخمسمائة ليقع الاجتماع على نصرة الدين واصطلام الملحدين ، واقام ظهير الدين بدمشق الى حين قرب الاجل المضروب ، والوقت المرقوب ، وسار الى ناحية حلب في اول شهر ربيع الاول سنة ثلاث وخمسمائة ...

ودخلت سنة ثلاث عشرة وخمسمائة

ولما وصل ظهير الدين اتابك الى حلب للاجتماع مع نجـم الدين على الامر المقرر بينهما ، بعـد مضي الاجـل المعين بتـدبيرهما ، وجـد التركمان قد اجتمعوا اليه من كل فج ، وكل صوب في الاعداد الدثـرة الوافرة ، والقوة الظاهرة ، كأنهـم الاسـود تـطلب فـرائسها ، والشواهين اذا حامت على مكاسرها ، ووردت الاخبار ببروز روجير صاحب انطاكية منها ، في من جمعه ، وحشده من طوائف الافـرنج (١١٠ ظ) ورجالة الارمن من سائر اعمـالهم واطـرافهم ، بحيث يزيد عددهم على العشرين الف فارس وراجل ، سوى الاتباع ، وهم العدد الكثير ، في اتم عدة ، واكمل شكة ، وانهم قد نزلوا في الموضع المعروف بسرمدا وقيل دانيث البقل بين انطاكية وحلب ، فحين عرف المسلمون ذلك طاروا اليهم بأجنحة الصقور الى حماية الوكور ، فما كان بأسرع من وقوع العين على العين ، وتقارب الفريقين حتى حمل المسلمون عليهم ، واحاطوا بهم من جميع الجهات ، وسائر الجنبات ضربا بالسيوف ، ورشقا بالسهام ، ومنح الله تعالى ، وله الحمد ، حزب الاسلام النصر على المردة الطغام ، ولم تمض ساعة من نهـار يوم السبت السابع من شهر ربيع الاول ، مـن سـنة ثـلاث عشرة وخمسمائة ، الا والفرنج على الارض سـطحة واحـدة ، فـارسهم وراجلهم ، بخيلهم وسلاحهم ، بحيث لم يفلت منهم شـخص يخبـر خبرهم ، ووجد مقدمهم روجير (٨٤) صريعـا بين القتلى ، ولقـد حكى جماعة من المشاهدين لهذه الوقعة ، انهم طافوا في مكان هـذه المعركة ، لينظروا اية الله تعالى الباهرة ، وانهـم شـاهدوا بعض الخيول مصرعه كالقنافذ من كثرة النشاب الواقع فيها ، وكان هـذا الفتح من احسن الفتوح ، والنصر الممنوح ، لم يتفق مثله للاسلام ، في سالف الاعوام ، ولاالآنف من الايام ، وبقيت انطـاكية شـاغرة خالية من حماتها ، ورجالها ، خاوية من كماتها ، وابطالها ، فريسة

الواثب ، نهزة الطالب ، فوقع التغافل عنها ، لغيبة ظهير الدين اتابك عن هذه الوقعة ، لتسرع التركمان اليها . من غير تأهب لها ، للامــر النافذ ، والقدر النازل ، واشــتغال الناس بــاحراز الغنائم ،التــي امتلأت بها الايدي ، وقويت بها النفوس ، وسرت بحسنها القلوب ، فتلك بيوتهم خاوية ، والحمد لله رب العالمين ....

سنة أربع عشرة وخمسمائة

.. وفيها وردت الاخبار بوصول الكند (٨٥) هو ملك الافرنج ، في المراكب البحرية ، وملك اكثر المعاقل .

وفيها وقعت المهادنة بين نجم الدين ايل غازي بن ارتـق صـاحب حلب ، وبين الافرنج ، وتقررت الموادعة والمسالمة ، وكف كل جهـة من الفريقين الاذية عن الاخر ....

سنة ست عشرة وخمسمائة

... وقيل ان الامير نجم الدين بن ارتق خرج من حلب في عسكره ، وقطع الفرات ، وصادف الافرنج ، فلم يلقوه فأتلف ماظفر به في اعمالهم ، وعاد منكفئا الى الفنيدق ، بظاهر حلب .

وفي هذه السنة وصل الاسطول المصري الى صور ، وهو مشحن بالرجالة البحرية ، وطائفة من العساكر ، وفي نفس الوالي ، العمل على الامير سيف الدولة مسعود ، الوالي بصور من قبل الامير ظهير الدين اتابك ، فلما خرج للسلام على والي الاسطول ، سألوه النزول فلما حصل في مركب المقدم ، اعتقله وتمت عليه المكيدة ، وحصل البلد في ايديهم ، ولما اقلع الاسطول ، ووصل الى مصر ، وفيه الامير مسعود ، اكرم وانزل في دار ، واطلق له مايحتاج اليه ، والسبب كان في هذا التدبير ان شكاوى اهل صور تتابعت (١١٣ ظ) الى الآمر بأحكام الله ، فاقتضت الاراء التدبير عليه ، وازالة ماكان من الولاية اليه ، وكانت عاقبة خروجه منها ، وسوء التدبير فيها ، خروجها الى الافرنج ، وحصولها في ملكتهم .

وفي هذه السنة ورد الخبر ، بان الامير نور الدولة بلك بن ارتق ، نهض في عسكره في ايام من رجب ، وقصد الافرنج بالرها ، واوقع بهم ، وكسرهم واسر مقدمهم جوسلين وابن خالته كليان (٨٦) ، وجماعة من مقدميهم عند سروج ....

سنة سبع عشرة وخمسمائة

... وورد الخبر من ناحية حلب باستقرار المهادنة بين الامير بدر الدولة (سليمان بن عبد الجبار) بن ارتق (٨٧) صاحب حلب ، وبين الافرنج على تسليم قلعة الاثارب الى الافرنج فتسلموها ، وحصلت في ايديهم ، واستمرت الموادعة على هذا ، واستقامت احوال الاعمال من الجانبين ، وامنت السابلة المترددين فيها بين العملين ، في صفر من السنة .

وفيها ورد الخبر بنهيض بغدوين ملك الافرنج في عسكره الى ناحية حلب ، الى الامير بلك بن ارتق ، في تاسع صفر منها ، وهو منازل لحصن الكركر (٨٨) فنهض إليه والتقيا بالقرب من قنطرة(سنجة)(٨٩) فكسره واسره ، وحصل في يده اسيرا (١١٤ ظ) مع جماعة من وجوه عسكره ، فاعتقله في جب في قلعة خرتبرت مع جوسلين ومقدمي الافرنج ....

وفيها ورد الخبر بان اسطول مصر لقي اسطول البنادقة في البحر ، فتحاربا فظفر به اسطول البنادقة ، واخذ منه عدة (٩٠) قطع .
وفي العشر الاول من شهر ربيع الاول منها ، ملك الامير بلك بن ارتق ، حصن البارة واسر أسقفها .

وفي هذه السنة ورد الخبر من ناحية خرتبرت بأن الملك بغدوين الرويس وجوسلين مقدمي الافرنج ، وغيرهم من الاسرى الذين كانوا في اسر الامير بلك ، المعتقلين في قلعة خرتبرت عملوا الحيلة فيما بينهم وملكوا القلعة .

وهربوا (٩١) ٠٠٠٠ الملك بغدوين ونجا ولم يظفروا به وهــرب في ذلك اليوم أيضا أسقف البارة من اعتقاله ٠

وفي الشـــهر المذكور تــوجه الأمير نور الدولة بلك في عســكره الى خرتبرت ، وضايق قلعتها الى أن استعادها مــن الأفـرنج الواثبين عليها ، ورتب فيها من يحفظها ويتيقظ فيها ٠٠٠٠

سنة ثماني عشرة وخمسمائة

.... وفيها ملك الافرنج ثغر صور بالامان ، وشرح الحال في ذلك : كان قد مضى من ذكر الذي أوجب إخراج الأمير (١١٥ و) سيف الدولة مسعود واليها منها ، وحمله في الأسطول الى مصر مالايحتاج الى الاعادة له ، والاطالة بذكره ، ولما حصل بها الوالي المندوب من مصر بعد مسعود ، طيب نفوس أهله ، وكاتب ظهير الدين بصورة الحال ، فأعاد الجواب بأن الأمر في ذلك لمن دبره ، والمرجوع الى مارتبه وقرره ، واتفق ان الأفرنج لما عرفوا هذا الأمر ، وانصراف مسعود عن ولاية صور ، تحرك طمعهم فيها ، وحدثوا نفوسهم بتملكها ، وشرعوا في الجمع والتأهب للنزول عليها ، والمضايقة لها ، واتصل بالوالي صورة الأمر ، وأنه لاطاقة له بالافرنج ، ولاثبات على محاصرتهم ، لقلة من بها من الجند والميرة ، فطالع الآمر بأحكام الله صاحب مصر بذلك ، فاقتضى الرأي أن ترد ولاية صور الى ظهير الدين أتابك ، ليتولى حمايتها والذب عنها والمراماة دونها ، على ماجرى رسمه فيها ، وكتب منشور الولاية باسمه ، فندب لتوليها جماعة لاغناء لهم ، ولاكفاية فيهم ولا شهامة ، ففسد أمرها بذاك ، وتوجه طمع الافرنج حولها لأجله ، وشرعوا في النزول والتأهب للمضايقة لها ، ونزلوا بظاهرها في شهر ربيع الأول من السنة ، وضايقوها بالقتال والحصار ، الى أن خفت الاقوات فيها ، وعدمت الميرة ، وتوجه ظهير الدين في العسكر الى بانياس للذب عن صور .

ونفذت المكاتبات الى مصر باستدعاء المعونة لها ، وتمادت الأيام بذلك الى أن ضعفت النفوس ، وأشرف أهلها على الهلاك ، وعرف أتابك جلية (الامر) (٩٢) وتعذر تلافيها ووقع اليأس من

المعونة لها ، فراسل الافرنج بالملاطفة والمداهنة ، والارهاب والارغاب الى أن تقررت الحال على تسليمها اليهم ، بحيث يؤمن كل من بها ، ويخرج من أراد الخروج من العسكرية والرعية ، بما يقدرون عليه من أحوالهم ، ويقيم من أراد الاقامة .

ووقف أتابك في عسكره بازاء الافرنج ، وفتح باب البلد ، وأذن للناس في الخروج ، فحمل كل منهم ما خف عليه ، وأطاق حمله ، وترك ماثقل عليه ، وهم يخرجون بين الصفين ، وليس أحد من الافرنج يعرض لأحد منهم ، بحيث خرج كافة العسكرية والرعية ، ولم يبق منهم الا ضعيف (١١٥ ظ) لايطيق الخروج ، فوصل بعضهم الى دمشق ، وتفرقوا في البلاد ، وذلك في اليوم الثالث والعشرين من جمادى الأولى سنة ثمانى عشرة وخمسمائة .

وفيها ورد الخبر باجتماع الافرنج من أعمالهم، ونزولهم على حلب ، وشروعهم في قتال من بها ، والمضايقة ، وتمادى الأمر في ذلك الى أن قلت الأقوات فيها ، وأشرف على الهلاك أهلها ، فلما ضاق بهم الأمر ، وعدم الصبر راسلوا الأمير سيف الدولة (آق) سنقر البرسقي ، صاحب الموصل بشكوى أحوالهم ، وشرح مانزل بهم ، والسؤال له في انجادهم على الافرنج ، وانقاذهم من أيدي الكافرين ، فضاق لذلك صدره ، وتوزع سره ، وتأهب في الحال للمصير اليهم ، وصرف الاهتمام الى الذب عنهم .

فلما وصل اليهم في ذي الحجة من السنة ، وعرف الافرنج خبره ، وحصوله قريبا منهم ، وماهو عليه من القوة وشدة الشوكة ، أجفلوا مولين ، ورحلوا منهزمين ، وتبعهم سرعان الخيول يتلقطون من يظفرون به في أعناقهم ، ولم يلو منهم منهزم على متول ، الى أن حصلوا بأنطاكية ، وكانوا قد ابتنوا في منزلهم

مساكن وبيوتا تقيهم الحر والبرد ، واصروا على المقام ، ولطف الله تعالى ، وله الحمد بأهل حلب ، وخلصهم من البلاء ، وانتاشهم من اللأواء ، وكسب آق سنقر البرسقي بهذا الفعل الجميل جزيل الأجر والثناء ، ودخل حلب وأحسن السيرة بحيث صلحت أحوالها ، وعمرت أعمالها ، وأمنت سابلتها ، وتواصلت الرفق اليها ببضائعها وتجارتها .....

سنة تسع عشرة وخمسمائة

.... وفيها اتصلت الأخبار من ناحية بغدوين ملك الافرنج صاحب بيت المقدس ، بالاحتشاد والتأهب والاستعداد لقصد ناحية حوران من عمل دمشق ، للعيث فيها والافساد ، وشرع في شن الغارات على الجهات القريبة من دمشق ، والمضايقة لها ، وقطع الطرقات على الواردين اليها ، فعند المعرفة بذلك والتحقق له ، شرع ظهير الدين أتابك في الاستعداد للقائه ، والاجتماع على جهاده ، وكاتب امراء التركمان ومقدميهم وأعيانهم ، بإعلامهم صورة الحال ، ويستنجد بهم عليهم ، ويبذل لهم الاحسان والانعام ، وبرز في عسكره وقد ورد عليه خبر قربهم من طبرية ، قاصدين أعمال البلد من مرج الصفر وشرخوب (٩٣) ، وخيم به ، وكاتب ولاة الأطراف باستمداده بالرجالة ، واتفق وصول التركمان في ألفي فارس أولي بأس شديد ، ورغبة في الجهاد ، ومسابقة الى الكفاح والجلاد ، فاجتمع اليه خلق كثير ، وكان الافرنج حين عرفوا نزول أتابك والعسكر بمرج الصفر ، رحلوا اليها ، وخيموا بإزائه ، ووقعت العين على العين ، وتطاردت طلائع الفريقين ، فلما كان يوم الاثنين السابع والعشرين من ذي الحجة من السنة اجتمع للقضاء المقضي ، والحكم النافذ من أحداث دمشق والشباب الاغرار ، ورجال الغوطة والمرج والاطراف ، وأحداث الباطنية المعروفين بالشهامة والبسالة من حمص وغيرها والعقبة وقصر حجاج والشاغور خلق كثير ، رجالة وخيالة بالسلاح التام ، والناهض مع المتطوعة والمتدينين ، وشرعوا بالمصير للحاق المصاف قبل اللقاء ، وقد شاع الخبر بقوة عسكر الاسلام ، وكثرته واستظهاره على حرب الافرنج ، وشدة شوكته ، ولم يشك أحد في هلاك الافرنج في هذا اليوم وبوارهم ، وكونهم طعمة للمسلمين متسهلة ، (١١٦ ظ) واتفق

ان فرقة وافرة من عسكر التركمان ، غارت على أطراف الافرنج ونالت منهم ، واستظهرت عليهم ، وخاف الافرنج ، وعلموا أنه لاطاقة لهم بهذا الجمع ، وايقنوا بالهلكة ، ورحلوا بأسرهم من منزلهم الذي كانوا فيه ، عائدين الى أعمالهم على غاية من الخوف والوجل ، ونهاية من الذل والوهل ، ونشبت فرقة التركمان في فريق منهم ، وهم راحلون فغنمت من اثقالهم ودوابهم غنيمة وافرة ، وظفرت بالكنيسة المشهورة التي لهم في مخيمهم ، وطمع العسكر عند ذاك فيهم وحملوا عليهم ، وهم مولون لايلوون على تابع ولايقفون على مقصر لاحق ، وقد شملهم الرعب وضايقهم مضايقة الجاتهم الى رمي نفوسهم عليهم : اما لهم واما عليهم ، فتجمعوا وعادوا على العسكر الاسلامي ، وحملوا عليه حملتهم المعروفة ، فكسروهم وهزموهم ، وقتلوا من أعقابهم من ثبطه الوجل ، وخانة الأجل ، وتم العسكر في الهزيمة على حاله ، وعادوا على جميع الرجالة ، وهم العدد الكثير والجم الغفير ، وأطلقوا السيف فيهم حتى أتوا عليهم ، وتتبعوا المنهزمين بالقتل حتى وصلوا الى عقبة سحورا (٩٤) وقربوا من البلد من شرخوب مع بعد المدى والمسافة ، وصبر خيولهم .

ووصل ظهير الدين أتابك والعسكر الى دمشق آخر نهار هذا اليوم وبنوا الامر بينهم على مباكرتهم في غد للايقاع بهم ، فصادفوهم قد رحلوا عائدين الى عملهم ، خوفاً مما عزم عليه من قصدهم ، وتتبعهم ، والله يحكم مايشاء ....

سنة عشرين وخمسمائة

وفيها قصدت الأفرنج رفنية ، وضايقوها ، واستعادوها من ملكة المسلمين .

سنة احدى وعشرين وخمسمائة

... وفي شعبان من هذه السنة قصد بغدوين ملك الافرنج ، صاحب بيت المقدس في عسكره وادي موسى ، فنهب أهله وسباهم وشرد بهم ، وعاد عنهم ....

سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة

.... وأما اسماعيل الداعي المقيم ببانياس ، ومن معه فانهم لما سمعوا ماحدث من هذه الكائنة (٩٥) سقط في أيديهم ، وانخذلوا وذلوا ، وأقبل بعضهم على بعض يتلاومون ، وتفرق شملهم في البلاد ، وعلم اسماعيل أن البلاء محيط به ان أقام ببانياس ، ولم يكن له صبر على الثبات ، فأنفذ الى الافرنج يبذل لهم تسليم بانياس اليهم ، ليأمن بهم ، فسلمها اليهم ، وحصل هو وجماعته في ايديهم ، فتسللوا من بانياس الى الأعمال الافرنجية على غاية من الذلة ، ونهاية من القلة ، وعرض لاسماعيل علة الذرب ، فهلك بها ، وقبر في بانياس في أوائل سنة أربع وعشرين وخمسمائة ، فخلت منهم تلك الناحية ، وتطهرت من رجسهم .....

سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة

قد مضى ذكر نوبة الباطنية وغيرهم ، لما اقتضى ســوق الكلام فيه في سنة اثنتين وثــلاث ، ولما انتهــى الى الافــرنج خبــر الكائنة في الباطنية ، وانتقال بانياس عنهم ، اليهم ، أحدث ذلك لهم طمعــا في دمشق وأعمالها ، وأكثروا الحديث في قصدها ، وبثوا رســلهم الى الاعمال في جمع الرجال والاحتشاد ، فاجتمع اليهم سائر من حوته بلادهم ، من : الرهــا ، وانطــاكية ، وطــرابلس ، والســـاحل ، ووصلهم في البحر ملك كند ، هــو الذي (٩٦) قــام مقــام بغــدوين الهالك في الافرنج ومعه خلق كثير ، فاجتمعوا ونزلوا على بــانياس وخيمـــوا عليهـــا ، وشرعوا في تحصــــــيل المير والازواد للاقامة ، وتواترت الحــكايات عنهــم ، ممــن شـــاهدهم وأحصى عددهم ، وأنهم يزيدون على ستين ألفا فارسا وراجلا ، وأكثــرهم الرجالة .

فلما عرف تاج الملوك ذلك من عزمهم ، تأهب لهذا الامــر وصرف همه الى الاستكثار من العدد والسلاح ، وآلة الحرب ، ومــايحتاج اليه من الآلات التي يحتاج اليها لتذليل كل صعب ، وكاتــب امــراء التركمان على أيدي رسله المندوبين اليهم بــالاستنجاد والاســتغاثة بهم ، وبذل من المال والغــلال مــابعثهم على المبــادرة الى اجــابة ندائه ، والسرعة الى دعائه ، ووصل اليه مــن طــوائفهم المختلفــة الاجناس ، كل ذي بسالة وشدة مــراس ، راغبين في اداء فــريضة الجهاد ، ومسارعين الى الكفرة الاضداد ، واطلق مايحتاجون اليه لقوتهم ، وقضيم خيولهم .

ورحــل الملاعين عن بـــانياس طـــالبين دمشـــق ، على أناة وترتيب ، ونزلوا على جسر الخشب والميدان المعروف المجــاور له في

....(٩٧)من ذي القعدة سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة ، وخيموا هناك واصبح العسكر ، وخرج من دمشق وانضم اليه التركمان من منازلهم حول البلد ، والامير مرى بن ربيعة في العرب الواصلين معه ، وتفرقوا كراديس في عدة جهات ، ووقفوا بازائهم لتخرج منهم فرقة فيسارعوا اليها ، ويزحفوا فيبادروا الى لقائهم ، فلم يخرج منهم فارس ، ولاظهر راجل ، بل ضموا أطرافهم ، ولزموا مخيمهم واقام الناس على هذه الصورة اياما (١٢٣ ظ) يتوقعون زحفهم الى البلد ، فلا يشاهد منهم الا تجمعهم واطافتهم حول مخيمهم ، وبريق بيضهم وسلاحهم ، وكشف خبرهم والذي أوجب تاخرهم عن الزحف وتلومهم ، فقيل انهم قد جردوا ابطال خيلهم وشجعان رجالهم للمصير مع البغال الى حوران ، لجمع الميرة والغلال ، التي يستعان بمثلها على الاقامة والنزال ، وانهم لاحركة لهم ، ولاقوة بهم ، الى عودة المذكورين .

فلما عرف تاج الملوك هذه الحال ، بادر لتجريد الأبطال من الاتراك الدمشقيين ، والتركمان الواصلين ، والعرب القادمين مع الأمير مرى ، وأضاف اليهم الامير سيف الدولة سوار في عسكر حماة ، وقرر معهم نهوضهم آخر يومهم ، والجد في السير عامة الليل ، ووصولهم عند الصباح الى ناحية براق (٩٨) ، لان تقدير وصول الملاعين عند عودهم من حوران الى ذلك المكان ، فسارعوا الى العمل بما مثل لهم ، واصبحوا في ذلك المكان ، وهم على غاية من الكثرة والمنعة ، ومعهم سواد عسكرهم بأسره ، في عدد لايحصى كثرة ، فهجموا عليهم فلم يتكامل ركوبهم الا وقد قتل منهم جماعة بالنشاب ، وضربوا مصافا ، ووقفوا قطعة واحدة ، وحمل عليهم المسلمون ، فثبتوا ، ولم يزل عسكر الاسلام يكر عليهم ويفتك بهم ، الى أن فشلوا وانخذلوا ، وأيقنوا بالبوار ، وحلول الدمار ، وولى كليام دبور (٩٩)مقدمهم وشجاعهم في فريق من الخيالة منهزمين ، وحمل الاتراك والعرب حملة هائلة ، واحدقوا بهم ضربا بالسيوف ، وطعنا بالرماح ورشقا بالسهام ، فما كان الا

بعض النهار ، حتى صاروا على وجه الأرض مصرعين ، وبين أرجل الخيل معفرين ، وغنموا منهم الغنيمة التي امتلأت ايديهم بها ، من : الكراع ، والسلاح ، والاسرى ، والغلمان ، وأنواع البغال ، وهو شيء لايحصر فيذكر ، ولايحد فيعد ، ولم يسلم منهم الى معسكرهم الا القليل من الخيالة ، الذين نجت بهم سوابقهم المضمرة ، وعاد الأتراك والعرب الى دمشق ظافرين غانمين منصورين مسرورين ، وآخر نهار ذلك اليوم المذكور ، فابتهج الناس بهذا اليوم السعيد ، والنصر الحميد ، وقويت به النفوس ، وانشرحت به الصدور ، وعزم العسكر على مباكرتهم بالزحف الى مخيمهم ، عند تكامل وصوله (١٢٤ و) وتسرع اليهم جماعة من الخيل وافرة ، وهم ينظرون الى كثرة النار ، وارتفاع الدخان ، وهم يظنون انهم مقيمون ، فلما دنوا من المنزل صادفوهم ، وقد رحلوا آخر تلك الليلة ، عندما جاءهم الخبر ، وقد أحرقوا أثقالهم وآلاتهم ، وعددهم وسلاحهم ، اذ لم يبق لهم ظهر يحملون عليه ، عندما عرفوه من حقيقة الأمر ، الذي لايمكن معه المقام ، مع معرفتهم بكثرة عسكر الأتراك ، ولاطاقة لهم به ، ولم يتمالكوا أن رحلوا لايلوون على منقطع ، ولايقفون على مقصر ، وخرجوا الى منزلهم فغنموا منه الشيء الكثير من اثاثهم وزادهم ، وصادفوا جماعة من الجرحى في الوقعة ، قد هلكوا من وصولهم ، ودفنوا في أماكنهم ، وخيولهم مصرعة من الجراح والكد ، ولحق أواخرهم العسكر ، فقتلوا جماعة من المنقطعين ، وأغذوا سيرهم في هزيمتهم خوفا من لحاق المسلمين لهم ، وأمن الناس وخرجوا الى ضياعهم ، وانتشروا في أماكنهم ومعايشهم ، وانفرجت عنهم الكربة ، وانكشفت الغمة ، وجاءهم من لطف الله تعالى وجميل صنعه مالم يكن في حساب ، ولاخطر في بال ، فلله الحمد والشكر على هذه النعمة السابغة ، والموهبة الكاملة ، حمدا يستديم جزيل نعمه ، ويستمد المزيد من منائحه وقسمه .

وعاد التركمان الى أماكنهم بالغنائم الوافرة ، والخلع

- ٥١٠٤ -

الناخرة ، وتفرق جمع الكفرة الى معاقلهم ، على أقبح صفة من المذلة ، وعدم الكراع ، وذهاب الأثقال ، وفقد أبطال الرجال ، وسكنت القلوب بعد الوجل ، وامنت بعد الخوف والوهل ، وايقنت النفوس بأن الكفرة لايكاد يجتمع لهم بعد هذه الكائنة شمل ، بعد فناء ابطالهم ، واجتياح رجالهم ، وذهاب اثقالهم .....

- ٥١٠٥ -

سنة ست وعشرين وخمسمائة .

في هذه السنة ، ورد الخبر من ناحية الافرنج بهلاك بغدوين الرويس ملك الافرنج ، صاحب بيت المقدس بعكا ، في يوم الخميس الخامس والعشرين من شهر رمضان منها ، وكان شيخا قد عركه الزمان بحوادثه ، وعانى الشدائد من نوائبه وكوارثه ، ووقع في أيدي المسلمين عدة دفعات اسيرا في محارباته ومصافاته ، وهو يتخلص منهم ، بحيله المشهورة ، وخدعه المخبورة ، ولم يخلف بعده فيهم صاحب رأي صائب ، ولاتدبير صالح ، وقام فيهم بعده الملك القومص الجديد الكند انجور ، الواصل اليهم في البحر من بلادهم ، فلم يتسدد في رأيه ، ولااصاب في تدبيره ، فاضطربوا لفقده ، واختلفوا من بعده ....

سنة سبع وعشرين وخمسمائة

في المحرم منها وردت الاخبار من ناحية الافرنج بوقوع الخلف بينهم ، من غير عادة جارية لهم بذلك ، ونشبت المحاربة بينهم ، وقتل منهم جماعة .

وفيها صادف جماعة من التركمان صاحب زردنا(١٠٠) في خيلة ، فظفروا به وقتلوه ، ومن معه ، وا شتملوا على خيولهم وكراعهم ، وقيل ان ابن الدانشمند (١٠١) ، ظهر بفريق وافر خرج من القسطنطينية ، فأوقع به ، وقتل من كان فيه من الروم وغيرهم .

وفي سابع عشر جمادي الآخرة غار الأمير سوار (١٠٢) ، من حلب في خيله على تل باشر ، فخرج من فيه من ابطال الافرنج إليه ، فقتل منهم تقدير الف فارس ، وراجل ، وحمل رؤوسهم إلى حلب .

ولما عاد شمس الملوك من ناحية بعلبك ، بعد المقرر بينه وبين اخيه صاحبها ، مما تقدم ذكره وشرحه ، انتهى إليه من ناحية الافرنج ما هم عليه من فساد النية والعزم على نقض الموادعة المستقرة ، وشكا إليه بعض التجار الدمشقيين ان صاحب بيروت ، قد اخذ منهم عدة احمال كتان ، قيمتها جملة وافرة من المال ، فكتب الى مقدم الافرنج في رد ذلك على أربابه واعادته على من هو اولى به ، وترددت المكاتبات في ذلك ، فلم تسفر عن نيل مراد ، ولا نيل طلاب ، فحمله الغيظ والحنق على مقابلة هذا الفعل بمثله ، واسر ذلك في نفسه ، ولم يبده لاحد من خاصته وثقات بطانته ، وصرف

همه وعزمه الى التاهب لمنازلة بانياس ، (١٣٠ و) وانتزاعها من أيدي الملاعين المتغلبين عليها ، ونهض إليها في أواخر المحـرم مـن السنة ، ونزل عليها في يوم الأحد غرة صفر منها ، وزحف في عسكر إليها ، وفيه جماعة وافرة من الخيالة والرجالة ، فارتاعوا لما اتاهم فجاة ، وذلوا وانخذلوا ، وقـرب مـن سـورهم بـالدرق الجفتيات والخراسانيين والنقابين ، وترجل عن جـواده ، وتـرجل الاتـراك باسرهم لترجله ، ورشقوا من على السور بالنشاب ، فاستتروا ولم يبق احد يظهر رأسه عليه لكثرة الرماة ، والزق الجفتيات إلى مـكان من السور استرقه فنقبـوه الى أن تمـكنوا منه ، ثـم هجمـوه ، وتكاثروا في البلد ، والتجا مـن كان فيه مـن الافـرنج إلى القلعـة والابراج ، وتحصنوا بها ومانعوا عن نفوسهم فيهـا ، وملك البلد ، وفتح بابه ، وقتل كل من صودف فيه مـن الافـرنج واسر ، ولما رأى من بالقلعة والابراج من المنهـزمين مـا نزل بهـم مـن تملك البلد ، والقصد لهم بالقتال ، ولا ناصر لهم ، ولا ممانع عنهـم ، التمسـوا الامان ، فاجيبوا إليه ، ونزلوا ، فأسروا جميعا ، ونهب مـا كان في البلد ، وقرر فيه من الرجال الاجلاد من يحفظه ، ويذب عنه ، ورحل عنه في العسكر ، ومعـه الاسرى ، ورؤوس القتلى ، وحـرم الوالي الذي كان به ، واولاده والعدد الكثيرة ، ووصـل الى دمشـق في يوم الخميس لست ليال خلت من صفر من السـنة ، وخـرج الناس مـن البلد للقائه ، ومشاهدة الاسرى في الحبال ، والرؤوس في القصـب ، وهم الشيء الكثير ، والجم الغفير ، فرأى الناس مـن ذلك مـا أقـر عيونهم ، وسر قلوبهم ، وشد متنهم ، وابتهجوا له ، وأكثـروا مـن شكر الله تعالى على ما سناه مـن هـذا النصر العـزيز ، والفتـح المبين ، وشاعت الاخبار بـذلك في الافـرنج ، فهـالهم سـماعه ، وارتاعوا لحدوث مثله ، وامتلات قلوبهم رعبـا ووجـلا ، واكثـروا التعجب من تسهل الامر في بانياس مع حصانتها ، وكثـرة الرجـال فيها في أقرب مدة ، وأسهل مرام ، وأسفوا على ما قتل مـن الخيالة الفرسان والرجالة .

وفي ذي الحجة منها وردت الأخبار بـوصول عسـكر وافـر مـن

التـركمان إلى ناحية الشـمال ، وأنهـم غاروا على طـــر ابلس ، وأعمالها من معاقل الافرنج ، فظفروا بخلق كثير منهم قتلا واسرا ، وحصل لهم من الغنائم والدواب الشيء الكثير ، وان صاحب طرابلس بنص طلولا بن (١٠٣) بدران الصنجيلي خرج اليهم فيمن حشـده من أعماله ، ولقي عسكر التركمان فكسروه ، واظفرهم الله بحشده المفلول ، وجمعه المخذول ، وقتل أكثر رجاله وجل حماته وابـطاله ، وانهزم في نفر قليل من [أصحابه إلى] (١٠٤) الحصن المعـروف ببعرين(١٠٥) ، فـالتجأوا إليه ، وتحصـنوا بـه ، ونزل عسـكر الاتراك عليه ، واقاموا محاصرين له أياما كثيرة ، حتى نفد مـا فيه من القوت(١٣٢ و) والماء بحيث هلك منهم ، ومن خيلهم الاكثـر ، فأعملوا الحيلة ، واستغنموا الغفلة ، وانتهزوا الفرصة ، وخـرجوا في تقدير عشرين ، مع المقدم ، فنجوا ووصلوا الى طرابلس ، وكاتب ملك بنص طلولا صاحبها ، ملك الافـرنج بعكا يستصرخ به وبمـن في أعماله ، ويبعثهم على نصرته ، فاجتمع إليه من الافرنج خلق كثير ، ونهضوا إلى التركمان لترحيلهم عن حصن بعرين ، واسـتنقاذ مـن بقي فيه منهم ، فلما عرفوا عزمهم وقصدهم ، زحفـوا الى لقـائهم فقتلوا منهم جمعا كثيرا ، وأشرف التركمان على الظفر بهم والنكاية فيهم ، لولا أنهم اندفعوا إلى ناحية رفنية ، فـاتصل بهـم رحيلهـم عنها ، وعودهم على طريق الساحل ، فشق ذلك عليهـم ، واسـفوا على ما فاتهم من غنائمهم ، وتفرقوا في أعمالهم .

وفي صفر من السنة نهض صاحب بيت المقدس ملك الافـرنج في خيله ، إلى أطراف أعمال حلب ، ووصل الى موضع يعرف(١٠٦) بذواز ، فنهض إليه الأمير سوار النائب في حلب في عسكر حلب ، وما انضاف إليه من التركمان ، فالتقوا وتحاربوا أياما ، وتطاردوا الى أن وصلوا الى أرض قنسرين ، فحمل الافـرنج عليهـم فـكسروهم كسرة عظيمة ، قتلوا فيها من المسلمين تقدير مائة فـارس ، فيهـم جماعة من المقـدمين المشـهورين المذكورين (١٠٧) ، وقتـل مـن الافرنج أكثر من ذلك ، ووصل الفـل إلى حلب ، وتـم الافـرنج إلى

قنسرين ، ثم الى المقاومة(١٠٨) ثم الى انقرة الاحـرين(١٠٩) فعاود الأمير سوار النهوض اليهم من حلب في من بقي من العسـكر والاتراك فلقوا فريقا من الافرنج فـأوقعوا بـه وكسروه وقتلوا منه تقدير مائة فارس فانكفت الافرنج هزيما نحو بلادهم وعاد المسلمون برؤوس القتلى والقلائع إلى حلب فانجلت تلك الغمـة بتسـهل هـذه النعمة ، ووصل الملك الى انطاكية .

وانتهـى الى (١٣٢ ظ) سـوار خبـر [غارة] (١١٠) خيل الرهبان ، فنهض الأمير سوار وحسان البعلبـكي ، فـأوقعوا بهـم وقتلوهم عن آخرهم في بلد الشمال ، وأسروا مـن وقـع في ايديهـم حيا ، وعادوا الى حلب ظـافرين سـالمين ، ومعهـم الأسرى والرؤوس .

سنة ثمان وعشرين وخمسمائة

... وفي ذي القعدة من السنة انتهت الأخبار الى شمس الملوك ، من ناحية الافرنج باعتزامهم على نقض المستقر من الهدنة ، وقبيح الموادعة المستمرة ، وتأهبهم للجمع والاحتشاد ، وقصد الاعمال الدمشقية بالعيث والفساد ، فحين عرف شمس الملوك هذه الحال ، شرع في جمع الرجال ، واستدعى التركمان من جميع الاعمال ، واتصل به نهوض الافرنج الى ناحية حوران فبرز في (١٣٣ ظ) العسكر ، وتوجه اليهم ، وخيم بازائهم ، وشرعوا في إخراب أمهات الضياع الحورانية ، ووقع التطارد بين الفريقين ، وكان الافرنج في جمع كثيف من الخيل والرجل ، بحيث حصر وهم في منزلهم ، ولايخرج منهم فارس ولا راجل ، إلا رشقته السهام ، واختطفه الحمام ، واقامت المناوشة بين الفريقين عدة ايام ، ثم اغفلهم شمس الملوك ، ونهض في فريق وافر من العسكر ، وهم لايشعرون ، وقصد بلادهم : عكا والناصرة وما جاورهما ، وطبرية وما والاها ، فظفر بما لايحصى كثرة من المواشي والعوامل ، والنسوان والصبيان والرجال ، وقتل من صادفه وسبى من ظهر له ، واحرق ما وجده ، وامتلات أيدي التركمان من غنائمهم ، واتصل الخبر بالافرنج ، فانخذلوا وقلقوا وانزعجوا ، واجفلوا في الحال من منزلهم طالبين اعمالهم ، وعرف شمس الملوك ذاك ، فانكفأ إلى مخيمه على طريق الشعراء سالما في نفسه وجملته ، ظافرا غانما ووصل الافرنج الى أعمالهم ، فشاهدوا ما حل بها ونزل بأهلها من البلاء ، فساءهم ذاك وفت في اعضادهم وانفلت شكتهم ، وانقصفت شوكتهم ، وتفرق شملهم ، وذلوا وطلبوا تقرير الصلح بينهم ، وعاد شمس الملوك الى دمشق مسرورا في آخر ذي الحجة من السنة ....

سنة ثلاثين وخمسمائة

... وفي يوم السبت الثالث عشر من شعبان سنة ثلاثين وخمسمائة وردت الأخبار من ناحية الشمال ، بنهوض الأمير مسعود سوار من حلب ، فيمن انضم إليه من التركمان الى الاعمال الافرنجية فاستولوا على أكثرها ، وامتلات ايديهم بما حازوه من غنائمها ، وتناصرت الأخبار بهذا الظفر من جميع الجهات ، والاستكثار لذلك ، والتعظيم له ، ولقد ورد كتاب من شيزر يتضمن البشرى بهذه النوبة ، وتصديقا لما وصف وذكر ، وهو :

إن المتجدد عندنا بهذه الناحية ، ما يجب علينا من حيث الدين أن نذيعه ، ونبشر به كافة المسلمين ، فإن التركمان ـ كثرهم الله ، ونصرهم ـ اجتمعوا في ثلاثة آلاف فارس جريدة معدة ، ونهضوا الى بلاد اللاذقية وأعمالها بغتة بعد اليأس منهم ، وقلة الاحتراز من غارتهم ، وعادوا من هذه الغزاة الى شيزر يوم الاربعاء حادي عشر رجب ، ومعهم زيادة عن سبعة آلاف أسير ، ما بين رجل وامراة وصبي وصبية ، ومائة الف رأس دواب ، ما بين بقر وغنم وحمر ، والذي حازوه واجتاحوه يزيد عن مائة قرية كبار وصغار ، وهم متواصلون ، بحيث قد امتلأت الشام من الاسارى والدواب ، وهذه نكبة ما مني الافرنج الشماليون بمثلها ، وبعد هذا ما يبع منهم أسير إلا بثمنه ، ولا نقص السعر الاول ، وهم سائرون بهم الى حلب ، وديار بكر والجزيرة ....

سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة

في هذه السنة وردت الأخبار بظهور متملك الروم كياليناني(١١١) من القسطنطينية ، في ذي القعدة سنة ثلاثين وقيل ، بل اول المحرم سنة احدى وثلاثين وخمسمائة ووصل الى جزيرة انطاكية ، وأقام بها الى ان وصلت مراكبه البحرية بالاثقال والميرة والمال والعدد ، في عاشر نيسان ، ونزل على نيقية فملكها ، وقيل بل هادنه عليها اهلها ، ووصل إلى الثغور ، وتسلم أذنه والمصيصة وغيرهما ، وحاصر عين زربة وملكها عنوة ، وقيل في التاريخ إن أمير المؤمنين المأمون بالله بن الرشيد بالله ، كان عمر عين زربه عند الاجتياز بها ، لما ورد الى هذه الجهات ، وانفق على عمارتها مائة وسبعين الف دينار ، مع جاه الخلافة والسلطنة والقدرة ، وكان يعمل فيها كل يوم أربعون ألف فاعل ، سوى البنائين والحدادين والنجارين ، وملك تل حمدون وحمل أهله الى جزيرة قبرص ، وكان صاحبه ابن هيثم(١١٢) الأرمني ، ثم عمر ميناء الاسكندرونة ، ثم خرج الى انطاكية ، ونزل عليها ، وضايق اهلها في سلخ ذي القعدة ، وجرى بينه وبين صاحبها ريمند بن بيدفين(١١٣) مصالحة ، ورحل عائدا إلى الدروب ، فافتتح ما بقي في يد ابن ليون الأرمني من الحصون ، وشتى بها .

وفي رجب من السنة نهض الأمير في فريق وافر من العسكر الدمشقي ، من التركمان ، الى ناحية طرابلس ، فظهر إليه قومصها في عسكر ، والتقيا فكسره بزواج ، وقتل منهم جماعة وافرة ، وملك حصن وادي ابن الأحمر(١١٤)وغيره .

وفي رجب ايضا نهض ابن صلاح والي حماه في رجاله الى حصن الخربة فملكه . (١٤٢ و)

وفي شعبان منها ورد الخبر بأن عماد الدين أتابك بن آق سنقر، توجه في عسكره من ناحية الموصل، وقطع الفرات في العشر الاول منه، ووصل الى حمص، وكان قد تقدمه إليها صلاح الدين(١١٥) في اوائل العسكر، ونزلا عليها وضايقاها، وفيها الأمير معين الدين انر واليها، فراسله في تسليمها، فاحتج عليه بانها للامير شهاب الدين، وانه نائبه فيها، فنصب الحرب عليها والمضايقة لها اياما، ولم يحظ منها بطائل، فرحل عنها في العشرين من شوال من السنة ونزل على الحصن المعروف ببعرين لينتزعه من ايدي الافرنج، فلما عرفوا ذاك تجمعوا ونزلوا قريبا لحمايته ومعونة من فيه منهم، فحين عرف عماد الدين خبرها كمن لهم كمينا، والتقى الجمعان، فانهزم فريق من الاتراك بين ايدي الافرنج(١١٦)، وقتلوا منهم جماعة وافرة عند عودهم إلى منزل مخيمهم، وظهر عليهم عماد الدين في من كمن لهم من الكمناء، واوقع بالرجالة، وملك الاثقال والسواد، وحين قربوا من المخيم وشاهدوا ما نزل عليهم، وحل بهم انخذلوا وفشلوا، وحمل عليهم عسكر عماد الدين، فكسرهم ومحقهم قتلا واسرا، وحصل لهم من الغنائم الشيء الكثير من الكراع، والسواد، والاثاث وعاد عماد الدين إلى حصن بعرين، وقد انهزم اليه ملكهم كندا ياجور (١١٧) ومن نجا معه من مقدمي الافرنج، وهم على غاية من الضعف والخوف، فنزل عليهم وحصرهم في الحصن المذكور، ولم يزالوا على هذه الحال في المضايقة والمحاربة الى أن نفد ما عندهم من القوت، فاكلوا خيلهم، وتجمع من بقي من الافرنج في بلادهم ومعاقلهم وانضموا الى ابن جوسلين، وصاحب انطاكية واحتشدوا، وساروا طالبين نصرة المخذولين المحصورين في حصن بعرين، وتخلصهم مما هم فيه من الشدة والخوف والهلاك، فحين قربوا من عسكر اتابك، وصح الخبر عنده بذاك، اقتضت الحال أن آمنهم وعاهدهم على ما اقترحه عليهم من طاعته، وقرر عليهم خمسين الف دينار يحملونها إليه، واطلقهم وتسلم الحصن منهم، وعاد من كان اجتمع لنصرتهم(١١٨) ....

وفي رجب من السنة نهض الأمير بزواج في العسكر من دمشق ، ومن حشده وجمعه من التركمان الى ناحية طرابلس في الرابع منه ، فظهر إليه صاحبها في خيله من الافرنج ، فكمن لها في عدة مواضع ، فلما حصلوا بالموضع المعروف بالكورة(١١٩) ظهرت عليهم الكمناء ، فهزموهم ، ووقع السيف في أكثرهم ، ولم يفلت منهم الا اليسير ، وهجم على الحصن الذي هناك فنهبه ، وقتل من فيه من المقدمين والاتباع ، وأسر من بذل في ذفسه المال الكثير ، وحصل له ولعسكره القيمة الكثيرة ....

وفي ذي الحجة منها ، ورد الخبر بعود متملك الروم في عسكره عن انطاكية الى ناحية بعرين(١٢٠) من عملها في الثاني والعشرين منه (١٤٣ظ) وانفذ رسوله إلى عماد الدين اتابك ، وظفر الامير سوار النائب عنه في حلب بسرية وافرة العدد من عسكر الروم ، فقتل بعضا ، واسر بعضا ، ودخل بهم الى حلب وفيها شرع اهل حلب في تحصينها ، وحفر خنادقها ، والتحصن من الروم بها ، لقربهم منها ....

سنة إثنتين وثلاثين وخمسمائة

... وورد الخبر بان صاحب انطاكية قبض على بطركها الافرنجي ، ونهب داره ، وذكر ان السبب في ذلك ان ملك الروم لما تقرر الصلح بينه وبين ريمند صاحب انطاكية ، شرط في جملة الشروط ان ينصب بانطاكية بطركا من قبل الروم على ما جرى بمثله الرسم قديما ، ثم انتقض هذا الرسم فيما بعد ، وخرج ريمند صاحب انطاكية الى متملك الروم وهو مخيم في (١٤٤ و) عسكره بمرج الديباج ، وقرر معه الهدنة والموادعة ، وعاد الى انطاكية ....

وفي هذه السنة نقض الافرنج الهدنة المستقرة بين عماد الدين اتابك وبينهم ، واظهروا الشقاق والعناد ، وشرعوا في العيث والفساد بعد اصطناعه لمقدميهم ، والكف عنهم ، حين اظهره الله عليهم ، وقبضوا بانطاكية وثغور الساحل جماعة من تجار المسلمين واهل حلب والسفار ، تقدير خمسمائة رجل في جمادى الاخرة .

وشتى ملك الروم بالثغور والدروب ، وخيم بمرج الديباج ....

وفي هذا (١٤٤ ظ) الشهر [شعبان] وردت الاخبار من ناحية الشمال ، بنزول ملك الروم في عسكره على شيزر ، محاصرا لها ، ومضايقا عليها ، ونصب عليها عدة من المناجيق ، واشتدت الحرب بينه وبين اهلها ، وقتل فيها جماعة من المسلمين بحيث اشرفت على الهلاك ، مع مبالغة الامير عماد الدين اتابك في إمدادها بالرجالة والسلاح والات الحرب ، وكونه بإزاء الروم يجول بخيله على اطرافهم ، ويفتك بمن يظفر به منهم ، ولم يزالوا على هذه القضية الى ان سئموا المقام عليها ، ويئسوا من بلوغ الغرض فيها ، ولطف الله تعالى باهل الشام ، وتداركهم برحمته ، وورد خبر رحيلهم عن شيزر الى انطاكية واستبشر الناس برحيلهم ، وعودهم خاسرين ،

غير ظافرين ، ومفلولين غير فالين ، فلله تعالى الحمد على هذه النعمة دائما ، والشكر متواصلا متتابعا •

قد مضى من ذكر الروم فيما اعتمدوه في هذه الايام ، ما قد عرف ، ونذكر بعد ذلك ، مبدأ احوالهم وخروجهم وافعالهم ، وذلك انهم ظهروا من ناحية البلاط في يوم الخميس الكبير من صومهم ، ونزلوا غفلة على حصن بزاعة بالوادي في يوم الاحد عيدهم ، وغارت خيلهم على اطراف حلب في تاسع عشر رجب من السنة ، واستامن منهم الى حلب جماعة من كافر ترك(١٢١) ، وانذروا من بحلب بالروم ، فحذروا وضموا اطرافهم وتحرزوا وتحفظوا لطفا من الله تعالى ورحمة ، وبعد هذا التحرز والاحتياط ، اشتمل الروم في عادتهم على جملة وافرة من اهل حلب وضواحيها ، وانفذ اهل حلب من اعيانهم من مضى الى عماد الدين اتابك مستصرخا به وهو مخيم على حمص ، فانهض اليهم من امكنة من الخيالة والرجالة والناشبة والنبالة ، والعدد الوافرة ، وحصل الجميع [بحلب](١٢٢) في السابع وعشرين من رجب من السنة .

ووردت الاخبار بتملك (ملك) الروم المذكورين حصن بزاعة ، بعد حصره ومضايقته ، ومحاربته بالمنجنيقات في يوم السبت الخامس والعشرين من رجب بالامان ، وغدر بأهله بعد تسلمه وايمانهم ، وجمع من غدر بهم واحصاهم ، وقيل انهم كانوا خمسة الاف وثمانمائة نفس ، وتنصر قاضي بزاعة وجماعة من الشهود (١٤٥ و) وغيرهم ، وتقدير اربعمائة نفس ، واقام الملك بعد ذلك بمكانه عشرة ايام ، يدخن على مغارات اختفى فيها جماعة ، فملكوا بالدخان .

وفي يوم الاربعاء الخامس من شعبان نزل الروم ارض الناعورة ، ورحلوا عنها في يوم الخميس ثامنه ، واجتازوا بحلب ، ومعهم عسكر انطاكية ومقدمهم ريمند صاحبها ، وابن جوسلين ، فنزلوا

حلب ، ونصبوا خيامهم على نهر قويق وارض السعدي ، وزحف الملك من غده في خيله ورجله من قبلي حلب وغربيها من ناحية قرنة برج الغنم ، وخرج اليهم فرقة واحدة من احداث حلب ، فقاتلتهم وظهرت عليهم ، فقتلوا وجرحوا ، واصيب من الروم مقدم مذكور ، وانكفؤا خائبين الى مخيمهم ، واقاموا على حلب اياما قلائل ، ورحلوا عنها غداة يوم الاربعاء ثامن شعبان مقتبلين الى ارض صلدع ، وخاف من بقلعة الاثارب ، فهربوا منها يوم الخميس تاسع شعبان ، وطرحوا النار في خزائنها ، وعرف الروم ذلك ، فنهضت منهم طائفة الى القلعة ، ونزلت عليها وملكتها ، وحازوا مافيها ، والجأوا السبايا والاسرى الذين في ايديهم من حصن بزاعة الى ربض الاثارب وخندقها ، فحين عرف سوار النائب بحلب ذاك ، وانعزال الروم عنها ، نهض في عسكر حلب وادركهم بالاثارب ، فأوقع بهم وقهرهم ، واستخلص المأسورين والمسبيين الا اليسير منهم ، وذلك في يوم السبت الحادي عشر من شعبان ، وسر اهل حلب بهذه النوبة سرورا عظيما .

وفي يوم الخميس التاسع من الشهر ، رحل عماد الدين اتابك عن حماة الى سلمية ، وسير ثقله الى الرقة ، وبقي في خيله جريدة مخفا

وفي يوم الاثنين رحل ملك الروم عن بلد المعرة ، فهرب من كان مقيما في كفر طاب من الجند ، خوفا على نفوسهم ، وتناصرت الاخبار بعبور عسكر التركمان الفرات مع ولد الامير داود بن ارتق الى ناحية حلب ، للغزو في الروم ، ونزلوا بمجمع المروج ، ونهض فريق وافر من عسكر دمشق للغزاة ايضا في خدمة عماد الدين اتابك وكان سبب رحيل الروم عن شيزر ، ما انتهى اليهم من وصول التركمان ، وتجمع العساكر حاشرين ، وكانت مدة اقامتهم عليها ثلاثة وعشرين يوما ، ووصل ملك الروم الى انطاكية في عوده يوم الاحد (١٤٥ ظ) الثامن من شهر رمضان من السنة ، وتواصلت الاخبار باتمام الروم في رحيلهم الى بلادهم ، وسكنت القلوب بعد انزعاجها وقلقها منهم ووجلها ...

- ٥١١٨ -

سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة

وفي هذا الشـــهر (محـــرم) غارت الافـــرنج على ناحية بـــانياس ونهض شهاب الدين في العسكر في اثرهـم فلم يدركهـــم وعاد الى البلد

سنة اربع وثلاثين وخمسمائة

... وزحف (عماد الدين اتابك) في عسكره الى البلد (دمشق) طامعا في خلف يجري بين المقدمين .... فينال بعض طلباته ، فكان الامر بالضد مما امل ، والحال بالعكس فيما ظن ، ولم يصادف من اجناد دمشق واحداثها الا الثبات على القراع ، والصبر على المناوشة والمصاع (١٢٣) ، فعاد متكفئا الى عسكره ، وقد ضعفت نفسه ، وضاق لهذا الامر صدره ، وكان تقرر الامر مع الافرنج على الاتفاق والاعتضاد والمؤازرة والاسعاد والامتزاج في دفعه ، والاختلاط في صده عن مراده ومنعه ، ووقعت المعاهدة على ذلك بالايمان المؤكدة ، والضمان للوفاء بما بذلوه ، والتمسوا على ذلك مالا معينا ، يحمل اليهم ليكون عونا لهم على مايحاولونه ، وقوة ورهانا تسكن بها نفوسهم وأجيبوا الى ذلك ، وحمل اليهم المال والرهائن من أقارب المقدمين ، وشرعوا في التأهب للانجاد ، والاستعداد للمؤازرة والاسعاد ، وكاتب بعضهم بالبعث على الاجتماع من سائر المعاقل والبلاد ، على ابعاد اتابك وصده عن نيل الأرب من دمشق والمراد ، قبل استفحال أمره ، واعضال خطبه ، وقوة شوكته ، واستظهاره على عصب الافرنج وقصد بلادهم .

فحين تيقن صورة الحال في هذا العزم (١٤٨ ظ) وتجمعهم لقصده مع عسكر دمشق ، رحل عن منزله بداريا في يوم الأحد الخامس من شهر رمضان ، طالبا ناحية حوران ، للقاء الافرنج إن قربوا منه ، وطلبهم ان بعدوا عنه ، وأقام على هذا الاعتزام مدة ثم عاد الى ناحية غوطة دمشق ، ونزل بعذراء يوم الاربعاء لست بقين من شوال ، فأحرق عدة ضياع من المرج والغوطة الى حرستا التين ، ورحل يوم السبت تاليه متشاملا ، حين نزول الافرنج

بالميدان في جموعهم ، وكان الشرط مع الافرنج أن يكون في جملة المبذول لهم انتزاع ثغر بانياس من يد ابراهيم بن طرغت ، وتسليمها اليهم فاتفق ان ابراهيم بن طرغت واليه ، كان قد نهض في اصحابه الى ناحية صور ، للاغارة عليها ، فصادفه ريمند صاحب انطاكية في قصده واصلا الى اسعاد الافرنج على انجاد اهل دمشق ، فالتقيا فكسره ، وقتل في الوقعة ومعه يسير من اصحابه ، وعاد من بقي منهم الى بانياس ، فتحصنوا بها ، وجمعوا اليها رجال وادي التيم وغيرهم ، من امكن جمعه من الرجال ، للذب عنها والمراماة دونها ، فنهض اليها الامير معين الدين في عسكر دمشق ، ونزل عليها ، ومعه فريق وافر من عسكر الافرنج عامة شوال .

ورد الخبر بأن الامير عماد الدين اتابك قد نزل على بعلبك ، وأنفذ يستدعي التركمان من مظانهم ، في شوال لقصد بانياس ، ودفع المنازلين لها عنها ، ولم تزل الحالة جارية على هذه القضية الى آخر ذي الحجة من السنة .

... ولم تزل بانياس على حالها في المضايقة والمحاصرة ، الى ان نفدت منها الميرة ، وقل قوت المقاتلة فسلمت (١٤٩ و) الى معين الدين وعوض عنها الوالي الذي كان بها بما ارضاه من الاقطاع والاحسان ، وسلمها الى الافرنج ، ووفى لهم بالشرط ، ورحل عنها منكفئا الى دمشق ظافرا بأمله حامدا لعمله في أواخر شهر شوال ...

- ٥١٢١ -

سنة ست وثلاثين وخمسمائة

فيها ورد الخبر من ناحية الشمال باغارة الأمير لجة التركي ، النازح عن دمشق الى خدمة الأمير عماد الدين اتابك ، على بلد الافرنج وظفره بخيلهم وفتكه بهم ، بحيث ذكر أن عدة المقتولين منهم تقدير سبعمائة رجل ...

سنة سبع وثلاثين وخمسمائة

... وفيها ورد الخبر بظهور صاحب انطاكية الى ناحية بزاعة ، وأن الأمير سوار ، النائب في حفظ حلب ثناه عنها وحال بينه وبينها (١٢٤) .

وفيها وردت الأخبار بظهور متملك الروم الى الثغور دفعة ثانية بعد أولى ، وبرز اليه صاحب انطاكية ، وخدمه وأصلح أمره معه ، وطيب نفسه ، وعاد عنه الى انطاكية (١٢٥).
وفي شهر رمضان منها ورد الخبر بموت متملك الروم ....

سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة

...وفيها ورد الخبر من ناحية الافرنج بهلاك ملكهم الكند اجـور (١٢٦)ملك بيت المقـدس ، بعلة عرضـت له كان فيهـا اتـــلاف نفسه ، واقيم ولده الصغير وامه مقـامه في الملك ، ورضي الافـرنج بذلك ، واستقامت الحال عليه .

سنة تسع وثلاثين وخمسمائة

...وفي شهر ربيع الآخر ورد الخبر بخروج عسكر الى فرقة وافرة من الافرنج ، وصلت الى ناحية بعلبك ، للعيث فيها ، وشن الاغارات فالتقيا فأظفر الله المسلمين بهم ، واظهرهم عليهم ، فقتلوا اكثرهم ، واستولوا على ما كان معهم ، وامتلأت ايدي المسلمين بغنائمهم ، وعادوا الى بعلبك سالمين مسرورين غانمين ، وعاد الباقون من الافرنج الى مكانهم مفلولين محزونين خاسرين .

وفي جمادى الاولى منها ، ورد الخبر من ناحية الشمال بأن عسكر حلب ظفر بفرقة كبيرة من التجار والاجناد ، وغيرهم ، خرجت من انطاكية تريد بلاد الافرنج ، ومعها مال كثير ودواب ومتاع وأثاث ، فأوقعوا بها ، واشتملوا على ما كان فيها ، وقتلوا من كان معها من خيالة الافرنج لحمايتها والذب عنها ، وعاد الى حلب بالمال والسبي والاسرى والدواب .

وفي هذه السنة وردت الاخبار من ناحية الشمال بأن الامير عماد الدين اتابك افتتح مدينة الرها بالسيف ، مع ما هي عليه من القوة والحصانة والامتناع على قاصديها ، والحماية على طالبيها من العساكر الجمة ومنازليها . وإن السبب في ذلك أن الامير عماد الدين اتابك ، لم يزل لها طالبا وفي تملكها راغبا ، ولانتهاز الفرصة فيها مترقبا ، لا يبرح ذكرها جائلا في خلده وسره ، وأمرها ماثلا في خاطره وقلبه ، الى ان عرف ان جوسلين صاحبها ، قد خرج منها في جل رجاله واعيان حماته وابطاله لامر

اقتضاه ، وسبب من الأسباب الى البعد عنها دعاه ، للأمر المقضي والقدر النازل ، فحين تحقق (٥١ ظ) ذاك بادر بقصدها ، وسارع الى النزول في العسكر الدثر عليها لمضايقتها ، والحصر لمن فيها ، وكاتب طوائف التركمان بالاستدعاء لهم للمعونة عليها ، والاسعاد واداء فريضة الجهاد ، فوصل اليه منهم الخلق الكثير ، والجم الغفير بحيث احاطوا بها من جميع الجهات ، وحالوا بينها وبين ما يصل اليها من المير والأقوات ، والطائر لايكاد يقرب منها خوفا على نفسه من صوائب سهام منازليها ، ويقظة المضيقين عليها ، ونصب على اسوارها المناجيق ، ترمي عليها دائما ، والمحاربة لأهلها مصرا ومواظبا ، وشرع الخراسانيون والحلبيون العارفون بمواضع النقوب ، الماضون فيها ، فنقبوا في عدة مواضع عرفوا امرها ، وتيقنوا نفعها وضرها ، ولم يزالوا على هذه الحال في الايغال في النقب ، والتمادي في بطن الأرض الى ان وصلوا الى تحت اساس ابراج السور ، فعلقوه بالاخشاب المحكمة ، والآلات المنتخبة ، وفرغوا من ذلك ، ولم يبق غير اطلاق النار فيها ، فاستأذنوا عماد الدين اتابك في ذلك ، فأذن لهم بعد ان دخل في النقب ، وشاهد حاله ، واستعظم كونه وهاله ، فلما اطلقت النار في تعليق النقوب تمكنت من اخشابها وأبادتها ، فوقع السور في الحال ، وهجم المسلمون البلد بعد ان قتل من الجهتين الخلق الكثير على الهدم ، وقتل من الافرنج والارمن وجرح ما اوجب هزيمتهم عنه ، وملك البلد بالسيف في يوم السبت سادس وعشرين من جمادى الآخرة منها ، ضحوة النهار ، وشرع في النهب والقتل والأسر والسبي والسلب ، وامتلات الايدي من المال والاثاث والدواب والغنائم والسبي ، ما سرت به النفوس ، وابتهجت بكثرته القلوب ، وشرع عماد الدين اتابك بعد ان امر برفع السيف والنهب في عمارة ما انهدم ، وترميم ما تشعث ، ورتب من رآه لتدبير امرها (١٢٨) وحفظها ، والاجتهاد في مصالحها ، وطيب نفوس اهلها ، ووعدهم باجمال السيرة فيهم ، وبسط المعدلة في اقاصيهم

وادانيهم ، ورحل عنها وقصد سروج ، وقد هـــرب الافـــرنج منها ، فملكها وجعل لا يمر بعمل مـــن اعمـــالها ، ولا معقـــل مـــن معاقلها ، فينزل عليه الا سلم اليه في الحال (١٥٢ و).

وتوجه الى حصن البيرة من تلك الاعمال ، وهـو غاية في الامتناع على طالبه ، والصعوبة على قاصده ، فنزل عليه وشرع في محـــاربته ومضايقته ، وقطع عنه سائر من يصل اليه بالقوت والميرة والمعـــونة والنصرة ، ولم يزل محاصرا له ومحاربا ومضـــيقا الى ان ضـــعف امره ، وعدمت الميرة فيه ، وورد على عماد الدين وقـــد أشرف على ملكته من خبر نائبه في الموصل الامير جقر بن يعقـــوب ، في الوثـــوب عليه وقتله ما ازعجه وأقلقه ، ورحله عنها لكشف الحـــال الحـــادثة بالموصل (١٢٩) ، مما يأتي شرح ذلك في موضعه ....

...وفي شهر رمضان منها ورد الخبر من ناحية الشمال بأن عسكر الافرنج المجتمع بناحية انطاكية لانجاد اهل الرها من جميع اعمالها ومعاقلها (١٣٠) ....

وكان عماد الدين أتابك قد انهض اليه جيشا وافر العـــدد ، مـــن طوائف التركمان والاجناد ، فهجموا عليه بغتة وأوقعوا بمن وجدوه في أطرافه ونواحيه ، وفتكوا به ، فرحل في الحال وقد استولوا على كثير من الافرنج قتـــلا واسرا ، واشـــتملوا على جملة وافـــرة مـــن كراعهم ، وتحكم السيف في اكثر الراجـــل ، وتفـــرقوا في اعمـــالهم ومعاقلهم مفلولين مخذولين خاسرين ....

سنة احدى واربعين وخمسمائة

....(فيها قتل عماد الدين اتابك على قلعة جعبر)....

ووردت الأخبار في اثناء ذلك في ايام من جمادى الآخرة من السنة بأن ابن جوسلين جمع الافرنج من كل ناحية ، وقصد مدينة الرها على غفلة بموافقة من النصارى المقيمين فيها فدخلها واستولى عليها ، وقتل من فيها (١٥٦ ظ) من المسلمين فضاقت الصدور باستماع هذا الخبر المكروه ، ووردت الأخبار مع ذلك ، بأن الأمير نور الدين صاحب حلب نهض في عسكره ، ومن انضاف اليه من التركمان عند وقوفه على الخبر ، وتقدمه سيف الدولة سوار ، واغذوا السير ليلا ونهار (وغدوا وابكارا) مع من اجتمع من الجهات ، وهم الخلق الكثير ، والجم الغفير زهاء عشرة آلاف فارس ، ووقفت الدواب في الطرقات من شدة السير ، ووافى البلد وقد حصل ابن جوسلين واصحابه فيه ، فهجموا عليهم ، ووقع السيف فيهم ، وقتل من أرمن الرها والنصارى من قتل ، وانهزم (من انهزم) الى برج يقال له برج الماء ، فحصل ابن جوسلين في تقدير عشرين فارسا من ابطال اصحابه ، واحدق بهم المسلمون من جهاته ، وشرعوا في النقب عليهم ، ماكان الا بقدر كلا ولا ، حتى تعرقب البرج ، وانهزم ابن جوسلين ، وافلت منه في الخفية مع اصحابه ، واخذ الباقون ، ومحق السيف كل من ظفر به من نصارى الرها ، واستخلص من كان اسر من المسلمين ، ونهب منها الشيء الكثير من المال والاثاث والسبي ، وسرت النفوس بهذا النصر بعد الحزن ، والانخزال ، وقويت القلوب بعد الفشل والانخذال ، وانكفأ المسلمون بالغنائم والسبي الى حلب وسائر الأطراف .

وكان معين الدين (أنر اتابك دمشق) قد حصل الات الحرب والمنجنيقات ، وجمع من أمكنه جمعه من الخيل والرجل ، وتوجه الى ناحية صرخد وبصرى بعد ان اخفى عزيمته ، وستر نيته استظهارا لبلوغ طلبه ، وتسهيل اربه (١٥٧ و) ونزل غفلة على صرخد ، وكان المعروف بها بالتونتاش غلام امين الدولة كمشتكين الاتابكي ، الذي كان واليها اولا ، وكانت نفسه قد حدثته بجهله ، انه يقاوم من يكون مستوليا على مدينة دمشق ، وأن الافرنج يعيذونه على مراده وما يلتمسه من انجاده واسعاده ، ويكونون معه على ما نواه من عيثه وافساده ، وكان قد خرج للأمر المقضي من حصن صرخد الى ناحية الافرنج للاستنصار بهم ، وتقرير احوال الفساد معهم ، ولم يعلم ان الله لا يصلح عمل المفسدين ، ولم يشعر بما نواه معين الدين من ارهاقه بالمعاجلة ، وعكس آماله بالمنازلة فحال بينه وبين العود الى احد الحصنين المذكورين ولم تزل المحاربة بين من في صرخد والمنازلين متصلة ، والنقوب مستعملة ، والمراسلات مترددة ، والتهديد ، إن لم يجب الى المطلوب ، ومعين الدين لا يعدل عن المغالطة والمدافعة ، وكان قد عرف تجمعهم وتأهبهم للنهوض اليه وازعاجه وترحيله (١٣١) عنها ، فاوجبت هذه الحال ان راسل نور الدين صاحب حلب يسأله الاتحاد على الكفرة الاضداد بنفسه وعسكره ، فأجابه ، الى ذلك ، وكان لاتفاق الصلاح مبرزا بظاهر حلب في عسكره ، فثنى اليه الاعنة ، واغذ السير ، ووصل الى دمشق في يوم الاربعاء السابع وعشرين من ذي الحجة من السنة ، وخيم بعين شواقة (١٣٢) ، واقام اياما يسيرة ، وتوجه نحو صرخد ، ولم يشاهد أحسن من عسكره وهيئته وعدته ، ووفور عدته .

واجتمع العسكران وارسل من بصرخد اليهما يلتمس الامان ، والمهلة اياما ، ويسلم المكان ، وكان ذلك منهم على سبيل المغالطة والمخاتلة ، الى حين يصل عسكر الافرنج لترحيل النازلين

عليهم ، وقضى الله تعالى الخيرة التامة المسلمين ، والمصلحة الشاملة لأهل الدين وصول من –أخبر بتجمع الافرنج واحتشادهم ونهوضهم في فارسهم وراجلهم مجدين السير الى ناحية بصرى ، وعليها فرقة وافرة من العسكر محاصرة لها ، فنهض العسكر في الحال والساعة عند المعرفة بذلك الى ناحية بصرى ، كالشواهين الى صيدها والبزاة (١٥٧ ظ) الى حجلها ، بحيث سبقوا الافرنج الى بصرى ، فحالوا بينهم وبينها ، ووقعت العين على العين ، وقربت المسافة بين الفريقين ، واستظهر عسكر المسلمين على المشركين ، وملكوا عليهم المشرب والمسرب وضايقوهم برشق السهام وارسال نبل الحمام ، وأكثروا فيهم القتل والجراح واضرام النيران في هشيم النبات في طرقهم ومسالكهم ، واشرفوا على الهلاك والدمار ، وحلول البوار ، وولوا الأدبار ، وتسهلت الفرصة في اهلاكهم ، وتسرعت الفوارس والأبطال الى الفتك بهم ، والمجاهدة فيهم .

وجعل معين الدين يكف المسلمين عنهم ، ويصدهم عن قصدهم ، والتتبع لهم في انهزامهم ، اشفاقا من كرة تكون لهم ، وراجعة عليهم ، بحيث عادوا على اعقابهم ناكصين ، وبالخذلان منهم منهزمين ، قد شملهم الفناء ، وأحاط بهم البلاء ، ووقع اليأس من فلاحهم ، وسلمت بصرى الى معين الدين بعد تقرير امر من بها ، وإجابتهم على ما اقترحوه من اقطاعاتهم ، ورحل عنها عائدا الى صرخد ، وجرى الأمر في تسليمها الى معين الدين على هذه القضية ، وعاد العسكران الى دمشق ووصلاها في يوم الاحد السابع والعشرين من المحرم سنة اثنتين وأربعين ، وأقام نور الدين في الدار الأتابكية ، وتوجه عائدا الى حلب في يوم الأربعاء انسلاخ المحرم من السنة المذكورة .

وفي هذا الوقت وصل ألتونتاش ، الذي خرج من صرخد الى الأفرنج بجهله وسخافة عقله ، الى دمشق من بلاد الأفرنج ، بغير

أمان ولا تقرير واستئذان ، تـوهما منه أنه يكرم ويصطنع بعد الاساءة القبيحة ، والارتداد عن الاسلام فاعتقل في الحال ، وطالبه أخوه خطلج ، بما جناه عليه من سمل عينيه ، وعقد لهما مجلس حضره القضاة والفقهاء ، وأوجبوا عليه القصاص ، فسمل كما سمل أخاه ، وأطلق الى دار له بدمشق فأقام بها ...

سنة اثنتين واربعين وخمسمائة

....وفي هذه السنة تواصلت الأخبار من ناحية القسطنطينية ، وبلاد الافرنج والروم وما والاها ، بظهور ملوك الافرنج من بلادهم منها المان والفنش ، وجماعة من كبارهم في العدد الذي لا يحصر والعدد التي لا تحرز ، لقصد بلاد الاسلام ، بعد ان نادوا في سائر بلادهم ومعاقلهم بالنفير اليها ، والاسراع نحوها ، وتخلية بلادهم وأعمالهم خالية ، سافرة من حمايتها والحفظة لها ، واستصحبوا من اموالهم ونخائرهم وعددهم الشيء الكثير ، الذي لا يحصى ، بحيث يقال ان عدتهم الف الف عنان ، من الرجالة والفرسان ، وقيل اكثر (١٦١ و) من ذلك ، وغلبوا على اعمال القسطنطينية ، واحتاج ملكها الى الدخول في مداراتهم ، ومسالمتهم ، والنزول على احكامهم ، وحين شاع خبرهم ، واشتهر أمرهم ، شرعت ولاة الأعمال المصاقبة لهم ، والأطراف الاسلامية القريبة منهم ، في التأهب للمدافعة لهم ، والاحتشاد على المجاهدة فيهم ، وقصدوا منافذهم ، ودروب معابرهم التي تمنعهم من العبور والنفوذ الى بلاد الاسلام وواصلوا شن الغارات على اطرافهم ، واشتجر القتل فيهم ، والفتك بهم الى ان هلك منهم العدد الكثير وحل بهم من عدم القوت والعلوفات والمير وغلاء السعر اذا وجد ما أفنى الكثير منهم بموت الجوع والمرض ولم تزل اخبارهم تتواصل بهلاكهم وفناء اعدادهم الى اواخر سنة اثنتين واربعين وخمسمائة بحيث سكنت النفوس بعض السكون ، وركنت الى فساد احوالهم بعض الركون، وخف ما كان من الانزعاج والفرق مع تواصل اخبارهم.

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة

وأولها يوم الجمعة الحادي وعشرين من ايار، والشمس في الجوزاء، وفي أوائلها تواترت الأخبار من سائر الجهات بوصول مراكب الأفرنج، المقدم ذكرهم الى ساحل البحر، وحصولهم على سواحل الثغور الساحلية صور وعكا واجتماعهم مع من كان بها من الافرنج، ويقال انهم بعد ما فني منهم بالقتل والمرض والجوع تقدير مائة الف عنان، قصدوا بيت المقدس، وقضوا مفروض حجهم، وعاد بعد ذلك من عاد الى بلادهم، في البحر، وقد هلك منهم بالموت والمرض الخلق العظيم، وهلك من ملوكهم من هلك، وبقي الماني أكبر ملوكهم، ومن هو دونه، واختلفت الآراء بينهم فيما يقصدون منازلته من البلاد الاسلامية، والاعمال الشامية الى ان استقرت الحال بينهم على منازلة مدينة دمشق، وحدثتهم نفوسهم الخبيثة بملكتها، وتبايعوا ضياعها وجهاتها، وتواصلت الأخبار بذلك، وشرع متولي أمرها الأمير معين الدين أنر في التأهب والاستعداد لحربهم، ودفع شرهم، وتحصين ما يخشى من الجهات، وترتيب الرجال في المسالك والمنافذ، وقطع مجاري المياه (١٦١ ظ) الى منازلهم وطم الآبار، وعفي المناهل، وصرفوا أعنتهم الى ناحية دمشق في حشدهم وحدهم وحديدهم، في الخلق الكثير ما يقال، تقدير الخمسين الف من الخيل والرجل، ومعهم من السواد والجمال والابقار ما كثروا به العدد الكثير، ودنوا من البلد، وقصدوا المنزل المعروف بمنازل العساكر فصادفوا الماء معدوما فيه، مقطوعا عنه، فقصدوا ناحية المزة، فخيموا عليها لقربها من الماء وزحفوا اليه بخيلهم ورجلهم، ووقف المسلمون بإزائهم في يوم السبت السادس من شهر ربيع الأول سنة ثلاث واربعين، ونشبت الحرب بين الفريقين، واجتمع عليهم من الأجناد والأتراك الفتاك، واحداث البلد والمطوعة والغزاة الجم

الغفير وا شتجر القتل بينهم ، وا ستظهر الكفار على المسلمين بكثرة الاعداد والعـــــــدد ، وغلبــــــــوا على الماء ، وانتشروا في البساتين ، وخيمــــــوا فيهـــــا ، وقـــــربوا مــــــن البلد ، وحصلوا منه بمكان لم يتمكن احد مـن العســاكر قديماً ولا حديثا منه ، واستشهد في هذا اليوم الفقيه الامام يوســف الفندلاوي (١٣٣) المالكي رحمه الله ، قريب الربـوة على الماء ، لوقـوفه في وجوههم ، وترك الرجوع عنهم ، اتباعا لاوامر الله تعالى في كتــابه الكريم ، وكذلك عبد الرحمن الحلحولي الزاهد رحمه الله جرى أمره هذا المجرى .

وشرعوا في قطع الاشجار والتحصين بها وهدم القناطر (١٣٤) وباتوا تلك الليلة على هذا الحال ، وقـد لحـق الناس مـن الارتياع لهول ما شاهدوه ، والروع بما عاينوه ، مـا ضـعفت بـه القلوب ، وحرجت معه الصدور ، وباكروا إليهـم في غد ذلك اليوم ، وهــو يوم الاحد تاليه ، وزحفوا اليهم ، ووقـع الطـراد بينهـم ، وا ســتظهر المسلمون عليهم ، واكثروا القتل والجراح فيهم ، وابلى الامير معين الدين في حربهم بلاء حسنا ، وظهر من شجاعته وصبره وبسالته ما لم يشاهد في غيره ، بحيث لايني في نيابتهم ولا ينثني عن جهادهم ، ولم تزل رحى الحرب دائرة بينهم ، وخيل الكفار محجمة عن الحملة المعروفة لهم ، الى ان تتهيأ الفرصة لهم الى ان مالت الشـمس الى الغروب ، واقبل الليل ، وطلبت النفوس الراحة ، وعاد كل منهم الى مكانه ، وبات الجند (١٦٢ و) بازائهم ، واهل البلد على اسوارهم للحرس والاحتياط ، وهم يشاهدون اعداءهم بالقرب منهم .

وكانت المكاتبات قد نفـذت الى ولاة الاطـراف ، بـالاستصراخ والاستنجاد ، وجعلت خيل التركمان تتواصل ، ورجـالة الاطـراف تتابع ، وباكرهم المسلمون ، وقد قويت نفـوسهم ، وزال روعهـم ، وثبتوا بازائهم ، واطلقوا فيهم الســهام ، ونبـل الجـرخ (١٣٥) بحيث تنتع في مخيمهم في راجل ، او فارس ، او فرس ، او جمل .

ووصل في هذا اليوم من ناحية البقاع وغيرها ، رجالة كثيرة من الرماة ، فزادت بهم العدة ، وتضاعفت العدة ، وانفصل كل فريق الى مستقره هذا اليوم وباكروهم من غده يوم الثلاثاء كالبزاة الى يعاقيب (١٣٦) الجبل ، والشواهين الى مطار الحجل ، واحاطوا بهم في مخيمهم ، وحول منجثمهم ، وقد تحصنوا باشجار الزيتون ، وافسدوها رشقا بالنشاب ، وحذفا بالاحجار ، وقد احجموا عن البروز ، وخافوا وفشلوا ، ولم يظهر منهم الا النفر اليسير من الخيل والرجل على سبيل المطاردة والمناوشة ، خوفا من المهاجنة ، الى ان يجدوا لحملتهم مجالا ، او يجدون لفرة احتيالا ، وليس يدنو منهم احد الا صرع برشقة او طعنة ، وطمع فيهم نفر كثير من رجالة الاحداث والضياع ، وجعلوا يرصدونهم في المسالك وقد اينوا(١٣٧) فيقتلون من ظفروا به ، ويحضرون رؤوسهم لطلب الجوائز عنها ، وحصل من رؤوسهم العدد الكثير .

وتواترت اليهم اخبار العساكر الاسلامية ، بالخفوف الى جهادهم ، والمسارعة الى استئصالهم ، فايقنوا بالهلاك والبوار ، وحلول الدمار ، واعملواالاراء بينهم ، فلم يجدوا لنفوسهم خلاصا من الشبكة التي حصلوا فيها ، والهوة التي القوا بنفوسهم اليها ، غير الرحيل سحر يوم الاربعاء التالي مجفلين والهرب مخذولين مفلولين(١٣٨) ، وحين عرف المسلمون ذلك ، وبانت لهم آثارهم في الرحيل ، برزوا لهم في بكرة هذا اليوم ، وسارعوا نحوهم في اثارهم بالسهام ، بحيث قتلوا في اعقابهم من الرجال والخيول والدواب العدد الكثير ، ووجد في اثار منازلهم وطرقاتهم من دفائن قتلاهم ، وفاخر خيولهم ما لا (١٦٢ ظ) عدد له ولاحصر يلحقه ، بحيث لها ارائح من جيفهم ، تكاد تصرع الطيور في الجو ، وكانوا قد احرقوا الربوة والقبة الممدودة في تلك الليلة ، واستبشر الناس بهذه النعمة التي اسبغها الله عليهم ، واكثروا من الشكر له تعالى ما اولاهم من اجابة دعائهم ، الذي واصلوه في ايام هذه الشدة ، فلله على ذلك الحمد والشكر .

واتفق عقيب هذه الرحمة ، اجتماع معين الدين مع نور الدين صاحب حلب ، عند قربة من دمشق للانجاد لها في اواخر شهر ربيع الاخر من السنة ، وانهما قصدا الحصن المجاور لطرابلس المعروف (بالعريمة) (١٣٩) وفيه ولد الملك الفنش احد ملوك الافرنج المقدم ذكرهم ، كان هلك بناحية عكا ، ومعه والدته ، وجماعة وافرة من خواصه وابطاله ، ووجوه رجاله ، فاحاطوا به ، وهجموا عليه ، وقد كان وصل الى العسكرين النوري والمعيني فرقة تناهز الالف فارس ، من عسكر سيف الدين غازي بن اتابك ، ونشبت الحرب بينهم فقتل اكثر من كان فيه ، واسر ، واخذ ولد الملك المذكور وامه ، ونهب ما فيه من العدد والخيول والاثاث ، وعاد عسكر سيف الدين(١٤٠) الى مخيمه بحمص ، ونور الدين عائدا الى حلب ومعه ولد الملك وامه ومن اسر معهما وانكفا معين الدين الى دمشق .

وقد كان ورد الى دمشق الشريف الامير شمس الدين ، ناصح الاسلام ، ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبيد الله الحسيني النقيب ، من ناحية سيف الدين غازي بن اتابك ، لانه كان قد ندب رسولا من الخلافة الى سائر الولاة ، وطوائف التركمان لبعثهم على نصرة المسلمين ، ومجاهدة المشركين ، وكان ذلك السبب في خوف الافرنج من تواصل الامداد اليهم ، والاجتماع عليهم ورحيلهم على القضية المشروحة ....

ووردت الاخبار في رجب منها من ناحية حلب ، بان نور الدين صاحبها ، كان قد توجه في عسكره الى ناحية الاعمال الافرنجية ، وظفر بعدة وافرة من الافرنج ، وان صاحب انطاكية جمع الافرنج ، وقصده على حين غفلة منه ، فنال من عسكره واثقاله وكراعه ما اوجبته الاقدار النازلة ، وانهزم بنفسه وعسكره ، وعاد الى حلب سالما في عسكره لم يفقد منه الا النفر اليسير بعد قتل جماعة وافرة من الافرنج ، واقام بحلب اياما(١٤١) ، بحيث جدد ما نهب له من اليزك(١٤٢) ، وما يحتاج اليه من الات العسكر ، وعاد الى منزله ، وقيل لم يعد ....

سنة أربع وأربعين وخمسمائة

واولها يوم الاربعاء الحادي عشر من أيار، قد كان كثر فساد الافرنج المقيمين بصور وعكا والثغور الساحلية ، بعد رحيلهم عن دمشق ، وفساد شرائط الهدنة المستقرة بين معين الدين وبينهم ، بحيث شرعوا في الفساد في الاعمال الدمشقية ، فاقتضت الحال نهوض الامير معين الدين في العسكر الدمشقي الى اعمالها ، مغيرا عليها وعائثا فيها ، وخيم في ناحية حوران بالعسكر ، وكاتب العرب في اواخر سنة ثلاث واربعين وخمسمائة ، ولم يزل مواصلا للغارات وشنها على (١٦٤ ظ) بلادهم واطرافهم مع الايام وتقضيها ، والساعات وتصرمها ، واستدعى جماعة وافرة من التركمان ، واطلق ايديهم في نهب اعمالهم ، والفتك بمن يظفر به في اطرافهم : الحرامية ، واهل الفساد ، والاخراب ، ولم يزل على هذه القضية لهم محاصرا ، وعلى النكاية فيهم والمضايقة لهم مصابرا ، الى ان الجاهم الى طلب المصالحة ، وتجديد عقد المهادنة ، والمسامحة ببعض المقاطعة ، وترددت المراسلات في تقرير هذا الامر ، واحكام مشروطه واخذ الايمان بالوفاء بشروطه في المحرم سنة اربع واربعين وخمسمائة ، وتقررت حال الموادعة مدة سنتين ووقعت الايمان على ذلك ، وزال الخلف ، واطمانت النفوس من اهل العملين بذلك ، وسكنت الى تمامه ، وسرت باحكامه .

ووافق ذلك تواصل كتب نور الدين صاحب حلب الى معين الدين ، يعلمه ان صاحب انطاكية جمع افرنج بلاده ، وظهر يطلب بهم الافساد في الاعمال الحلبية ، وانه قد برز في عسكره الى ظاهر حلب للقائه ، وكف شره عن الاعمال ، وان الحاجة ماسة الى معاضدته بمسيره بنفسه وعسكره اليه ليتفقا بالعسكرين عليه ، فاقتضت الحال أن ندب الامير معين الدين ، الامير مجاهد الدين بزان بن

مامين ، في فريق وافر من العسكر الدمشقي ، المصير الى جهتـه ، وبذل المجهود في طاعته و مناصـحته ، وتـوجه في يوم (السـبت) من العشر الأول من صفر مـن السـنة ، و بقـي معين الدين في بـاقي العسكر بناحية حوران ، لايناس حال العرب ، وحفـظ اطـرافهم ، وتطبيب نفوسهم لنقل الغلال على جمالهم الى دمشق ، على جـاري العادة ، وحفظها والاحتياط عليها .

وفي صفر من السنة وردت البشائر مـن جهـة نور الدين ، صـاحب حلب ، بما اولاه الله وله الحمد مـن الظهـور على حشـد الافـرنج المخذول ، وجمعهـم المفلول ، بحيث لم يفلت منهـم الا مـن خبـر ببـوارهم ، وتعجيل دمـارهم ، وذلك ان نور الدين لما اجتمـع اليه ما استدعاه من خيل التركمان والاطراف ، ومن وصل اليه من عسكر دمشق مع الامير مجاهد الدين (١٦٥ و) بزان قويت بذلك نفسه ، واشتدت شوكته ، وكثف جمعه ، ورحل الى ناحية الافـرنج بعمـل انطاكية ، بحيث صار عسكره يناهز السـتة الاف مقـاتلة ، سـوى الاتباع والسواد والافرنج في زهاء أربعمائة فـارس طعـانة ، وألف راجل مقاتلة ، سوى الاتباع ، فلما حصلوا بالموضع المعروف بـانب (١٤٤)نهض نور الدين في العسكر المنصور نحـوهم ، ولما وقعـت العين على العين حمل الكفرة على المسـلمين حملتهـم المشـهورة ، وتفرق المسلمون عليهم من عدة جهات ، ثم اطبقـوا عليهـم واختلط الفريقان ، وانعقد العجاج عليهم وتحكمت سيوف الاسلام فيهم ، ثم انقشع القتام ، وقد منح الله ، وله الحمد والشكر المسـلمين النصر على المشركين ، وقد صاروا على الصـعيد مصرعين وبـه معفـرين وبحربهم مخذولين ، بحيث لم ينج منهم الا النفر اليسير ممن ثبـطة الاجل ، واطار قلبه الوجل ، بحيث يخبرون بهـلاكهم واحتناكهـم ، وشرع المسلمون في اسلابهم ، والاشتمال على سوادهم ، وامتـلأت الايدي من غنائمهـم وكراعهـم ، ووجـد اللعين البلنس مقـدمهم (١٤٥) صريعا بين حماته وابطاله ، فعرف ، وقطع رأسه ، وحمل الى نور الدين ، فوصل حامله بأحسن صلة ، وكان هذا اللعين مـن

ابطال الافرنج المشهورين بالفروسية ، وشدة البأس ، وقوة الحيل ، وعظم الخلقة ، مع اشتهار الهيبة ، وكبر السطوة ، والتناهي في الشر ، وذلك في يوم الاربعاء الحادي والعشرين من صفر سنة اربع واربعين ، ثم نزل نور الدين في العسكر على باب انطاكية ، وقد خلت من حماتها والذابين عنها ، ولم يبق فيها غير اهلها مع كثرة اعدادهم ، وحصانة بلدهم ، وترددت المراسلات بين نور الدين وبينهم في طلب التسليم الى نور الدين ، وايمانهم وصيانة احوالهم ، فوقع الاحتجاج منهم بأن هذا الامر لايمكنهم الدخول فيه الا بعد انقطاع امالهم من الناصر لهم والمعين على من يقصدهم ، فحملوا ماامكنهم من التحف والمال ، واستمهلوا فأمهلوا واجيبوا الى مافيه سألوا ، ثم رتب بعض العسكر للاقامة عليها ، والمنع لمن يصل اليها

ونهض نور الدين في بقية (١٦٥ ظ) العسكر الى ناحية افامية ، وقد كان رتب الامير صلاح الدين في فريق وافر من العسكر لمنازلتها ومضايقتها ومحاربتها ، فحين علم من فيها من المستحفظين هلاك الافرنج ، وانقطع املهم ، من مواد الانجاد واسباب الاسعاد ، التمسوا الامان ، فأمنوا على نفوسهم ، وسلموا البلد ، ووفى لهم بالشرط ، فرتب فيها من رآه كافيا في حفظها والذب عنها ، وذلك في الثامن عشر من شهر ربيع الاول من السنة .

وانكفأ نور الدين في عسكره الى ناحية (انطاكية ، وقد انتهى الخبر بنهوض الفرنج من ناحية) (١٤٦) الساحل الى صوب انطاكية ، لانجاد من بها وطلب نور الدين تسهل الفرصة في قصدهم للايقاع بهم ، فأحجموا عن الاقدام على التقرب منه ، وتشاغلوا عنه ، واقتضت الحال مهادنة من في أنطاكية وموادعتهم ، وتقرير ان يكون ماقرب من الاعمال الحلبية له ، وماقرب من أنطاكية لهم ، ورحل عنها الى جهة غيرهم ، بحيث قد كان في هذه النوبة قد ملك ماحول انطاكية من الحصون والقلاع والمعاقل ، وغنم منها الغنائم الجمة ، وفصل عنه الامير مجاهد الدين بزان في العسكر الدمشقي ، وقد كان

له في هذه الوقعة ولمن في جملته البلاء المشهور ، والذكر المشكور ، لما هو موصوف به ، من الشهامة واصالة الرأي ، والمعرفة بمواقف الحروب ، ووصل الى دمشق سالما في نفسه وجملته في يوم الثلاثاء رابع شهر ربيع الاخر من السنة ، ومن لفظه وصفته ، هذا الشرح معتمدا فيه على الاختصار دون الاكثار ، وفيه من تقوية أركان الدين وإذلال ما بقي من الكفرة الملحدين ما هو مشهور بين العباد ، وسائر البلاد ، مشكور مذكور ، والله تعالى اسمه ، عليه المحمود المشكور ...

... وورد الخبر بظهور الافرنج الى الاعمال العيث فيها والافساد ، وشرعوا في التأهب لدفع شرهم ....

وقد كان الخبر اتصل بنور الدين بافساد الافرنج في الاعمال الحورانية بالنهب والسبي ، فعزم على التأهب لقصدهم ، وكتب الى من في دمشق يعلمهم ماعزم عليه من الجهاد ، ويستدعي منهم المعونة على ذلك بالف فارس ، تصل اليه مع مقدم يعول عليه ، وقد كانوا عاهدوا الافرنج ان يكونوا يدا واحدة على من يقصدهم من عساكر المسلمين ، فاحتج عليه ، وغولط ، فلما عرف ذلك رحل ونزل بمرج يبوس وبعض العسكرية (١٤٧) بيعفور ، فلما قرب من دمشق ، وعرف من بها خبره ، ولم يعلموا اين مقصده ، وقد راسلوا الافرنج بخبره وقرروا معهم (١٤٨) الانجاد عليه ، وكانوا قد نهضوا الى ناحية عسقلان لعمارة غزة ، ووصلت اوائلهم الى بانياس ، وعرف نور الدين خبرهم ، فلم يحفل بهم ، وقال : لاانحرف عن جهادهم ، وهو مع ذلك كاف ايدي اصحابه عن العيث والافساد في الضياع ، واحسان الرأي في الفلاحين والتخفيف ، والدعاء له مع ذلك متواصل من اهل دمشق واعمالها ، وسائر البلاد واطرافها ، وكان الغيث قد انحبس عن حوران والغوطة والمرج حتى نزح اكثر اهل حوران عنها للمحل واشتداد الامر ، وترويع سربهم ، وعدم شربهم ، فلما وصل الى بعلبك اتفق القضاء المقدر ، والرحمة النازلة ان السماء ارسلت

عزاليها بكل وابل وطــل وانســكاب وهــطل ، بحيث اقــام ذلك منذ الثلاثاء الثالث مــن ذي الحجــة ســـنة اربـــع واربعين الى مثله (١٦٧ ظ) وزادت الانهــار ، وامتــلأت ، بــرك حــوران ، ودارت ارحيتها ، وعاد ماصدوح (١٤٩) من الزرع والنبات غضــا طــريا ، وضج الناس بالدعاء لنور الدين ، وقــالوا : هــذا ببــركته وحســن معدلته وسيرته .

ودخلت سنة خمس واربعين وخمسمائة

... وورد الخبر في الخامس من المحرم من ناحية حلب بأن عسكرها من التركمان ظفر بابن جوسلين صاحب اعزاز واصحابه، وحصوله في قبضة الاسر في قلعة حلب، فسر بهذا الفتح كافة الناس.
وورد الخبر بان الملك (١٥٠) مسعود وصل في عسكره طالبا انطاكية، ونزل على تل باشر، وضايقها في ايام من المحرم ....

وقد كان نور الدين عقيب رحيله عن دمشق، وحصول ابن جوسلين في قلعة حلب اسيرا، توجه في عسكره الى اعزاز بلد ابن جوسلين، ونزل عليها، وضايقها وواظب قتالها، الى ان سهل الله تعالى ملكتها بالامان، وهي على غاية من الحصانة والمنعة والرفعة، فلما تسرب رتب فيها من ثقاته من وثق به، ورحل (١٦٨ ظ) عنها ظافرا مسرورا، عائدا الى حلب، في ايام من شهر ربيع الاول من السنة.

وفي رجب من السنة وردت الاخبار من ناحية نور الدين بظفره بعسكر الافرنج النازلين بإزائه قريبا من تل باشر، وعظم النكاية فيهم، والفتك بهم، وامتلأت الايدي من غنائمهم وسبيهم، واستيلائه على حصن (١٥١) (تل) خالد، الذي كان مضايقه ومنازله ...

ودخلت سنة ست واربعين وخمسمائة

... واقام (نور الدين) على هذه الصورة ، ثم رحل الى ناحية الاعوج لقرب عسكر الافرنج ، وعزمهم على قصده ، واقتضى رأيه الرحيل الى ناحية الزبداني استجرارا لهم ، وافرق من عسكره فريقا يناهز اربعة الاف فارس ، مع جماعة من المقدمين ، ليكونوا في اعمال حوران مع العرب ، لقصد الافرنج ولقائهم وترقبا لوصولهم ، وخروج العسكر الدمشقي اليهم ، واجتماعهم (بهم) ثم يقاطع عليهم (١٥٢).

واتفق ان عسكر الافرنج وصل عقيب رحيله الى الاعوج ، ونزل به في اليوم الثالث من شهر ربيع الاول من سنة ست واربعين ووصل منهم خلق كثير الى البلد ، لقضاء حوائجهم ، وخرج مجير الدين ومؤيده في خواصهما ، وجماعة وافرة من الرعية ، واجتمعا بملكهم وخواصه وما (١٧٠ ظ) صادفوا عندهم شيئا مما هجس في النفوس من كثرة ، ولا قوة ، وتقرر بينهم النزول بالعسكرين على حصن بصرى ، لتملكه ، واستغلال اعماله .

ثم رحل عسكر الافرنج الى رأس الماء ، ولم يتهيأ خروج العسكر الدمشقي اليهم لعجزهم واختلافهم ، وقصد من كان بحوران من العسكر النوري ، ومن انضاف اليهم من العرب في خلق كثير ، ناحية الافرنج ، للايقاع بهم والنكاية فيهم ، والتجأ عسكر الافرنج الى لجاة حوران للاعتصام به ، وانتهى الخبر الى نور الدين ، فرحل ونزل على عين الجر ، من البقاع ، عائدا الى دمشق ، وطالبا قصد الافرنج ، والعسكر الدمشقي ، وكان الافرنج حين اجتمعوا مع العسكر الدمشقي ، قد قصدوا بصرى لمنازلتها ومضايقتها

ومحاربتها فلم يتهيأ ذلك لهم ، وظهر اليهم سرخاك واليها في رجاله ، وعادوا عنه خاسرين ، وانكفأ عسكر الافرنج الى اعماله في العشر الاوسط من شهر ربيع الاول من السنة ، وراسلوا مجير الدين ومؤيده ، يلتمسون باقي المقاطعة المبذولة لهم على ترحيل نور الدين عن دمشق ، وقالوا : لولا نحن ندفعه مارحل عنكم .

وفي هذه الايام ورد الخبر بوصول الاسطول المصري الى ثغور الساحل في غاية من القوة ، وكثرة العِدة والعُدة ، وذكر ان عدة مراكبة سبعون مركبا حربية مشحنة بالرجال ، ولم يخرج مثله في السنين الخالية ، وقد انفق عليه على ماحكي ثلاثمائة الف دينار ، وقرب من يافا من ثغور الافرنج فقتلوا واسروا واحرقوا ماظفروا به واستولوا على عدة وافرة من مراكب الروم والافرنج ، ثم قصدوا ثغر عكا ، وفعلوا فيه مثل ذلك ، وحصل في ايديهم عدة وافرة من المراكب الحربية والافرنجية ، وقتلوا من حجاج (الفرنج) وغيرهم خلقا عظيما ، وانفذوا ماامكن الى ناحية مصر ، وقصدوا ثغر صيدا وبيروت وطرابلس ، وفعلوا فيها مثل ذلك .

ووعد نور الدين بمسيره الى ناحية الاسطول المذكور لاعانته على تدويخ الافرنجية ، واتفق اشتغاله بامر دمشق ، وعوده اليها لمضايقتها ، وحدث نفسه بملكتها لعلمه بضعفها ، وميل الاجناد والرعية اليه ....

وفي اخر شعبان ورد الخبر من ناحية بانياس بان فريقا وافرا (١٧٢ و) من التركمان غاروا على ظاهرها ، وخرج اليهم واليها من الافرنج في اصحابه ، ووافقهم ، فظهر التركمان عليهم ، وقتلوا منهم واسروا ، ولم يفلت منهم غير الوالي ، ونفر يسير ، واتصل الخبر بمن في دمشق ، فانكر مثل هذا الفعل بحكم انعقاد الهدنة والموادعة ، وانهض اليهم من العسكر الدمشقي من صادف بعض التركمان متخلفا عن رفقتهم ، فحصلوا منهم ماكان في ايديهم وعادوا بثلاثة نفر منهم .

وفي ايام من اوائل رمضان من السنة ، ورد الخبر بان اكثر عسكر الافرنج قصدوا ناحية البقاع ، على حين غرة من اهلها ، وغاروا على عدة وافرة من الضياع ، فاستباحوا مابها من رجال ونسوان وشيوخ واطفال ، واستاقوا عواملها ومواشيها ودوابها ، واتصل الخبر بوالي بعلبك ، فأنهض اليهم رجاله ، واجتمع اليهم خلق كثير من رجال البقاع ، واسرعوا نحوهم القصد ، ولحقوهم وقد ارسل الله تعالى عليهم من الثلوج المتداركة ماثبطهم وحيرهم فقتلوا من رجالتهم الاكثر ، واستخلصوا من الاسرى والمواشي ماسلم من الهلاك بالثلج ، وهو الاقل ، وعادوا على اقبح صفة من الخذلان وسوء الحال ، بحمد الله ، ونصرة المسلمين (١٥٣) ٠

ودخلت سنة سبع واربعين وخمسمائة

وا ولها يوم الثلاثاء مستهل المحرم ، وفي المحرم منها ورد الخبر مــن ناحية نور الدين بنزوله على حصن انطرطوس في عسكره ، وا فتتاحه له ، وقتل من كان فيه مــن الافــرنج ، وطلب البــاقون الامــان على النفوس ، فأجيبوا الى ذلك ورتب فيه الحفــظة وعاد (١٥٤) عنه ، وملك عدة من الحصون ، بالسيف والســبي والاخــراب ، والحــرق والامان ...

ووردت الاخبار من ناحية عســقلان ، في يوم الخميس العــاشر مــن المحرم بظفر رجال عسقلان بالافرنج المجاورين لهم بغزة بحيث هلك منهم العدد الكثير ، وانهزم الباقون ...

ودخلت سنة ثمان واربعين وخمسمائة

... وتواصلت الاخبار من ناحية نور الدين سلطان حلب والشام، بقوة عزمه على جمع العساكر والتركمان من سائر الاعمال والبلدان، للغزو في أحزاب الشرك والطغيان، وبنصرة اهل عسقلان على النازلين عليها من الافرنج، وقد ضايقوها بالزحف اليها بالبرج المخذول، وهو في الجمع الكثير، والله يحرسها من شرهم، واقتضت الحال توجه مجير الدين صاحب دمشق الى نور الدين، في جمهور عسكره، للتعاضد على الجهاد، في يوم السبت الثالث عشر من المحرم، واجتمع معه في ناحية الشمال، واتفق بينهما وجماعة المقدمين من امراء الاعمال والتركمان، وهم في العدد الدثر، وقد ملك نور الدين الحصن المعروف بأفلس (١٥٥) بالسيف بأمر قضاه الله وسهله ويسره وعجله، وهو في غاية المنعة والحصانة، وقتل من كان فيه من الافرنج والارمن، وحصل العسكر من المال والسبي الشيء الكثير.

ونهضوا طالبين ثغر بانياس، ونزلوا عليه في يوم السبت تاسع وعشرين صفر، وقد خلا من حماته وتسهلت اسباب ملكته، وقد تواصلت استغاثة اهل عسقلان واستنصارهم بنور الدين، فقضى الله تعالى بالخلف بينهم، والقتل وهم في تقدير عشرة الاف فارس وراجل، فأجفلوا عنها من غير طارق من الافرنج طرقهم ولا عسكر (١٧٤ و) ارهقهم، ونزلوا على المنزل المعروف بالاعوج، وعزموا على معاودة النزول على بانياس واخذها، ثم احجموا عن ذلك من غير سبب ولاموجب وتفرقوا، وعاد مجير الدين الى دمشق ودخلها سالما في نفسه وجملته، في يوم الاثنين الحادي عشر من شهر ربيع الاول من السنة، وعاد نور الدين الى حمص، ونزل بها في عسكره.

ووردت الاخبار بوصول اسطول مصر الى عسقلان ، وقويت نفوس من بها بالمال والرجال والغلال ، وظفروا بعدة من مراكب الافرنج في البحر ، وهم على حالها في محاصرتها ومضايقتها ، والزحف بالبرج اليها ..

ووردت الأخبار في أثناء ذلك بأن الافرنج النازلين على عسقلان قد (١٧٤ ظ) ضايقوها بمغاداة القتال ومراوحته ، الى ان تسهلت لهم اسباب الهجوم عليها من بعض جوانب سورها ، فهدموه وهجموا البلد ، وقتل بين الفريقين الخلق الكثير ، والجأت الضرورة والغلبة الى طلب الأمان ، فأجيبوا اليه ، وخرج منها من أمكنة الخروج في البر والبحر الى ناحية مصر وغيرها ، وقيل ان في هذا الثغر المفتتح من العدد الحربية والاموال ، والميرة والغلال مالا يحصر فيذكر ، ولما شاع هذا الخبر في الاقطار ساء سماعه ، وضاقت الصدور ، وتضاعفت الافكار بحدوث مثله ، فسبحان من لايرد نافذ قضائه ، ولايدفع محتوم امره عند ذفونه ومضائه .

ودخلت سنة تسع واربعين وخمسمائة

ثم ورد الخبر بعد ذلك بأن الامير فارس المسلمين ، طلائع بن رزيك ، وهو من اكابر الامراء المقدمين ، والشجعان المذكورين ، لما انتهى اليه الخبر ، وهو غائب عن مصر ، قلق لذاك ، وامتعض ، وجمع واحتشد ، وقصد العود الى مصر فلما عرف عباس الوزير بما جمع ، خاف الغلبة والاقدام على الهلكة ، اذ لاطاقة له بملاقاته في حشده الكثير ، ولم يمكنه المقام على الخطار بالنفس ، فتأهب للهرب في خواصه واسبابه ، وحرمه ووجوه اصحابه وماتهيأ من ماله وتجمله وكراعه ، وسار مغذا ، فلما قرب من اعمال عسقلان وغزة ظهر اليه جماعة من خيالة الافرنج ، فاغتر بكثرة من معه ، وقلة من قصده ، فلما حملوا عليه قتل اصحابه واعاذوا عليه ، وانهزم اقبح هزيمة هو وولد له صغير، واسر ابنه الكبير الذي قتل ابن السلار مع ولده وحرمه وماله وكراعه ، وحصلوا في ايدي الافرنج، ومن هرب لقي ممن الجوع والعطش ، ومات العدد الكثير من الناس والدواب، ووصل الى دمشق منهم من نجاه الهرب، على اشنع صفة من العدم والعري والفقر، في اواخر شهر ربيع الاخر من السنة، وضاقت صدور المسلمين بهذه المصيبة المقضية بيد الافرنج، فسبحان من لايرد له قضاء، ولامحتوم امر(١٥٦).

وفي ايام من جمادى الاولى من السنة ورد الخبر من ناحية مصر، بان عدة وافرة من مراكب الافرنج من صقلية وصلت الى مدينة تنيس، على حين غفلة من اهلها فهجمت عليها، وقتلت واسرت وسبت وانتهبت، وعادت بالغنائم بعد ثلاثة أيام وتركها صفرا ، وبعد ذلك عاد من كان هرب منها في البحر بعد الحادثة ، ومن سلم ، واختفى وضاقت الصدور ، عند استماع هذا الخبر المكروه .

ودخلت سنة خمسين وخمسمائة

وفي ايام من شعبان من السنة ، ورد الخبر من ناحية مصر بأن المنتصب في الوزارة فارس الاسلام ابن رزيك ، لما استقام له الأمر عزم على مصالحة الافرنج وموادعتهم ، واستكفاف شرهم ، ومصانعتهم بمال يحمل اليهم من الخزانة ، ومايفرض على اقطاع المقدمين من الاجناد ، فحين شاورهم في ذلك انكروه ، ونفروا منه ، وعزموا على عزله والاستبدال به من يرتضون به واختاروا مقدما يعرف بالأمير .. مشهورا بالشهامة والبسالة وحسن السياسة ، وارتضى لتولية الاسطول المصري مقدما من البحرية شديد البأس ، بصيرا بأشغال البحر ، فاختار جماعة من رجال البحر يتكلمون بلسان الافرنج ، وألبسهم لباس الافرنج ، وأنهضهم في عدة من المراكب الأسطولية ، وأقلع في البحر لكشف الاماكن والمكامن والمسالك المعروفة بمراكب الروم ، وتعرف أحوالها ، ثم قصد ميناء صور ، وقد ذكر له أن فيه شختورة رومية كبيرة ، فيها رجال ، ومال كبير وافر ، فهجم عليها وملكها ، وقتل من فيها ، واستولى على ماحوته ، وأقام ثلاثة أيام ثم أحرقها ، وعاد عنها في البحر ، فظفر بمراكب حجاج افرنج ، فقتل وأسر وانتهب ، وعاد مذكفئا الى مصر بالغنائم والأسرى .

وفي الشهر المذكور ، ورد الخبر من ناحية حلب ، بوقوع الخلف بين أولاد الملك مسعود بعد وفاته ، وبين اولاد قتلمش ، وبين أولاد قلج أرسلان ، وأن الملك العادل نور الدين صاحب دمشق وحلب دخل بينهم للصلح والاصلاح ، والتحذير من الخلف المقوي للأعداء من الروم والافرنج ، وطمعهم في المعاقل الاسلامية ، وبالغ في ذلك

- ٥١٥٠ -

بأحسن توسط ، وبذل التحــف والملاطفــات ، وصــلحت بينهـــم الاحوال .

ودخلت سنة احدى وخمسين وخمسمائة

وفي شوال تقررت الموادعة والمهادنة بينه (نور الدين) وبين ملك الافرنج مدة سنة كاملة أولها شعبان ، وأن المقاطعة المحمولة اليهم من دمشق ثمانية آلاف دينار صورية ، وكتبت المواصفة بذلك بعد تأكيدها بالأيمان بالمواثيق المشدودة ، وكان المعروف بأبي سالم ابن همام الحلبي قد ولي مشارفه الديوان بدمشق ، بعناية الأمير أسد الدين النائب عن الملك العادل نور الدين ، فظهرت منه خيانات اعتمدها ، وتفريطات قصدها بجهله وسخافة عقله وتقصيره ، فأظهرها قوم من المتصرفين عند الكشف عنها ، والتحقيق لها ، فاقتضت الحال القبض عليه والاعتقال له الى أن يقوم بما وجب عليه ، فلما كان في يوم الأحد السادس عشر من شوال سنة إحدى وخمسين وخمسمائة خرج الأمر السامي النوري بالكشف عن سعاياته في فضول كان غنيا عنها ، فاقتضت الحال بأن تحلق لحيته ويركب حمارا مقلوبا ، وخلفه من يعلوه بالدرة ، وأن يطاف به في أسواق دمشق بعد سخام وجهه ، وينادى عليه :« هذا جزاء كل خائن ونمام » ثم أقام بعد ذلك في الاعتقال أياما ، ثم أمر بنفيه الى حلب بشفاعة من شفع فيه من مقدمي الدولة السعيدة ، فمضى على أقبح صفة من لعن الناس ، ونشر مخازيه ، وتعديد مساوية ...

وفي العشر الأخير من ذي الحجة من السنة غدر الكفرة الأفرنج ، ونقضوا ماكان استقر من الموادعة والمهادنة ، بحكم وصول عدة وافرة من الافرنج في البحر ، وقوة شوكتهم بهم ، ونهضوا الى ناحية الشعراء المجاورة لبانياس ، وقد اجتمع فيها من جشارات خيول العسكرية والرعية وعوامل الفلاحين

فلاحي الضياع ومـواشي الجـلابين والعــرب الفــلاحين الشيء الكثير ، الذي لايحصى ، فيذكر ، للحـــــــاجة الى الرعي بها ، والسكون الى الهدنة المستقرة ، ووقع من المندوبين لحفـظهم من الاتراك تقصير ، فانتهزوا الفرصة ، واستاقوا جميع ماوجدوه وأفقروا أهله منه ، مع ماأسروه مــن تــركمان وغيرهــم ، وعادوا ظافرين غانمين آثمين ، والله تعــالى في حــكمه يتــولى المكافــأة لهم ، والادالة منهم ، وماذلك عليه بعزيز ...

ودخلت سنة إثنتين وخمسين وخمسمائة

وفي يوم الثلاثاء الثالث عشر مـن ربيع الأول ، تـوجه المولى نور الدين أدام الله ايامه الى ناحية بعلبك ، لتفقد أحوالها وتقرير أمـر المستحفظين لها ، وتواصلت الأخبارية اليه من ناحية حمص وحماة باغارة الافرنج الملاعين على تلك الأعمال ، واطـلاقهم فيهـا أيدي العيث والفساد ، والله تعالى يحسن الادالة منهم ويعجـل البـوار عليهم ، والاهلاك لهم ...

وفي يوم الأحد الخامس عشر من شـهر ربيع الأول ، ورد المبشر من المعسكر المنصور برأس الماء ، بأن نصرة الدين أمير ميران ، لما انتهى اليه خبر الافرنج الملاعين بأنهم قد أنهضوا سرية وافرة العدد من أبطالهـم (١٨٤) والموفورة العدد الى ناحية بانياس لتـوليها وتقويتها بـالسلاح والمال ، اسرع النهضـة اليهـم في العسـكر المنصور ، وقد ذكر ان عدتهم سبعمائة فارس من أبطال الاسبتارية والسرجندية والداوية ، سوى الرجالة ، فأدركهم قبل الوصـول الى بانياس ، وقد خرج اليهم من كان فيهـا مـن حمـاتها ، فـأوقع بهم ، وقد كان كمن لهـم في مـواضع كمناء مـن شـجعان الأتراك ، وجالت الحرب بينهم ، واتفق اندفاع المسلمين بين أيديهم في أول المجال ، وظهر عليهم الكمناء فأنزل الله نصره على المسلمين وخذلانه على المشركين ، فتحكمت من رؤوسهم ورقابهم مـرهفات السيوف ، بقوارع الحمام والحتـوف ، وتمـكنت مـن اجسـادهم مشرعات الرماح وصوارم السـهام ، بحيث لم ينج منهـم الا القليل ممن ثبطه الأجل ، وأطار قلبه الوجل ، وصاروا بأجمعهم بين قتيل وجريح ومسلوب وأسير وطريح ، وحصـل في أيدي المسـلمين مـن خيولهم وعدد سـلاحهم وكراعهـم وأمـوالهم وقـراطيسهم

وأسراهم ، ورؤوس قتلاهم ، مالايحد كثره ، ومحقت السيوف عامة رجالتهم من الافرنج ، ومسلمي جبل عاملة المضافين اليهم ، وكان ذلك يوم الجمعة الثالث عشر من شهر ربيع الاول ، ووصلت الأسرى والرؤوس من القتلى والعدد الى البلد المحروس ، وفي يوم الاثنين تاليه ، وأطيف بهم البلد ، وقد اجتمع لمشاهدتهم الخلق الكثير ، والجم الغفير ، وكان يوما مشهودا مستحسنا ، سرت به قلوب المؤمنين ، وأحزاب المسلمين ، وكان ذلك من الله تعالى ذكره وجل اسمه ، مكافاة على ماكان من بغي المشركين ، واقدامهم على نكث ايمان المهادنة مع المولى نور الدين ، أعز الله نصره ، ونقض عهود الموادعة ، واغارتهم على الجشارات ومواشي الجلابين والفلاحين المضطرين الى المرعى في الشعراء ، لسكونهم الى الأمن بالمهادنة ، والاغترار بتأكيد الموادعة وكان قد انفذ المولى نور الدين الى بعلبك جماعة من أسرى المشركين ، فأمر بضرب أعناقهم صبرا « ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم» (١٥٩)«وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون (١٦٠) » .

وتبع هذا الفتح المبين ، ورود البشرى الثانية من أسد الدين ، باجتماع العدد الكثير اليه من شجعان التركمان ، وأنه قد ظفر من المشركين بسرية وافرة ، ظهرت من معاقلهم من ناحية الشمال ، فانهزمت ، وتخطف التركمان منهم من ظفروا به ، ووصل اسد الدين الى بعلبك في العسكر (١٨٤ ظ) من مقدمي التركمان وأبطالهم للجهاد في أعداء الله المشركين ، وهم في العدد الكبير والجم الغفير ، واجتمع بالملك العادل نور الدين في يوم الاثنين الخامس والعشرين من شهر ربيع الاول ، من السنة ، وتقررت الحال على قصد بلاد المشركين لتدويخها واقامة فرض الغزو والجهاد لمن بها ، والابتداء بالنزول على بانياس ، والمضايقة لها ، والجهاد في افتتاحها ، والله يسهل ذلك بلطفه ويعجله بمعونته .

ووصـــل نور الدين الى البلد المحــروس في يوم الخميس الســابع والعشرين من شـــهر ربيع الاول ، لتقــرير الامـــر في اخــراج آلات الحرب ، وتجهيزها الى العسكر بحيث يقيم اياما يسيرة ، ويتوجه في الحال الى ناحية العساكر المجتمعة من التركمان والعرب للجهـــاد في الكفرة الاضداد ، والله يسهل أســباب الادالة منهـــم ، ويعجـل البوار والهلاك لهم ، ان شاء الله تعالى .

وفي وقت وصوله شرع في انجاز مــا وصل لاجله ، وأمــر بتجهيز مايحتاج اليه من المناجيق والسلاح الى العسكر المنصور ، بالنداء في البلد المحروس ، في الغزاة والمجاهدين ، والاحداث والمتطوعة من فتيان البلد والغرباء ، بالتاهب والاستعداد لمجاهدة الافــرنج أولي الشرك والالحاد ، وبـــادر بـــالمسير في الحـــال الى عســـكره المنصور ، مغذا غير متلوم ، ولا متريث في يوم السبت انسلاخ شهر ربيع الاول ، وتبعه من الاحداث والمتــطوعة والفقهـــاء والصــوفية والمتدينين العدد الكثير الدثر المباهي في الوفور ، والكثرة فالله تعالى يقرن آراءه وعزماته بالنصر المشرق المنار ، والظفر بــاخراب المردة الكفار ، ويعجل لهم اسباب الهلاك والبــوار ، بحيث لاتبقــى لهـــم باقية ، ولايرى لهم رائحـــة ، ولاغاشية ، ومــاذلك على الله تعـــالى القادر بعزيز .

ولما كان يوم السبت السابع من شهر ربيع الاخــر ، تــالي اليوم المقــدم ذكره ، عقيب نزول الملك العــادل نور الدين على بــانياس في عسكره المنصور ، ومضايقته لها بــالمنجنيقات والحــرب ، ســقط الطائر من العسكر المنصور بظاهر بانياس ، يتضمن كتابه الاعلان بورود المبشر من معسكر أســـد الدين بناحية هـــونين في التــركمان والعرب ، بأن الافرنج خذلهم الله أنهضوا سرية من أعيان مقدميهم وأبطالهم ، تزيد على مائة فارس سوى أتبــاعهم ، لكبس المذكورين ظنا منهم أنهم في قل ، ولم يعلموا أنهم في الوف ، فلما دنوا منهـــم وثبوا اليهم كالليوث الى فرائسها ، فأطبقوا عليهم بــالقتل والاسر

والسلب ، ولم يفلت (١٨٥ و) منهم الا اليسير ، ووصلت الاسرى ، ورؤوس القتلى ، وعددهم من الخيول المنتجة والطوارق والقنطاريات الى البلد في اليوم الاثنين تالي اليوم المذكور ، وطيف بهم فيه فسرت القلوب بمشاهدتهم ، واكثروا الشكر لله على هذه النعمة المتسهلة ، بعد الاولى المتكملة ، والله المأمول لتعجيل هلاكهم وبوارهم ، وماذلك على الله بعزيز ، وتلو هذه الموهبة المجددة سقوط الطائر من المعسكر المحروس ببانياس في يوم الثلاثاء يتلو المذكور ، بذكر افتتاح مدينة بانياس قهرا ، على مضي أربع ساعات من يوم الثلاثاء المذكور عند تناهي النقب ، واطلاق النار فيه ، وسقوط البرج المنقوب ، وهجوم الرجال فيه ، وبذل السيف في قتل من فيه ، ونهب ماحواه ، وانهزام من سلم الى القلعة وانحصارهم بها ، وأن أخذهم بمشيئة الله تعالى لايبطىء ، والله يسهله ويعجله .

واتفق بعد ذلك للاقضية المقدرة أن الافرنج تجمعوا من معاقلهم ، عازمين على استنقاذ الهنفري ، صاحب بانياس ، ومن معه من أصحابه الافرنج المحصورين بقلعة بانياس ، وقد اشرفوا على الهلاك ، وبالغوا في السؤال للأمان للمولى نور الدين ، ويسلمون ماني ايديهم من القلعة ، وماحوته لينجو سالمين ، فلم يجبهم الى ماسألوه ورغبوا فيه ، فلما وصل ملك الافرنج في جمعه من الفارس والراجل من ناحية الجبل على حين غفلة من العسكرين النازلين على بانياس لحصارها ، والنازل على الطريق لمنع الواصل اليها ، اقتضت السياسة الاندفاع عنها ، بحيث وصلوا اليها واستخلصوا من كان فيها ، فحين شاهدوا ماعم بانياس من خراب سورها ، ومنازل سكانها ، يئسوا من عمارتها بعد خرابها ، وذلك في ايام من العشر الاخير من شهر ربيع الآخر .

وفي يوم الاربعاء التاسع من جمادى الاولى سقطت الاطيار بالكتب من المعسكر المحروس النوري ، تتضمن الاعلام بأن الملك

العادل نور الدين ، أعز الله نصره ، لما عرف أن معسكر الكفرة الافرنج على الملاحة بين طبرية وبانياس ، نهض في عسكره المنصور من الاتراك والعرب ، وجد في السير ، فلما شارفهم ، وهم غارون ، وشاهدوا راياته قد أظلتهم ، بادروا بلبس السلاح والركوب ، وافترقوا أربع فرق ، وحملوا على المسلمين ، فعند ذلك ترجل (١٨٥ ظ) الملك نور الدين ، وترجلت معه الابطال ، وأرهقوهم بالسهام وخرصان الرماح ، فما كان الا كلا ولا ، حتى تزلزلت بهم الاقدام ، ودهمهم البوار والحمام ، وأنزل الله العزيز القهار نصره على الاولياء الأبرار ، وخذلانه على المردة الكفار ، وتمكنا من فرسانهم قتلا واسرا ، واستأصلت السيوف الرجالة ، وهم العدد الكثير ، والجم الغفير ، ولم يفلت منهم على ماحكاه الخبير الصادق غير عشرة نفر ، ممن ثبطه الأجل ، وأطار قلبه الوجل ، وقيل ان ملكهم لعنهم الله فيهم ، وقيل انه في جملة القتلى ، ولم يعرف له خبر ، والطلب مجد له ، والله المعين على الاظفار به ، ولم يفقد من عسكر الاسلام سوى رجلين أحدهما من الابطال المذكورين ، قتل أربعة من شجعان الكفرة ، وقتل عند حضور اجله ، وانتهاء مهله ، والآخر غريب لايعرف ، فكل منهما مضى شهيدا ، مثابا مأجورا ، رحمهما الله ، وامتلأت ايدي العسكرية من خيولهم ، وعددهم وكراعهم ، وأثاث سوادهم الشيء الذي لايحصى كثرة ، وحصلت كنيستهم في يد الملك نور الدين بآلاتهم المشهورة ، وكان فتحا من الله القادر الناصر عزيزا ، ونصرا مبينا ، أعز الله بهما الاسلام وأهله وأذل الشرك وحزبه .

ووصلت الاسرى ورؤوس القتلى الى دمشق ، في يوم الاحد تالي يوم الفتح ، وقد رتبوا على كل جمل فارسين من أبطالهم ، ومعهما راية من راياتهم منشورة ، وفيها من جلود رؤوسهم بشعرها عدة ، والمقدمون منهم ، وولاة المعاقل والاعمال ، وكل واحد منهم على فرس ، وعليه الزردية والخوذة وفي يده راية ، والرجالة من السرجندية والدركبولية (١٦١)كل ثلاثة وأربعة وأقل وأكثر في

حبل ، وخرج مـن أهـل البلد الخلق الذي لايحصى لهـم عدد ، مـن الشيوخ والشبان والنسوان والصبيان ، لمشاهدة مامنح الله تعـالى ذكره ، كافة المسلمين ، من هذا النصر المشرق الاعلام ، وأكثـروا من التسبيح ، ومـواصلة التقـديس لله تعـالى مـولى النصر لأوليائه ، ومديلهم مـن أعدائه ، وواصـلوا الدعاء الخـالص للملك العادل نور الدين ، المحامي عنهم ، والمرامي دونهـم ، والثناء على مكارمه ، والوصف لمحـاسنه ، ونظـم في ذلك ابيات في هـذا المعنى وهي :(١٨٦ و) ٠

مثل يوم الفرنج حين علتهم
ذلة الأسر والبلا والشقا

برایاتهم على العيس زفوا
بين ذل وحسرة وعناء

بعد عز لهم وهيبة ذكر
في مصاف الحروب والهيجاء

هكذا هكذا هلاك الاعادي
عند شن الاغارة الشعواء

شؤم أخذ الجشار كان وبالا
عمهم في صباحهم والمساء

نقضوا هدنة الصلاح بجهل
بعد تأكيدها بحسن الوفاء

فلقوا بغيهم بما كان فيه
من فساد بجهلهم واعتداء

حمى الله شملهم من شتات
بمواض تفوق حد المضاء

جزاء الكفور قتل واسر
وجزاء الشكور خير الجزاء

فلرب العباد حمد وشكر
دائم مع تواصل النعماء

وشرع في قصد أعمالهم لتملكها وتدويخها ، والله المعين والموفق لذلك بمنه ولطفه ومشيئته ....

وفي العشر الثاني من جمادى الآخرة تواصلت (١٨٦ ظ) الأخبار بوصول ولد السلطان مسعود في خلق كثير للنزول على انطاكية ، وأوجبت الصورة تقرير المهادنة بين الملك العادل نور الدين وملك الافرنج ، وتكررت المراسلات بينهما ، والاقتراحات والمشاجرات ، بحيث فسد الأمر ، ولم يسفر على مايؤثر من الصلاح ، ومرضي الاقتراح المقرون بالنجاح ، ووصل الملك العادل نور الدين ، أعز الله نصره الى مقر عزه ، في بعض عسكره ، في يوم السبت الخامس والعشرين من جمادى الآخرة من السنة ، وأقر بقية عسكره ومقدميه مع العرب ، بازاء أعمال المشركين ، خذلهم الله ....

قد تقدم من ذكر الملك العادل نور الدين في نهوضه من دمشق في عساكره الى بلاد الشام ، عند انتهاء الخبر اليه ، بتجمع أحزاب الافرنج خذلهم الله ، وقصدهم لها ، وطمعهم فيها ، بحكم ماحدث من الزلازل والرجفات المتتابعة بها ، وماهدمت من الحصون والقلاع والمنازل في أعمالها وثغورها ، لحمايتها ، والذب عنها ، وايناس من سلم من أهل حمص وشيزر ، وكفر

- ٥٦٠ -

طاب ، وحماة وغيرها ، بحيث اجتمع اليه الخلق الكثير ، والجم الغفير ، من رجال المعاقل والأعمال ، والتركمان ، وخيم بهم بإزاء جمع الأفرنج في الأعداد الدثرة ، والتناهي في الكثرة بالقرب من أنطاكية ، وحصرهم بحيث لم يقدر فارس منهم على الاقدام على الافساد ....

ودخلت سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة

وأولها يوم الاثنين أول المحرم ، والطالع الجدي ، وفي أوائله تناصرت الأخبار من ناحية الافرنج ، خذلهم الله ، والمقيمين في الشام ، في مضايقتهم لحصن حارم ، ومواظبتهم على رمية (١٩١ و) بحجارة المناجيق الى أن اضعف ، وملك بالسيف ، وتزايد طمعهم في شن الغارات في الاعمال الشامية ، واطلاق الأيدي في العيث والفساد ، في معاقلهم وضياعها ، بحكم تفرق العساكر الاسلامية والخلاف الواقع بينهم باشتغال الملك بعقابيل المرض العارض له ، ولله المشيئة التي لاتدافع ، والأقضية التي لاتمانع ....

وفي يوم الأحد التاسع من شهر ربيع الآخر من السنة ، برز الملك العادل نور الدين من دمشق الى جسر الخشب في العسكر المنصور بآلات الحرب ، مجدا في جهاد الكفرة المشركين ، وقد كان أسد الدين قبل ذلك عند وصوله في من جمعة من فرسان التركمان غار بهم على أعمال صيدع وماقرب منها ، فغنموا أحسن غنيمة وأوفرها ، وخرج اليهم ماكان بها من خيالة الافرنج ورجالتها ، وقد كمنوا لهم فغنموهم ، وقتل اكثرهم ، وأسر الباقون ، وفيهم ولد المقدم المولى حصن حارم ، وعادوا سالمين بالأسرى ، ورؤوس القتلى ، والغنيمة لم يصب منهم غير فارس واحد فقد ، ولله الحمد على ذلك والشكر .

.... وورد الخبر من العسكر المحروس بأن الافرنج خذلهم الله ، تجمعوا وزحفوا الى العسكر المنصور ، وأن المولى نور الدين نهض في الحال في العسكر ، والتقى الجمعان ، واتفق أن عسكر

الاسلام حدث (١٦٢) لبعض المقدمين فشل ، فاندفعوا وتفرقوا بعد الاجتماع ، وبقي نور الدين ثابتا بمكانه ، في عدة يسيرة من شجعان غلمانه ، وابطال خواصه ، في وجه الافرنج ، وأطلقوا فيهم السهام ، فقتلوا منهم ، ومن خيولهم العدد الكثير ، ثم ولوا منهزمين خوفا من (١٩٢) كمين يظهر عليهم من عسكر الاسلام ، ونجى الله وله الحمد نور الدين من بأسهم ، بمعونة الله تعالى له ، وشدة بأسه ، وثبات جأشه ، ومشهور بشجاعته ، وعاد الى مخيمه سالما في جماعته ، ولام من كان السبب في اندفاعه بين يدي الافرنج ، وتفرق جمع الافرنج الى أعمالهم .

وراسل ملك الافرنج في طلب الصلح والمهادنة ، وحرص على ذلك ، وترددت المراسلات بين الفريقين ، ولم يستقر حال بينهما ، واقام العسكر المنصور بعد ذلك مدة ، ثم اقتضى الرأي السعيد الملكي النوري ، الانكفاء الى البلد المحروس ، فوصل اليه في يوم (١٦٣) من شعبان من السنة ٠٠٠٠

وفي يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من شهر رمضان من السنة ، وصل الحاجب محمود المسترشدي (١٦٤) من ناحية مصر بجواب ما تحمله من المراسلات من الملك الصالح متولي امرها (١٩٢ ظ) ، ومعه رسول من مقدمي امرائها ، ومعه المال المنفذ برسم الخزانة الملكية النورية ، وأنواع الاثواب المصرية والجياد العربية ، وكانت فرقة من الافرنج خذلهم الله قد ضربوا لهم في المعابر فأظفر بهم ، بحيث لم يفلت منهم إلا القليل النزر ، ثم تلا ذلك ورود الخبر من العسكر المصري ، بظفره بجملة وافرة من الافرنج والعرب تناهز أربعمائة فارس ، وتزيد على ذلك ، في ناحية العريش من الجفار ، بحيث استولى عليهم القتل والاسر والسلب ، وكان فتحا حسنا ، وظفرا مستحسنا ، والله المحمود على ذلك المشكور ٠٠٠

وكانت الاخبار قد تناصرت من ناحية القسطنطينية ، في ذي

الحجة من السنة ببروز ملك الروم فيها ، في العدد الكثير ، والجـم الغفير ، لقصد الاعمال والمعاقل الاسلامية ، ووصــوله الى مــروج الديباح ، وتخييمــه فيهــا ، وبـث سراياه للاغارة على الاعمـــال الانطاكية وما والاها ، وان قوما مـن التـركمان ظفـروا بجمــاعة منهم ، هذا بعد ان افتتح من اعمال (١٦٥) لاوين ملك الارمــن عدة من حصونه ومعاقله ، ولما عرف الملك العادل نور الدين هذا ، شرع في مكاتبة ولاة الاعمال والمعاقل ، باعلامهم ما حدث من (١٩٣ و) الروم ويبعثهم على اســتعمال التيقــظ ، والتــأهب للجهــاد فيهم ، والاستعداد للنكاية بمن يظفر منهم ، والله تعالى ولي النصر عليهم ، والاظفــار بهــم ، كمــا جـــرت عوائده الجميلة في خذلانهم ، والاظهار عليهم ، ورد بأسهم في نحورهم ، وهو تعــالى على ذلك قدير ....

ودخلت سنة اربع وخمسين وخمسمائة

....وقد كان وصل من ملك الروم رسول من معسكره ، ومعه هدية اتحف بها الملك العادل ، من اثواب ديباج ، وغير ذلك وجميل خطاب ، وفعال (١٦٦) وقوبل بمثل ذلك ، وعاد اليه في أواخر صفر من السنة ، وحكي عن ملك الافرنج ، خذله الله ان المصالحة بينه وبين ملك الروم ، تقررت ، والمهادنة انعقدت ، والله يرد بأس كل واحد منهما الى نحره ، ويذيقه عاقبة غدره ومكره ، وما ذلك على الله بعزيز....

ووردت اخبار من ناحية ملك الروم باعتزامه على انطاكية ، وقصد المعاقل الاسلامية ، فبادر الملك العادل نور الدين بالتوجه الى البلاد الشامية ، لايناس اهلها من استيحاشهم من شر الروم والافرنج ، خذلهم الله ، فسار في العسكر المنصور ، صوب حمص وحماة وشيزر ، والاتمام الى حلب الى ان اقتضت الحال ذلك ، في يوم الخميس الثالث من شهر ربيع الاول من السنة (١٩٤ ظ) وفي ليلة الأحد الثاني والعشرين من شهر ربيع الاول من السنة ، وافت في انتصافه زلزلة هائلة ماجت اربع موجات ، ايقظت النيام ، وازعجت اليقظى ، وخاف كل ذي مسكن مضطرب على نفسه ، وعلى مسكنه ، ثم ....

وفي جمادى الأولى من السنة ، في اوله تناصرت الاخبار المبهجة ، من ناحية العسكر المنصور الملكي النوري بأعمال حلب ، بتواصل الأمراء المقدمين ، ولاة الاعمال ، المجاهدة في احزاب الكفرة الضلال من الروم والافرنج ، لقصد الاعمال الاسلامية ، والطمع في تملكها ، والافساد فيها والحماية لها من شرهم ، والذب عنها من مكرهم ، في التناهي في الكثرة ، والاعداد

الدثرة ، فقضى الله بحسن لطفه بعباده ، ورحمته ، ورأفته ببلاده ، ان سهل للعزائم المنصورة الملكية النورية ، من صائب الرأي والتدبير ، وحسن السياسة والتقرير ، وخلوص النية لله تعالى ، وحسن السريرة ، بحيث المهادنة المؤكدة ، والموادعة المستحكمة بين العادل نور الدين وملك الروم ، ما لم يكن في الحساب ، ولا خطر ببال ، بحيث انتظمت الحال في ذلك ، في عقد السداد ، وكنه المراد ، بحسن رأي ملك الروم ، ومعرفته بما تؤول اليه عواقب الحروب ، وتيسر الأمل المطلوب ،بعد تكرر المراسلات ، والاقتراحات في (١٩٥ و)التقريرات ، وأجيب ملك الروم الى ما التمسه من اطلاق مقدمي الافرنج المقيمين في حبس الملك نور الدين ، وانفذهم بأسرهم ، وما اقترحه اليه ، وحصولهم لديه ، وقابل ملك الروم هذا الفضل ، بما يضاهيه ، أفعال عظماء الملوك الأسداء ، من الاتحاف بالأثواب الديباج الفاخرة ، المختلفة الأجناس الوافرة العدد ، ومن جوهر نفيس ، وخيمة من الديباج ، لها قيمة وافرة ، وما استحسن من الخيول الجبلية ، ثم رحل عقيب ذلك في عسكره من منزله ، عائدا الى بلاده ، مشكورا محمودا ، ولم يؤذ احدا من المسلمين في العشر الأوسط من جمادى الأولى سنة اربع وخمسين وخمسمائة ، فاطمأنت القلوب بعد انزعاجها وقلقها ، وأمنت عقيب خوفها وفرقها ، فلله الحمد على هذه النعمة حمد الشاكرين .

من تاريخ العظيمي

سنة أربع وثمانين واربعمائة

....وجاءت بـالشام زلزلة ، خـربت سـور أنطـاكية وكنائسها ، وظهر في أساس السور طلسم الفرنج في جرن ....

سنة ست وثمانين وأربعمائة

.... ومنع أهل السواحل حجـاج الفـرنج والروم العبـور الى بيت المقدس ، وانتشر الخبر ممن سـلم الى بـلادهم بـذلك ، فتـأهبوا للغزاة ، واتصلت الاخبار الى السواحل وبلاد المسلمين كلها ....

سنة تسع وثمانين واربعمائة

...وكتـب ملك الروم الكس الى المسـلمين يعلمهـم بـظهور الفرنج. . . .

سنة تسعين واربعمائة

ظهرت اساطيل الفرنج الى ميناء القسطنطينية في ثلاثمائة الف ، وملوكهم ستة ، وعاهدوا ملك الروم ان يسلموا اليه اول معقل يفتحونه ، فما وفوا له بذلك ، وواقعهم الدانشمند وابن سليمان ، وأحرقوا بين ايديهم المعاقل ، وسدوا المناهل فهلك منهم خلق عظيم ، وفتحوا كل ما عبروا : نيقية والثغور والدروب ، ونزلوا على أنطاكية لغر شوال ، وحصروها ثمانية أشهر ....وكانت الوقعة بين الفرنج و(قلج أرسلان) بن سليمان بن قطلمش في رجب وكسروه ، وتحولوا (الى) بغراس ، ثم الى حصار انطاكية .

سنة احدى وتسعين واربعمائة

فتح الافرنج انطاكية ، سلمها اليهم الزراد فيروز اصله أرمني مسيحي ، وانهزم صاحبها يغي سفان منها فمات في الطريق من العطش ، وتسلم الافضل بيت المقدس في شوال من ايدي بني أرتق ، واجتمع من المسلمين الخلق العظيم مع دقاق وطغتكين وكربوقا ووثاب بن محمود وجناح الدولة في اربعمائة الف ، فوجدوا انطاكية قد فتحت قبل وصولهم اليها ، فنزلوا عليها وحصروها وخلصوا من السويدية خلقا من الاسرى ، وخرج اليهم الفرنج وهم في الغاية من الضعف ، والمسلمون في القوة ، فانكسر المسلمون لسوء نياتهم في رجب ،وقد ملك انطاكية من الفرنج البيمند .

سنة اثنتين وتسعين واربعمائة

فتح الفرنج معرة النعمان في المحرم ، وتحولوا الى كفرطاب ، ثم الى حماه فلم يقدروا عليها ، ثم تحولوا الى القدس ففتحـوها مـن ايدي المصريين وملكها الكندفري ، واحرقوا كنيسة اليهود ، ونزلت عساكر مصر مع امير الجيوش الافضل فكسره الافرنج ....

سنة ثلاث وتسعين واربعمائة

غارت المياه ، وجلا الخلق من الشـام ، ...وتسـلم الملك دقـاق ميافـارقين ، وتـواقع بيمند والدانمشـند فـاسر بيمند ، وحصرت افامية ، وكسرت الفرنج الملك رضوان على كلا في شعبان .

سنة اربع وتسعين واربعمائة

فتح سكمان بن أرتق سروج وكسره الفرنج ، وأغار الكندفري ملك القدس على عكا فأصابه سهم فقتله وملك بعده القدس أخوه بغدوين ... وتسلم دقاق وطغتكين جبلة في شعبان وكسروا الفرنج ، وقتل سعد الدولة صاحب عسقلان في ذي القعدة ، وفتحت الفرنج حيفا ، وكسر بغدوين دقاق ، ومات الملك دقاق بدمشق واستولى عليها طغتكين أتابك والتاش وكسر جناح الدولة رضوان على سرمين ، وفتحت الفرنج قيسارية بالسيف في رجب ، واشترى البيمند نفسه من الأسر .

سنة خمس وتسعين واربعمائة

....وخرج الفرنج اسطول ثان وكسرهم قلج ارسلان بن قطلمش والدانشمند وأسروا بيمند ثانية ، وسلم ابن الصليحة جبلة الى طغتكين فولى بها ولده تاج الملوك ، ومات وثاب بن محمود في مصياث ، ونزل صنجيل في عسكره على طرابلس يحاصرها وعمر عليها حصنا وأطال حصارها ،وتسلم جبلة القاضي ابن عمار فخر الملك ، وفتحت انطرطوس في جمادى الآخرة ، ونزل القواس في عساكر مصر وكسرت الفرنج وقتل في الوقعة ....

سنة ست وتسعين واربعمائة

قتل جناح الدولة صاحب حمص بجامعها في رجب قتله جماعة في زي الصوفية وملكها بعده قراجه الحاجي ، وكانت وقعة القتار في شعبان وأوقع سكمان بن ارتق وجكرمش بالفرنج واستدرجوهم في برية القتار وسدوا في طريقهم المناهل ثم عطفوا فقتلوا من الفرنج الخلق العظيم ومات الباقون عطشا ، ومات المستعلي خليفة مصر وجلس موضعه الآمر بأحكام الله ، ونزلت عساكر مصر الى عسقلان وكسروا بغدوين وحصروه بالرملة فكسر وخرج منها ونجا ، ووصل للفرنج أسطول ثالث ملا الساحل ، وفتح قلج ارسلان الرحبة من يد الجاولي ، وتسلم الملك رضوان حصن أرتاح ، وتسلم ملك الروم الكس لاذقية . وعبر سكمان بن ارتق في عشرة آلاف فارس ليفرج عن طرابلس فمات في الطريق بالمناظر .وأوقع قلج ارسلان بجكرمش وكسره ، وتسلم الموصل ، وأخذ منه بغدوين والجوسلين كانا اسيرين بها ، وفتح في طريقه حران ، وعاد الى ملطية واستنجد سقاوه بالملك رضوان وبايلغازي بن ارتق ، والتقوا قلج ارسلان على الخابور فغرق قلج ارسلان في النهر وانهزم عسكره وأخذ الجاولي سقاوه الموصل ، وباع بغدوين والجوسلين بستين الف دينار ، وقبض رضوان على نجم الدين ايلغازي واعتقله بحلب مدة ثم انصلح امره معه ، وملك التاش دمشق وخافه اتابك طغتكين فانهزم الى بعلبك وفتحت الرحبة في جمادى الآخرة .

سنة سبع وتسعين واربعمائة

فتح الفرنج جبيل بالأمان وعكا بالسيف وعمروا مدن الساحل الخراب كلها ، وركب البيمند البحر يستنجد الفرنج ، ونزل اسطول مصر وحصر يافا ، ورحل عنهما ، وقوى طرابلس وعسقلان ، وعادوا الى مصر ، ومات الملك دقاق في رمضان واستولى عليها طغتكين .

سنة ثمان وتسعين واربعمائة

كسر الفرنج الملك رضوان على ارتاح ، وقتلوا من المسلمين عشرة آلاف ، وفتحوا حصن ارتاح ، ومات صنجيل الفرنجي محاصرا طرابلس وولي العسكر والحصار ابنه بعده ، وكسر اتابك طغتكين الفرنج وفتح بعلبك ، وفتح رفنيه وهدم ابرجتها وتحول الى حمص ، والتقت عساكر مصر والفرنج واتابك طغتكين وقتل الخلق العظيم ولم يكن كسره على احد الفريقين .

سنة تسع وتسعين واربعمائة

....وقتل التعليمية لابن ملاعب في قلعة افامية ، وملكوها وحصرتهم الفرنج بها حتى فتحوها منهم بالأمان ، وعمروا حصنا بناحية طبرية ففتحه اتابك طغتكين وقتل كل من كان فيه وحمل الرؤوس الى دمشق ، وفي هذه السنة تسلم بصرى .

سنة خمسمائة هجرية

فتح الجاولي سقاوه الرحبة ، وفتح الفرنج افامية ، واشترى البيمند نفسه من ابن الدانشمند ثالثة وتسلم الجاولي الموصل .

سنة احدى وخمسمائة

اوقع السلطان بصدقة بن دبيس ونهب الحلة وحمل رأسه الى بغداد وعاد السلطان الى بغداد ، وحصر بغدوين صور وعمر مقابلها حصنا ، وفتح مودود الموصل من يد الجاولي ، وخرج من طرابلس القاضي فخر الملك وولي فيها عمه ابو المناقب فعصى فيها فقبضوا عليه وحملوه الى حصن الخوابي وتولى اصحاب القاضي الامور ، وسار القاضي وتاج الملوك الى بغداد ووزر ابو النجم الاصفهاني لتاج الملوك ، واوقع اتابك طغتكين بالقومص جرفاس صاحب طبرية ، وتزوج نجم الدين ايلغازي بن ارتق بخاتون بنت جناح الدولة ، وقتل برقة علي بن سالم بن مالك قتله منصور بن جوشن ، واخت المقتول زوجة القاتل ، ونزل من مصر وال لقبه شرف الدولة اتى بالقوة والغلة والعدة فأخذوا ذلك منه ، وقبضوا عليه ،....

سنة اثنتين وخمسمائة

ماتت زوجة الملك رضوان ، وفتح الجاولي سقاوة بالس ، وفتح الفرنج طرابلس ثاني ذي الحجة بعد حصار سبع سنين ، وفتح اقسنقر البرسقي الرحبة واجتمع (هو) واتابك دمشق وكسروا فرنج طرابلس ، وفتح طذكريد حصن بلاناس وسلمه الى المازوير ، وفتحت جبلة بالامان واخذوا لاذقية بالامان من الروم ، ودخل ابن عمار دمشق ، ومات بدمشق بوري خان وعضب الدولة ابق .

سنة ثلاث وخمسمائة

فتح الفرنج بيروت بالسيف ، وفتح طنكريد حصن بـكسرائيل ، وهجم ربض الاثارب وفتحوا القلعة تسليما ، وظهـر في السـماء في الفلك الشمالي كوكب بـذنب قصـير مـات لاجله كل ذي ذنب حتـى السمك في الماء ، ورعى مـودود زرع الرهـا ، فخـرج الفـرنج اليه وكسروه ، وقتلو سقاوه ، وهرب ابن سكمان من عسكر السلطان ، وقتل ابن عمه ، وانكسر المسلكون على اللكمية تاسع عشر رجـب ، وتسلم اتابك طغتكين بعلبك من الخدم في شهر رمضان .

سنة أربع وخمسمائة

فتح الفرنج صـيدا ، ورعى الاتـراك زرع الرهـا ، ونقض الملك رضوان هدنة الفرنج واغار على انطاكية ، فخـرج الفـرنج واغاروا على حلب وفتحوا الاثارب كما تقدم ، وتوفي الكيا الهراس .

سنة خمس وخمسمائة

فتح الفرنج المرقب ، ومات قراجة صاحب حمص ، ووليهـا ابنه خير خان في جمادى ، ونزلت عسـاكر الشرق بـظاهر حلب ، وغلق الملك رضوان في وجوههم باب حلب ومات منهم خلق ، وتخطف منهم كذلك ، ومات فيها سكمان القـطبي واختلفـوا وعادوا الى الشرق ، ودخل تاج الملوك قلعة دمشق .

سنة ست وخمسمائة

مات طنكريد ، وولي انطاكية بعده ابن اخته روجال ، وحصرت الفرنج صور فاستنجد اهلها بطغتكين ، ونفر الفرنج اليه فخرج اهل صور واحرقوا البرج ونهبوا بعض الخيم ، فرحلت الفرنج عنها ودخلها اتابك طغتكين وتسلمها من عز الملك وولى عليها مسعود .

سنة سبع وخمسمائة

مات الملك رضوان بحلب وملكها ابنه تاج الدولة الاخرس ولولو الخادم اتابك في جمادى ، وسار الى دمشق بعد ان قتل جماعة من غلمان ابيه وخدمه ، ودخل دمشق في رمضان ، وعاد الى حلب ومعه اتابك دمشق وصاحب حمص خير خان بن قراجا الحاجي ، وقتل له اخوان ، ووصل من الشرق مودود وكسر مع طغتكين الفرنج على طبرية ، ودخل دمشق فوثب عليه رجل لايعرف بجامع دمشق فجرحه جرحا موثقا ، فمات ليوم من ربيع الاخر ، ووثب صاعد بن بديع رئيس حلب على الباطنية بحلب وقتل منهم جماعة ملا منهم السجون ، وقتا من مقدميهم جماعة صبرا ، ووثبوا على قلعة شيزر ونصر اهلها عليهم فقتلوهم ، وعزل عن وزارة حلب ابو الفضل بن الموصول ووزر ابو الرجا بن السرطان ، وتولى نظر الديوان عبد القاهر بن المنذر ، واستقرت الموصل لقسيم الدولة اتابك اقسنقر البرسقي .

سنة ثمان وخمسمائة

فتح المصريون مدينة صور بعد الحصار الشديد برا وبحرا ، وقتل تاج الدولة بقلعة حلب وولي الملك بعده اخوه سـلطان شـاه في ربيـع الاخر ، وجاءت بالشام زلزلة عظيمة خربت القلاع وا سود الجو قبـل الزلزلة ، ومات كرد صاحب حماه ، وقبض لؤلؤ الخـادم على ابـن السرطان الوزير واعاد الوزارة الى ابن الموصول ، وقبض خير خان على نجم الدين بن ارتق . وتسلم اتابك طغتكين دمشق ابـرجة رفنية من شمس الخواص ، وتوفي شمس النهار (١).

سنة تسع وخمسمائة

عبرت عساكر الشرق الفـرات ونزلوا وادي بـزاعة ، ثـم دانيث ونهض العسكر لفرض فاوقع الفرنج بالثقل فنهبـوه وعاد العسـكر الى الشرق ، وكسفت الشمس في برج الاسد في صفر ، وقتل احمديل في دركاه السلطان ببغداد في المحرم ، وخرج من تدمر منية بن عوصة سلخ رمضان ، ومات برسق بن بـرسق ، ومـدح مهـذب الملك ابـو الحسين بن منير الاطرابلسي تاج الملوك بدمشق بقوله :

جرى بمرادك الفلك المدار ....

ودخل رسول السلطان وعاد الى دمشق وهجم ربض حمص بنفسه .

سنة عشر وخمسمائة

خرج لؤلؤ الخادم لزيارة صفين ، فقتله الوشاقية عند قلعة (دير) حافر (٢) ، وتسلم اتابكية حلب يارقتاش الخادم شهورا وولي الاتابكية ابو المعالي ابن الملحي الدمشقي السلمي ......

سنة احدى عشرة وخمسمائة

تسلم الفرنج قلعة القبة وهادنوا حلب ، وطمع البرسقي اقسنقر في حلب ، فقاربها ولم يتم له امر فعاد ، وانخسف القمر وهجم الفرنج ليلة الخسوف ربض حماه ، وقتلوا جماعة من اهلها وعاد الناس عليهم بالسيف فأخرجوهم عنفا ، ومات دوقس انطاكية ، ودخل نجم الدين بن ارتق حلب ثم انفسد حاله ، فخرج منها ، ورهن ولده تمرتاش ، ومات بدمشق السلار بختيار ، .....

واجتمع نجم الدين وطغتكين للغزاة وافترقا ، واجتمع طغتكين والبرسقي اقسنقر وكسرا الفرنج على البقاع ..... ، وسار اتابك الى عسقلان في صفر ، واغار بغدوين ملك القدس على اطراف ديار مصر وعاد فمات بالقدس بجرح انتفض عليه ، وعبر وسيق هذه الاجينة على باب عسقلان مع اربعين فارسا ، فخرج اليهم عسكر عسقلان الخيل والرجال فكسرهم الاربعون وعبر الوسيق سالما ، وملك القدس بعده البغدوين بن الكند صاحب الرها ، ومات ملك الروم الكس وملك موضعه ابنه كليان ، وجاء سيل غرق سنجار ، وفتح روجال حصن بلاطس ، وقبض سلطان شاه ملك حلب علي ابن الملحي ، وحدثت زلزلة

سنة اثنتي عشرة وخمسمائة

وكسر الجوسلين لاتابك دمشق بالسواد ، وجالت عساكر الفرنج شهرا وافترقوا ، وفتح روجال صاحب انطاكية قلعة عزاز في شهر رمضان ، وفتح الفرنج قلعة السن وقتلوا بها منيع بن عطير النميري ، واستأمن اليهم مقلد بن شرف الدولة والملك تكش ، ورواية اخرى ان ملك الروم مات في هذه السنة ، ونادى الناس بشعار نجم الدين بن ارتق وشرق اليه ابن الخشاب ، وعاد صحبة العساكر الارتقية ، ونزلوا قبلي حلب في سنة ثلاث عشرة ، وقتل صاعد بن بديع وولداه بقلعة دوسر ، واكل الجراد غلة الشام والجزيرة واعقب الغلاء ، وفتح الافرنج حصن تل الفراق من يد زنكي بن قراجة الحاجي صاحب حمص ، وكسر المسلمون بوادي المقتول ، وكسر مرى بن ربيعة الفرنج كسرة عظيمة .

سنة ثلاث عشرة وخمسمائة

اوقع نجم الدين وابن حسام الدولة بالفرنج انطاكية على تل عفرين بحيث لم يفلت من الفرنج احد ، قال العظيمي : عملت قصيدة انخي فيها نجم الدين على لقاء الفرنج منها :

الا ابلغ طغاة الشرك انك اخذ
بثاراتنا منهم عليها فرايد

وانهم لم ينج منهم مخبر
بحيث احاطتهم لديك المصايد

فكان الامر والله كما ذكرت ، وفأل الشعر لايكذب ، فلم يفلت من الفرنج دون العشرة مجرحين ، فلما وصلوا انطاكية ماتوا ، ولم يقتل من المسلمين الا دون العشرة ، وتسلم نجم الدين قلعة الاثارب ، وحصر قلعة زردنا وفتحها ، وخرج الفرنج في جمع اخر والتقوا نجم الدين على دانيث فكانت وقعة عجيبة هلك اكثر الفرنج وماتوا ، وكسفت الشمس في المحرم وضرب الشط برد عظيم ، وكسر الفرنج بالسواد واسر الكبير اللحية فقتله اتابك ، وقبض على القاضي ابن عمار وصودر وحوسب ، وجاء سيل اهلك ارمينية واعمالها .

سنة اربع عشرة وخمسمائة

رفع نجم الدين مكوس الشام وزاد المكوك والرطل والذراع ، واخرب قلعة زردنا وقلعة الشريف بحلب ، واوقع بلك بن ارتق بعفراس الرومي ، وولى رئاسة حلب مكي بن قرناص الحموي ، وظهر من البحر ابن اخت ملك الفرنج وتغلب على اكثر البلاد ، وقتل مقبل بن حسام النميري لابن عمه منصور بن جوشن في قلعة نجم وملكها ....

سنة خمس عشرة وخمسمائة

هجم الافرنج ربض الاثارب ، وحصروا منبج ، وهادنوا نجم الدين ، وظهر ملك الكرج داود واجتمع عليه السلطان طغرل ونجم الدين ودبيس فكسرهم ، وقتل الافضل امير الجيوش بمصر ، وعصا شمس الدولة بحلب على ابيه نجم الدين ، فخف اليه ابوه وقبض عليه وكحل مكي بن قرناص وحاجبه ناصر ، وعمر الفرنج قلعة زردنا ودير الاثارب ، وكبسوا حلب فاوقع بهم عسكر حلب ، وظفروا بهم وفتح بغدوين خناصرة واخربها وبرج سبنا ، وولى رئاسة حلب الرئيس سلمان العجلاني ، وخرج الكرج ثانية فكسرهم طغرل وفتح الكرج تفليس بالسيف ، وهبت بمصر ريح سوداء ثلاثة ايام اهلكت خلقا ...

واخرب الفرنج حصن جوشن وكسرهم اتابك على كفر رحر ...

سنة ست عشرة وخمسمائة

... وهادن نجم الدين الفرنج وشرق الى ماردين ، ومات وزير حلب ابو الفضل بن الموصول ، ودخل السيل قلعة جعبر ، وعبر نجم الدين الفرات وابن اخيه بلك وعزل عن الوزارة ابا الرجاء بن السرطان ، وحصر زردنا وخرج اليه الفرنج فرحل اليهم فلم يكن لقاء ، ثم عاد الى زردنا فعاد الفرنج اليه ، فرحل الى الفنيدق ونزلوا نواز ، وهجموا ربض الاثارب فاخربوه ، وبها يوسف الحرامي ، ونزلوا زردنا ثم دانيث ، ثم تفرقوا وعاد نجم الدين نزل زردنا وهدموا احواشها ، وعاد الفرنج خرجوا الى الدير فرحل اليهم ثانية فلم يكن لقاء فمرض فدخل يتداوى ، وأغار دولات بن قطلمش على بلاد اعزاز فقتله كليام صاحب عزاز ، واسر بلك البغدوين في صفر واسر الجوسلين في رجب سنة سبع عشرة ، واستعاد المصريون مدينة صور ، وقبضوا بها (واليها سيف الدولة مسعود) (٣) ووليها القائد طلائع ، وولي قلعة حلب بدر الدولة بن ارتق ، واوقع بلك بالفرنج على سروج واسر الجوسلين وكليام ، وعاد السيل دخل قلعة جعبر فأخرب الربض ، ومات نجم الدين بميافارقين وملكها ولده سليمان ، وملك ولده تمرتاش ماردين ، وحصر الفرنج بالس ، ورحلوا عنها ، وفتحوا حصن البيرة ، وفتح حسان صاحب منبج حصن المجد .....

سنة سبع عشرة وخمسمائة

... وسلم بدر الدولة قلعة الاثارب الى الافرنج وصالحهم ، وحصر حصن الكركر ، وكسر الفرنج على قنطرة صنجة واسر البغدوين ملك انطاكية وحبسه في جب خرتبرت مع الجوسلين ، وهجم طغتكين ربض حمص ونهض اليه ابن حسام الدولة الاحدب ، وصالح بينه وبين خيرخان ورحله عنها ، وحصر بلك حلب وفتحها في جمادى ، وتسلم القلعة من يد عمه بدر الدولة وصعد اليها ، وخرج لوقته ونزل عين سيلم وفي ربيع (الاول) تسلم حران ..... واستوزر بلك بحلب ابا الرجاء بن السرطان ، ونزل مسعود الى صور من مصر في سرية فأوقع بهم كليان الفرنجي وكسرهم ، واوقع اسطول البنادقة باسطول مصر ففرق منه في سمت تنيس عدة من المراكب ، واوقع بلك بأسقف البارة واسره ، وهجم الحصن وتحول الى كفرطاب ، ووثب في خرتبرت الفرنج الاسرى وملكوا البغدوين فيها ، وخرج الجوسلين منها متنكرا ثاني جمادى الاخرة ، فجمع العساكر وبلغ بلك ذلك ، وفي الليلة التي وثب فيها الفرنج في خرتبرت هرب من عسكر بلك اسقف البارة ، وخلص وخف بلك الى خرتبرت فحصرها وفتحها واعاد الاسرى الى الجب ، واخرب مشاهدها فظهر الجوسلين في الفرنج وعبر بظاهر حلب ، وعاد خائبا لانه وجد القلعة قد استعادها صاحبها ، وقبض بلك على رئيس حران بركات بن ابي الفهم ، وهجم الفرنج ربض قلعة الجسر ، واخذ المسلمون عليهم المخائض ، فغرق منهم الخلق العظيم ، وهجم محمود بن قراجة صاحب حماة ربض افامية فضرب في عضده بسهم فمات منه ، وتسلم حماة زوجة المتوفي وسلمتها الى ابيها طغتكين بن ابي ......(٤) وتدبر مهذب الدولة فولاها للحاجب اسرائيل وعاد الى دمشق ، وتسلم مدينة صور من المصريين .

- ٥١٨٥ -

وظهر قطا اكثر من الجراد فاكل كل غلات الشام ، وقبض القاضي ابو الفضل بن الخشاب كنائس حلب وحولها مساجد للصلاة ، وحدثت زلزلة وغارت المياه بأنطاكية حتى جفت بساتنيها ، وحصر الفرنج مدينة صور في ذي الحجة ، وعرس بلك بخاتون بنت الملك رضوان وجدد حصون الشام الخراب ، وسار علي بن حامد من دمشق رسولا الى مصر .

سنة ثمان عشرة وخمسمائة

جلس على رئاسة حلب محمد بن سعدان الحراني وعزل عنها سلمان العجلاني ، وعبر في شيزر اعصار ريح قلعت الاشجار وتم الى حماة ثم الى الرصافة ، فحمل من رملها الاحمر رمى به قلعة دوسر ، وقيل قلعة جعبر ، وفتحت البنادقة مدينة صور في جمادى الاولى وفتحت بعد الحصار الشديد برا وبحرا ، واحتبس المطر بالشام كانونين وشباط ، وتلف الزرع ثم تدارك الغيث فزرع الناس واستوى الزرع وحصدوا واستغلوا ، وفتح بلك حصن (منبج) (٥) المجدد وقبض على حسان ، وهجم ربض منبج وحصر الحصن وخرج الفرنج اليه والجوسلين فكسرهم ، وعاد الى منبج ظافرا فضربه سهم من الحصن فقتله وتفرق العسكر ، وملك ابن عمه تمرتاش حلب وحمله معه فدفنه بحلب ، وملك خرتبرت شمس الدولة ابن نجم الدين وتزوج زوجة بلك ، وملك داود بن سكمان بن ارتق بالو ، وتواقع داود بن سكمان القطبي وابن حسام الدولة فانكسر طغان وحصرت بدليس ، ووزر حلب ابو محمد بن الموصول وعزل عن رئاسة حلب الحراني ورأسها فضائل بن بديع الحلبي ، وقبض تمرتاش على سلطان شاه بن ملك رضوان وحبسه بماردين فهرب منها الى داود ، وقتل بحلب الرئيس سلمان العجلاني ، وباع تمرتاش الملك بغدوين باموال ومعاملة بواسطة بني منقذ وسلمه اليهم ، وقبض على الوزير ابن الموصول وصادره ، واستوزر لها ابا الرجاء بن السرطان ، فلما خلص بغدوين غدر بالهدنة وجمع الفرنج وحصر حلب ، وكان تمرتاش خرج منها ، ومات اخوه شمس الدولة فاشتغل بملك بلاده عن حلب ، وطال حصارها واجتمع عليها ثلاث رايات ، الملك بغدوين ، ودبيس بن مزيد ، وسلطان شاه بن ملك رضوان ، فنهض لنصرة حلب قسيم الدولة اق سنقر البرسقي ، وقد

ـ ٥١٨٧ ـ

ابل من مرضه ، فوصل حلب في ذي الحجة ورحل الفرنج عنها وملكها ونزل في العساكر بمجمع المروج ، وقال العظيمي المؤرخ عبرت بالعسكر عند عودتي من دمشق ومدحت البرسقي بقولي

عصمت العواصم ان تهتضم ....

سنة تسع عشرة وخمسمائة

مات بدمشق طرخان الشيباني ، وفتح كفرطاب البرسقي فسلمها الى صاحب حمص ، ونزل عزاز يحاصرها ومعه طغتكين اتابك ، فخرج الفرنج اليه وكسروه عليها ، ووصل الفل ، وقتل بحلب القاضي ابو الفضل بن الخشاب ، وشرق البرسقي وهادن الفرنج وعزل عن حلب سوتكين ، ووليها ابو بكر بن طلماس ودخل البرسقي الموصل واتابك دمشق .... ومات بقلعة دوسر صاحبها سالم بن مالك ، ووليها ولده شهاب الدين بن مالك ، وقتل بغاسفان ببالس داعي الخليفة رافع ، وانكسر المسلمون على شرخوب من عمل دمشق في ذي الحجة .

سنة عشرين وخمسمائة

تسلم الفرنج رفنية ، وتسم بهرام بانياس ، وتسلم طغتكين تدمر وكسر الفرنج ، وعبر البرسقي الفرات وحصر الاثارب ، وظهـرت الفرنج فرحل عنها الى حلب وطغتكين الى دمشق ، وعزل ابو بكر عن ولاية قلعة حلب وولاها الخادم كافور ، وعزل ووليهـا مسـعود بـن البرسقي ، وشرق البرسقي الى الموصل فقتل في جامعها رحمه الله ، وكسفت الشمس وظهر في الفلك كوكب بذنب ، وولي تدمر محمود بن تاج الملوك ، وجدد لبهـرام بـدمشق دار دعوة ، ونزل اسـطول مصر قوى عسقلان ، وعاد الى اسكندرية .... وظهـر مـن البحـر البيمند ومعه اسطول افرنج امتلت منه البلاد ، وتـزوج بنت البغـدوين ملك القـدس ، ووقـع بين الكرج ، وتغلب على الملك رجـل مـن غير بيت الملك ، وا وقع مسعود ملك قـونية بـابن الدانشـمند واخـذ عورة القسطنطينية ، وخرج مسعود بن البرسقي الى الموصـل فملكهـا ، وسلم النميريون قلعة نجم الى حسان صاحب منبج ، ومات طراد بن وهيب امير عرب الجزيرة ، وا وقع بمصر الآمر بغلامه امير الجيوش محمد المأمون البطائجي واخيه ، اتهمه انه أمر ياذس الموفق بفصده بمبضع مسموم ، فوشى به اليه فسلم إليه موضعه .

سنة احدى وعشرين وخمسمائة

٠٠ واوقع البغدوين بوادي مـوسى وسـبى اهله ، وولي قلعـة تومان ووصلت سرية لتقوية حلب فمنعهم تومان الدخول .... ووقـع بينه وبين رئيس حلب فضائل بن بديع وداخلهم إليها ، ووصل الى حلب ختلغ أبه غلام السلطان محمود ومعه توقيع مسعود بحلب ، فلم يقبله تومان ، وعاد ختلغ به الى الرحبة وعليها مسـعود يحـاصرها وقد نزل إليه واليها ، فوجده قد مات فجاة ، فندم على التسليم وعاد ختلغ ابه على فوره إلى حلب فتسلمها من يد تومان آخر جمـادى ، وتغير على الناس فتعصبوا عليه ثاني العيد ، وقبضوا على رجـاله وحصروه في قلعة حلب والمقدم عليها بحلب بدر الدولة وفضـائل بـن بديع ، وقصد حلب ملك انطاكية والجـوسلين فصـانعوه على مـال فضايقوا القلعة ، فاحرق القصر ودخـل المدينة الملك ابـراهيم بـن رضوان ، وكان اتابك عماد الدين قسيم الدولة دخل الموصل مـالكها بتواقيع السلطان في عاشر رمضان من هذه السنة المباركة ، فبعـث إليه شهاب الدين مالك فاعلمه بذلك فسير إليها سرية ، ودخل الأمير صلاح الدين فأصلح الحال ، ونزل إليه ختلغ أبه وصـعد الى أتـابك الى القلعة .

ابتداء ملك الشام للدولة الاتابكية العمادية القسيمية

سنة اثنتان وعشرين وخمسمائة

وصل اتابك الى حلب ، وصعد القلعة المعمورة يوم الاثنين سابع عشر جمادى الاخرة والطالع فيها ذكروا السنبلة وقبض على ختلغ ابه ، وسلمه الى ابن بديع فكحله بداره وهرب إلى قلعة ابن مالك هاربا « خائفا يترقب » كما قال الله تعالى ، وولي رئاسة حلب الرئيس صفي الدين ابو الحسن علي بن عبد الرزاق العمادي العجلاني فسلك مع الناس اجمل طريقة ، وفي هذه السنة مات أتابك دمشق سابع صفر ، وماتت زوجته خاتون أم تاج الملوك .... وقتل بهرام الداعي مقدم وادي التيم ، وقرر الوزير علي المزدقاني على وزارة دمشق .

سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة

تسلم بيمند حصن القدموس ، واوقع اهل وادي التيم ببهرام الداعي فقتلوه وكل من معه ، وولي حصن بانياس اسماعيل وضعف عن حفظه فسلمه إلى الفرنج ، ووطىء أتابك بساط السلطان وعاد بالتواقيع السلطانية بملك المغرب كله ، ودخل الموصل سالما ، واوقع صاحب حصن كيفا بالجوسلين وهربه بباب الرها ، واوقع الامير سيف الدين شجاع الدولة سوار بن ايتكين بعسكر كفر طاب فاستاصلهم وقط شوكتهم ودخل إلى حماة بالقلايع والرؤوس والاسارى ، فبعثت أمدحه بالقصيدة التي اولها .

أبت عزمات جدك أن تسامى

وجل علو قدرك أن يراما

ومات سير الان صاحب الاثارب ، واوقع تاج الملوك بدمشق بوزيره أبي علي المزدقاني ، فقتله وعاثت العامة فقتلوا خلقا من الباطنية وحماه ايضا . ووصل الى الساحل أسطول الفرنج وبلغهم ضعف دمشق فنزلوها وحصروها في الأمم العظيمة ، ونهض منهم للعلوفة صناديد العسكر ومعهم من الكراع والرجالة ما شاء الله ، فنهض اليهم الامير سيف الدين سوار ومرى في سرية الاتراك والعرب فاوقع بهم وقتلهم باسرهم ، ولم ينج منهم الا القليل ووصل من الناجين من خبر العسكر ، فرحلوا عن دمشق هاربين واحرقوا أكثر الثقل ، وعاد سيف الدين بالوسيق والكراع والاسرى والرؤوس ، فبعثت إليه أمدحه بالقصيدة التي اولها :

نأت من سليمى بعد قرب ديارها

واقوت مغانيها وشط مزارها

سنة اربع وعشرين وخمسمائة

في اولها كسر الامير سيف الدين الفرنج ، ورحلهم عن دمشق ، ومات بها ابن الاكفاني وابن الفيصل ، وأغارت الكرج ، فاوقع بهم عسكر السلطان واسترد الغنائم ، وفتح اتابك قلعة السن ورعى عسكره زرع الرها وعبر الفرات إلى حلب ، وأوقع الدانشمند بالبيمند فقتلوه كان مغيرا على بلد تروس بن روبال ، ووزر دمشق الوجيه ابن الصوفي ، وتزوج اتابك بنت الملك رضوان ، ووصل الى دمشق رسول الخليفة والسلطان ابن الحنبلي ، وعاد اليها شجاع الدولة ابن الصوفي كان رسولا بمصر ، واستوحش سيف الدين سوار من خدمة تاج الملوك فورد حلب الى خدمة اتابك عماد الدين ، فاكرمه وشرفه وخلع عليه واجرى له الاقطاعات الكثيرة واقطعه شحنكية حلب واعمالها ، ووصل إليه من حماه(٦) سونج بن تاج الملوك للخدمة فقبض عليه وعلى جميع عسكره ، وخف الى حماه ، فملكها في شوال وقبض على خيرخان ، وخف الى حمص فهجم الى ربضها وامتنعت القلعة فحصرها وهجم الشتاء فعاد الى حلب في ذي الحجة ، وملكت انطاكية زوجة البيمند بنت الملك بغدوين ، واخرجت اباها من انطاكية ووقع بين الفرنج ، وهجم المسلمون ربض الاثارب وربض معرة ....

سنة خمس وعشرين وخمسمائة

شرق أتابك الى الموصل ، وملك البغدوين أنطاكية وأخـرج الملكة الى الساحل ، وأجلس الطفلة بدار الملك ، وعاد الى القدس ، وكسر الجوسلين لسيف الدين بالشمال وقتل من أصحابه جماعة ، فعملت فيهم قصيدة اولها :

فداؤك من تخطفه الحمام

وصاحبك السلامة والدوام

...وهجم سيف الدين ربض الاثارب ونهبه ، ووقع بين الملك مسعود وأخوته بقونية ، ونكب عسكر دمشق على حصـن السـويق ، وملك أهل بهراء حصن بكسرائيل من يد المازوير ، ووثب على تـاج الملوك رجلان من جند القلعة فجرحاه فقتلهما ، ووصـل دبيس الى الشـام واودع ابن السلطان لنجم الدولة مالك واسند الى الفـرنج ، وفتـح اتابك قلعة بهمرد ، وسار دبيس نحو صاحبة صلخد ليتـزوج بهـا ، فاضافه مكتوم بن حسان بن مسمار بالحلة ، وأبطن الى تاج الملوك وقيل بالاتفاق ، فخرج إليه عسـكر دمشـق ، فقبضـوا على دبيس وادخلوه الى دمشق ففادى بـه تـاج الملوك ابنه سـونج الاتـابك ، فتسلمه منه وسار لوقته مشرقا الى الموصل في شـوال ....واجتمـع الى أتابك ولدا السلطان محمود : الب ارسلان وفروخشاه ، واوقـع بابن الانباري رسول المسترشد بـارض الرحبـة ونهبـت القـافلة الواصلة ، ومات الملك بغدوين وجلس موضعه صهره كليام ، ومـات الجوسلين ، وملك بعده الشمال ولده .

سنة ست وعشرين وخمسمائة

فتح الملك كليام رام حمدان ، ومات والي قلعة حلب علي جكل وولي مكانه قراجه السعدي ، واوقع عسكر أنطاكية بعسكر طرابلس ، وتواقع أتابك وقراجه الساقي على المعشوق ، ومات غازي صاحب أرزن ، ومات كليام ملك القدس ، ومات تاج الملوك واستولى ولده شمس الملوك اسماعيل على دمشق ، ورعى عسكر سيف الدين زرع حمص ، .... وعزل عن وزارة دمشق ابن الصوفي ، ووزرها كريم الملك المزدقاني .... وفتح قومص طرابلس حصن سلمية ، وقتل بحمص برغش لمولاه عين الدولة بن خير خان ، فوثب عليه اخوه ابن خير خان فقتله وملك القلعة ....

سنة سبع وعشرين وخمسمائة

وقع بين الفرنج حتى قتل بعضهم بعضا وقتل صاحب زربنا ، وتغلب التركمان على بلد المعرة وكفر طاب وقسموا المغلات ، واجتمع الفرنج وهزموهم عن البلد ، وفتحوا حصن القبة ، واسروا منه حريم ابن ملاعب بنت سالم بن مالك واخربوا الموضع ، واوقع ابن الدانشمند بقافلة القسطنطينية فاخذ منها ملكا ، واوقع الامير سيف الدين سوار بافرنج تل باشر ، وقتل منهم خلقا ومدحته بقصيدة اولها :

تقلد النصر واشدد خلفك العذبا

لايرجع الله في شيء اذا وهبا

-٥١٩٦-

وقتل قومص طرابلس رئيسها ، وقبض صاحب دمشق علي مرى واسامة فخلص اسامة بمال ، وهلك مرى ، واشـترى ابـو الفتـح الداعي من ابن عمرون حصن القدموس ....

سنة ثمان وعشرين وخمسمائة

وصل الملك الفلك بن الكند صاحب القدس الى انطاكية ، وجمع وظهر الى ذواز ثم قنسرين وكسروا اوائل عسكر حلب ، وقتلوا ابا القاسم التركماني وابا العلاء بن الخشاب ، والامير خليفة وشاهنشاه بن بلك ، وتحول الفرنج الى النقرة فصابحهم سيف الدين سوار والعسكر فاوقعوا بسرية منهم فقتلوهم ، وعادوا برؤوس وقلائع فسر الناس من يومهم عوض ما ساءهم من امسهم ، وعاد الملك الى انطاكية وصادر اهلها وغير الدوقس ، واوقع فيها ايضا حسان صاحب منبج وسيف الدين بخيل الرها الفريريه وهي متغيرة ببلد الشمال عابرة الى العسكر فقتلوهم باسرهم وحملوا الرؤوس والقلائع الى حلب من يد صلاح الدين كان قد عصا فيها وولاها شمس الخواص .... وقتل صاحب دمشق جماعة من عمومته واخوته ، واغارت العرب على دمشق فاستحضر صاحب دمشق مرى فضرب عنقه ، ووصل حسام الدين الى خدمة اتابك وسار معه للقاء داود بن ارتق فكسره بباب آمد ، وحصروها فصانعه صاحبها بمال فرحل عنها الى قلعة الصور ففتحها ، واغار سيف الدين على الجزر وحصن زردنا وشحن المعرتين ، واوقع بالفرنج على حارم ، وعاد بالوسيق الى حلب ، واغار على زردنا واوقع هناك بسرية من الفرنج .... ومات ايلغازي بن الدانشمند وملك موضعه ابنه ، واستوزر اتابك الوزير ضياء الدين ابا سعيد الكفرتوثي .... وحصر اتابك دمشق مدة ثم رحل عنها الى حلب ثم شرق الى الموصل ....

سنة تسع وعشرين وخمسمائة

تواترت غارات التركمان على بلاد الروم ، وكثر السبي واحتبس الغيث شهرين وتـدارك ، وانخسـف القمـر في ربيع الاول ببـرج السرطان وتلك الليلة مات شهاب مالك قلعـة دوسر ، وملك مـوضعه ابنه بدران .... وعاد اتابك الى الشام .... وفتح حمـاه وردهـا الى صلاح الدين وعاد الى الموصل ، وقتل الرئيس الوجيه ابن الصـوفي بدمشق ، وظهر ملك الروم ....

سنة ثلاثين وخمسمائة

وعاد اتابك الى الموصل ....

سنة احدى وثلاثين وخمسمائة

ظهر ملك الروم من القسطنطينية واغار ملك انطاكية على بلد لاون بن اخي بسيل الارمني ، واسر لاون وادخله انطاكية ، واستولى ابنه على موضعه ومعاقله وكاتب الروم ، فكان آكد لخروجه ، وخلص لاون بمال وعاد الى بلاده .... وعبر اتابك الفرات وخيم بباب حلب رابع وعشرين شهر رمضان ، وخرج ملك انطاكية الى ملك الروم وعاد الى انطاكية ، واقبل اتابك الى نحو حماه ، وعيد في الطريق ، وقصد حمص ثاني شوال ، واخذ من حلب خمسمائة رجل لحصار حمص ، وخرج الفرنج نجدة لحمص وغيلة لأتابك ، فرحل عن حمص ولقيهم تحت قلعة بعرين فكسرتهم طلائع اتابك ، وفيها سيف الدين سوار فاجهز عليهم وحصرهم بالمناجيق حتى خربت القلعة فاستقر الحال على ان يفرج عنهم ، ويأخذ القلعة ففعل وتسلم بعرين وعاد الى حلب .... وتمت الهدنة بين اتابك وصاحب دمشق ، وتزوجت خاتون به على يد الفقيه برهان الدين البلخي ، واوقع سيف الدين بسرية من الروم فقتل واسر ، وأدخل الاسرى الى حلب ، وفتح حسام الدين تمرتاش قلعة الهتاخ ، وشرع الحلبيون في عمارة اسوار حلب وخنادقها ، ودخل اتابك على خاتون بنت جناح الدولة بحلب ، وقبض على الوزير جمال الدين ابي المحاسن ، واستأمن اليه الامير علي بن وفاء الكردي من عند الفرنج ....

سنة اثنتان وثلاثين وخمسمائة

ورد رسول ملك الروم على اتابك وهو بالقبلة ، فرده ومعه هدية الى ملك الروم فهودا وبزاة وصقورا ، واقتبل نحو دمشق وجرد من اهل حلب ثمان مائة راجل للخدمة ، واقتبل نحو البقاع وفتح المجدل واقام بعين الجر ، وعاد الحاجب حسن من عند ملك الروم وهو يحاصر بلاد لاون ، وشتى اتابك بارض دمشق ، وورد عليه رسول السلطان والخليفة بالتشريف ، وقبض الفرنج على بطرك انطاكية ونهبوا داره وعولوا على نصب بطرك الروم وعادوا عن ذلك وهم ملك انطاكية بالتسليم الى ملك الروم فمنعه من ذلك الرجالة البرجاسية ، وخيم اتابك على حمص وجرد من حلب رجالها لحصارها ونقض الفرنج هدنة حلب ، وشتى السلطان مسعود ببغداد ، وهجم اتابك ربض حمص ونصب المناجيق على القلعة ، واقتبل القاضي بهاء الدين الى العسكر .

ذكر ظهور الروم

وانضاف الفرنج الى ملك الروم ، وظهر بغتة من طريق مدينة البلاط يوم الخميس الكبير ، ونزل يوم عيد النصارى على حصن بزاعة ، وانتشرت الخيل بغتة فما احس الناس الا برجل من كافر ترك ومعه جماعة قد تاهوا عن عسكر الروم ، فعرف الناس بظهور الملك واظهر انه مستامن فكانه كان من الملائكة فتخبر الناس وبلغ الخبر اتابك فرد الرجالة الى حلب والامير سيف الدين معه خمسماية فارس في اربعة من الامراء الاصفهسلارية ، فقويت نفوس الناس ، وذلك في سابع عشر من رجب يوم المبعث ، وحصرت بزاعة

سبعة ايام وفتحوها يوم السبت خامس وعشرين رجب بالامان ، وغدر باهلها واسرهم واقام الملك بالوادي عشرة ايام ، يدخن على مغائر الباب ، ورحل الى الناعورة ، ثم الى حلب في سادس شعبان ، وضرب خيمة قبلي حلب على نهر قويق ، وقاتل حلب يوم الثلاثاء ورحل يوم الاربعاء ثامن شعبان مقتبلا ، وخاف من بالاثارب من الجند ، فانهزموا منها ليلة الخميس ، واحرقوا خزائنها فخف اليها سرية من الروم والفرنج ومعهم سبي بزاعة والوادي ، فملكوا القلعة والجؤوا السبي الى خنادقها واحوا شها وهرب منهم قوم الى حلب فاعلموهم بذلك ، فنهض اليهم الامير فخلصوا السبي جميعة الا من كان قد اطلع الى القلعة ، فردهم الى حلب ما مقداره الف روح ، فكان ما عم الناس من امر الاثارب شيء للفرجة بخلاص السبي ، ورحل اتابك من حماة الى سلمية في يوم الاثنين ثالث عشر شعبان ، ورحل الملك عن بلد المعرة مقتبلا ، وهرب جند كفرطاب منها ، ونزل الروم شيزر يوم الخميس سادس عشر شعبان ، وقاتلوها وهجموا ربضها .

واوقع أتابك بسرية منهم وسيف الدين بسرية أخرى بأطراف (بعرين) ونصبوا المناجيق على قلعة شيزر ، واشتد الحصار وتحولوا الى تل أبي معشر ، وعبر الفرات ابن داود بن أرتق في عشرين ألف فارس نجدة للمسلمين ، فبلغ الروم ذلك وقد هاجموا ربض شيزر دفعات عدة ، والله تعالى يعطي النصر للمسلمين عليهم ، فرحلوا عنها سحرة السبت تاسع رمضان فكانت مدة الحصار ثلاث وعشرين ليلة ، ودخلوا مضيق افامية ثم انطاكية ، وسير اتابك وراءهم سرية من العسكر تتخطفهم ، هذا كله وأتابك لم يستحضر ابن داود ، ولم يجتمع به بل بعث اليه يأمره بالعود الى أبيه وأنه مستغن لم يلتفت اليه ، وتسلم أتابك قلعة حمص يوم الثلاثاء ودخلها يوم الخميس ثالث عشر شوال ، وهزم الفرنج على باب اطرابلس يوم السبت تاسع وعشرين شوال ، وأوقع الامير سيف الدين بسرية داخلة الى الاثارب باقامة في العشر الاخير منه ، ونهض اتابك الى بلد عرقة ، وعاد الى

- ٢٠٢هـ -

القدس (٨) واجتمع بخـــاتون زمـــرد ، وصــــلت اليه مـــــن دمشـــق ، واجتمــع عنده رســــل ملوك الأرض ، ولبس التشريف الواصل اليه مع ابن الأنباري بظاهر حلب ، ومات ابن حسام الدولة الأحدب ، وملك ابنه قرتي بدليس وأعمـــالها وخـــرج اليه الســـلطان سلجوك فكسره قرتي ورده على عقبـه .

سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة

.......وخرج من حلب جريدة رجالة برسم خدمة ركاب اتابك الى الشرق وفتح دارا ورأس العين ، وغلا سعر بلاد الروم ، وظهر بالشام جراد عظيم ، وضرب الشط برد عظيم الى أرض حران في شهر رمضان ، وعبر اتابك الفرات ووطىء الشام ، وفتح قلعة الاثارب وانقلبت قلعة الاثارب بكل من فيها ، ودامت الزلازل ، وكان يحدث دوي عظيم قبلها ثم يأتي بعده كذلك اربعة أشهر ، وقتل بدمشق صاحبها شهاب الدين ابن تاج الملوك ، وجلس بها في المملكة أخوه محمد صاحب بعلبك ، وافتتنت دمشق وقتل بها الذفيس ، وانهزم منها بهرام شاه أخو المقتول الى حلب ، وشرق الى خدمة اتابك ، وعبر الأمير الحاجب صلاح الدين الفرات ، واقتبل الى بلد حماة ، وعبر اتابك الفرات ونزل بالناعورة ، ودخل حلب ورحل الى حماة سابع ذي الحجة ورحل الى حمص ثم الى بعلبك .

سنة أربع وثلاثين وخمسمائة

أولها يوم الثلاثاء سابع عشر آب حصر اتابك بعلبك وضربها بالمناجيق ، وفتح البلد يوم الاثنين رابع عشر صفر ، وفتح الحصن يوم الخميس خامس وعشرين الشهر وتواقع الياروقية والروم ونصر الله المسلمين ، وفي رمضان حدثت بالشام زلزلة ... واقام أتابك بعين الجر .

سنة خمس وثلاثين وخمسمائة

تفرق عسكر دمشق والفرنج بعد اجتماعهم ، ووقعت بحمص صاعقة على الحمام الجديد ، فاحترقت جماعة ، وانهزم الى دمشق من عسكر اتابك سنقر الجكرمشي صاحب بالس ، وبعث اتابك قبض على أولاده وأسبابه ، وفي يوم السبت تاسع عشر ربيع الأول دخل اتابك حمص ، وعادت خاتون الى حلب في عشرين منه ، ودخل الى حلب رابع وعشرين جمادى الأولى ، وشر ق اتابك ولقي قفجاق وكسره ، وفي شوال ظهر ابن الدانشمند الى بلاد مرعش وفتح حصنا ، وسبا أهله جوابا لفعل الفرنج ببلده مثل ذلك ، وقبض بحلب على المكين الحراني بن أبي الفهم الناظر ، وجرد من حلب ثلاثمائة راجل الى الشرق للخدمة ، وهزم الامير سيف الدين سوار الفرنج عن شيزر .

سنة ست وثلاثين وخمسمائة

أولها يوم الاربعاء سابع آب ، وكسفت الشمس ثـامن وعشرين منه ، وخرج الفرنج الى بلاد سرمين واخربوا ونهبوا ، ثم تحـولوا الى جبل السماق ثم تفرقوا ، وأغار التركمان مـع الأمير علم الدين ابن سيف الدين الى باب انطاكية وعادوا بالوسيق العظيم ...

وفي جمادى أغار بجة التركي على بلاد الفرنج وساق وسبى ونفر اليه نفر من الفرنج فظفر بهم ، وقتل منهم سبعمائة وعاد بـالغنائم والوسيق والقلائع ، وجرد من حلب رجاله ، وأقبل ملك انطاكية الى القدس ، ونهض الأمير سيف الدين في العشر الثاني من رمضان الى بلد انطاكية وعند الجسر جمع كثير ، وخيم مضروبـة وقـطعة مـن العسكر يخطفون الأطراف ، فخـاض التـركمان اليهـم العـاصي وكسروا هناك ، وقتلوا كل من كان بالمخيم ونهبـوا وسـبوا ، وعاد سـيف الدين الى حلب بـالوسيق العـظيم والقـلائع والرؤوس والاسرى ، ومات ابن الدانشمند وجلس موضعه ابنه وواثبـه عمـه على المملكة ....

سنة سبع وثلاثين وخمسمائة

فتح اتابك قلعة اشب في ثالث وعشرين رمضان ليلة القدر . ومات ملك الروم بالثغور يوم الجمعة ثاني وعشرين رمضان وهو تاسع نيسان ...

وظهر ملك انطاكية الى وادي بزاعة فنهض اليه الأمير سوار فردهم الى بلد الشمال ، وأغار الجوسلين الى شط الفرات وسبى اهل عكرمة بأسرهم تسع مائة روح ، وأخذ عورة السابورية ، ونزل اتابك مرج زعفران وعاد الى الجزيرة واجتمع الامير سيف الدين والجوسلين ببلد الشمالي في المعسكرين واتفق الصلح بينهما ، وكان الجوسلين وطىء بساط ملك الروم قبل موته ، واستوزر اتابك الوزير جلال الدين ابا الرضا بن صدقة ، وقبض حسام الدين على وزيره ابي الرجاء بن السرطان وقتل حذش في خيمته (٩) ، بعسكر اتابك قتله جماعة اكراد غيلة .

سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة

فتح اتابك قلعة ازدون وبعدها قلعة حيزان ، وحصرت ملطية حصرها الملك مسعود (بياض) ووصل خبر بأن ملك الصين مات ، وفي خامس وعشرين صفر جاءت بالشام زلزلة لطيفة ، واغارت خيل باسوطا ورجالتها وسبوا كفر بسيل وسبوا بعض اهلها ، فنهض اليهم الأمير سيف الدين فلحقهم دون العقبة بدمشق وسبق في الطلائع علم الدين بن سيف الدين فشغلهم بالطراد حتى تتابع العسكر فأوقع بهم ، وقلع أكثر الخيالة ، وقتل الرجالة ، واسترجع الأجيدة وعاد بالقلائع والوسيق والرؤوس منصورا ، ودخل السلطان مسعود بغداد ... وسقط ملك القدس عن فرسه فاندقت عنقه ، فمات وجلس ابنه وتولته امه ، وأغارت الفرنج على بلد دمشق . فساقوا وسيقا عظيما ، ولجؤوا الى بانياس فخرج اليهم من دمشق معين الدين انر واسترجع الوسيق بالصلح وقبض بدمشق على الأمير اكز وعلى جماعته واسبابه واستصفيت أمواله وكحل ، وعزل وزير دمشق نظام الدين ابو الكرام ، ووزر مؤيد الدين بن الصوفي ، وقبض بقلعتها على الحاجب عطا ، وجرد من حلب خمسمائة راجل الى الشرق ، وشتوا بالرحبة ، وبعضهم بسنجار ، وعادوا الى حلب في ذي القعدة ، وعاد أتابك دخل الموصل ، وفي يوم الأربعاء خامس وعشرين ذي القعدة وقعت خيل تركمان نهضت من بلد حلب فأوقعت بخيل خارجة من باسوطا ، فأوقعوا بهم وقتلوهم ، واسروا صاحب باسوطا وجاءوا به اسيرا الى حلب يوم الخميس سادس وعشرين ذي القعدة ، فسلموه الى سيف الدين فقيده ... والى هذه السنة انتهى تاريخ محمد بن العظيمي الحلبي رحمه الله .

تراجم من تاريخ دمشق لابن عساكر

-٥٢٠٩-

أبق بن محمد بن بوري بن طغتكين اتابك ابو سعيد التركي

ولد ببعلبك ، وقدم دمشق مع ابيه محمد ، فلما مات ابوه ولي امرة دمشق يوم الجمعة الثامن من شعبان سنة اربع وثلاثين وخمسمئة ، وكان اتابك زنكي بن اق سنقر صاحب حلب وبعض الشام والموصل والجزيرة محاصرا لدمشق ، فلم يصل منها الى مقصود ، ورحل عنها ، وكان ابق صغير السن ، واستولى على امره انر بن عبد الله ، الملقب بمعين الدين مملوك جد ابيه طغتكين ، والرئيس ابو الفوارس المسيب بن علي بن الصوفي ، فلما مات انر انبسطت يد ابق ، والرئيس ابو الفوارس يدبر الامور ، وبعد مدة دبر ابق وجماعة من بطانته على الرئيس حتى اخرجه من دمشق الى صرخد ، واستوزر اخاه ابا البيان حيدرة بن علي مديدة ، ثم استدعى عطاء بن حفاظ السلمي الخادم من بعلبك ، وجعله مقدما على العسكر ، وقتل ابا البيان ، ثم قبض على عطاء وقتله ، ولم يلبث بعد ذلك الا يسيرا حتى قدم الملك العادل محمود بن زنكي بن اق سنقر ، فحاصر البلد مدة يسيرة وسلم اليه بالامان يوم الاحد العاشر من صفر سنة تسع واربعين وخمسمئة ، ووفى لابق بما جعل له وسلم اليه مدينة حمص ، فأقام بها يسيرا ، ثم انتقل منها الى بالس ـ مدينة بناحية الفرات ـ فسلمت اليه بأمر الملك العادل ، فأقام بها مدة ، ثم توجه منها الى بغداد ، فقبله امير المؤمنين المقتفي لامر الله ، واخرج له ديوانا كفاه ببغداد ، وقد كان قبل ان يخرج ابق الصوفي من دمشق قد رفع الاقساط وماكان يؤخذ في الكوز من الباعة ، وكان كريما ، ومات ببغداد .

- ٥٢١٠ -

- ارتاش بن تتش بن الب ارسلان ويقال : ألتاش

كان اخوه دقاق قد انفذه الى بعلبك ، فاعتقل بها ، فلما هلك دقاق في سنة سبع وتسعين راسل طغتكين اتابك ، كبشتكين التاجي الخادم والي بعلبك في اطلاق ارتاش ، فوصل الى دمشق ، فأقامه في منصب اخيه يوم السبت لخمس بقين من ذي الحجة او ذي القعدة سنة سبع وتسعين واربعمئة .

فأقام الى ان خرج منها سرا في صفر سنة ثمان وتسعين لاستشعار استشعره من طغتكين وزوجته ام الملك دقاق ، ومضى الى بغدوين ملك الفرنج ، طمعا في ان يكون له ناصرا ، فلم يحصل منه على ماامل ، فتوجه عند اليأس منه الى ناحية الرحبة ، ومضى الى الشرق فهلك .

اسماعيل بن بوري بن طغتكين

ابو الفتح ، المعروف بشمس الملوك

ولي امرة دمشق بعد قتل ابيه بوري ، المعروف بتاج الملوك ، في العشر الاخير من رجب سنة ست وعشرين وخمسمئة ، وكان شهما مقداما مهيبا ، استرد بانياس من ايدي الكفار في يومين ، وكانت قد سلمها اليهم الاسماعيلية ، واسعر بلاد الكفار بالغارات ؛ مد يده الى اخذ الاموال ، وعزم على مصادرة المتصرفين والعمال ، ولم يزل اميرا على دمشق حتى كتب الى قسيم الدولة زنكي بن اق سنقر يستدعيه ليسلم اليه دمشق ، فخافته امه زمرد فرتبت له من قتله في قلعة دمشق ، في شهر ربيع الاخر من سنة تسع وعشرين وخمسمئة ، ونصبت اخاه محمود بن بوري مكانه .

- ألب أرسلان بن رضوان بن تتش بن ألب أرسلان التركي

ولي إمرة حلب بعد موت أبيه رضوان في جمادى الاخرة سنة سبع وخمس مئة وهو صبي عمره ست عشرة سنة ، وتولى تدبير امره خادم لابيه اسمه لؤلؤ اليايا ، ورفع عن اهل حلب بعض ماكان جدد عليهم من الكلف وقتل اخويه ملك شاه ، واميركا ، وقتل جماعة من الباطنية وكانت دعوتهم ظهرت في حلب في ايام ابيه ، ثم كاتب أمير دمشق ، ورغب في استعطافه ، فأجابه طغتكين الى ذلك ، ودعا له على منبر دمشق في رمضان من هذه السنة . ثم قدم الب ارسلان في هذا الشهر دمشق وتلقاه طغتكين واهل دمشق في احسن زي ، وانزله في القلعة بدمشق ، وبالغ في اكرامه ، فاقام بها اياما ، ثم عاد الى حلب في اول شوال ، وصحبه طغتكين ، فلما وصل الى حلب لم ير منه طغتكين مايحب ، ففارقه ، وعاد الى دمشق ، وساءت سيرة الب ارسلان بحلب ، وانهمك في المعاصي ، وخافه لؤلؤ اليايا فقتله بقلعة حلب في ثاني ربيع الآخر سنة ثمان وخمس مئة ونصب اخا له طفلا عمره ست سنين وبقي لؤلؤ بحلب الى ان قتل في آخر سنة عشر وخمسمائة ببالس .

دقاق بن تتش

دقاق بن تتش بن الب ارسلان ابو نصر المعروف بالملك شمس الملوك ولي امرة دمشق بعد قتل ابيه تاج الدولة في سنة سبع وثمانين واربعمائة ، وكان بحلب ، فراسله خادم لابيه اسمه ساوتكين كان نائبا في قلعة دمشق ، سرا من اخيه رضوان بن تتش صاحب حلب ، فخرج دقاق الى دمشق وحصل بها ، واجلسه ساوتكين في منصب ابيه : ثم دبر هو وطغتكين المعروف بأتابك زوج ام الملك دقاق على ساوتكين فقتل .

واقام دقاق بدمشق ، وقدم اخوه رضوان فحاصرها فلم يصل منها الى مقصود فرجع الى حلب ، ثم عرض لدقاق مرض تطاول به وتوفي منه في الثاني عشر من شهر رمضان سنة سبع وتسعين واربعمائة ؛ وان امه زينت له جارية فسمته في عنقود عنب معلق في شجرته ، ثقبته بابرة فيها خيط مسموم ، وان امه ندمت على ذلك بعد الفوت ، واومأت الى الجارية ان لاتفعل ، فأشارت اليه أن قد كان ، وتهرى جوفه فمات .

طغتكين اتابك دمشق

طغتكين ، ابو منصور ، المعروف باتابك ، كان من رجـال (تاج) الدولة ، وزوجه بام ابنه دقاق ، وكان مع تـاج الدولة لما ذهـب الى الري لقتال ابن اخيه ، ثم رجع الى دمشق بعـد قتـل تـاج الدولة ، وكان اتابك دقاق مدة ولايته فلما مات دقاق اسـتولى على دمشـق ، وكان شهما مهيبا ، مؤثرا لعمارة ولايته ، شـديدا على اهـل العيث والفساد ، وامتدت ايامه الى ان مات يوم السبت السـابع ، ويقـال الثامن من صـفر ، سـنة اثنتين وعشرين وخمسـمائة ، ودفـن عند المسجد الجديد قبلي المصلى ...

محمود بن بوري طغتكين أتابك ابو القاسم بن ابي سعيد ، الملقب شهاب الدين

ولي امرة دمشق بعد قتل اخيه اسماعيل الملقب بشمس الملوك . وكانت أمه المعروفة بزمرد خاتون الغالبة على امره والمدبرة له الى ان تزوجها اتابك زنكي بن قسيم الدولة وخرجت الى حلب فكان المدبر له بعد خروجها انر المعروف بمعين الدين احد مماليك جده طغتكين .

وابتداء ولايته في شهر ربيع الاخر سنة تسع وعشرين وخمسمئة ، وكانت الامور في ايامه تجري على استقامة الى ان وثب عليه جماعة من خدمه في ليلة الجمعة ثالث وعشرين او رابع وعشرين من شوال سنة ثلاث وثلاثين وخمسمئة ، فقتلوه ، وكتب الى اخيه محمد بن بوري صاحب بعلبك ، فقدم اخر نهار يوم الجمعة وتسلم القلعة والبلد ولم ينازعه احد .

محمود بن زنكي بن اق سنقر

ابو القاسم بن ابي سعيد قسيم الدولة ، التركي ، الملك العادل نور الدين وناصر امير المؤمنين

كان جده اق سنقر قد ولاه السلطان ابو الفتح ملكشاه بن الب ارسلان حلب ، وولي غيرها من بلاد الشام ، ونشأ ابوه قسيم الدولة بعده بالعراق ، وندبه السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه ابن الب ارسلان برأي الخليفة المسترشد بالله امير المؤمنين لولاية ديار الموصل والبلاد الشامية بعد قتل اق سنقر البرسقي وموت ابنه مسعود ، فظهرت كفايته وظهرت شهامته في مقاتلة العدو ـ خذله الله ـ وثبوته عند ظهور متملك الروم ونزوله على شيزر حتى رجع الى بلاده خائبا .

وحاصر ابوه قسيم الدولة دمشق مرتين فلم يتيسر له فتحها ، وفتح الرها والمعرة وكفر طاب وغيرها من الحصون الشامية ، واستنقذها من ايدي الكفار ، فلما انقضى اجله ـ رحمه الله ـ قام ابنه نور الدين ـ اعزه الله ـ مقامه في ولاية الاسلام .

ومولده على ماذكر كاتبه ابو اليسر شاكر بن عبد الله التنوخي المعري وقت طلوع الشمس من يوم الاحد سابع شوال سنة احدى عشرة وخمسمئة ؛ ولما راهق لزم خدمة والده الى ان انتهت مدته ليلة الاحد السادس من شهر ربيع الاخر سنة احدى واربعين وخمسمئة على قلعة جعبر ، وكان محاصرا لها ، ونقل تابوته الى مشهد الرقة فدفن بها .

وسير صبيحة الاحد الملك الب ارسلان بن السلطان محمود بن محمد الى الموصل مع جماعة من اكابر دولة ابيه ، وقال لهم : ان وصل اخي سيف الدين غازي الى الموصل فهي له ، وانتم في خدمته ، وان تأخر فانا اقرر امور الشام ، واتوجه اليكم .

ثم قصد حلب ودخل قلعتها المحروسة على اسعد طائر وايمن بركة ، يوم الاثنين سابع ربيع الاخر ، ورتب في القلعة والمدينة النواب ، وانعم على الامراء وخلع عليهم ، وكان ابن جوسلين قد عمل على اخذ الرها ، وحصل في البلد ، فوجه اليه امراء دولته حتى استنقذها منه وخرج هاربا .

ولما استتب له الامر ظهر منه بذل الاجتهاد في القيام بأمر الجهاد . والقمع لاهل الكفر والعناد ، والقيام بمصالح العباد ، وخرج غازيا في اعمال تل باشر ، فافتتح حصونا كثيرة ، وافتتح قلعة افامية ، وحصن البارة ، وقلعة الراوندان ، وقلعة تل خالد ، وحصن كفر لاثا ، وحصن بسرفوث بجبل بني عليم ، وقلعة عزاز ، وتل باشر ، ودلوك ، ومرعش ، وقلعة عين تاب ، ونهر الجوز ، وغير ذلك .

وغزا حصن انب فقصده الابرنس متملك انطاكية ، وكان من ابطال العدو وشياطينهم ، فرحل عنها ، ولقيه دونها فكسره وقتله وثلاثة الاف فرنجي كانوا معه ، وبقي ابنه صغيرا مع امه بأنطاكية ، وتزوجت ابن الابرنس الاول وهو بيمنت ووقع في اسره في نوبة حارم ، وباعه نفسه بمال عظيم انفقه في الجهاد .

واظهر بحلب السنة حتى اقام شعار الدين ، وغير البدعة التي كانت لهم في التأذين ، وقمع بها الرافضة المبتدعة ، ونشر فيها مذاهب اهل السنة الاربعة . واسقط عنهم جميع المؤن ، ومنعهم من التوثب في الفتن ، وبنى بها المدارس ووقف الاوقاف ، واظهر فيها العدل والانصاف .

وقد كان صالح المعين الذي كان بدمشق وصاهره ، واجتمعت كلمتها على العدو لما وآزره ، وحاصر دمشق مرتين فلم يتيسر له فتحها ، ثم قصدها الثالثة فتم له صلحها ، وسلم اهلها اليه البلد لغلاء الاسعار ، والخوف من استعلاء كلمة الكفار ، فضبط امورها وحصن سورها ؛ وبنى بها المدارس والمساجد ، وافاض على اهلها الفوائد ، واصلح طرقها ، ووسع اسواقها ، وادر الله على رعيته ببركته ارزاقها ، وبطل منها الانزال ، ورفع عن اهلها الاثقال ، ومنع ماكان يؤخذ منهم من المغارم كدار بطيخ وسوق البقل ، وضمان النهر والكيالة ، وسوق الغنم ، وغير ذلك من المظالم ، وامر بترك ماكان يؤخذ على الخمر من المكس ، ونهى عن شربه ، وعاقب عليه باقامة الحد والحبس ، واستنقذ من العدو - خذلهم الله - ثغر بانياس ، وغيره من المعاقل المنيعة كالمنيطرة وغيرها بعد الاياس . وبلغني انه في الحرب رابط الجأش ثابت القدم ، شديد الانكماش ، حسن الرمي بالسهام ، صليب الضرب عند ضيق المقام ، يقدم اصحابه عند الكرة ، ويحمي منهزمهم عند الفرة ، ويتعرض بجهده للشهادة لما يرجو بها من كمال السعادة .

ولقد حكى عنه بعض من خدمه مدة ، ووازره على فعل الخير ، انه سمعه يسأل الله ان يحشره من بطون السباع وحواصل الطير ، فالله يقي مهجته في الاسواء ، ويحسن له من الظفر بجميع الاعداء ؛ فلقد احسن الى العلماء واكرمهم ، وقرب المتدينين واحترمهم ، وتوخى العدل في الاحكام والقضايا ، وألان كنفه واظهر رأفته بالرعايا ، وبنى في اكثر مملكته ادر العدل ، واحضرها القضاة والفقهاء للفصل ، وحضرها بنفسه في اكثر الاوقات ، واستمع من المتظلمين الدعاوى والبينات ، طلبا للانصاف والفصل ، وحرصا على اقامة العدل .

وادر على الضعفاء والايتام الصدقات ، وتعهد ذوي الحاجة من اولي التعفف بالصلات ، حتى وقف وقوفا على المرضى والمجانين ، واقام لهم الاطباء والمعالجين ، وكذلك على جماعة العميان ، ومعلمي

الخط والقرآن ، وعلى ساكني الحرمين ، ومجاوري المسجدين ، واكرم امير المدينة الحسين واحسن اليه ، واجرى عليه الضيافة لما قدم عليه ، وجهز معه عسكرا لحفظ المدنية ، وقام لهم بما يحتاجون اليه من المؤونة ، واقطع أمير مكة اقطاعا سنيا ، واعطى كلا منهما مايأكله هنيا مريا .

ورفع عن الحجاج ماكان يؤخذ منهم من المكس ، واقطع امراء العرب الاقطاعات لئلا يتعرضوا للحجاج بالنحس ، وامر باكمال سور مدينة الرسول ، واستخرج العين التي باحد وكانت قد دفنتها السيول ، ودعي له بالحرمين ، واشتهر صيته في الخافقين .

وعمر الربط والخانقاهات والبيمارستانات ، وبنى الجسور في الطرق والخانات ، ونصب جماعة من المعلمين لتعليم يتامى المسلمين ، واجرى الارزاق على معلميهم ، وعليهم بقدر مايكفيهم ، وكذلك صنع لما ملك سنجار وحران والرها والرقة ومنبج وشيزر وحماة وحمص وبعلبك وصرخد وتدمر ، فما من بلد منها الا وله فيها حسن اثر . ومامن اهلها احد الا نظر له احسن نظر .

وحصل الكثير من كتب العلوم ووقفها على طلابها ، واقام عليها الحفظة من نقلتها وطلابها وأربابها ، وجدد كثيرا من قني السبيل ، وهدى بجهده الى سواء السبيل .

واجهد نفسه في جهاد اعداء الله ، وبالغ في حربهم ، وتحصل في اسره جماعة من امراء الفرنج - خذلهم الله - كجوسلين وابنه ، وابن الفونش ، وقومص اطرابلس ، وجماعة من ضربهم .

وكان متملك الروم قد خرج من قسطنطينية وتوجه الى الشام طامعا في تسلم انطاكية ، فشغله عن مرامه الذي رامه بالمراسلة ، الى ان وصل اخوه قطب الدين في جنده من المواصلة ، وجمع له

الجيوش والعساكر ، وانفق فيها الاموال والنخائر ، فأيس الرومي من بلوغ ماكان يرجو ، وتمنى منه المصالحة لعساه ينجو ، فاستقر رجوعه الى بلاده ذاهبا ، فرجع من حيث جاء خائبا ، ولم يقتل بالشام مع كثرة عسكره مقتله ، ولم يرع من زرع حارم ولاغيرها سنبلة ، وحمل الى بيت مال المسلمين من التحف ماحمل ، ولم يبلغ امله وضل ماعمل .

وغزا معه اخوه قطب الدين في عسكر الموصل وغيرهم من المجاهدين ، فكسر الفرنج والروم والارمن على حارم ، واذا قهم كؤوس المنية بالاسنة والصوارم ، فأبادهم حتى لم يفلت منهم غير الشديد الذاهل ، وكانت عدتهم ثلاثين الفا بين فارس وراجل ، ثم نزل على قلعة حارم ، فافتتحها ثانية وحواها ، واخذ اكبر قرى عمل انطاكية وسباها ، وكان قبل ذلك قد كسرهم بقرب بانياس ، وقتل جماعة من ابطالهم ، واسر كثيرا من فرسانهم ورجالهم .

وقد كان شاور السعدي امير جيوش مصر ، وصل الى جنابة مستجيرا لما عاين الذعر ، فأحسن جواره واكرمه ، واظهر بره واحترمه ، وبعث معه جيشا كثيفا يرده الى درجته ، فقتلوا خصمه ولم يقع منه الوفاء بما قرر من جهته ، واستجاش بجيش العدو ، طلبا للبقاء في السمو ، ثم وجه اليه بعد ذلك جيشا اخر ، فأصر على المسامقة له وكابر ، واستنجد بالعدو ـ خذله الله ـ فأنجدوه ، وضمن لهم الاموال الخطيرة حتى عاضدوه ، وانكفأ جيش المسلمين الى الشام راجعا ، وحدث متملك الفرنج نفسه بملك مصر طامعا ، فتوجه اليها بعد عامين راغبا في انتهاز الفرصة ، فأخذ بلبيس وخيم من مصر بالعرصة ، فلما بلغه ذلك تدخل جهده في توجيه الجيش اليها ، وخاف من تسلط عدو الدين عليها ، فلما سمع العدو ـ خذلهم الله ـ بتوجه جيشه رجعوا خائبين ، واصبح اصحابه بمصر لمن عاندهم غالبين ، وامل اهل اعمالها بحصول جيشه عندهم وانتعشوا ، وزال عنهم ماكانوا قد خشوا ، واطلع من شاور على

المخامرة ، وانه راسل العدو طمعا منه في المظافرة ، وارسل اليهم ليردهم ، ليدفع جيش المسلمين بجندهم ، فلما خيف من شره ومكره ، لما عرف من غدره وختره ، وانفتح الامر في ذلك واستبان ، تمارض الاسد ليقتنص الثعلبان ، فجاءه قاصدا لعيادته ، جاريا في خدمته على عادته ، فوثب جورديك وبزغش موليا نور الدين فقتلا شاور ، واراحا العباد والبلاد من شره ، واما شاور فانه اول من تولى القبض عليه ، ومد يده الكريمة اليه بالمكروه ، وصفا الامر لاسد الدين وملك ، وخلعت عليه الخلع ، وحل واستولى اصحابه على البلاد ، وجرت اموره على السداد وظهر منه حميد السيرة وحسن الاثار ، (وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار) .(الرعد ٤٢) •

وظهرت كلمة اهل السنة بالديار المصرية ، وخطب فيها للدولة العباسية بعد الياس ، واراح الله من بها من الفتنة ورفع عنهم المحنة ، فالحمد لله على مامنح ، وله الشكر على مافتح .

ومع ماذكرت من هذه المناقب كلها ، وشرحت من دقها وجلها ، فهو حسن الخط والبنان ، متأت لمعرفة العلوم بالفهم والبيان ، كثير لمطالعتها ، مائل الى نقلها ، مواظب حريص على تحصيل كتب الصحاح والسنن ، مقتن لها بأوفر الاعواض والثمن ، كثير المطالعة للعلوم الدينية ، متبع للاثار النبوية ، مواظب على الصلوات في الجماعات ، مراع لادائها في الاوقات ، مؤد لفروضها ومسنوناتها ، معظم لفقدها في جميع حالاتها ، عاكف على تلاوة القرآن على ممر الايام ، حريص على فعل الخير من الصدقة والصيام ، كثير الدعاء والتسبيح ، راغب في صلاة التراويح ، عفيف البطن والفرج ، مقتصد في الانفاق والخرج ، متحري في المطاعم والمشارب والملابس ، متبري من التباهي والتماريء والتنافس ، عري عن التجبر والتكبر ، بري من التنجم والتطير ، مع ماجمع الله من العقل المتين ، والراي الصويب الرصين ، والاقتداء بسيرة السلف الماضين ، والتشبه بالعلماء والصالحين ، والاقتفاء لسيرة من سلف منهم في حيز سمتهم ، والاتباع لهم في حفظ حالهم ووقتهم .

حتى روى حديث المصطفى صـلى الله وعليه وسـلم ، وكان قـد استجيز له ممن سمعه وجمعه ، حرصا منه على الخير في نشر السنة والتحديث ، ورجا ان يكون ممن حفظ على الامة اربعين حديثا كما جاء في الحديث ، فمن رآه شاهد من جلال السلطنة وهيبة الملك مايبهره ، فإذا فاوضه رأى من لطافته وتواضعه مايحيره .

وقد حكى عنه من صحبه في حضره وسفره ، انه لم يكن يسمع منه كلمة فحش في رضاه ولا في ضجره ، وان اشهى ماليه كلمة حق يسمعها ، او ارشاد الى سنة يتبعها.

يحب الصالحين ويؤاخيهم ، ويزور مساكنهم لحسن ظنه بهم ، فاذا احتلم مماليكه اعتقهم ، وزوج ذكرانهم باناثهم ورزقهم .

ومتى تكررت الشكاية اليه من احد ولاته ، امـر بـالكف عن اذى من تكلم بشكاته ، فمن لم يرجع منهم الى العدل ، قـابله بـاسقاط المرتبة والعزل ، فلما جمـع الله له مـن شريف الخصـال ، تيسر له جميع مايقصده من جميع الاعمال ، وسهل على يديه فتح الحصـون والقلاع ، ومكن له في البلدان والبقاع ، حتى ملك حصن شيزر وقلعة دوسر ، وهما من احصن المعاقل والحصون ، واحتوى على ما فيهما من الذخر المصون ، من غير سفك محجمة من دم في طلبها ، ولا قتـل احد من المسلمين بسببها ، واكثر ما اخذه من البلدان ، بتسلمه مـن اهله بالامان ، ووفى لهم بالعهود والايمان ، فـأوصلهم الى مـأمنهم من المكان .

واذا استشهد احد من اجناده ، حفظه في اهله واولاده ، واجـرى عليهم الجرايات ، وولى من كان اهلا منهم للولايات ، وكلما فتح الله عليه فتحا وزاده ولاية ، اسقط عن رعيته قسـطا وزادهـم رعاية ، حتى ارتفعت عنهم الظلامات والمكوس ، واتضـعت في جميع ولايتـه الغرامات والنحوس ، ودرت على رعاياه الارزاق ، ونفقـت عندهـم

الاسواق ، وحصل بينهم بيمنه الاتفاق ، وزال ببركته العناد والشقاق ، فإن فتكت شرذمة من الملاعين ، فلما علمت منه الرأفة واللين ، ولو خلط لهم شدته بلينة ، لخاف سطوته الاسد في عرينه .

فالله يحقن به الدماء ، ويسكن به الدهماء ، ويديم له النعماء ، ويبلغ مجده السماء ، ويجري الصالحات على يديه ، ويجعل منه واقية عليه ، فقد القى ازمتنا اليه ، واحصى علم حاجتنا اليه.

ومناقبه خطيرة ، وممادحه كثيرة ، ذكرت منها غيضا من فيض ، وقليلا من كثير ، وقد مدحه جماعة من الشعراء ، فأكثروا ، ولم يبلغوا وصف الائه بل قصروا ، وهو قليل الابتهاج بالشعر ، زيادة في تواضعه لعلو القدر .

فالله يديم على الرعية ظله ، وينشر فيهم رأفته وعدله ، ويبلغه في دينه ودنياه مأموله ، ويختم بالسعادة والتوفيق اعماله ، فهو بالاجابة جدير ، وعلى مايشاء قدير. والله اعلم .

يوسف بن أيوب بن شادي

الملك الناصر صلاح الدين

سلطان المسلمين ، وقامع المشركين ، فاتح البيت المقدس وبـلاد الساحل ، ومخلصها من ايدي الكافرين ، رحمه الله .

يوسف بن دوناس بن عيسى

أبو الحجاج المغربي الفندلاوي الفقيه المالكي

قدم الشام حاجا ، فسكن بانياس مدة ، وكان خطيبا بها ، ثم انتقل الى دمشق واستوطنها ، ودرس بها مذهب مالك ، وحدث بالموطأ ، وبكتاب التلخيص لابي الحسن القابسي .

كان شيخا حسن المفاكهة ، حلو المحاضرة ، شديد التعصب لمذهب اهل السنة ، كريم النفس ، مطرحا للتكلف ، قوي القلب .

قال الحافظ ابن عساكر: سمعت ابا تراب بن قيس بن حسين البعلبكي يذكر :

انه كان يعتقد اعتقاد الحشوية ، وانه كان شديد البغض ليوسف الفندلاوي لما كان يعتمده من الرد عليهم ، والتنقص لهم ، وانه خرج الى الحجاز ، وأسر في الطريق ، وألقي في جب ، وألقي عليه صخرة ، وبقي كذلك مدة يلقى اليه مايأكل وأنه أحس ليلة بحس ، فقال : ناولني يدك ، فناوله يده ، فأخرجه من الجب ، فلما طلع اذا هو الفندلاوي ، فقال : تب مما كنت عليه ، فتاب ، وصار من جملة المحبين له .

وكان ليلة الختم في شهر رمضان يخطب خاطب في حلقته بالمسجد الجامع ويدعو بدعاء الختم ، وعنده الشيخ ابو الحسن علي بن المسلم ، فرماهم بعض من كان خارج الحلقة بحجر ، فلم يعرف من هو لكثرة من حضر ، فقال الفندلاوي : اللهم اقطع يده ، فما مضى الا يسير حتى أخذ خضير الركابي من حلقة الحنابلة ، ووجد في صندوقه مفاتيح كثيرة قد اعدها لفتح الابواب للتلصص ، فأمر شمس الملوك بقطع يديه ، ومات من ذلك .

قتل الفندلاوي - رحمه الله - يوم السبت السادس من شهر ربيع الاول سنة ثلاث واربعين وخمسمائة بالنيرب تحت الربوة . وكان قد خرج مجاهدا للفرنج - خذلهم الله ، وفي هذا اليوم نزلوا على دمشق حماها الله ، ورحلوا بكرة يوم الاربعاء الذي يليه بعد اربعة ايام من نزولهم بارض قينية ، وكان رحيلهم لقلة العلوفة ، والحذر من العساكر المتواصلة لنجدة اهل دمشق من الموصل وحلب - ودفن تحت الربوة على الطريق ، ثم نقل الى مقبرة الباب الصغير ، فدفن بها ، وكان خروجه اليهم راجلا .

قال احمد بن محمد القيرواني :

رايت الشيخ الامام حجة الدين في المنام جالسا في مكانه الذي يدرس فيه بالجامع ، فاقبلت اليه وقبلت يده ، فقبل رأسي ، وقلت له : يامولاي الشيخ ، والله مانسيتك ، وما انا فيك الا كما قال الاول :

فاذا نطقت فانت اول منطقي
واذا سكت فانت في اضماري

فقال لي : بارك الله فيك . ثم قلت له : يامولاي الشيخ الامام ، اين انت ؟ فقال : في جنات عدن ، (على سرر متقابلين) «الحجر - الاية : ٤٧ »

من تاريخ آمد وميافارقين

لابن الازرق الفارقي

ذكر ولاية نجم الدين إلغازي وملكه ميافارقين(١)

قيل لما فتح ابن جهير ديار بكر ، كان الامير ارتق معه (٢) ، فلما استقر ولم يبق له موضع انفصل عنه ومضى لما جاء ملكشاة الى الشام(٣) ، وملك بيت المقدس وما حوله ، واقام بالساحل ومات هناك ، وملك بيت المقدس بعده ولده الامير سكمان ، والامير نجم الدين الغازي(٤) مدة ، وسار نجم الدين الغازي الى السلطان محمد(٥) وبقي في خدمته واقطعه حلوان مدة ، ثم اعطاه سنجر(٦) العراق ، فاقام ببغداد ، وملك الفرنج الساحل وبيت المقدس فوصل الامير سكمان الى هذه البلاد وملك حصن كيفا ، وكان ملك الامير الياقوتي ماردين ، فوصل نجم الدين الغازي الى هذه البلاد ، ومات الياقوتي ، وكان فيها من قبل الياقوتي ، فدخل تحت طاعة سكمان ، من حصن كيفا ، وبقي بها وملكها قيل الى سنة ثمان وتسعين واربعمائة الامير سكمان وبقي فيها الى ان مات الامير سكمان ، وملك بعده ابنه الامير ابراهيم بن سكمان ، فنفذ الى ماردين شمس واخذ ابنا له رهينة وبقي عنده بحصن كيفا مدة ، ثم بلغه انه رشا الى ولده وجيشه ، فلما وصل نجم الدين الغازي سلمها اليه ، وبقي الامير ابراهيم مدة ثم مات بحصن كيفا ، وولي موضعه اخوه الامير داود بعد اخيه سكمان ، وبقي مدة ، وكان الامير شمس ببلد(٧) وماردين بيده لم يسلمها الى احد ، وحضر نجم الدين وسلمها اليه في سنة سبع وخمسمائة ، وحصلت للغازي واولاده من ذلك اليوم الى الان ، واما الامير شمس فاولد الامير سنقر ، واولد سنقر يوسف ، واولد يوسف رسول ، وقيل ملك ماردين في سنة سبع وثمان وخمسمائة على ان بقي بها الى سنة اثنتي عشرة وخمسمائة ، ثم نفذ السلطان يقول له ان ميافارقين خربت واضمحلت ، وهي بلد لايرى مثله ، فنفذ السلطان الى الدزبكي رسولا يأمره ان يسلم

ميافارقين الى نجم الدين الغــازي ، فحضر وسـلمها اليه ، فـدخل اليها في رابع جمادى الاخر سنة اثنتي عشرة وخمسمائة وملكهـا ، وخرج الدزبكي ونزل على الروابي ، واقام ثـلاثة ايام ، فلمـا كان اليوم الرابع وصل رسول مجد من الســلطان يقـول له : لاتسـلم ، فوجد الامر قد فات(٨) ، واستقر نجم الدين بميافــارقين ، واظهـر العدل والاحسان الى الناس وازال عنهم الاثقال والاقساط والانزال من دورها ، وكان الناس من النزل في دورهم في شدة شديدة ، وكان اكثرها خـراب لاختـلاف الدول وتغير الاصـحاب كل قليل ، ومـن تملكهم يحيف عليهم ويظلمهم ويصـادرهم لعلمه انه لايقيم ولايدوم ملكه ، ومن حيث ملك نجم الدين الغـازي اسـتقر وطـابت قلوبهـم واستقر الناس في دورهم ، وحصلت الاجناد التي مالهم دور ينزلون بها ويضربون لهم في خرابات المدينة خركاوات(٩) ، لان اكثر المدينة كانت خرابا ، وكانت الطرقات مخيفة من الحرامية وقـطاع الطـرق بحيث انه كان لاتقدر القـافلة تمضي الى آمـد الا ومعهـا الشـحنة والخيل وكذلك الى ارزن(١٠) وحصن كيفا وحـاني(١١) ومـاردين محتاجون من يخفرهم في المسافة القريبة لخراب البلاد والضـياع ، فمن حيث ملك نجم الدين امنت الطرقات والبلادوانهزمت الحـرامية وانعمرت الضياع ، وبدأت ميافارقين في العمـارة ، وسـاس الناس احسن سياسة ، وبقي الى سـنة ثـلاث عشرة وخمسـمائة ، وملك حلب ، ولقي الافرنج وكسرهم بـطرق حلب وغنم امـوالهم ، واسر منهم خلقا عظيما ، وهي كسرة البلاط .

واما حلب فانه اخذها من سلطان شاه بن الملك رضوان ، وكان اخذها من الامير ابن (١٢) بلك

قيل وفي سنة ثلاث عشرة وخمسمائة احترق جامع آمد ، وفي سنة اربع عشرة وخمسمائة ملك نجم الدين نصيبين ، وسار اليه القاضي علم الدين بن نباتة وجملة من اهل ميافارقين ، فلقوه بهـا ، وهنوه بفتحها ، وخلع عليهم واحسن اليهم ، وعادوا الى ميافارقين .

قيل وفي سنة خمس عشرة وخمسمائة نفذ اهل تفليس الى نجـم الدين الغازي يستدعونه ليسلموا اليه تفليس وكان ملكها بيد اهلهـا من مقدار اربعين سنة ، وكان ملاكها قوم مـن اهلهـا يسـمون بنو جعفر ، من مقدار مائتي سنة ، ثم انقرض كبارهم ، واضمحلوا فعاد امرها الى اهلها الى ها هنا ، وكان كل شهر يلي امرهم منهم واحد وبقوا بذلك مدة اربعين سنة ، وكان الملك داود ملك الابخـاز والكرج قد ضايقها مضايقة شديدة واضمحلت ، وكان قد نفذوا الى السلطان طغريل بن السلطان محمد ، وكان ملك جنزى(١٤) وارزن فنفـذ لهم شحنة ، وزادت مضايقة ملك الكرج(١٥) لهـم ، وبقـوا على هذا مـدة ، فـاتفقوا ان يحملوا له في كل سـنة عشرة الاف دينار ، ويكون عندهم شحنة معه عشرة فـوارس ، فبقـوا على ذلك مـدة ، ونفذوا الى نجم الدين الغازي يسـتدعونه ، فسـار ومعـه عشـائر عظيمة ، ومعه دبيس بن صدقة (١٦) ملك العـرب ، وكان صـهر نجم الدين على ابنته جهـان خـاتون ، وكان قـد وصـل اليه في تلك السنة ، فسار بالعساكر ونفذ الى شـمس الدولة طغـان ارسـلان صاحب ارزن وبدليس(١٧) ، وكان له مدينة دوين(١٨) ، وامره ان يدخل من شرقي تفليس ، وسار واخذ معه القاضي علم الدين ابن نباته ، ومعه ولده القاضي علم الدين ابـو الفتـح الكبير ، هـو الان قاضي ماردين ، والوزير ابي تمام ابن عبدون ، وسار معه ، فوصلوا الى ارزن الروم ، وتخلف القـاضي والوزير بـأرزن الروم ، ودخـل بالعساكر من ولاية الفرس وطريق بـرياليث ، واتفقـوا ان تجتمـع العساكر اجمع على باب تفليس ، ويحضر السـلطان طغـريل مـن ناحية جنزى ، وسار طغان بن سكمان الاحدب من دوين ، ووصـل نجم الدين الى ان بقي بينه وبين تفليس الجبل مقدار نصـف يوم ، وخرج الملك داود ومعه ولده ديميطري من جانب الغـرب في عسـاكر عظيمة ، وكان يحدر عليهم من الجبل وهم في لحفه ، ولم يكن وصلت عساكر السلطان طغريل ولا شـمس الدولة الاحـدب بمـن معـه ، وتقاتلوا قتالا عظيما ، وكسر نجم الدين وقتل معه خلق كثير ، وغنم الكفار منهم غنيمة عظيمة ، وخرج نجم الدين ودبيس في نفر يسـير بحيث ان بقي عندهم من الاسرى الى زماننا ، ولقـد رأيت مـوضع

الوقعة حين دخلت الى تفليس في سنة ثمان واربعين وخمسمائة ، فاقمت بها ثم وصلت الى خدمة ملك الابخاز ، وبقيت عنده ، وخرجت معه وسرت في ولايته معه مقدار نيف وسبعين يوما ، واجتاز الى اللان وطرف الدربند والى ولاية الابخاز ولقد وصلنا بعض الايام في ولاية الابخاز الى برج واسع تحت جبل في قلعة شامخة ، ونزل الملك هناك ، وقال لي ملك الابخاز : يا فلان في هذه القلعة رجل اسير مستعرب من ذوبة الغازي ، فاصعد اليه من الغد وابصره واسأله من اين هو ، فعولت على ذلك ، وقلت اطلب من الملك ليطاقه فبت تلك الليلة ، فلما كان من وقت السحر ضرب بوق الرحيل ، لانه وصل اليه الخبر ان ارض ولايته قد تشوشت بغيابه ، فحين وصله الخبر رحل ، ورحل الناس ، ولم يقدر لي الاجتماع بذلك الرجل ، وقيل في سنة خمس عشرة وخمسمائة كانت ، والاول اصح ، الملك سكمان بحلب ، ولما كسر نجم الدين وعاد بمن بقي معه رحل ملك الابخاز بالغنائم والاسرى ونزل على تفليس وحاصرها مدة ثم هدم سورها من قبل الغرب ودخلها سيفا فاحرقها وهدمها وبعدثلاثة ايام أمن اهلها وطيب قلوبهم ووعدهم بالجميل وأسقط عنهم تلك السنة الاعشار والمؤن ، والاقساط والخراج ، وشرط للمسلمين كل ما ارادوه من الشرط الذي هو الان باق بها : انه لايعبر الى جانب المسلمين بالمدينة خنزير ولا يذبح بها ولا في سوقها ، وضرب لهم الدراهم وعليها اسم السلطان والخليفة في الوجه الواحد ، وفي الوجه الاخر اسم الله واسم النبي عليه السلام ، واسمه على جانب الدرهم ، ونادى في البلد : إن من آذى مسلما قد اهدر دمه ، وشرط لهم الاذان والصلاة والقراءة ظاهرا ، وان يخطب يوم الجمعة ويصلي ويدعي للخليفة والسلطان ولايدعي لغيرهما على المنبر ، وشرط ان حمام اسماعيل بتفليس لايدخلها كرجي ولاارمني ولايهودي ، ووصف خدمة(١٩) الكرجي في السنة خمسة دنانير ، وخدمة اليهودي اربعة دنانير ، وخدمة المسلم ثلاثة دنانير ، واحسن الى المسلمين غاية الاحسان ، وجعل لأهل العلم والدين والصوفية اكرم المنازل ، وماليس لهم عند المسلمين ، ولقد رأيت هذه الشروط كلها لما دخلت الى تفليس في سنة ثمان وأربعين

وخمسمائة ولقد رأيت ملك الابخاز ديميطري الذي كنت في خدمته وقد نزل الى تفليس وأقام بها أياما ، ونزل ذات يوم جمعة الى الجامع وجلس على دكة تقابل الخطيب ، فوقف موضعه حتى خطب الخطيب . وكل الناس يسمع الخطبة جميعها ، ثم خرج وأطلق برسم الجامع مائتي دينار أحمر ، وكنت أرى العلماء والوعاظ والاشراف والصوفية والذين يصلون يكرمهم ويعطيهم ويحترمهم ، ويعتمد معهم ماليس بمثله ، ولقد كنت أرى احترامه للمسلمين مالو أنهم ببغداد مااحترموا تلك الحرمة .

وقيل في سنة خمس عشرة وخمسمائة تزلزلت مدينة جنزى وهي كنجة وانخسف طرف منها وانهدم سورها ، فسار الملك داود بأصحابه وخيله ورجله وقصدها ، ونهب اموالهم وماكان فيها ، وقتل منهم خلقا عظيما وسبى منهم خلقا عظيما لايحصى بحيث حملت الاسارى الى تفليس على العجل من كثرتهم وسيقوا المسلمين مثل قطعان الأغنام اسارى ، ودخل بهم الى تفليس فاشترى أهل تفليس أكثرهم واطلقوهم ، وقال لي جماعة من أهل تفليس انناماافتقرنا الا من تلك السنة .

قيل وفي سنة خمس عشرة وخمسمائة قتل ممدود بجامع دمشق ودفن بالمرج ، قيل وفي سنة خمس عشرة وخمسمائة عاد نجم الدين الى ماردين ، وأقام بها سنة ست عشرة وخمسمائة وخرج الى أوشك الهينة (٢١)من باب ميافارقين وأقام هناك ومعه زوجته الخاتون بنت طغرتكين (٢٢)صاحب دمشق ، فمرض وتوفي يوم الخميس سابع عشرين رمضان ، فحمل ليلا وركب ولده الأمير شمس الدولة سليمان والخاتون ، ووصلوا متفرقين ليلا ، ووصلوا الى باب الهوة (٢٣) ، وأجلسوا الأمير على فرسه ومن ورائه رجل يسكنه ، وتقدموا وصاحوا فنزل الوالي وكان اسمه كنغلي ، ودخل شيخ ممن صحب الأمير نجم الدين من أول زمانه ، وكلمه شمس الدولة والخاتون ، ففتح الباب فقالوا : ان

الأمير مريض ، فلما حصلوا في ارض القصر صاحوا وضجوا وقالوا : مات الأمير في هذه الساعة ، وأصبح الناس ، وصعد أهل البلد ومن كان بها من الجند الى القصر وغسل الأمير وصلي عليه ، ودفن بالسندلي مدة ، ثم أخرج ودفن في مسجد الأمير شرقي قبة السلطان ، فدفن هناك ، وكان نجم الدين الغازي قد تزوج بفرخبدا خاتون بنت الملك رضوان (٢٤)لما ملك حلب ، وحقد عليها ولم يدخل بها ولا رآها ، ومات ولم يرها ، تزوجها بعده الأمير بلك ابن بهرام بن أرتق .

قيل واستقر شمس الدولة سليمان بميافارقين ، واستوزر الوزير عبد الملك بن ثابت ورد الأمور اليه ، وأخذ خرتبرت(٢٥) من الأمير بلك وبقيت معه الى أن مات ، وأخذها الأمير داود ، وأخذ بلد حزة من الأمير داود وأخذ الضياع التي أخذها حسام الدين صاحب ارزن من بلد ميافارقين .

وفي سنة سبع عشرة قتل الافضل أمير الجيوش بمصر قتلته الباطنية (٢٧)وترك والي ميافارقين في برج الملك مملوكه ختلج (٢٨) شاه ونفذ خطب سيدة خاتون بنت السلطان قلج ارسلان بن سليمان بن قطلمش ، ومضى القاضي أبو سالم بن نباته أحضرها اليه من ملطية ، ودخلت وكان ملكه بميافارقين ، وكان لما مات نجم الدين بن السعيد حسام الدين تمرتاش وولده بماردين فملك ماردين وأرزن وكان معه الصاحب الحاجب شمس الحجاب محمد اكديش ، وكان زوجه نجم الدين الغازي بأم السعيد حسام الدين .

قيل وفي سادس عشرين ربيع الآخر مات القاضي علم الدين أبو الحسن علي بن يحيى بن نباته بميارفارقين ، وولى القاضي ولده تاج الدين القضاء ، وهو أبو سالم رحمه الله ، وخلع عليه شمس الدولة وأكرمه وولاه موضع ابيه ، واستقر في القضاء ، وكان ولد لشمس الدولة ابنا اسمه محمود ، ولقد رأيته بماردين وهو في اسوأ

حال من سوء طريقته وقبح سيرته في حق نفسه وخروجه عن طاعة أهل بيته ورذالة نفسه ، وما أعلم ماكان منه .

وكان شمس الدولة أميرا عادلا حسن السريرة مقداما شجاعا ، وعاش الى الخميس سادس عشر رمضان وكان وقت العصر ، فمات في سنة ثمان عشرة وخمسمائة ودفن عند ابيه في مسجد الأمير ، واستبد الوالي ختلج شاه بميافارقين ، وحصلت له ، وتحت حكمه .

ذكر ولاية حسام الدين

قيل لما مات شمس الدولة استبد ختلج شاه بميافارقين والوزير عبد الملك ، فوصل حسام الدين وحضر بباب المدينة ، ونزل في خيم ظاهر البلد ، وراسل ختلج شاه ، وكان الأمير داود بن سكمان ، صاحب حصن كيفا(٢٩) ، هم بالخروج ، فسبق السعيد حسام الدين، وراسل ختلج شاه ، وحلف له على الذي اراد ، وحلف ان لا يغير على اهل البلد شيئا ، وأن يستوزر الوزير عبد الملك ، فحلف على ما اقترحوا ودخل في شوال سنة ثمان عشر وخمسمائة ، واستوزر عبد الملك ، واستقرحاله ، وحصل له جميع ما كان لأبيه نجم الدين ، واحسن الى الناس ، واحبوه ، واستبد بالملك ، وتزوج بزوجة اخيه الأمير اياس بن نجم الدين ، وكان له منها الاميرشهاب الدين محمد بن اياس ، وأولد منها بنتا هي صفية خاتون ، وهي أول أولاده ، وبقي مدة ، وتزوج بالخاتون بنت الامير غازي من أرزن الروم ، ووصلت الى ميافارقين ، وأولد منها الصاحب نجم الدين البي في سنة عشرين وخمسمائة ، ثم أولد الامير جمال الدين سرتي في سنة احدى وعشرين وخمسمائة ، وملك حسام الدين البلاد ، ثم أولد هدية خاتون ، ثم أولد الأمير صمصام الدين بهرام في سنة ....وخمسمائة

وملك حسام الدين حلب وبقيت معه مدة ثم أنه عاوضها ..(٣٠)..وسلم حلب وخرجت عن يده .

قيل وخرج السلطان محمود الى العراق ، وأراد الدخول فمنعه الخليفة المسترشد وجرى بينهما قتالا كثيرا ، وكسر المسترشد ونهب ما كان معه ، ودخل العراق بغير اذنه ، وبقي مدة واصطلحا جيدا .

قيل وفي سنة تسع عشرة وفي أول سنة عشرين وخمسمائة قتل البرسقي بجامع الموصل ، قتله الباطنية ، وولي ولده مسعود البلاد من ديار ربيعة وغيرها ، واجتمع بهاء الدين القاضي الشهرزوري ، ونصير الدين جقر وصلاح الدين اليغيساني وحصلوا خزانة وخدمة (٣١) ، ونزلوا الى بغداد ليخدم السلطان محمود ويقر الأمير مسعود ولد البرسقي في البلاد ، ولما وصلوا ارتأوا وقالوا : إن هذا صبي ، ولا يقوم بالملك ، وربما لا يدبر البلاد ويكون الحيف علينا ، فاقتضى رأيهم أن هم اجتمعوا بقسيم الدولة زنكي بن آق سنقر ، وكان شحنة بغداد في تلك المرة وقرروا معه ما أرادوا من مصالحهم ، واستحلفوه ان يكون لشهاب الدين قضاء الموصل وجميع البلاد وما فيها من القضاء والأمور الدينية له ، فحلف ان تكون الحجابة وامارة العسكر لصلاح الدين ، وأن تكون ولاية الموصل وجميع البلاد الى نصير الدين يولي فيها من يراه ، فحلف لهم على ذلك ، وتقرر الأمر اليهم بينهم

ثم انهم خدموا السلطان واصحابه والخليفة وأصحابه بالمال الذي وصل معهم ، وطلبوا زنكي ، فسلم اليه السلطان ابنيه ألب أرسلان والخفاجي وحصل أتابكهما ودفع له (٣٢)بالبلاد ، وسار الى الموصل ، وملك الموصل والبلاد أول سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة .

قيل وفي سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة قتل نور الدولة بلك على منبج بالشام ، وكان محاصرا لها ، فجاءه سهم فذبحه ، وملك بلاده : خرتبرت وكالوا ومنازكرد (٣٣)وما حولها الأمير داود ، وكان الأمير بلك قد اخذ هذه الولاية من بلاد جبق ، ومات ولم يعقب غير بنت ، تزوجها فخر الدين قراأرسلان بن داود .

قيل وفي سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة مات أتابك طغتكين بدمشق ، وولي ولده تاج الملوك بوري دمشق وما حولها .

قيل وفي خامس شوال سنة اربع وعشرين وخمسمائة مات السلطان محمود صاحب أصفهان ، ودفن بها ، وولي السلطان اخوه طغريل السلطنة مدة سنتين ثم مات في أوائل سبع وعشرين وخمسمائة وفيها قتل الوزير المزدغاني وبهرام والباطنية أجمع بدمشق .(٣٤)

وولي أخوه السلطان مسعود السلطنة ، قيل وكان خلف السلطان محمد أولاد جماعة منهم السلطان محمود ، وولي الأمر وحده طغريل ، وسلطان سليمان شاه ومسعود ، وسلجوق شاه ، وبهرام شاه .

قيل وخلف السلطان محمود السلطان داود ، وكان أكبر أولاده وملك أذربيجان وقتل في تبريز (٣٥)في سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ، قتله الباطنية في وسط السوق ، ودفن بتبريز .

وخلف محمد شاه وملك السلطنة من عمه مسعود وتزوج ابنته ، وخلف ملكشاه وكان في حياة عمه مسعود معه في العسكر ، وملك خوزستان ، وخلف ألب ارسلان والخفاجي مع أتابك زنكي بالموصل ، وقتلا بالموصل ، وخلف بنتا من بنت السلطان سنجر كوهار ، وعاشت الى ما يقارب سنة سبع وخمسين وخمسمائة، وأما سليمان شاه فمات ولم يعقب ، واما سلجوق فله ابن هو الآن بالموصل ، كان عند مسعود بطال بقلعة تكريت ، فلما أخذت نقلوه الى الموصل ، وهو الآن بها ، وله أولاد .

وأما السلطان طغريل فإنه خلف أرسلان شاه ، أمه زوجة الأمير ألدكز ، وهو الآن السلطان من اصفهان وهمذان وأذربيجان وأران ، الى مدينة جنزى وسملكوا .

وفي سنة اربع وعشرين وخمسمائة كسر حسام الدين وداود على سرجه تحت دارا ، كسرهم أتابك زنكي (٣٦) .

قيل وفي سنة أربع وعشرين وخمسمائة ماتت سعيدة خـاتون بنت قلج ارسلان بميافارقين ، ودفنت في القبة عند ابيها ، وكانت أمهـا زوجة الأمير ركن الدولة داود ، وبعد أيام حضر اخـوها السـلطان طغريل مـن حصـن كيفـا - وكان صـهر ركن الدولة داود على ابنته - الى ميافارقين ، واقام بالقبة ، واخذ دخلها جميعه .

قيل وفي سنة خمس وعشرين وخمسمائة مات الآمر بـأحكام الله خليفة مصر ، ولم يخلف ولدا ، وخلف امرأة حاملا .

قيل وفي هذه السنة نفذ السلطان سنجر الى زنكي أمره بـاطلاق دبيس فأطلقه ، فقصد السلطان مسعود .

وفي سنة ست وعشرين وخمسـمائة غرقـت مـراكب الأخـلاطية بالبحر بالقسطنطينية فقضى فيها جماعة من الاخلاطية .

وفيها مـات نور الدولة صـاحب فنك (٣٧) ، وولي ولده ابـو نصر .

وفيها تسلم الأمير داود قلعة قطلبس وباناسا (٣٨) .

قيل واختلف اهل مصر وماجوا وقـالوا : هـذا البيت لا يمـوت الامام منهم الا وقد خلف ولدا ذكرا منصوصا عليه بالامامة ، وهـذا لم يخلف ولدا ولا نص الا حملا ، وكان قبل موته نص على الحمـل فقالوا يجـوز النص على الحمـل ، ويمـكن أن يولد ذكرا فبقـوا ينتظرون الحمل الى أن وضـع ، فـوضعت بنتـا ، فـاختلف الناس ، وماجوا واخرجوا رجلا مـن القصر مـن أولاد المسـتنصر اسمه عبد المجيد ، ويكنى بأبي الميمـون ، ويلقـب بـالحافظ لدين الله ، في آخر سنة خمس وعشرين وخمسمائة ، وقيل هـو عبد المجيد ابن المستنصر ، وقيل هـو عبد المجيد بن ابي القاسم المسـتعلي بـن المستنصر ، وقيل لم يلدغير المستعلي للمسـتنصر، فـولي الخـلافة وأجمعوا عليه .

وانقطع النص من قبل المستعلي وأولاده ، وهو قول الاسماعيلية ، وان النص في ايامهم متصل من المستنصر الى نزار الى الآن ، وهو مذهبهم ، (٣٩) وليس أحدا منهم على الصحيح .

وبقي الحافظ في الخلافة واستقر منصب ملكه ، وليس خلافة الا في بني العباس لقول النبي صلى الله عليه وسلم في حق العباس :« أنت أبو الأملاك من أمتي الى يوم القيامة »(٤٠) وأهل مصر والاسماعيلية على الباطل ، وانما أهل الأغراض والأهواء يقولون ذلك ، ولاامام ولاخليفة الا ببغداد من آل العباس .

قيل وفي سنة خمس وعشرين وخمسمائة ملك الامير داود : أسعرد (٤١)، وباهمرد (٤٢)، وباناسا .

وفي سنة أربع وعشرين وخمسمائة لقي أتابك زنكي حسام الدين والأمير داود ، وكسروا على سرجه (٤٣) وانتحوا الى دارا ، وسار زنكي الى الشام وملك حماة وماحولها ، وحمص وقصد دمشق ، وأخذ دبيس من دمشق وعاد الى الموصل ومعه دبيس مقيدا ،

قيل وفي سنة ست وعشرين وخمسمائة قصد الخليفة المسترشد ، في شهر رمضان ، الموصل ، ونزل عليها وحاصرها مدة ، وكان بها نصير الدين جقر واليا ،

فقاتلهم الخليفة ، وكان حصنها وحفر الخندق ، وضيق عليها الخليفة ولم ينل منها مقصودا وعاد الى بغداد ، ودخلها في تاسع عشرين ذي القعدة .

قيل وفي سنة سبع وعشرين وخمسمائة مات الوزير عبد الملك

بميافارقين وولي نظر الديوان الناصح على بن أحمد الآمدي ، وكان متوليا بآمد ، فقبضه مؤيد الدين ابن نيسان وصادره بثلاثين ألف دينار ، وولي موضعه ، ووصل الى ميافارقين ، فضمن ولده أبو نصر السمرة ، وأعطى الناصح الوقف الى أن مات الوزير تولى نظر الديوان •

قيل وفي سنة ثمان وعشرين وخمسمائة وصل المؤيد أبو الحسن ابن مخطر الى ميافارقين من الجزيرة ، فبادره الوزير عبد الملك وعاقبه وأخذ منه مالا كثيرا ، وانتقل الى الجزيرة ، فلما مات الوزير عبد الملك عاد الى ميافارقين الى الاستيفاء مع الناصح .

وفي سنة ثمان وعشرين وخمسمائة وصل شرف الدين جيش ابي طالب بن جيش من أهل العراق الى خدمة السعيد حسام الدين ، وأقام عنده على أحسن سبيل الضيافة ، وكان في خدمة صلاح الدين محمد اليغيساني بحماه الى ان قبضه وعاقبه وشد معه كلبا في غرارة، وكان يضرب الكلب وينهش بدنه .

وفي هذه السنة وصل الى ماردين المكين أبو البركات بن أبي الفهم الحراني منهزما من بني عمه من حران ، وأقام عند السعيد حسام الدين على سبيل الضيافة .

وقيل خرج في شعبان سنة تسع وعشرين وخمسمائة ، وقيل في سنة ثمان وعشرين وخمسمائة خرج الخليفة المسترشد من بغداد ولقي السلطان مسعود بباب همذان الى موضع يسمى داي فنزل قريب من جبل بهستون ، ونهب العسكر ، وكان جمع السلطان خلقا عظيما ، ومعه صاحب خرتبرت ، بجيشه وعسكره ، وكان نفذ له عمه السلطان عسكرا عظيما فالتقوا ، فكسر الخليفة وأسروه وأسروا أرباب المناصب كلها ، ولقد سألت السعيد مؤيد الدين أبا عبد الله محمد بن عبد الكريم الانباري ، رحمه الله في سنة أربع وثلاثين وخمسمائة ببغداد حين نزلت اليه في هذه السنة عن حال

المسترشد والوقعة وماجرى فقال رضي الله عنه : كان قد وقع بين السلطان والخليفة في أيام السلطان محمود وخرج وكسره مرتين ، فلما ولي مسعود استطال ذوابه على العراق وعارضوا الخليفة في أملاكه فوقعت الوحشة ، وتجهز المسترشد وعزم على الخروج واتفق ان بعض الأيام دخل الوزير شرف الدين الزينبي علي ابن طراد على الخليفة وأنا معه ، وكمال الدين طلحة صاحب المخزن ، وكان الخليفة قد طرد أصحاب السلطان عن العراق ، ورتب صاحب المخزن على دار السلطان للمظالم والبلد ، فلما دخلنا ذلك اليوم ، فقال له الوزير شرف الدين : يامولانا في نفس المملوك شيء فهل يؤذن في المقال ؟ فقال : قل ، قال : يامولانا الى اين تمضي وبمن تعتضد ، والى من تلتجىء ، وبمن تنتصر ، ومقامنا ببغداد امكن لنا ، ولايقصدنا أحد الا وفينا نحن الظهر ، والعراق ففيه لنا الكفاية ، فان الحسين بن علي عليه السلام لما خرج الى العراق جرى عليه ماجرى ، ولو أقام بمكة ماأختلف عليه أحد من الناس ، فقال له الخليفة : ماتقول ياكاتب ؟ فقلت يامولانا الصواب المقام وماراه الوزير فهو الرأي فلا يقدر علينا أحد ، وليت بقي علينا العراق ، فقال لصاحب المخزن : ياوكيل ماتقول ؟ فقال : في نفسي مافي نفس مولانا ، وكان هو قد حمله على الخروج ، قال المسترشد :

وإذا لم يكن من الموت بد
فمن الغبن ان تموت جبانا

ثم استعد وجمع ، وكان قد حصل في خدمته جماعة من أمراء الأتراك وبطائنهم ومالا عظيما ، ثم خرج وخرجنا ، فلما قاربنا همذان خرج السلطان مسعود فالتقوا في موضع يسمى داي قريب من جبل بهستون ، قريب من همذان ، فلما اصطفت العساكر وهموا بالقتال ، ففر من معسكرنا جميع الأمراء والأتراك الى جانب السلطان ، فانهزم الخليفة ومن بقي معه ، ونهب العسكر وقبض

الخليفة وأرباب المناصب ، وحمل الوزير وصاحب المخزن وأنا ونقيب العلويين الى قلعة سرجهان بالقرب من مدينة الري ، ولقد رأيتها في سنة تسع وأربعين وخمسمائة لما سافرت الى الري ، ورأيتها وهي تلوح على رأس جبل عال .

وأخذ السلطان المسترشد معه ، وطاف به في أذربيجان الى أن وصل به الى مراغه ، فنزل هناك فدخل عليه ثلاثة نفر من الملاحدة (٤٦) فقتلوه ، فرضي الله عنه ، وقتل معه رجل يصلي به يسمى ابن سكينة ، يوم الخميس سادس عشر ذي القعدة سنة تسع وعشرين وخمسمائة ، وكانت خلافته سبع عشرة سنة وسبعة شهور ، وكان ولى عهده ولده أبا جعفر المنصور الراشد بالله ، وكان تخلف ببغداد ، فلما وصل الخبر الى بغداد بقتله بايعوا الراشد بالخلافة ، وقيل ان السلطان سنجر نفذ اليه من قتله ، وقيل ان السلطان مسعود نفذ استأذن عمه سنجر فأذن له في قتله فرتب له ذلك فدخلوا عليه فقتلوه ، ودفن في مدينة المراغة (٤٧) ، وكان مع السلطان في معسكره دبيس بن صدقة بن مزيد .

ورحل السلطان بعد مدة الى باب تبريز ، وركب بعض الأيام ونزل ودخل اليه سيف الدولة دبيس فضرب عنقه ، وبقي السلطان أياما وتزوج بنت دبيس ، وكانت أمها شرف خاتون بنت عميد الملك ابن جهير من زبيدة بنت نظام الملك ، وحمل دبيس الى ماردين الى زوجته كهارخاتون ، فدفن بالمشهد عند نجم الدين الغازي رحمهما الله .

وكان قد قيل ان دبيس حمل السلطان على قتل المسترشد ، قال مؤيد الدين : لما قتل المسترشد جاء السلطان مسعود ، ونفذ احضرنا عنده ، فحضر الوزير شرف الدين وجمال الدين صاحب المخزن وأنا ، وكان نقيب العلويين قد مات بقلعة سرجهان ودفن هناك ، فلما حضرنا عنده قال : ما الرأي وما التدبير في أمر

الخلافة ، من تـرون ؟ فقـال الوزير : يامـولانا الخـلافة لولي العهد ، وقد بايعه الناس وجلس واسـتقر ، وقـد بـويع له بـولاية العهد ، والآن بعد قتل ابيه ، فقال : مالى هذا سبيل أبدا ولاأقـره عليها فانه يحدث نفسه بالخروج مثل أبيه ، ونحن كل يوم مـن حيث ولي المسترشد لم يزل يخرج علينا ، وكان خرج على أخـي محمـود مرتين ، وعلي مرة ، وهذه اخرى ، ثم تـم عليه مـاتم وبقيت علينا شناعة عظيمة وسبة الى آخر الدهر ، ويقولون : قتلوا الخليفة وهم كانوا السبب في عود الخلافة الى هذا البيت ، ولاأريد يجلس الا من لايداخل نفسه في غير أمور الدين ولايجند ولايجمـع ولايخـرج علي وعلى اهل بيتي ، وفي الدار جماعة ، فـاعتمدوا على شـيخ منهـم صاحب عقل ورأي وتدبير ويلزم نفسه مايجب من طاعتنا ، ولايخرج من داره ولاتعرجوا عن هرون بـن المهتـدي ، فهـو شـيخ كبير ، ولايرى الفتنة ، وقد أشار به عمي سنجر .

وكان في الدار في ذلك الوقت سبعة أخوة من أولاد المقتدي ، ولهم أولاد وأولاد أولاد ، وبقي مـن السـبعة الى سـنة نيف وخمسـين وخمسمائة ، وكان في الدار مـن أولاد المسـتظهر سـبعة أخـوة منهم : الأمير أبو عبد الله ، وأبـو طـالب ، وأبـو نصر ، وأبـو القـاسم ، وأبـو علي ، واسـماعيل ويحيى ، ولهـم أولاد جماعة ، وكان للمسترشد أولاد جماعة ، وللراشد ، وله مقدار نيف وعشرين ولدا ، أكبرهم أمير الجيش ، وكان ولد لأبيه ، وهو ابـن تسع سنين ، ولم ير مثل هذا قط .

ولقد حدثني بعض من أثق اليه ببغداد ممـن كان يدخـل الى دار الخلافة ويطلع عليهم ان المسترشد اشـترى للراشـد لما كان عمـره سبع سنين خمس جـواري ، وأمـرهم ان يلاعبنه ويمـكنوه مـن انفسهن ويحملونه على ذلك ،فكانوا معه على ذلك الى أن صار عمره تسع سنين بلغ مبلغ الرجال ، وكان فيهم جـارية صـفراء حبشـية فـواقعها ذات يوم فحملت منه ، فبلغ المسـترشد ذلك فـأنكره وأحضرها وهددها، فقالت : والله ماتقدم إلي سواه وانه بالغ مثل

جميع الرجال ، فسأل باقي الجواري ، فقالوا مثل ذلك ، فأمر أن تحمل الجارية قطنا ثم وطئها ، فما قام عنها أخرجت القطن والمني عليه ، وكذلك فعل بباقي الجواري ، فخرج المني ، ففرح المسترشد ، فلما تم حملها وضعت أبنا فسماه المسترشد أمير الجيش وسر به سرورا شديدا ، وهذا لم يسمع بمثله إلا بالحجاز ، ويقال إن نساء تهامة يحضن تسع ويبلغ صبيانهم تسع ، وأقرب ما رؤي بين أب وابنه ما رؤي بين عمر و بن العاص وبين ابنه عبد الله ، وكان ولد له وعمره اثنتا عشرة سنة ، ولم ير مثله إلا ما ذكرناه من امر الراشد ، وكان الراشد على طريقة أبيه .

وكان بايعه الناس في آخر سنة تسع وعشرين وخمسمائة ، وكان شهما من الرجال شريف النفس ذا رأي وهمة ، فلهذا انحرف السلطان عن توليته الخلافة .

قيل وفي ذي الحجة سنة سبع وعشرين وخمسمائة قتل السلطان مسعود صدقة بن دبيس بين يديه صبرا ، فأظنه وهما لأن الذي قتله كان قراجامنكورس .

قيل ونفذ السلطان مسعود الى عمه سنجر يأخذ اذنه فيمن يولي ، فنفذ اليه يقول : لاتولي الا من يضمنه الوزير وصاحب المخزن وابن الانباري ، فاجتمع السلطان بهم وشاورهم ، واشار بهرون ، وعرفهم ما امرهم السلطان سنجر ، فقال الوزير اذا كان هذا الامر يلزمنا فنحن نولي من نراه وهو الزاهد ، العابد الدين ، الذي ليس في الدار مثله ، قال السلطان : من هو ؟ قال : الامير ابو عبد الله بن المستظهر ، فقال :

وتضمنون ما يجري منه؟ فقال الوزير : نعم ، وكان الأمير ابو عبد الله صهر الوزير شرف الدين على ابنته ، فانها دخلت ذات يوم في الدار في زمن المستظهر فرآها الأمير ابو عبد الله ، فطلبها من ابيه فزوجه اياها ، وكان شرف الدين إذ ذاك نقيب النقباء ، ودخل بها وبقيت عنده مدة وماتت عنده .

فقال السلطان ذاك اليكم واكتموا الحال لئلا ينمو الامر فيقتل المقتفي ببغداد ، ثم رحل السلطان والجماعة الي بغداد والوزير ونحن اجمع في صحبته .

قيل وكان الراشد بعد قتل ابيه قد بايعه الناس ، فاستبد واستقر ، ونفذ الى اتابك زنكي الى الموصل ، واستدعاه وضمن له ان تكون السلطنة في الملك الب رسلان بن محمود الذي عند اتابك ، وتكون الاتابكية والخلافة بحكمه ، فنزل اتابك الى بغداد ونزل بالجانب الشرقي في احدى دور السلطنة ، وبقي الى أن وصله ان السلطان قد طلب بغداد فخيم في الجانب الغربي ، ولما قرب السلطان من بغداد قريبا من النهروان حقق الراشد الحال وانه لا بد من تولية غيره ، فجمع الامراء بأسرهم الذين كانوا في الدار من بين الخلفاء في سرداب ، وتقدم بأن يطبق السرداب ، ولقد حدثني زين الدولة ابو القاسم علي بن الصاحب ، وكان هو حاجب الباب هو وابوه وجده وكان بين يدي الراشد ، قال : لما جمع الراشد الأمراء في السرداب استدعاني وقال : يا علي خذ هذا السيف ، وكان بيده سيفا ، وأقتل الجميع حتى لا يبقى من يصلح للخلافة ، فإن هؤلاء ربما دخلوا وغيروا وولوا غيري ، ثم أمر بفتح السرداب ، فالصائح جاءه فقال : ان اتابك زنكي نهب الحريم الطاهري ، وطلب الموصل في ذي العقدة .

وأما السلطان فوصل وعبر النهروان ، ولما حقق اتابك نزول السلطان بالنهروان انهزم ، فرمى السيف من يده ، ودخل الى الدار وأخذ معه من الجواهر ، ما لا يعرف له قيمة ، واعطاني مثل ذلك ، وخرج وأخرج معه قاضي القضاة الزينبي ، وكان قد استوزر رجاء الدين ابو الرضا صدقة ، فخرج وخرجنا ، ولحق اتابك زنكي على طريق الموصل .

قال السعيد مؤيد الدين رحمه الله : فلما كان بكرة ذلك اليوم دخل السلطان بغداد ودخلنا معه ، فنزل في داره ونزلنا نحن في

دورنا ، وكان دخولنا عاشر ذي القعدة سنة ثلاثين وخمسمائة ، فلما كان من الغد مضى الوزير الى دار السلطنة ونحن معه ، واستأذنه فيما يفعل ، فأخذ خطه وخطوطنا بالضمان ، ثم عدنا الى دورنا، واصبحنا يوم الاثنين سابع عشر ذي القعدة سنة ثلاثين وخمسمائة ، وحضرنا عند الأمير ابو عبد الله ، وتحدث الوزير معه ، وتحدثنا معه ، وشرط عليه القيام بأمر الخلافة وطاعة السلطان ، وأعلمناه أننا قد ضمنا ذلك من السلطان جميع ما اقترحه عليك ، فرضي بذلك ، وانفصلنا عنه ومضينا الى السلطان واعلمناه ما جرى وانه رضي بما شرطت عليه ، فقال السلطان : إذا كان من الغد فبايعوه ، فلما اصبحنا صعدنا الى الدار ، واخرجنا من الدار اشياء من الآلات التي تصلح للغناء واشياء لا تليق ، فشهد جماعة من اهل الدار انه شرب الخمر ، فأفتى العلماء بخلعه ، واعتنق ذلك القاضي عماد الدين شرف القضاة ابو طاهر احمد بن الكرجي المحتسب ، وكان قاضي أصحاب الشافعي رحمه الله ، واجتمع العلماء والأكابر فخلعوه .

ودخل اليه الوزير وصاحب المخزن وأنا وتحدثنا ، وناولته رقعة فيها ما يسمى به من اللقب ، وكان فيها : المقتفي لأمر الله ، والمستضيء بأمر الله ، والمستنجد بالله ، فقال : ذلك اليكم فقال الخليفة ما ترى ؟ فقلت : المقتفي لأمر الله ، فقال : مبارك ، ثم مد يده فأخذها الوزير وقبلها ، وقال : بايعت سيدنا ومولانا المقتفي لأمر الله أمير المؤمنين على كتاب الله وسنة رسول الله واجتهاده ، ثم أخذها صاحب المخزن وقبلها وبايعه على مثل ذلك ، ثم أخذت يده وقلت بعد أن قبلتها : بايعت سيدنا ومولانا الامام المقتفي لأمر الله امير المؤمنين على ما بايعت عليه اباه واخاه وابن اخيه في ولاية عهده ، وكنت بايعت الامام المستظهر بالله لما خدمته في وكالة الدار سنة وتسعين وبقيت الى سنة سبع وخمسمائة ، ثم وليت ديوان الانشاء وبايعت المسترشد والراشد .

ثم قمنا من عنده ودخل الى الدار ، ودخل العلماء فالفقهاء

والقضاة وأكابر الناس أجمع فبايعوه ، وحضر السلطان مسعود بعد ثلاثة أيام وبايعه وبايعه جميع اصحابه من اخواجا والأمير حاجب وجميع ارباب دولته ، واستبد له الأمر واستقر في الخلافة .

قيل وفي سنة تسع وعشرين وخمسمائة مات نجم الدولة بن مالك بالقلعة وولي بلد ، وفيها أخذ اتابك زنكي الرقة من مسيب بن مالك .

وكان وزراء المسترشد في أيامه جماعة منهم : أمين الدين اخواجا احمد بن نظام الملك مرتين ، وشرف الدين أنو شروان مرتين ، وجلال الدين ابو علي بن صدقة الى ان مات ، ووزر له شرف الدين الزينبي الى ان قتل واسر معه على ما ذكرناه

واما ما كان من الراشد فإنه خرج مع اتابك زنكي في صفر سنة احدى وثلاثين وخمسمائة الى الموصل ومعه قاضي القضاة الزينبي ، وجلال الدين ابو الرضا بن صدقة ، ابن اخ الوزير ابي علي ، وبقي عنده مدة ، فوصل معه الى باب نصيبين واقام اياما ، ثم انفصل عنه ومضى الى السلطان مسعود ليدخل عليه ، ويمضي الى السلطان سنجر ، وقيل قصد السلطان داود ودخل عليه حتى يرده الى الخلافة ، فلما قارب أصبهان خرج عليه قوم من الملاحدة ، ودخلوا عليه فقتلوه في شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة ، وحمل الى أصفهان فدفن بها في مدينة شهرستان من اصفهان على فرسخ ، ويقال انها من ابنية ذي القرنين على ما يعرف بزندورد (٤٨) على القنطرة .

وكانت خلافته من حيث بويع له بعد قتل أبيه الى أن بويع المقتفي احد عشر شهرا زائدا فناقصا ، وقيل إن السلطان نفذ من دخل عليه وقتله ، وخلف له في الدار نيفا وعشرين ولدا منهم الكبير امير الجيش ، ويقال إنه ولاه العهد قبل خروجه من بغداد .

وأما قاضي القضاة الزينبي رحمه الله فإنه عاد ونزل الى بغداد وعاد الى منصبه ، وأما جلال الدين ابو الرضا بن صدقة فإنه وزر لأتابك زنكي مدة وعزل وعاد الى بغداد ، وكان وزر لأتابك بعد موت ضياء الدين ابي سعيد الكفرتوثي .

واستقر المقتفي في الخلافة وتوطد أمره .

قيل وفي سنة اثنتين وثلاثين حاصر السلطان سلجوق شاه خلاط مدة ورحل عنها .

وفي سنة ثلاث وثلاثين خطب الأمير داود للمقتفي الجمعة ثالث عشرين المحرم .

وفي سنة ثلاث وثلاثين أسر السناسنة (٤٩) صاحب خلاط ، وأطلق بسفارة حسام الدين في جمادى الأولى سنة ثلاث وثلاثين .

قيل وفي سنة تسع وعشرين وخمسمائة مات الملك طغريل بباب دمشق وحمل الى العراق .

قيل وفي سنة تسع وعشرين وخمسمائة سافرت من ميافارقين الى ماردين ، ولم اكن قبل ذلك خرجت من ميافارقين ، وبقيت بها مدة ، ووصل تابوت دبيس وانا بمادرين ودفن بالمشهد .

وهذه السنة ماتت فيها زوجة الأمير شهاب الدين محمد بن الياس ، وكانت زوجة الأمير حسام الدين ولدت منه صفية خاتون ، وكنت بماردين هذه السنة وتزوج السعيد حسام الدين بالملكة جوهر خاتون بنت الملك رضوان ، وكانت وصلت تلك السنة من حلب ، وكانت زوجة بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار بن ارتق ، فمات بماردين ، ووصلت من حلب ومعها ولد اسمه كبك ، ويلقب مجد الملوك ، فبقيت مدة وتزوجها السعيد حسام

الدين ، وكان وصل هذه السنة تاج الدين ابو سالم بن نباتة رضي الله عنه الى ماردين .

قيل وكان في سنة ثمان وعشرين وخمسمائة نازل اتابك زنكي وحسام الدين قلعة الصور ،(٥٠) فأخذها حادي، وعشرين رجب وسلمها الى السعيد حسام الدين وقتل حمدان بن اسلم وكان اميرا مقدما من اصحاب الامير داود ، وكانت الصور للأمير داود ، وفيها وصل اتابك زنكي الى تل شيخ(٥١) واجتمع بحسام الدين ولقوا داود بباب آمد ، وكسروه ودخل الى الصور واخذها ، وفيها ملك اتابك زنكي طنزه (٥٢) ونزل تل شيخ ، ووزر ضياء الدين أبو سعيد بن الكفرتوثي لأتابك زنكي وحصل في خدمته .

وفي تلك السنة مات شمس الدولة الأحدب ، وقيل وفي سنة ثلاثين امر حسام الدين بنقض الربض والمحدثة فنقضا ، وكان قد وقع الخلف بين السعيد حسام الدين والأمير داود (واجتمع) (٥٣) وأتابك مع الأمير حسام الدين فكسروا الامير داود على باب آمد وساروا فملكوا جبل جور وبالقرنين والاسيوان (٥٤) ، واخذت من الامير ارسلان بن عبد الجبار بن أرتق وسلمها أتابك الى السعيد حسام الدين ، وانهزم الأمير ارسلان الى خدمة الامير داود .

قيل وفي سنة ثمان وعشرين نهب الأمير داود ربض طنزة وسبى من كان فيه ونهب اموالهم وهتك النساء بحيث لو غزته الأفرنج ما فعلت أكثر من ذلك .

وفي سنة ثمان وعشرين ملك السعيد حسام الدين الهتاخ على ما ذكرناه(٥٥) ، واخذها من الأمير شمس الدولة عيسى بن احمد بن نظام الدين بن مروان .

قيل وفي سنة احدى وثلاثين وخمسمائة ملك السعيد حسام الدين

الى ميافارقين ومعه حبشي بـن حبشي ، وعمـل حسـاب العمـال والمتصرفين ، وصادر اهلها وقلعهم واجحف بأهلها ، ولقي الناس منه شدة لا توصف من الشتم والجور والظلم ، وسلك بهـم اصـعب الطرق من الحيف والقهر ، وقبض الناصح الآمدي ، وكان متـوليا بديوان ميافارقين وقبض ابنه ابـا نصر ، وكان المؤيد بـن مخـطر متوليا فانهزم من يدي حبشي ، ومضى الى الجزيرة،وقبض اخاه ابـا سعيد ، وأخرج العميد ابا طاهر بن المحتسب من الحبس ، وكان له مدة محبوسا ، وأطلقه وولاه . ولقـي الناس منه شـدة ومشـقة لا توصف ، ومررت تلك السنة بالجزيرة وأقمت بها مـدة ، وعدت الى ميافارقين واجتزت بنصيبين ، ورأيت اتابك زنكي بقرب نصيبين .

قيل وفي سنة تسع وعشرين مات نجم الدولة مالك بن مالك بالقلعة (وأخذ أتابك زنكي الرقة من الامير مسـيب ، وسـار الى دمشـق وحاصرها مدة ، ثم رحل عنها)(٥٦)وفي القلعة ولده بدران بعده ، وبقي الى ان دخلت سنة ثلاثين ، وقتله اخوه الامير علي بـن مـالك وولي القلعة

قيل وفي سنة ثمان وعشرين وخمسـمائة ظهـر عبـد المؤمـن بالمغرب ، وأنا أذكر من حاله ماوصل إليّ من أمره ، وهو أن محمد ابن تومرت كان من المصامدة ، وخرج الى بلاد المشرق ، وهو شيخ عبد المؤمن بن علي الكومـي مـن جبـال السـوس الأقصى بالمغرب ، وكان محمد بن تـومرت الادريسي الحسـني خـرج الى المشرق ، وبقي مدة ، ثـم عاد الى المغـرب في سـنة تسـع عشرة وخمسمائة ، وأقام بمراكش واجتمـع اليه جمـاعة مـن الفقهـاء وناظرهم وجرى بينهـم أشـياء غير مـاجرت بـه عادة المغاربة ، وخارجا عن طريقهم وأنكر عليهم وأنكروا عليه ، ثم انهم اجتمعوا الى أمير المسلمين علي بن يوسف بن تـاشفين وقـالوا له يخرج هو مـن بيننا والا أفسـد الناس وأهلكهـم ، فتقـدم اليه بالخروج ، فخرج في سنة عشرين وخمسمائة ، ونفاه الى الجبل الى المصامدة ، وهم جنس من البربر ، وكانوا عشـيرته فـأقام بينهـم وحملهم على تـرك طـاعة أمير المسـلمين ، فخـرج اليه أمير

المسلمين ، فلقيه فكسره وقتل رأس العسكر عبد الله بن ماوية ، فخرج امير المسلمين بنفسه وجمع الجموع فلقيه وكسره وتمكن في الجبل وهو يناوشه شهر في شهر ، وهو بجبل درن (٥٧) بولاية مراكش والسوس ، واجتمع اليه خلق عظيم ، وبقي الى سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة ، ومات محمد بن تومرت وولي موضعه علي الورنشي (٥٨) وجهز العساكر وحاصر مراكش في سنة أربعة وعشرين وخمسمائة ، فكسره امير المسلمين وأزاحه من مراكش ، فانهزم الى الجبل وتحصن به ، وبقي الأمر بينه وبين أمير المسلمين يزيد وينقص الى سنة ثمان وعشرين وخمسمائة ، ومات علي الورنشي وولي موضعه عبد المؤمن بن علي الكومي ، وكان من جملة اصحاب محمد بن تومرت وتلاميذه وأصحابه ومعاضديه ، فجمع ولقي امير المسلمين وكسره وملك الجبل بأسره ، وملك ولاية أخرى .

وترك في سنة ثلاثين وخمسمائة الجبل وفتح أكثر بلاد أمير المسلمين ودانت له البقاع ، وفتح أكثر افريقية وبلادا من الأندلس ، وفتح أكثر بلاد أمير المسلمين وفتح من الفرنج مواضع كثيرة ، وبقي الى سنة أربعين وخمسمائة ، ولقي امير المسلمين تاشفين بن علي بن يوسف فكسره وقتل خلقا كثيرا ، وأسره وقتله وتوطدت له البلاد ، وفتح أكثر المغرب وهابه الناس ، وفتح أكثر المدن ، وكان لايفتح مدينة الا قتل كل من فيها ، وكان يقول : أنا صاحب الزمان ، وملك في سنة اثنتين وأربعين مدينة تونس ، وهي من أعظم مدن المغرب ، وقد ذكرت في كتاب المسالك والممالك أن دور سورها واحد وعشرين ميلا .

وفي سنة احدى وثلاثين ، في رابع ذي القعدة تسلم الأمير داود حاني من الأمير ساروخ ، وأعطاه اقطاعا وأقام في ربض حاني الى أن مات ، ودفن في حاني .

قيل وفي سنة احدى وأربعين وخمسمائة ملك عبد المؤمن بن علي

ولاية بني حماد وأجلاهم عنها ، وفي سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة فتح المهدية وملكها ولم يبق له منازع ولا من يساويه ولا من يقاومه ، وبنى مدينتين عظيمتين احداهما مرسى وسماها المهدية والأخرى بريني (٥٩)، واستقر في ملكه وبقي يفتح من بلاد الافرنج طرفا طرفا الى أن مات في سنة أربعين وخمسمائة ، وبقي اولاده من بعده في الملك ، ويقال انه خلف نيفا وأربعين ولدا ذكورا .

قيل وفي سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة خرج ملك الروم من القسطنطينية الى الشام ، وملك بزاعة (٦٠) ، فانه حمل أهلها بأسرهم ، وسبى كل من فيها ، ونهب ماكان بها ، وحط على حلب وحاصرها ، ولقيه أتابك زنكي ، وبقي في وجهه ، وسارت اليه عساكر ديار بكر وديار ربيعة أجمع ، ونفذ الأمير داود ولده معه عساكر التركمان ، فرحل من حلب وعاد الى بلاده .

وفي هذه السنة مات بهاء الدين أبو الحسن بن علي بن الشهرزوري بالرقة ودفن بها ، ووصل نعيه الى الجزيرة ، وكنت بالجزيرة ، وفي هذه السنة أقمت بها مدة وعدت الى ميافارقين .

وفي سنة اثنتين وثلاثين اصطلح زنكي مع صاحب دمشق وتزوج بأمه ، وفيها تسلم زنكي حمص ،وقتل خيرخان صاحبها ، وفيها قتل شهاب الدين صاحب دمشق وولي ابنه .

قيل وفي سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة نهب الأمير داود ارزن ، وسبى أهلها ونهب أموالهم ، وأباح الجند كلها ،وكان بها ، وجرى عليهم أكثر مما جرى على أهل طنزة ، ولقي الناس منه مالا يوصف .

ووصل السعيد حسام الدين الى ميافارقين ، ووصل اليه حسام الدولة قرتي بن الأحدب صاحب ارزن .

قيل وفي شوال سنة ثلاث وثلاثين توفي شوتكين المرجي صاحب حران ، وقصدها أتابك وتسلمها .

وفي هذه السنة كسر حسام الدين الافرنج في شبختان ، وأخذ القافلة من باب الرها ، وكنت في هذه السنة بآمد .

وفي هذه السنة اصطلح السعيد حسام الدين وأتابك زنكي وأخذ دارا ، وتزوج بصفية خاتون بنت السعيد حسام الدين ، وحملت في سنة أربع وثلاين وخمسمائة الى الموصل ، وكنت بها .

وأقمت بميافارقين الى آخر سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة ، وانحدرت الى بغداد واجتمعت بالسعيد مؤيد الدين أبي عبد الله محمد بن الأنباري رحمه الله ، ووصلتها في شهر ربيع الأول سنة أربع وثلاثين وخمسمائة ، لأنني كنت أقمت بالجزيرة والموصل مدة ، وأقمت ببغداد مدة ستة أشهر ، ورأيت الخليفة المقتفي لما بايعه اخواجا عن الملك ، ودخل الخليفة المقتفي بأخت السلطان ، فكنت ببغداد وحضرت باب الحجرة ، واملاك السلطان مسعود بابنة الخليفة المقتفي ، وخطب قاضي القضاة الزينبي ، وكمال الدين صاحب المخزن ، ورأيت جماعة من كبار أهل العراق ، وقرأت على الشيخ ابي المظفر بن الشهر زوري العطار الفرائض وقرأت الفصيح والعمدة على الشيخ ابي منصور الجواليقي ، وقرأت التنبيه على الشيخ أبي الحسن ولقيت الشيخ ابا منصور الحمال وجماعة الفقهاء من الشيخ عبد القادر بن الفراوي ، وأولاده قاضي القضاة الدامغاني ويوسف الدمشقي وجماعة من أصحاب الحديث منهم : القاضي أبو بكر قاضي البيمارستان ، وابن السمرقندي وعبد الوهاب الأنماطي وجماعة كثيرة ، وسمعت عليهم وقرأت على الشيخ ابي محمد ابن بنت الشيخ القرآن ، وعلى الشيخ عبد الوهاب الخفاف ، وأقمت ببغداد وزرت جميع المشاهد بها ، ونزلت الى المدائن وزرت قبر سلمان

الفارسي ، وأقمت ببغداد الى خامس محـرم سـنة خمس وثـلاثين وخمسمائة ، وكان شرف الدين الزينبـي في الوزارة ، فغضـب في آخر سنة أربـع وثـلاثين وخمسـمائة ، ومضى الى دار السـلطان مغضبا ، وأقام بها ، ونفذ الخليفـة الى السـلطان خـادما اسـمه نجاح ، استأذن في عزله ، وناب في الوزارة قاضي القضاة الزينبـي مدة ، وناب بعده مؤيد الدين سديد الدولة ، ووصل امـر السـلطان بعزله في سنة خمس وثلاثين وخمسمائة ، وولى الوزاوة نظام الدين أبا المظفر ابـن الزعيم بن جهير ، وكان اسـتاذ الدار ، واسـتقر بها .

قيل وفي سنة أربع وثلاثين وخمسمائة ملك اتابك زنكي قلعة بعلبك ونزل على دمشق وحاصرها مدة ، ثم سلموا اليه قلعة بصرى .

قيل واستقال صاحب المخزن كمـال الدين ومضى الى مـكة وولي موضعه قـوام الدين بـن صـدقة ، ولزم شرف الدين الزينبـي داره ، وكان صـاحب الديوان صـفي الدين بـن الزوان الهاشمي ، واستقر نظام الدين في الوزارة ، ثم عدت الى ميافارقين في أوائل محرم سنة خمس وثلاثين وخمسـمائة وعبـرت بـالموصل وحصن كيفا فصادفت الأمير داود وقد وقع بينه وبين السعيد حسام الدين ، ونهب بلد ميافارقين في محرم سنة ست وثلاثين ، ونزل على باب المدينة وأقام بها ثمانية أيام ثم رحـل الى تـل شـيح وأخـذها وأقطع البلد ، وكان السعيد حسام الدين قد خرب قلعة فشاط (٦١) وأخذها وسباها وأقطع الجبـل جميعـه ، وبقـي كل يوم يغير مـن الموضعين الى بـاب المدينة وتـؤخذ ثياب الناس في النهـار ، وكان حبشي في البلاد والحـاجب يوسـف ينال في الولاية وسـاس الناس وحفظ البلد ، وبقي الامـر كذلك الى آخـر سـنة خمس وثـلاثين وخمسمائة ، وفي سنة ست وثلاثين اصـطلح الأمير داود والسـعيد حسـام الدين ، ووصـل الأمير داود الى ميافـارقين ، ودخـل القصر ، واتفق ان وقع الاتفاق بينهما .

قيل وفي منتصف جمادى الأولى سنة ست وثلاثين وخمسمائة مات الأمير سعد الدولة بالبلدي بن ابراهيم صاحب آمد ، وكان مؤيد الدين نيسان يتولى آمد ، فرتب ولده شمس الملوك محمود في الامارة وقررها ، وكانت أمه يمنى خاتون بنت نجم الدين الغازي ، وكان حسام الدين خاله ، وكنت في هذه السنة بآمد وكنت في صحبة والدي رحمه الله .

وقيل في سنة ست وثلاثين وخمسمائة قتل شمس الملوك بدمشق .

قيل وكان شرف الدين الحبشي والعميد أبو طاهر بن المحتسب لما عاد المؤيد أبو الحسن بن المخطر الى خدمة السعيد حسام الدين قبضه حبشي في سنة أربع وثلاثين ، وبقي في القبض ، فقتل أخاه الرئيس أبا سعيد تحت العقوبة وبقي الى آخر سنة ست وثلاثين ، ونفذ أتابك زنكي الى حسام الدين يقول : ان كان رسل تصلني منك او تصلك مني ، لاينصحوك ولاينصحوني ، فان اردت اتفاقنا فنفذ الي حبشي ، فنفذه اليه ومعه الحاجب ناصر ، ومعه جماعة ،فلما لقوه انزلهم ، وبقي ثلاثة أيام ، ثم ولى شرف الدين حبشي الاستيفاء وخلع عليه الجبة الأطلس والبردان بالذهب العراقي والفرس بالمركب ، وعادت الرسل الذين مضوا معه ، ثم انه تضمن لأتابك زنكي أخذ البلاد ، وقاطعه في ذلك فقال :لي من قد حلف لي ، ومتى وصلنا الى البلاد سلمتها اليك .

وفي هذه السنة قبض السعيد حسام الدين على الأجل أبو الوفاء ابن السرطان وحبسه مدة ، ثم قلع عينيه ، ورمى به من رأس قلعة ماردين الى الميدان .

قيل وفي سنة سبع وثلاثين وخمسمائة صعد أتابك زنكي الى ديار بكر ، ودخل الى ولاية الأمير يعقوب بن السبع الأحمر فقصد حيزان

والمعدن وايزون وبطليس ، (٦٢) واخذ جميع الولاية ، وكنت ، بالموصل في هذه السنة .

وفي سنة ثمان وثـلاثين وخمسـمائة قصـد أتـابك زنكي البلاد ، ووصل الى بلد ماردين ودخل الى تل بسمى (٦٣)على أنه يدخل الى ولاية آمد وميافارقين ، وكان قـد ملك حـاني واسـعرد وجبل جور وبالقرنين ، وجميع تلك الولاية أخذها بعد صـلح الأمير داود ، ونزل في الزيتون الذي في تل بسمى ، فلما كان بعض الليالي دخل على حبشي في الخيمة : وشك الشافعي ومحمد ابن أبي المكارم الحلبي وضرباه بالسيوف ،(٦٤)واخذا رأسه وسارا به الى السعيد حسام الدين ، ووقعت الصيحة واختبط الناس والعسكر ، وأصبح أتابك من غدوه فرحل وعاد الى نصيبين

قيل وفي يوم الأحد تاسع عشر محـرم سـنة تسـع وثـلاثين وخمسمائة مات الأمير داود بحاني ، وحمل الى حصن كيفا ، وعبر تابوته يوم الاثنين وحط بجـامع المحـدثة ،(٦٥) وخرج اليه الناس والقراء وحمل من غدوه الى حصن كيفـا ، وملك بعـده ولده الأمير فخر الدين قرا أرسلان حصن كيفا وخرتبرت وبالو (٦٦) وملك ولده ارسلان تغمش قلعة منازكرد ، وقصد اتابك ولاية الأمير داود فملك اسعرد وباهمود وطنزه وبـاناسا ، وجميع الولاية المتصـلة بـولاية المعدن ، وعبر الى الولاية الأخرى وذلك حاني وجبل جور وبالقرنين والسيوان ، فنزل وملك ارقتين والهالار وتل خوم ، وجرموك وجميع ذلك غير خرتبرت وبالو ومنازكرد وبقيت بيد أولاد الأمير داود(٦٧)

وفي هذه السنة قتل السلطان داود بسوق تبريز ، وفي هذه السـنة تزوج ارسلان تغمش بن داود بهدية خـاتون بنت السـعيد حسـام الدين ، وحملت إليه إلى منازكرد ، ووقع الخلف بين اتابك وحسام الدين

ومضى أتابك ونزل الى الرها وحاصرها مدة ، ثم فتحهـا عنوة في

خامس والعشرين من جمادى الآخر ، وكان ثالث عشرين كانون الاول سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ، وكان أخذتها الافرنج بعد موت تاج الدولة (٦٨) في سنة اثنتين وتسعين واربعمائة ،وكان لها بأيديهم سبع وأربعين سنة ، ثم رحل عنها بعدما رتب أمرها ونزل الى البيرة (٦٩)فحاصرها مدة ،وكانت النصارى يقولون : إن اتابك يقتل ليلة الميلاد ، وكانوا ينتظرون ذلك ، وكان فتحها ليلة الميلاد ، وسلم أتابك وكذبوا .

قيل وبقي يحاصر البيرة مدة فوصله الخبر ان نصير الدين جقر وصل الى الموصل وقتل ، وكان قتله غلمانه في ثامن ذي القعدة سنة تسع وثلاثين وخمسمائة فرحل اتابك عن البيرة ، ونزل الى الموصل وقرر حالها ، ورتب فيها زين الدين علي الوشك .

وكان في سنة تسع وثلاثين مات الأمير كرج غازي صاحب البارعية (٧٠)بآمد ،وكان لقي الناس من نصير الدين شدة من الجور والظلم والقتل والمصادرات والأقساط ، فلما ولي زين الدين أزال ذلك جميعه فأحسن الى الناس والرعايا في جميع البلاد ، ورأى الناس منه كل خير الى أن مات في سنة اربع وستين وخمسمائة .

وكان في شهر رجب سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة استدعى علم الدين أبي الفتح محمد بن علي بن نباتة الى ماردين وولاه الأمير حسام الدين قضاء ماردين ، وولى أخاه بهاء الدين خطابه ميافارقين ، وكان قاضي ماردين مجد الدين داود بن القاضي السديد ، فعزل في تلك السنة وولي علم الدين ، وكان المؤيد أبا الحسن بن مخطر المستوفي المتولي لذلك ، وبعد يومين ولي الخطابة بماردين وكان بميافارقين له الخطابة ، فولي قضاء ماردين واستقر وأقام بها ، ونقل أهله وأولاده الى ماردين ، وهو بها الى الآن .

وكان وصل الى ماردين مكين الدولة ابراهيم بن منقذ فأقام في ضيافة السعيد حسام الدين مدة ، ثم إنه بعد يومين من ولاية علم

الدين قضاء ماردين ولي حسام الدين الوزارة - سنتان - المهذب البغدادي ، وكان ناسخا بمشهد ماردين ، وهو أبو عبد الله محمد ابن محمد العراقي ، وكان يقول : أنا ابن بنت المعوج من اهل بغداد ، وكنت في هذه السنة بماردين ، وكان السعيد

حسام الدين في أول ولايته بميافارقين نقل شمس الدين الغازي وشمس الدولة أخاه من مسجد الامير الى ماردين ، ثم دفنهم بقلعة ماردين في مسجد الخضر بالقلعة ، وكان في ذلك الموضع تربه فيها جماعة من مات في ايام الغازي ، فدفن الغازي وشمس الدولة هناك مدة ، ثم ان السعيد حسام الدين بنى تحت ربض ماردين عند عين باقيري (٧١) مشهدا مليحا ، وبنى فيه تربة ، وغرم عليها مالا عظيما ، ووقف عليها الوقف ، وحط المقابر اليها ، ودفنوا فيها جميع الذين كانوا بالقلعة أولا وأخيرا ، ونفذ اليها البسط والستور والالات وجمع فيها خزانة كتب ، وحصل فيها كتبا كثيرة ، وهي الى الآن بها .

قيل وفي سنة تسع وثلاثين وخمسمائة انهدمت عمارة جسر اقرامان ، ومن سنة ثمان وأربعين ، وفيها انهدمت البدنة داخل ميافارقين ، وبنيت .

قيل وفي سنة أربعين قبض الوزير المصري ، وحبس في قلعة ماردين فحصل عنده في الحبس ثياب خام ، وخرج من الحبس وشدها في وسطه وتدلى من قلعة ماردين وانهزم ، فلما أصبحوا طلبوه فلم يصادفوه ورأوا الخام مشدودا ، فطلبوه فوجدوه في طرف الجبل ، فحملوه الى السعيد حسام الدين فأطلقه وصرفه ولم يسيء اليه .

قيل وفي سنة اربعين وخمسمائة كسر السعيد حسام الدين فخر الدين قرا ارسلان على باغين (٧٢) وكان يوما عظيما مشهودا ، وكانت الكسرة والفتح لشهاب الدين محمد بن الياس بن الغازي ، فإنه كان رأس العسكر مع عمه حسام الدين .

وفي سنة اربعين وصل اتابك زنكي الى ميافارقين وأخذ تل شيح ، وضايق ميافارقين مدة ، ثم سار

قيل وفي سنة اربعين وخمسمائة وصل الشيخ نور الهدى سليمان ابن عمر العلوي من أسعرد الى ميافارقين ، وكان حسام الدين بالبلد ، فخرج أهل ميافارقين بأسرهم ولقوة مقدار فرسخ ، وخرج الأمير فلقيه عند قبة السلطان ، وكان فاضلا عالما ، ونزل عند تاج الدين رحمه الله في دار علم الدين ، وبعد يوم نزل الأمير اليه ، ولم يقم له ، وجلس في الجامع ووعظ وتكلم وافتتن الناس به ، وبلغ من الأمير مبلغا عظيما ، وكان في اوفى منزلة ، وحصل اذا كان الأمير بميافارقين كان معه واذا سار الى ماردين سار معه ، وكان يقيم حيث أقام الأمير ، وحصل له الناموس العظيم بحيث انه مدة مقامه عند الأمير لم يقم له يوما قط ، وحصل يبدو منه ما لايليق بمثله ، ونقص في اعين الناس ، وسار الى الشام ، وبقي مدة ، وأخذ قلعة ابي قبيس ، ووقع بينه وبين الاسماعيلية ، وعاد الى السعيد حسام الدين وأقام مدة وكان أطمع السعيد حسام الدين في عمل الكيمياء ، ولم يصح منه شيء ، ومضى الى اسعرد وأقام بها مدة الى شهر ربيع الأول سنة ست واربعين وخمسمائة ، فدخل الى الجامع وكان يوم الجمعة ، فوثب عليه رجلان من الاسماعيلية ، وضربه احدهما بخنجر فضربه بسيف كان بيده فوثب عليه رجل فضربه بسكين فوقع واختبط الناس وقبض الذي ضربه ورفيقه ، وبقي الى يومه ومات رحمه الله ودفن بأسعرد في مسجد الخضر عليه السلام وقتلوا الذين قتلوه .

قيل وفي سنة اربعين وخمسمائة اتصل المولى نجم الدين المالك الى خاتون بنت الأمير أحمد بن سكمان صاحب أخلاط وكانت أخت شاه ارمن لأمه،وبنت ، ووصل صفي الدين بن رشيق وأثير الدين عباد بن ابي الفتوح وسراج الدين بن كامل غازي ، وجماعة من أكابر دولة بيت سكمان ، وأقاموا اياما بميافارقين وساروا الى ماردين وعادوا ومضى القاضي علم الدين ابو الفتح محمد بن نباته

ومعه أكابر الدولة الى أخلاط في سنة احدى واربعين وخمسمائة واحضروا الخاتون ، وكان العرس بماردين ، وحضر أكابر دولة اخلاط .

قيل وفي سنة احدى واربعين وخمسمائة شرع السعيد حسام الدين رحمه الله في بناء جسر أقرمان (٧٣) على القنطرة بتولي الزاهد ابن الطويل ، واستقرت قواعده من الجانب الشرقي وقلعة المد واخربه ، وضعف عمله وأخربه والزم الزاهد بعمارته ، فأخرج عليه ، ثم وليه الأمير سيف الدين شيرباريك بن محمد ، ودبر على ابن ارتق ، وشرع في عمارته بتولي ابي الخير الغاسول ، وأحضر اخشابا لم ير مثلها ، وابتدأ في عمارته ، وهو من العجائب التي بنيت في كل الزمان ، وبقي العمل فيه .

وفي سنة احدى واربعين وخمسمائة نازل اتابك زنكي قلعة جعبر ، وفيها سيف الدولة ابو الحسن علي بن مالك ، وضايقها مضايقة شديدة حتى أشرفت على الأخذ ، وكان جمال الدين سربي ولد السعيد حسام الدين في خدمته ، ومعه عسكر ، وكان قبضه وحبسه في بيعة ربض القلعة ، ولقد سألت الوالي الصدر الكامل قاضي القضاة كمال الدين ابو الفضل محمد بن عبد الله الشهرزوري أدام الله ظله في سنة اربع واربعين وخمسمائة بالموصل عن قتل اتابك ، وما جرى فقال :كنا نازلنا القلعة مده ، فلما كان بعض الأيام خرج بعض الأيام حسام الدين المنبجي وصاح :لدي ما أكلم الأمير علي فتراءى له من على السور وقال له : تعلم ما بيني وبينك ، وإنك تعرف ايش هو ، ومالك من تلتجيء اليه ، ولا من يصرفه عنك ، والرأي ان تسلم ، وإلا إن أخذنها بالسيف يجري ما لاتقدر على دفعه ، وبعد هذا ايش تنتظر ؟ فقال له : يا امير حسان انتظر الفرج من الله تعالى ، وما انتظرت على منبج لما حاصرها الامير بلك وكفاك الله أمره ، فقال كمال الدين : والله ما كان الا تلك الليلة نصف الليل ، وكان ذلك اليوم الاربعاء خامس شهر ربيع الاول — وقيل تاسعه — سنة احدى واربعين وخمسمائة والصائح

من القلعة يصيح : قتل اتابك يا بن حسام الدين لك البشرى ، فاختبط الناس وماجوا .

وكان سبب ذلك ان الامير اتابك كان يبيت في الخيمة وعنده خادم ، فما كان يبيت عنده غيره ، فلما نام تلك الليلة قتله الخادم في الخيمة ، فأخذ السكين بالدم وخرج وطلع الى الربض الى تحت القلعة وصاح اليهم : قتلت اتابك ، فلم يصدقوه فأراهم السكين وعلامة أخرى كان اخذها من عنده ، فأصعدوه اليهم ، وحققوا الحال منه ، وصاحوا فاختبط الناس واختلفوا وقصدوا مخيم جمال الدين الوزير فنهب وانهزم وجاء الي ، وقصدني الأمراء والكبار وركبت وقالوا : ما رأي الملك ؟ فقصدوا وقصدت خيمة الملك الب ارسلان بن محمود ، وقلت:انا والناس واتابك غلمان الملك والبلاد له والكل خدمه ومماليك السلطان ، فاجتمع الناس على الملك ، واطلق جمال الدين سربي من البيعة وسيروه الى ماردين ، وتفرق الناس فريقين : واخذ صلاح الدين محمود بن ايوب اليغسياني نور الدين محمود وعسكر الشام ومضوا الى الشام فملك حلب وحماه ومنبج وحران وحمص وجميع ما بيد اتابك من الشام ، واستقر به ، وسرنا نحن مع الملك وعساكر ديار ربيعه فطلبنا الموصل ، فوصلنا الى سنجار وانهزم الملك وطلب الجزيرة ، فلحقه اخي تاج الدين ابو طاهر يحيي رحمه الله ، وعز الدين ابو بكر الدبيسي ، وحلفا له ورداه الى المعسكر .

ونزلنا الى الموصل ، ووصل سيف الدين غازي بن اتابك من بلد شهرزور وكانت اقطاعة من السلطان ، فملك ديار ربيعة بأسرها ، وحمل الملك الى قلعة الثلو عند سنجار ، وملك الموصل وجميع البلاد ، وسيف الدين غازي استوزر جمال الدين محمد بن الاصفهاني ، وكان مستوفي ديوان ابيه ، وأقطع الجزيرة لعز الدين ابو بكر الدبيسي ، واستقر في البلاد .

وتولى أمر نور الدين: صلاح الدين وأسد الدين

شيركوه ، واحتجب مجد الدين أبا بكر بن الداية ، وكانت امه داية ذور الدين ، وهي ربته ، وكان مجد الدين يخدمه من صباه ، فلما ولي الأمير رد اليه الأمر ، وولاه حلب ، واستقر في الشام (٧٤)

وبعد ايام من قتل اتابك ، وثب أهل الرها من الارمن على من كان بها من المسلمين وقتلوا جماعة ، ووصل عز الدين الدبيسي وحسان المنبجي وجماعة من التركمان ، وتكاثروا عليها ونهبوها وفتحوها وقتلوا منها خلقا كثيرا ، وأقام بها جماعة .

وكان عند قتل اتابك السعيد حسام الدين بميافارقين ، فوصله الخبر العصر وهو في بستان المحوط ، فسار من وقته ، وكان قبل ذلك اليوم وصله الخبر بقبض ولده جمال الدين فضاق صدره ، ثم وصله الخبر بقتله ، وسار الى حاني فنازلها وبقي عليها مدة ، ثم أخذها ، وكان فيها الأمير غازي بن المهري ، فتحها ثالث عشرين شهر ربيع الآخر سنة احدى واربعين وخمسمائة ، وسار فأخذ السيوان وجبل جور وبالقرنين ، ونزل فأخذ شبختان الموزر وتل موزر وجملين (٧٥) وراس عين الخابور ، وعاد .

وكنت في هذه السنة بماردين ، وسار فخر الدين قرا ارسلان وملك . أرقنين وجرفوك ، وتل خرم والهالار ، وجميع الحصون التي كان اخذ اتابك من ابيه الأمير داود ، وملك جانب الشرقي من اسعرد وبهمرد وباناسا وطنزه والروق ، وقطليس وبلد صاف وقلعة الهيثهم التي في جبل طور عبدين(٧٦) ونزل صاحب اخلاط شاه ارمن فملك حيزان والمعدن وايرون ، وجميع الولاية التي أخذ اتابك من الامير يعقوب .

وفي هذه السنة اثنتين واربعين وخمسمائة ضرب السعيد حسام الدين الفلوس الصغار ، ومضيت الى المعدن واشتريت صفرا برسم الفلوس .

وفي سنة ثلاث واربعين مات غلان تغمش بن الامير داود ، ونازل السعيد حسام الدين اسعرد اياما واخذ باناسا ، وكان وصل الى خدمته جمال الدين محمود صاحب آمد وجمال الدين ابو القاسم بن نيسان وكان معه على اسعرد فلما اخذها عاد الى ميافارقين ، وبعد مدة ردها الى فخر الدين ، وفي هذه المدة (ملك) فخر الدين قرا ارسلان منازكرد ، وعادت هدية خاتون الى ميافارقين .

وفي هذه السنة وقع الخلاف بين السعيد حسام الدين ، وابن اتابك سيف الدين غازي ، ونهب بلد ماردين ، ونهب مماليكه جماعة .

وفي هذه السنة وصلت الخاتون بنت عز الدين سلتق صاحبة اخلاط الى حصن كيفا طالبة الحجاز ، فأنزلها فخر الدين قرا ارسلان ، وأحسن في اكرامها ، ووصل بهاء الدين الوزير ، وأثير الدين عباد ، وعلم الدين بن طبز قاضي أرجيش ونزلوا في دار المؤيد مخطر بميافارقين ، وأقاموا أياما ، ونفذ السعيد حسام الدين الى فخر الدين ، ومنعوا الخاتون من المسير الى الحجاز ، وكان شاه ارمن سألهم ذلك ، فسألوا الخاتون حتى عادوا جميعا الى اخلاط .

وفي هذه السنة مات المؤيد المستوفي أبو الحسن المبارك بن مخطر ، وكان متولي الديوان ، وكان معه المهذب العراقي مشرفا ، ودفن في ماردين في البيعة التي بناها ، وولي موضعه ولده الاجل كريم الدولة أبو منصور خالد وتلقب لقب أبيه مؤيد الدولة ، كريم الملك ، وأقام بشرائط الخدمة وتابع مافوض اليه ، واستقل وزاد على مايرجى منه ، وحصل الأمور كلها بحكمه .

قيل وفي سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة مات الخليفة الحافظ بمصر وولي موضعه ولده المنصور اسماعيل وتلقب بالظافر ، وكان

السلطان أمير الجيوش العادل السلار من المختنى ، وقرر أمر الدولة ورتب العساكر ، واستقر الظافر بالخلافة (٧٧)

وقيل في سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة قبض اتابك غازي على القاضي كمال الدين وتاج الدين ابني عبد الله الشهرزوري ، وكان أمر الدولة من حيث قتل اتابك زنكي اليه ، فسعى جمال الدين الوزير وزين الدين في ذلك وقبضا عليهما ، ورفعا الى قلعة الموصل ، واستحضروا القاضي نجم الدين ابا علي بهاء الدين بن الحسن بن علي بن القاسم الشهرزوري من الرحبة ، وكان بها متولي القضاء ، فانه لما مات بهاء الدين الشهرزوري في سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة بالرقة على ماذكرناه ، ولي قضاء بلاد أتابك أجمع ولده القاضي نجم الدين أبو الحسن بن علي ، وولى ابن أخيه شمس الدين أبو أحمد الموصل ، وولى كمال الدين قضاء نصيبين والعسكر ، وولى تاج الدين أبو طاهر قضاء الجزيرة ، وولى شرف الدين ، أخو بهاء الدين سنجار ، وكل منهم ولي مستقلا من غير نيابة ، فانهم كانوا جميعهم في هذه المواضع نيابة عن بهاء الدين ، فلما مات تولى هؤلاء هذه البلاد ، وولي نجم الدين ولد بهاء الدين باقي البلاد اجمع والقضاة ، وبقي الى سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة ، وتولى شمس الدين أبو أحمد موضع قاضي القضاة بالموصل ، وخدم (٧٨)نجم الدين ،فأخذ قضاء الموصل مضافا الى ماكان بيده ، وبقي الى سنة خمس وثلاثين وخمسمائة ، وقبض نجم الدين متولى نصيبين وصودر وحبس ، وعوقب عقوبة عظيمة ، وأخذ منه مصادرة مايقارب مائة وثلاثين ألف دينار أميرية (٧٩) ، وولي كمال الدين أبو الفضل محمد بن عبد الله الشهرزوري البلاد جميعها ، واستقر بالامر وحصلت الولاية من القضاء والبلاد والعساكر وجميع الامور مردودة الى كمال الدين الى أن قتل أتابك على ماذكرناه ، وبقي نجم الدين في الحبس مدة اربع سنين ، ثم ان القاضي كمال الدين توصل في اخراجه وولاه قضاء الرحبة ، فانه كان في أيام أبيه بهاء الدين وبقي فيه الى أن قبض كمال الدين على ماذكرناه ، وحضر وولي الموصل ورتب ولده الاكبر بهاء الدين على

ماذكرناه بالرحبة ، واستقر هو بالموصل ، وبقي كمال الدين وتاج الدين في حبس الموصل بالقلعة مدة ، فنفذ الامام المتقي الخليفة رحمة الله عليه جماعة رسلا الى الموصل ، فتوصلوا في اخراجهما الى دورهما ، ورتب على باب كل واحد منهما رجلين خراسانية بحيث لايدخلون ولايخرجون ، وأخذ ولد كمال الدين أبو أحمد الجلال ، وتاج الدين أبو الفضائل الضياء وحبسا في قلعة الموصل ، فاستبد نجم الدين بقضاء الموصل ، وأقطع عز الدين أبو بكر الدبيسي الجزيرة ، ورتب فيها قاضيا يعرف بابن حمزة من أهل دقوقاء مدة (٨٠)

قيل وكانت في سنة ست وثلاثين وخمسمائة ولي الوزير نظام الدين أبو جعفر ، وقتل المظفر شرف الدين الزينبي ، وولي قوام الدين بن صدقة المخزن على ماذكرناه ، وبقي الوزير الى سنة احدى وأربعين وخمسمائة في الوزارة ، ومضى الى مكة ، وعاد الى بغداد .

وفي هذه السنة حج بهاء الدين أبو طاهر بن عقيل بن طاهر بن نباتة من ميافارقين ودخل الى بغداد وحضر دار الخلافة ، وأورد فصلا بحضور الوزير نظام الدين ورشيد الدولة بن الأنباري رحمهما الله ، وجميع أرباب دولة الخليفة ، وعاد وخلع عليه الخليفة ، وكان صحبته عين القضاة أبو الفتح بن العمراني ، وبعد عود الوزير الى بغداد بقي مدة وعزل من الوزارة وولي قوام الدين ابن صدقة الوزارة ، وولي المخزن زعيم الدين بن جعفر ، وولي الديوان الأجل جمال الدين أبو المظفر بن هبة .

قيل وفي سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة ماتت الخاتون فاطمة زوجة الخليفة المقتفي ببغداد .

وفي سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة حضر الشيخ شرف الدين بن سعد بن عصرون من الموصل ، وعقد على زمرد خاتون بنت السعيد

حسام الدين لأتابك غازي وكان الاملاك بقصر ميافارقين على عشرين ألف دينار ، وكان الوالي الشيخ عز الشيوخ أبو القاسم بن حبشي .

وفي شعبان سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة وصل عز الدولة ابو نصر بن نيسان الى ميافارقين ، وعقد على صفية خاتون بنت السعيد حسام الدين لجمال الدين شمس الملوك محمود بن ايلدي صاحب آمد على خمسين ألف دينار ، وكان الوالي الخطيب تاج العلماء الحصكفي ، وحملها في الخمس الاواخر من شعبان الى آمد ، وفي سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة حضر الامير بهاء الدين سيونج بن كجمش الوزير ضياء الدين من عند الأمير فخر الدين دولت شاه بن طغان ارسلان صاحب أرزن وبدليس وعقد على نوره خاتون بنت السعيد حسام الدين على خمسين ألف دينار ، وكان الوالي وكان العقد بميافارقين .

وكان في سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة مات حسام الدولة توفي بأرزن وولي الامارة أخوه شمس الدين ياقوت ارسلان الى سنة أربعين وخمسمائة وقصد اخاه دولت شاه الى خدمة اتابك زنكي ، لما عبروا أخذ بلاد الأمير داود بعد موته ، ثم مات ياقوت ارسلان يوم السبت مستهل شهر رمضان سنة أربعين وخمسمائة .

وسار ضياء الدين أيوب الى معسكر أتابك فجاء بالأمير دولت شاه ، ويلقب فخر الدين ، وعبر به على باب ميافارقين ، وسار الى أرزن وملك البلاد ، واستبد بالامارة وملك جميع ولاية ابيه وأخوته ، وكان ضياء الدين ايوب تزوج أمه ، واتصل الى السعيد حسام الدين ، وفي ذي الحجة وصلوا الى ميافارقين ، وأخذوا الخاتون وساروا بها الى أرزن وعمل العرس بميافارقين .

وفي سنة ثلاث واربعين وخمسمائة سار تاج الدين ابو سالم طاهر بن نباتة الى الحجاز ، ودخل بغداد وحضر ديوان الخلافة .

وفي سنة ثلاث واربعين وخمسمائة عاد الوزير مكين الدين المصري الى ميافارقين وولاه السعيد حسام الدين الوزارة ، وبقي أياما ، وكنت في هذه السنة متولي اشراف ظاهر بلد ميافارقين وبقي مدة ، ثم انه قبض المؤيد والمهذب وعاقبهما بالقصر اياما ، ثم انه رتب العميد ابي طاهر بن المحتسب في عمل حساب الديوان ، فجلس يومين . لاغير ، ورسم السعيد حسام الدين بعزله وصفعه وحلق لحيته ، وركب حمارا ودوروا به في البلد ، ونفي وأطرف عن البلد ، وبقي الوزير اياما ، ثم خرج بعد العصر ، وغلامه حوله ، وسير حول البلد ، ثم طلب طريق حصن كيفا ومضى ، فقيل للسعيد حسام الدين قد هرب ، فقال : ماأخذ منا شيئا ، فلا تطلبوه ، فمضى ، وفي بكرة الغد أعيد المؤيد والمهذب الى الديوان ، فاستقر أمرهما وعادا الى أوفى منزلة .

وفي سنة أربع وأربعين وخمسمائة خرج ابن اتابك غازي الى باب نصيبين ، ونفذ الامير جلدك الخليفتي الى ماردين ، وأخذ زمرد خاتون الى باب نصيبين ونزل معها صمصام الدين ، ومرض ابن اتابك سيف الدين غازي ، فحملت الى الموصل ونزلت في درب دراج في دار الخاتون بنت سكمان زوجة اتابك زنكي ، ودخل سيف الدين غازي وهو مريض على شدة ، وأقام بالموصل ، ونفذوا الى بغداد فأحضروا الحكيم ابا البركات فحضر وعالجه اياما ومات في صفر سنة اربع واربعين وخمسمائة ، وولي الامارة اخوه قطب ممدود بن اتابك ، واستقر في الامارة ، ورتب الدولة جمال الدين الوزير ، وزين الدين وعز الدين ، ودفن سيف الدين غازي في المدرسة العمادية (٨١)

وبعد موت سيف الدين اطلق القاضي كمال الدين واخوه من دورهم ، واستدعيا الى الميدان ، وكنت في هذه السنة بالموصل في

خدمة السعيد حسام الدين في بيع الحديد وكنت حاضرا بالميدان ، وكان نفذ الوزير جمال الدين لهما بغلتين ، فركبا وحضرا الميدان داخل الموصل ، فلما دخلا باب الميدان وقد غيرا ثيابهما وركبا بغير طرحات ترجلا ، فلما رآهما اتابك قطب الدين طلبهما وترجل لهما ، ولقياه عزياه عن اخيه وهنياه بالامارة وركبا ووقفا من ناحيته ، وبقيا ساعة وعادا الى مقرهما ، وأزالوا الاجناد من على ابوابهما ، وحصلا يركبان في كل اسبوع الى خدمة اتابك ، وزين الدين وجمال الدين ، وبعد مدة نفذا وقررا الحال مع السعيد حسام الدين ، وعقد لاتابك قطب الدين على زمرد خاتون بعد انقضاء مدة الوفاة .

وفي آخر سنة اربعة واربعين نازل السعيد حسام الدين مدينة دارا وامتنع الوالي من تسليمها له فحاصرها مدة ثم سلمها اليه يوم الأربعاء ثاني عشر ذي الحجة وملكها ، ورتب فيها الحاجب ابن دفش الدنيسري ،وكنت بالمعسكر حتى فتحها في خدمة السعيد حسام الدين .

وفي هذه السنة سنة اربع واربعين احترق سوق القبة بميافارقين.
وفي هذه السنة في ذي الحجة وقع الخلف بين أولاد العميد تاج الدين ابي سالم بن نباته ، وسار ضياء الدين الى دارا ، فلقي السعيد حسام الدين ، وخدم واخذ القضاء ، وعاد الى ميافارقين .

وفي ثاني عشر محرم سنة اربع واربعين وخمسمائة ولد قطب الدين بن ايلغازي ولد المالك نجم الدين ادام الله ظلهما .

وفي سنة اربع واربعين وخمسمائة أخذت الافرنج المرية (٨٢) من المسلمين ، ونهبت وحمل نهبها وبيع بديار مصر والساحل والشام .

وفي سنة خمس واربعين وخمسمائة أملك صمصام الدين بهرام

ابن السعيد حسام الدين ببنت اتابك اخت قطب الدين ، وكنت وقت الاملاك في الموصل .

وفي سنة خمس واربعين وخمسمائة نهبت العرب بنوزغب وغيرهم وذباب وبطران لفخر الحاج ، وأخذوا جميع ما كان معهم بين مكة والمدينة عند موضع يسمى سد ، وتلف خلق عظيم ، ولم يسمع بذلك الا من سنين بعيدة ، ولم يسلم الا الاقل من الناس ، وكنت في هذه السنة بالموصل مقيما .

وملك حسام الدين بأولاده جميع أمراء ديار بكر وديار ربيعة وارمينية واتصاله بهم ، ولم يبق بعد اتابك زنكي مستقل بنفسه من غير معارض ولا منازع ، ولا من يحكم عليه غير السعيد حسام الدين .

وفي سنة خمس واربعين وخمسمائة مات معين الدين أنر بدمشق ، وفيها لقي نور الدين محمود بن زنكي ملك الشام الافرنج وكسرهم اقبح كسرة ، فأسر ابن جوسلين صاحب الرها وما حولها وملكت بلاده جميعها ، وملك نور الدين تل باشر وما حولها وتل خالد وما يليها ، وملك السعيد حسام الدين سميساط ، وفي سادس شهر ربيع الاول سنة خمس واربعين وخمسمائة ملك البيرة ، وفي سنة ست واربعين قتل في هذه الكسرة الحاجب عمر الخاص ، وكان في خدمة نور الدين وملك فخر الدين قرا ارسلان من ولاية ابن جوسلين حصن منصور وبالو ، وأخذ من الارمن قلعة كركر (٨٣) ، وملك السلطان قليج ارسلان مرعش وكيسوم وماجاورها ، ولم يبق لابن جوسلين من الولاية غير قلعة الروم (٨٤) ، ولو عاش السعيد حسام الدين لكان ملكها .

وفي سنة خمس واربعين وخمسمائة مات معين الدين أنر بدمشق (٨٥) .

وفي سنة ست واربعين طهر السعيد حسام الدين اولاد الأمير جمال الدين سربي بميافارقين .

وفي سبع واربعين وصل الى السعيد حسام الدين منشور من السلطان والخليفة وقرىء على المنبر بالبلاد والخلع ، وبعد ليلتين وهي ليلة الاثنين ثاني عشر شهر ربيع الأول سنة سبع واربعين ، أنهدم الجامع بميافارقين موضع المنبر والأروقة ، وكنت ببغداد ، واجتمعت ببغداد بقطب الدين العبادي الواعظ وصحبته مدة وكتبت عنه شيئا كثيرا من مجالس ،

وكان سنة اربع واربعين في لخرها ولي وزارة الخليفة عز الدين المظفر محمد بن يحيى بن هبيره ، وعزل قوام الدين صدقة من الوزارة ، واستقر عز الدين ، وكان اليه ديوان الزمام والاستفياء ، وولي ديوان الزمام جلال الدين بن جعفر أخو صاحب المخزن ، وكان ابوهما من اهل قرية بعقوبا (٨٦) ، كان وزر لمجاهد الدين بهزور مدة حياته ، وبقي الخليفة مستقر الاحوال .

وفي سنة ست واربعين وصل السلطان مسعود الى بغداد ، واقام بها جميع الشتوة ورايته في هذه السنة ببغداد ، ورأيت الفيل والببغة والقرد ، وسار السلطان الى باب همذان فمرض في جمادى الاولى سنة سبع واربعين وبقي ببغداد الى أول رجب من السنة ، وسرت الى ميافارقين ، فلما وصلنا الى تكريت وقع الخبر ان السلطان قد مات ، فاختبط الناس ، وسرنا الى الموصل ، وخرج الخليفة ونزل في دار السلطان ، وملك بغداد ، وهرب مسعود بلال الى تكريت وكان شحنة بغداد ، وكان قد عمل امارة الحاج سنين ، ولقي الناس منه كل خير وراحة ، وجند الخليفة الجنود والعساكر ، واسقط المؤن والاعشار التي كان يأخذها اصحاب السلطان ، وأحسن الى الناس ، وعدل في الرعية ، وحصل العراق واستغل ارتفاع العراق جميعه ، فإنه كان للسلطان والخواتين

واصحاب السلطان بالعراق معيشة عشرين الف فارس ، فحصل الجميع للخليفة .

ولما مات السلطان مسعود بباب همذان كان السلطان محمد شاه بن محمود وكان صهره على ابنته في خوزستان ، وكان معه في المعسكر اخوه ملكشاه بن محمود فرتبه خاصبيك بن البلنكري في السلطنة مدة ، فلما سمع محمد شاه سار من خوزستان الى همذان ، فأخذ السلطنة ، وسار اخوه ملكشاه فملك خوزستان والأهواز وطرفا من البصرة ، وبقي مدة ، وقتل خاصبيك بن البلنكري ، واستبد بالسلطنة محمد شاه .

وكان السلطان مسعود رحمه الله سلطانا عادلا ، لين الجانب ، كبير النفس ، بحيث انه فرق ولايته اجمع على اصحابه ، وما كان له غير الاسم من السلطنة ، وكان مع لين جانبه ما حارب احدا الا ظفر به ، وقتل من الأمراء الكبار ما لاقتل غيره منهم : منكورس ، وقراجا الساقي صاحب برس وشيران (٨٧) . وقتل عباس صاحب الري ، وقتل الراشد والمسترشد ودبيس وبوزباه ، وعبد الرحمن بن طغريل ، وجماعة من الأمراء الاسفهسلارية الكبار ، وسعد سعادة عظيمة ، ومات وخلف ثلاثة بنين صغار ، فاستقر محمد شاه في السلطنة ، وملك همذان وأصفهان وما حولها ، من غير خطبة بالعراق .

قيل وفي سنة سبع واربعين ملك فخر الدين قرا ارسلان حصن كركر من الأرمن

وفي سنة سبع واربعين وخمسمائة تزوج جلال الملوك كبك بن سليمان بن عبد الجبار بن ارتق بهدية خاتون بنت السعيد حسام الدين بسفارة أمه الملكة بنت رضوان زوجة حسام الدين .

وفي سنة خمس واربعين كان وصل الى ماردين الوزير زين

الدين اسعد بن عبد الخالق اخو المؤيد زين الدين ، وزير السلطان ، واقام عند حسام الدين واستوزه ، وبقي في الديوان ومعه المؤيد المستوفي والمهذب ، واستتاب رجلا كاتبا يلقب بالشهاب ، واستقر في الوزراة الى سنة ست واربعين وخمسمائة .

وكان في سنة اربع واربعين خرج السعيد حسام الدين ، ونازل آمد ، وطالبهم بصداق صفية خاتون ، وبقي مدة ، ورحل عن آمد الى ماردين ، وبقي اياما ، ونفذ ابن نيسان رجلين فاقاما بقلعة ماردين يعملان بالفاعل اياما ، ثم إن الوزير زين الدين ركب ذات يوم وصعد الى القلعة ، فجاز في موضع ضيق ، فخرج عليه اولئك الرجلان ، فضربه احدهما بفأس في رأسه فوقع ، فطلب جماعة كانوا بين يدي الوزير الرجلين فقالا لهم : ما تريدون نحن نصعد معكم الى الأمير ، فصعدا مع القوم الى باب القلعة والناس خلفهم ، ودخلا القلعة الى بين ايدي الأمير وقالا : نحن قتلنا الوزير ، فقال : ولم؟ فقالا :أمرنا بذلك ، وأكثر الناس قالوا : ان ابن نيسان دس عليه وقتله ، فأمر الأمير حسام الدين بضرب رقابهما على قبره ، وكان دفن بماردين ، وكان الرجلان من الملاحدة ، وعدا حسام الدين نزل على آمد ، وتحدث معه وسأله فيهم ، ثم دخل الى آمد واجتمع بمؤيد الدين بن نيسان ، وقرر معه الحال ، فخرج، مؤيد الدين الى الأمير واستقر الصلح ، وخرج الأمدية الى السعيد حسام الدين ، وحصلوا من جملته وتحت امره ورحل عنهم .

وفي العشر الآخر من شهر رجب سنة ست واربعين وخمسمائة ماتت ذورة خاتون بنت حسام الدين عند صاحب ارزن ، وخلفت ابنا عاش بعدها اياما ومات ، ودفنت بأرزن ، وضاق صدر السعيد حسام الدين لموتها ، وبقي حسام الدين بعد قتل الوزير زين الدين بغير وزير ، واكتفى بالأجل مؤيد الدولة ابي منصور خالد بن المبارك ابن مخطر الى ان مات ، فقام بما فوض اليه أحسن القيام .

وبقي السعيد حسام الدين في الولاية الى يوم الخميس ثـاني ذي القعدة سنة ثمان واربعين وخمسمائة ، وتـوفي بمـاردين ، وكان مرضه من يوم السبت الى يوم الخميس ثاني ذي القعـدة ، ودفـن بالمشهد تحت مـاردين ، وكانت ولايتـه ميافـارقين ثـلاثين سنة ، وماردين اثنتين وثلاثين سنة ، فرضي الله عنه ، وكان اميرا عالما مـطلعا على جميع العلوم ، يحـب اهـل العلم ، ويخالطهم ، ويكرم اربـاب الفضـل ، وكان مـن أهـل كل صناعة ، وكان كريمـا جـوادا مفضـالا ، لا يرى القتـل الا عند الضرورة ، وكان له من الذمـة والجـوار مـا لا كان للعـرب العرباء ، ولقد قصده الأمير ابو بكر صاحب نصيبين منهـزما مـن اتابك زنكي ، فذم له ، وطلبه اتـابك ، فلم يسـلمه اليه ، وجـرى بينهما امر عظيم ، وأخذ اتابك دارا ونهب البـلاد ، وخـرج عن يد السعيد حسام الدين مالا عظيما ، ولم يسـلمه ، وهـو كان سـبب الوحشة بين السـعيد وبين اتـابك ، ثـم انفصـل عنه ومضى الى السلطان مسعود فقبضه السلطان ودفعه الى اتابك فقتله .

وكان السعيد حسام الدين رحمه الله يراعي ارباب البيوت وينظر في أحوالهم ولا يرى قلع البيوت الكبار ، وكان اذا وصله رجـل مـن اصحاب العمائم والعلوم انزله وأكرمه واحسن اليه ، وأوصـل اليه جميع ما يحتاج اليه ، وكان اذا تحقق في رجل شيئا مـن اي العلوم كان ، قربه وادناه واعطاه وسأله عما يعلمه من علم او صناعة .

وكنت لما مات بولاية الكرج في خدمة ملك الابخاز ديميطـري بـن داود ملك الولاية بأسرها ، فإني كنت دخلت في سنة ثمـان واربعين الى تفليس ، ووصـلت الى خـدمته ، وسرت معـه الى ولاية آلان والأبخاز والدربند ، وكنا ذات يوم قريبا من بلد الدربند ، وكان ذلك اليوم رابع المحرم سنة تسـع واربعين وخمسـمائة ، فـاستدعاني وقال :إن صاحبكم حسام الدين قد مات ، وقد وصلني الخبر في هذا اليوم ، وكان ولي ميافارقين في ايامه جمـاعة مـن الولاة منهـم : الحاجب ابو بكر ، وبيرم وعثمان بن خمرتاش الحـاج ، كل منهـم

مرة ، إلا الحاجب بيرم فولي مــرتين ، ثــم ولي الحــاجب عبــد الكريم ، ثم عزل ، وولي الحاجب يوسف ينال ثــم عزل ، واعطــي تحت دارا اقــطاعا ، واخــذه منه أتــابك زنكي ، وولي ميافــارقين مملوكا كان للأمير اسمه قزعلي مدة ومات ، وجلس في القصر الأمير قيماز الخادم ، والحــاجب بيرم مــدة ، ثــم ولي الحــاجب يرنقش مدة ، وعاد الحاجب يوسف ينال مرة ثــانية ، وبقــي في الولاية الى ثالث رجب سنة تسع وثلاثين ومات ، ودفن بميافــارقين ، ثــم ولي ناصر الدولة صندل في ذي القعدة سنة تسع وثلاثين ، وبقي الى شهر ربيع الاول سنة ثلاث وأربعين ومات ، وبقي ولده غرس الدولة ينال ببرج الملك ، وجلس الحاجب بيرم في القصر مــدة ، واسـتقل ينال بالولاية وبقي واليا الى ان مــات الســعيد حســام الدين ، رحمــه الله ، على ما ذكرناه إن شاء الله تعالى .

وأنا أذكر نسب الأرتقين

وما وصل الي من أحوالهم ومن بقي من نسل الأمير ارتق رحمه الله

قيل لما مات الأمير أرتق خلف اولادا جماعة منهم : الأمير سكمان ، ونجم الدين غازي ، وبهرام ، وعبد الجبار ، وسياوش ، وألب بارق ، وابنا لخر نذكر اسمه بكاش وابنا لخر اسمه البتاش ، وهؤلاء الذين اعقبوا وبقي نسلهم الى الآن بديار بكر ، وخلف غير هؤلاء ما سمعت ان لهم الآن عقب ، فأهملت ذكرهم .

فأما سكمان فإنه ملك حصن كيفا وبقي مدة ، ومات سنة ست وخمسمائة وخلف الأمير ركن الدولة داود والأمير ابراهيم وملك حصن كيفا بعد ابيه مدة ومات ، وملكها بعده ركن الدولة داود وآزر خاتون ، وملك ركن الدولة حصن كيفا بعده ، وملك غيرها بعد ذلك ، وأولد اربع بنين هم : أرسلان تغمش ، وقرا أرسلان ، وسليمان ومحمود ، وأما ارسلان تغمش فمات ، وكان ملك منازكرد ، وكان ملكها بعد ابيه وخلف ابنا من ابنة السعيد حسام الدين ، ومات بعد ابيه بمدة يسيرة ، وأما سليمان فإنه مات وخلف ابنا اسمه يعقوب هو الآن في خدمة الملك نجم الدين وابنا آخر هو في خدمة جمال الدين في حاني .

وأما محمود ملك طنزه والقريشة ومات ، وخلف ابنا يسمى داود ، وهو في خدمة اولاد عمه فخر الدين بحصن كيفا .

وأما فخر الدين قرا أرسلان فإنه ملك البلاد جميعها التي كانت

لأبيه ، بعد موته على ما ذكرناه ومات ، وخلف ابنين هما : نور الدين محمود وعماد الدين ابو بكر ، وولي الامر بعده نور الدين ، وهو الآن في الملك ، وخلف بناتا جماعة

وأما الأمير بهرام بن ارتق فإنه خلف الأمير نور الدولة بلك وملك خرتبرت وبالو وما حولها ، واخذها منه شمس الدولة سليمان بن الغازي ، واخذها بعد ذلك الأمير داود بعد موت سليمان ، وكان تزوج بالملكة برخندا خاتون بنت الملك رضوان بعد نجم الدين الغازي ، وهو دخل بها ، وملك طرفا من قريب الفرات ، وكان يغزو الافرنج ، وقتل على منبج على ما ذكرناه ، وخلف بنتا تزوجها فخر الدين قرا ارسلان ومات عنها .

وأما سياوش بن ارتق فإنه خلف الأمير يونس الحرامي ، رأيته في خدمة السعيد حسام الدين رحمه الله ، وأولد اولادا رأيتهم في خدمة اولاد فخر الدين بحصن كيفا .

والأمير سيونج ، وهو في حاني في خدمة جمال الدين أخو الملك نجم الدين ، وتزوج ببنت الأمير شيرباريك ، وأولد منها ابنا اسمه شاه ملك ، وماتت وتزوج اخت لها اخرى

وأما الب ارسلان بن ارتق فإنه خلف اولادا منهم : الأمير علي ، ملك على جور ، وأولد الأمير ممدود وهو شيرباريك ، وابنا آخر مات ، اسمه محمود ، وأولد ابنا اسمه ....وهو في خرتبرت ، وتزوج شاه ملك بنت شيرباريك في سنة سبع وخمسمائة و ولد شيرباريك : سيونج ، واسماعيل وطغريل ، وبناتا جماعة ، وأولد ابنا من جارية اسمه زنكي ، وبقي في خدمة ابيه مدة ، ومضى الى مصر وتوفي بها في ايام شاور ، وأما طغريل فمات بحصن كيفا وحمل الى ميافارقين ، واما سيونج ، وكان اكبرهم ، وتزوج بصفية خاتون بنت الملك رضوان ومات ولم يعقب

وأما اسماعيل ، فله ولدين ذكور ، وهو في خدمة الملك نجم الدين ، وبقي شير باريك في خدمة الملك حسام الدين الى ان مات وانتقل الى خدمة فخر الدين قرا ارسلان ، وبقي عنده مدة وعاد إلى خدمة الملك نجم الدين ومات في رجب سنة ست وستين وخمسمائة ، ودفن في قرية لهم في اسفل المقابر .

وأما عبد الجبار فإنه خلف ثلاثة بنين : أغسيان ، وأرسلان وسليمان ، أما أغسيان فانه انتقل وخدم بولاية اخلاط مع بيت سكمان ، واولد هناك ولدين : الأمير احمد ، والآخر يلقب عز الدين ، وانتقل الى خدمة فخر الدين قرا ارسلان بحصن كيفا ، وحصل عنده في أوفى درجة ، وزوجه بنت اخيه ارسلان تغمش ، ومات بالصرع ، وخلف ابنا له هو في خدمة اولاد فخر الدين .

وأما البتاش فإنه خلف الأمير علي الحرامي ، ومات في خدمة حسام الدين ، وخلف ولدين : أحدهما ابي بكر ، وقد لبس الصوف وهو فقير ، وعمر وهو في خدمة اولاد فخر الدين بحصن كيفا .

وأما الأمير ارسلان بن عبد الجبار فإنه ملك جبل جور وبالقرنين والسيوان ، وبقي مدة ، وأخذها منه السعيد حسام الدين ، وانتقل الى حصن كيفا الى خدمة ركن الدولة داود ، ومات في خدمته ، وخلف اولادا منهم ، بلاق ومحمود ، وبناتا ، وكان زوج بنتا في حياته من الأمير زعيم الدولة مسيب بن مالك صاحب الرقة .

وأقام الاولاد في خدمة فخر الدين ، وانتقل الأمير بلاق الى خدمة الملك نجم الدين ومات .

وأما سليمان ، كان يلقب بدر الدولة ، فإنه ملك حلب ، وتزوج بالخاتون الملكة بنت رضوان ، التي كانت زوجة الأمير بلك ، وأولد منها ابنا سماه كبك ، ويلقب بجلال الملوك ، وأخذت منه

حلب ، ووصل الى خدمة السعيد حسام الدين ، واقطعه بلد قلب ، وحصنها وبقي في خدمته الى ان مات ، ووصلت الملكة الى ماردين بعد موته ومعها ولده ، فأقامت بماردين ، وتزوجها السعيد حسام الدين حسبما ذكرناه ، وزوج ولدها جلال الملوك من ابنته هدية خاتون في سنة سبع واربعين ، وبقي الى سنة اربع وخمسين وخمسمائة ، وتوفي بباب نصيبين على ما سنذكره ان شاء الله تعالى .

وأما الابن الآخر وهو بكتاش فإنه اولد ارسلان طغمش ، وانتقل الى خدمة اتابك طغتكين صاحب دمشق ، فإنه كان عنده في اوفى منزلة ، وتزوج بعائشة خاتون ابنة اخي الوزير محمد الدويني ، وأقام بدمشق الى سنة ثلاث واربعين وخمسمائة في خدمة اولاد طغتيكن ، وقصد الموصل فأقام في خدمة صاحبها مدة يسيرة ، ثم انتقل الى خدمة السعيد حسام الدين فأكرمه وأقطعه اقطاعات كثيرة في آخر سنة اربع واربعين عند ما ملك دارا ، وبقي مدة يسيرة ومات وخلف ثلاثة بنين ، أحدهم كان يلقب شمس الدولة ، عاش في خدمة السعيد بعد ابيه مدة يسيرة ومات ، وبقي الابنان مسعود وبلك ، وبقي مسعود في خدمة المالك نجم الدين مدة ، وانتقل الى خدمة فخر الدين قرا ارسلان ، وأما بلك فإنه بقي في خدمة المالك نجم الدين الى سنة تسع وستين وتزهد وانقطع وجلس في مسجد ياقوت قريبا من باب الهوة في رأس الربض ، وهو الى الآن مقيم به .

وأما نجم الدين الغازي فإنه اولد اولادا جماعة ، أحدهم الياس واياز ، وقتلا في حياته ، وكهار خاتون ، وأما الياس فإنه ولد الامير شهاب الدين محمد بن الياس ، وبنتا من خاتون تزوجها سعد الدين ايلدي صاحب آمد ، وله منها ولد في آمد ، وأما شهاب الدين محمد فإنه نشأ في خدمة عمه السعيد حسام الدين ، وأقطعه تل بسمة ، وكان عنده مكرما الى ان مات ، وبقي مدة بعد موته وانتقل

الى الشام الى خدمة نور الدين فأقطعه اقطاعات كثيرة وبقي في خدمته الى الآن

وله ثلاث بنين وهم الآن في خدمة نور الدين ، وأولد نجم الدين ابنا من جارية اسمه عمر ، زوجها بالأمير أسفهسلار أمروه ، ومات الولد ولم يعقب ، وأولد ابنا اسمه نصر من جارية زوجها بالحاجب عمر الخاص ، ومات ولم يعقب ، وزوج كهار خاتون من سيف الدولة دبيس ، وولدت منه الأمير عز الدين محمد ، وبقي عندها بماردين الى أن قتل دبيس ، ومضى الى الحلة ، وملك مع أخوته وبقي مدة ، وعاد الى خدمة المالك نجم الدين وتردد مرارا ، وتوفي بعد أمه ، وكانت توفت في سنة تسع وخمسين وخمسمائة ، ودفنت بماردين .

وخلف عين الدولة ابنا هو الآن في خدمة شهاب الدين محمد بن الياس ، وأولد نجم الدين بنتا سماها عنيا خاتون تزوجها الأمير ايللدي صاحب آمد ، وأولد منها جمال الدين شمس الملوك محمود ، وهو الآن صاحب آمد ، وماتت وتزوج بعدها بأخت شهاب الدين على ماذكرناه ، وأولد بنتا اسمها سفرى خاتون ، تزوجها حسام الدولة قوتي بن طغان أرسلان صاحب أرزن وبدليس ، ومات وخلف ابنا اسمه ياغي سيان وهو في خدمة فخر الدين دولت شاه عمه .

وأولد شمس الدولة سليمان ، وملك ميافارقين بعد أبيه ، وتوفي وخلف ابنا اسمه محمود ورأيته في ماردين ، وهو في أسوأ حال ، وما أعلم ماكان منه ،

وأما السعيد حسام الدين تمرتاش ، وكان عين البيت ، وسيد الأولاد ، فملك ماردين على ماذكرناه بعد أبيه وملك ميافارقين بعد أخيه ، وبقي الى أن مات وخلف من الأولاد : المالك نجم الدين ألبي ، وملك الملك بعد أبيه ، وجمال الدين سربي ، أعطاه اخوه

حاني والسيوان وحصن قلب ، وصمصام الدين بهــرام ، ملك دارا وهدية خاتون ، هي عند أخيها جمال الدين بحاني ، وزمرد خــاتون بالموصل مات عنها قطب الدين ممدود بن زنكي ، وخلف منها أربعــة أولاد : ملك الملوك سيف الدين غازي بن ممدود على مــا سنذكره ان شاء الله ، ومات في حياته صفية خاتون زوجة صاحب آمد ، ونوره خاتون زوجــة صــاحب أرزن على مــاذكرناه ، فــرحمة الله عليه ورضوانه لديه .

وهذا ماوصل الي من نسب من بقــي مــن الأرتقية ، والله أعلم بالصواب .

ذكر ولاية الملك نجم الدين ألبي بن السعيد حسام الدين تمرمتاش ..

قيل لما مات السعيد حسام الدين رحمة الله بماردين ملك الملك بعد أبيه ، وكان سراج الدولة برغش الخاص بماردين ، فحضر الملك نجم الدين وملك ، وحضر أخوته لديه ، ودفن بالمشهد في أسفل ربض ماردين ، ثم ركب الحاجب سعد الدولة التوباش ، وكان حاجبا لنجم الدين من ماردين ، وسار الى ميافارقين وصبح البلد ، ولم يعلم به الا وهو على الباب ، ودخل وقصد القصر وجلس استأذن له الوالي ، ثم صعد خلف الراجل الى رأس درجة برج الملك ، ودخل الراجل الى غرس الدولة ينال ، ودخل سعد الدولة خلفه ، فلقيه واصرف من كان عنده فأعلمه بموت الأمير ، وأن الملك حصل نجم الدين ثم نفذ وأحضر أكابر الامراء والدولة والقاضي وأهل البلد ، وتقرر الحال مع الخطيب بهاء الدين ، وكان يوم الجمعة فخطب بالناس ، ودعا لنجم الدين ، ولم يكن أكثر الناس علموا بذلك ، ثم خرج المحتسب ودرب على الناس وسكنهم وعرفهم أن الملك نجم الدين ملك البلاد ، فاطمأن الناس ، وطيب قلوبهم ، ولم ينفسخ على الملك نجم الدين حال ولا عصى عليه أحد ، وملك جميع ولاية ابيه ، وما اختلف عليه أحد ، ولم يسفك في ولايته دم ، واتفق أخوته معه ، وتوطدت له البلاد ، واستقر ملكه ، وراسل جميع الجوانب والملوك والأطراف واستحلفهم ، ونفذوا عزوه وهنوه بالملك ، ولقي الناس في ولايته كل خير ، وظفروا بالعدل والاحسان ، وسار بالناس أحسن سيرة ، وكف عن الناس الأيدي المتطاولة ، ولم ير ملك أعف منه ولا أكبر من نفسه عن أموال الرعية وحريمهم ، وحصل الناس في ولايته على أتم مصلحة ، واستقر في حجبته سعد الدولة التوباش ، وأعطي البوق والعلم والجاويش ، واقطع

سميساط ، وترتب الحاجب شمس الدين سيونج بن ابي سعد بن الوزير أبي منصور الجويني في الحجبة ، واعطي البوق والعلم والجاويش ، واقطع شبختان ، ورتب في الديوان الاجل مؤيد الدولة كريم الملك أبا منصور خالد بن مخطر في الاستيفاء ، والمهذب العراقي في اشراف الديوان ورتب معهم المختص ظهير الدين أبا الفتح محمد بن قليدان في الديوان ، وكان يخدم المالك نجم الدين في ايام أبيه ، فاستقر الناس ، واجرى الناس على ما كانوا عليه في ايام السعيد حسام الدين من املاكهم وما كان لهم من المعاش والرسوم .

وبعد مدة يسيرة انفصل الامير شهاب الدين محمد بن الياس في خدمة نور الدين ملك الشام ، وأعطى جمال الدين مدينة حاني ، وصمصام الدين دارا واستقروا ، وبعد مدة مضى سراج الدولة برغش الخاص الى البيرة فتسلمها ، وأقام بها مدة ثم عصى فيها ، ونفذ شهاب الدين محمد بن الياس ليحضره ويسلمها اليه فحضر وغدر به ، ولم يسلمها اليه ، فبقي عليها أياما وغدر به الجند وسلموها الى شهاب الدين ، وقبض سراج الدولة ، وملك البيرة وحصلت له بيده الى الآن ، وهو في خدمة نور الدين ، وبقي سراج الدولة مقبوضا مدة ، ثم اطلقه ومضى الى قلعة جعبر وبقي عند شهاب الدين صاحب القلعة مدة ، ثم انتقل الى اخلاط ، فأقام عند الخاتون الى سنة سبع وستين وخمسمائة ، ومات بخلاط .

قيل وفي سنة ثمان وأربعين وخمسمائة أخذت الافرنج عسقلان من أهل مصر ، وكان الخليفة الظافر لما علم أن الافرنج تنازل عسقلان ، فحضر بها ونقل رأس الحسين بن علي عليهما السلام الى مصر ، وبنى عليه بمصر مشهدا غرم عليه مالا يحصى ، ونقل الرأس الى مصر وجميع ماكان بالمشهد بعسقلان من الآلات والستور وغير ذلك ، وبعد ايام ملك الافرنج عسقلان ، وهي بيدهم الى الآن ، وكان السعيد حسام الدين قد شرع في بناء جسر اقرامان

على نهر ساتيد وعمر أكثره الى أن بقي فيه بعض العمل في ختم عقد الطاق ، ومات رحمه الله ، وشرع المالك نجم الدين في اتمـامه فبنى وجدد في ذلك ، فتم عقـد القنـطـرة ، وكانت نيفـا وسـتون ذراعا بالنجار ، وتم فليس في الدنيا مثلة (٨٨) .

وهـو رضي الله عنه أول مـن بنى جسرا بـديار بـكر في هـذا الزمان ، وبني بعده فخـر الدين قـرا ارسـلان على دجلة بحصـن كيفا ، وبنى على شط بانارقن تحت اسعرد ، وبنى على شط اجوم شبوه بين أرزن وأسعرد جسرا آخر ، وتشـبهوا بـالسعيد حسـام الدين ، وبنى جمال الدين وزير الموصل جسر اليارـبـان تحـت فذك فوق الجـزيرة ، وشرع في بناء جسر على دجلة تحـت الجـزيرة في مـوضع يسـمى البـافتا ، فبنى منه خمس عينات ، وبقيت الوسطى ، ومات جمال الدين ولم يتم عمله ، وكان جسر أقرامان في أول شهور سنة تسع وأربعين وخمسمائة ، وبقي القـالب الذي بني عليه الجسر وعقـد الطـاق ، وجبـن الصـانع عن نقضه ، فبقي ، ونقض منه طبقة عالية ، وبقـي ايامـا يرتئي في نقضه ، فجاء مطر عظيم ومـد لم ير الناس مثله في جـانب الغـربي والشمال ولم يجـيء في جـانب الشرق ، وأقـرامان قنطـرة واحدة ، فأخذ الماء القالب جميعه ونقضه ، ونزل السيل بالأخشاب الى تحت الجسر بفرسخ ، وكان هـذا مـن سـعادة الملك نجـم الدين ، وكان في آب ، ولقد أخذ هذا السيل من قرنيحا طـوبلة خيل كانت لمقطع القرية ، وأخذ صخرة عظيمة كانت بقرنيحا ينظر الناس لها لأجل الأطفال والحمة بهـا في ذلك الموضـع مـن حيث قـامت الدنيا ، وكنت لما جاء هذا السـيل سـائرا مـن أرزن الروم طـالبا اخلاط ، وجاء هناك في ذلك اليوم من المطر مالا يوصـف ، وسـلم الجسر من السيل ، وتم في باقي ايام المالك نجم الدين دام مجده ،

قيل وفي سنة تسع وأربعين وخمسـمائة قتـل الظـافر خليفـة مصر ، وسبب ذلك ان أمير الجيوش العادل السلار علي بن اسـحق وكان له ابن بنت يسمى نصر ويلقب عضـد الخـلافة ، وكان أبـوه

أميرا مقداما يسمى عباس ، وكان عضد الخلافة والدا للظافر ، وكانا جميعا ياكلان ويشربان ويتفرجان ، وكان يحبه محبة عظيمة بحيث ان الظافر كان لايصبر عن ابن بنت العادل ساعة واحدة فأغرى عباس ابنه بجده العادل فقتله ، وبقي مدة ، وقتل الظافر ثم دخل الى الدار عباس وابنه وقتّلوا بمن كان في الدار ، وأخذوا الاموال والجواهر مالايحصى قيمته ، وقتلوا ثلاث بنين للحافظ هم : جبريل ، وابراهيم ، ويوسف ، وخرج العباس وأخذ الاموال والجوهر ، وطلب الشام فأخذته الافرنج وجميع ماكان معه ، ثم ان أهل مصر ولوا عليهم الملك الصالح أبو الغارات طلائع بن رزيك ، وأخرج ابنا للظافر اسمه عيسى ، ويكني بأبي القاسم ، ويلقب بالفائز ، فولوه الخلافة ،وقتل عضد الخلافة نصر ابن عباس ، واستقر الفائز في الخلافة ، وولي الملك السلطنة ، وكان فاضلا يحب العلماء والشعراء ، وكان له شعر مليح (٨٩)

قيل وكان أول ماوصل نجم الدين ، دام ظله الى ميافارقين بعد موت ابيه يوم السبت تاسع صفر سنة تسع وأربعين وخمسمائة وأقام بها اياما ، وعزل غرس الدولة ينال عن الولاية ، وولى الحاجب صارم الدولة ايالمش بن يوسف مرند في ثامن شهر ربيع الأول سنة تسع وأربعين ، وخرج فنزل اوسل حرف الهينة على تل شيح ، واجتمع بفخر الدين قرا أرسلان في العشر الثاني من شهر ربيع الاول ، وكان جرى بين فخر الدين وصاحب خلاط وحشه ، فسارا طالبين بلاد سكمان ، فوصلا ولاية طوغطاب من ناحية جبل جور ، فنهبها وأقام بولاية منازجرد اياما وما حولها ، فقرر الصاحب نجم الدين الصلح بينهما واتفقوا وعاد فخر الدين الى بلاده ، ودخل نجم الدين الى خلاط واجتمع بالخاتون وشاه ارمن وولده قطب الدين ، وكان مقيما عندهم بأخلاط ، وأقام اياما ، وعرفهم انه لم يمكنه مخالفة ابن عمه ، ثم سار الى ماردين فعبر الى ميافارقين ، ووصل يوم الخميس ثالث عشرين جمادى الاولى من السنة ، وبعد ايام قلائل وصلت الى اخلاط، وكنت انفصلت عن خدمة ملك الابخاز وخرجت من تفليس ، وقصدت د‌ا

الروم ، واجتمعت بنظام الدين ياغي سيان بن الدانشمند ، وجهد ان اقيم عنده ، وما فعلت وعدت الى اخلاط وصادفت الملك نجم الدين قد سار الى ميافارقين ، فأقمت بأخلاط اياما وسرت الى الري فاجتزت بأرجيش وبركري ، وذوشهر ، وقطور ، وخوري ، ومزيد ، وتبريز ، وزنكتان والنهر ، واقمت بالري (٩٠) وزرت قبر الكسائي ومحمد بن الحسن صاحب ابي حنيفة ، وقبر الخواص رحمهم الله ، ثم عدت الى اخلاط على الطريق الذي مضيت فيه وعند عود الملك نجم الدين الى ميافارقين في جمادي الاولى .

ووقع الخلف بين ضياء الدين وبهاء الدين أولاد تاج الدين بن نباتة ، وعزلوا عن القضاء ، وولي محمد بن ابي يعلي الأسعردي ، وكان كاتبا على الضيع ، وولي بعد ذلك اشراف الوقف مدة ، ثم ولي القضاء يوم الاثنين حادي وعشرين جمادى الآخر سنة تسع واربعين وخمسمائة ، وكان القضاء في يد بني نباتة تسع وخمسين سنة من حين مات القاضي ابو بكر بن صدقة سنة تسعين واربعمائة ، وولي القضاء ابو القاسم بن نباتة الى هذه السنة ، وأقام تاج الدين بعده بميافارقين أياما ، وخرج وصحبته بهاء الدين ابو طاهر ، فمضيا الى آمد ، فأكرمهما مؤيد الدين بن نيسان وأنزلهما وأحسن اليهما ، وفعل معهما كل جميل ، وولي محمد بن الكميت خطابة ميافارقين ، وكان لها من ايام سيف الدولة ابن حمدان في أول ايامه بأيدي هذا البيت لم يخطب بميافارقين سواهم لأنهم هم صنفوا الخطب التي لم يقدر احد على أن يأتي بمثلها ولا ببعض ما صنفه رجلهم الكبير خطيب الخطباء عبد الرحيم ابن نباتة .

وفي سنة تسع واربعين وخمسمائة ملك نور الدين دمشق وأخذها من مجير الدين بن طغتكين ، وكان قتل عطاء الخادم صاحب بعلبك ، فقتل زين الدولة بن الصوفي ، وخرج مؤيد الدين بن الصوفي الى صلخد ، وملك نور الدين دمشق وأقام بها ، وعاد مؤيد الدين

ابن الصوفي الى دمشق ، وبقي مدة ومات ، وسار مجير الدين وبقي في خدمة نور الدين مدة ، ثم وصل الى ميافارقين الى خدمة الملك نجم الدين ، وأقام عنده مدة ، ونزل في سنة خمسين الى بغداد ، وخدم مع الخليفة المقتفي ، وهو الآن مقيم ببغداد في خدمة المقتفي والمستنجد والمستضيء .

قيل ولم أر اعجب من سنة تسع واربعين وخمسمائة ولا أكثر من حوادثها ، منها : ماجرى بين أولاد تاج الدين وخروج القضاء عن ايديهم ، ومنها ان الأمير فخر الدين صاحب آنة نفذ خطب بنت عز الدين سلتق صاحب أرزن الروم ، وبقي مدة ثم زوجها ابوها من صاحب ارزن ،فنفذ شداد الى سلتق وقال :قد ضعفت عن آنة(٩١) فتحضر فتشتريها مني ، فما لي طاقة بالكرج ، ولا أقدر على دفعهم وأكون في خدمتك فأسلمها إليك ، فلما وصل نفذ الى ملك الأبخاز والكرج ديميطري ، وكان في جبل بازوي بينه وبين آنه مسيرة يوم أو أكثر ، يعلمه بوصول سلتق ، فوصل في عسكر الكرج ، فصبح مدينة آنة صباحا ، فأوقع بالعسكر وقتل منهم مقتله عظيمة ، وأسروا عز الدين سلتق واسر معه خلق عظيم ، واسر من المسلمين ما لا يحصى ، وكان يوما على المسلمين عظيم ، ثم إن ملوك ديار بكر وديار ربيعة والشام راسلوا ملك الأبخاز وتواصلوا واستقر حال عز الدين سلتق على مائة الف دينار ، وأطلق وعاد الى بلاده ، وخرج من بلاده مال لايحصى لانهم اشتروا الأسارى الذين كانوا أخذوا معه .

ومنها أخذ نور الدين دمشق وقلع أولاد اتابك طغتكين وكانت بأيديهم مقدار خمسين سنة ،وانقراض بيت الصوفي(٩٢) ، وكان بيت مكرم .

ومنها ان صاحب صقلية قصد تنيس في اربعين مركبا ودخلها ونهب كل ماكان فيها وسبى أهلها أجمع واسرهم ، وابيع النهب في جميع الشام ، وبقي أكثر اهلها اسارى الى الآن بصقلية .

ومنها ان في سنة تسع واربعين جرى الخلف بأخلاط ، وخرج بهاء الدين الوزير وانفصل عن خدمة بيت سكمان والخاتون ، وابعد اهله اجمع وحبس اكثرهم ، وانهزم بهاء الدين اوس بن مسعود يطلب خوي ، فعبر على قلعة ذات الجوز شرقي اخلاط ، وبقي مدة ، وتوصل مؤيد الدين بن نيسان في خلاصه ، فأطلق ونزل الى ديار بكر ، وأقام بأسعرد ، ومضى الى فخر الدين قرا أرسلان ، وأقام عنده ، ثم حج وعاد الى حصن كيفا ، وأقام مدة ، ونزل الى الموصل ، وأقام بها مدة .

ومنها أن في سنة تسع وأربعين وقع الخلف بين بني الحدادي قضاة تبريز وترافعوا ، وجرى بين القاضي وأهله ماأوجب انهم عزلوا عن القضاة ، ووصل تاج الدين ولد نجم الدين الى مراغة ، فولي قضاء تبريز .

وفي سنة تسع وأربعين وصلت الى ميافارقين من الري على ماذكرته في شهر رمضان ،

وفي سنة خمسين ، في آخرها ، في شوال قبض الأمير شير باريك والحاجب ، وفي منتصف شعبان سنة خمسين عاد تاج الدين رحمه الله من آمد الى ماردين ، وولي القضاء وعاد الى ميافارقين ، وتخلف بهاء الدين بآمد عند مؤيد الدين ، وعزل محمد ابن أبي يعلى عن القضاء ، وأعطي بهاء الدين نظر الوقوف بآمد .

وفي سنة خمسين وخمسمائة ولي الزاهد ابن الطويل الوقوف بميافارقين ، وشرع في عمارة الجامع وتتمة القبة والجسر بأقرامان .

وفي ذي القعدة سنة خمسين ضرب نجم الدين الفلوس النجمية ، ووصلت الى ميافارقين وتعامل بها الناس .

وفي سنة خمسين وخمسمائة وثب القسوس بمدينة آنة وأخذوا

من الأمير فخر الدين شداد منوجهر وسلمت الى اخيه الأمير فضلون ، وخرج الأمير شداد من تلك البلاد وطلب الشام ، وقصد أسد الدين شيركوه ، وكان أبوه شادي من أتباع هذا البيت ، وهو بيت قديم في هذا الطرف ، ويعرف ببيت ابن ابي الأساور بن منوجهر ، وكان لهم جميع ولاية أران من جنزه ودرز وجميع البلاد التي حولهم وتزوج اليهم نصر الدولة بن مروان على ماذكرناه ، وأقام الأمير شداد في خدمة نور الدين مدة ، ثم وصل الى ماردين وقصد المالك نجم الدين فأكرمه واحسن اليه وأعطاه اقطاعات في جملتها الحصن الجديد ببلد ميافارقين على حد السناسنة ، وأقام مدة ورجع الى بيت خاله بمدينة سرماري (٩٣) ، وأقام بها مدة واجتمعت به بميافارقين ، وكان اجتمعت به في ملكه بمدينة آنة لما دخلت الى تفليس ، وأحسن الي احسانا كثيرا في سنة ثمان وأربعين وخمسمائة .

وفي سنة أحدى وخمسين وخمسمائة في غرة شعبان مات مؤيد الدين أبو علي بن نيسان بآمد ، وولي آمد ولده جمال الدولة أبو القاسم ، واستقل ولده عز الدولة بحصن أكل(٩٤) وماكان فيه من الخزائن والذخائر .

وعاد في هذه السنة بهاء الدين أبو طاهر بن نباتة من آمد ، وولي الخطابة بميافارقين .

وفي سنة إحدى وخمسين وخمسمائة تزوج زين الدين بالملكة زوجة حسام الدين .

وفي سنة احدى وخمسين وخمسمائة مات السلطان مسعود في بلد الروم ، وولي ولده الأكبر قليج ارسلان بعد أبيه ، واستقر في الملك ، وملك بلاد أبيه جميعها .

وفي سنة احدى وخمسين مات الملك ديميطري ملك الأبخاز ، وملك بعده ولده الأكبر داود ، وأطلق تركش بن أواني بن أبي الليث من

السجن ، وكان صاحب دمانس (٩٥) وكان شـحنة ملك الأبخاز مدة ، وصعب ذلك على الأمير سنباطا من عساكر الكرج وعلى أولاده ، فيقال أن ابن سنباطا الأكبر سقاه ومات ، وولي بعده أخوه كركور ، وتلقب بلقب ابيه حسام المسيح ملك الملوك ، واستقر في الملك الى الآن .

وفي يوم الأربعاء غرة المحرم سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة عزل تاج الدين أبو سالم ابن نباتة عن القضاء ، وولي محمد بن أبي يعلى مرة ثانية .

وفيها قتل الشيخ سليمان بالجامع بأسعرد ، يوم الجمعة ، قتله الباطنية ، ودفن بمسجد الخضر عليه السلام بأسعرد .

وفي هذا اليوم غزل صارم الدولة أياطيش عن ولاية ميافارقين ، وولي الحاجب معين الدين كتيفش النجمي ، وكان استحضر من ولاية الصور ، فولي ميافارقين ، وسار بالناس أحسن سيرة ، وكف المفسدين وقمعهم ولم يقدر أحد أن يتجاوز معه الواجب في مدة ولايته ، وبقي متوليا وأقام تاج الدين رحمه الله أياما ، وخر . الى ماردين ، وكان قد تمرض وتعاق فلما فصل الى ماردين وأقام مرض واشتد مرضه ومات بماردين رضي الله عنه في بيت أخيه علم الدين ، وكان عنده من أولاده بهاء الدين أبو طاهر ، وشمس الدين أبو عبد الله ، ومات يوم الثلاثاء ثالث شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة ، وحمل تابوته الى ميافارقين ، ووصل معه علم الدين والجماعة ، وصلى عليه شيخ الشيوخ أبو الحسن بن المحور ، ودفن في الأزج مع أبيه وأمه رضي الله عنهم .

وفي سنة اثنتين وخمسين مات القاضي أبو جعفر محمد بن أبي العلاء قاضي حصن كيفا ، وولي ولده القاضي شمس الدين ابراهيم موضعه في القضاء ، وفيها مات القاضي ناصر الدين بن الطيب قاضي

اسعرد ، وولي القضاء صدر الدين أبو علي ولد القاضي ضياء الدين قاضي اخلاط ، وفيها مات القاضي نور الدين وسطان ، وكان اماما عالما فاضلا من أصحاب الشيخ أبي اسحق الفيروز ابادي

وفي منتصف شعبان من هذه السنة تمت قبة الجامع ، وصلى فيها ليلة النصف جميع الناس .

وكان في المحرم سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة اجتمعت العساكر والسلطان محمد شاه بن محمود ومعه البغش ومسعود بلال ، وزين الدين من الموصل ، ونزلوا على بغداد وحاصروها ، وكانوا خلقا عظيما وبقوا مدة ، وأخرب زين الدين خان صلاح الدين وكان فوق البستان المعروفة بالرقة مقابل دار الخليفة على الشط ، ولم ير أحسن منها بنية ، ورحلوا عنها في جمادى الأولى من السنة .

وقيل كان قبل ذلك بمدة وصل الى بغداد السلطان سليمان شاه ابن محمد أخو مسعود ، وخلع عليه المقتفي ولقبه الملك المستجير واستحلفه ، وخرج بالعساكر واجتمع بألدكز وحضرت عساكر العراق اجمع من البطائح والبصرة ، فقصده السلطان محمد شاه ببلد باب نقجوان (٩٦) والتقوا هناك على نهر الرس (٩٧) واقتتلوا ،وكسر سليمان شاه وعادت العساكر الى العراق ، ونزل سليمان شاه على دربند القراملي فأسره زين الدين ، وبقي مدة بالموصل وأطلقه زين الدين ، ومضى يطلب أصفهان وخراسان ، فمات في الطريق ، وبقي الخليفة متوليا على حاله بالعراق .

وفي سنة اثنتين وخمسين كانت الزلازل بالشام ، وأخربت شيزر وحمص وحماة وأكثر بلاد الشام ، وكانت في رجب ، وكانت بميافارقين مرتين : مرة قبل صلاة العصر ومرة بعد يومين قبل صلاة العصر ، وكانت أقل مما كان بالشام .

وفي شوال تاسع عشرة من السنة مات صلاح الدين محمد اليغيسياني بحمص .

وفي سنة اثنتين وخمسين وقع الخلاف بين الصاحب نجم الدين وفخر الدين قرا أرسلان ، ونزل على الشط بالأوسل ، وكان الصاحب نجم الدين بماردين ، ونفذ الى ميافارقين الحاجب شمس الدين سيونج ، ثم خرج الصاحب من ماردين ، فسار فخر الدين الى ولايته ، وسار نجم الدين الى جبل جور ، وخرج اليه شاه أرمن صاحب أخلاط بالعسكر لنصرته ، وسار بالعساكر الى ولاية فخر الدين ، وانهزم من بين ايديهم ، وتوسطوا بلاده ، ونهبوا وسبوا أهل تل خوم ، وكان التجأ اليها كل من في تلك الولاية ، وطلب فخر الدين جبل جور ، ودخل الى صحراء موش ، وكان نجم الدين قد نفذ الحشد الذي كان معه من أيام أبيه الى صحراء موش وضرب عليه ، وأخذه ونهب من بلد موش خمس قرايا ، ونزل في بدليس في قرب دربند بدليس الى أرزن ، وعبر الى حصن كيفا ، وعاد شاه أرمن من البلاد ونجم الدين الى ميافارقين ، وبقوا مدة واصطلحوا .

وفي سنة ثلاث وخمسين احترق سوق القبة بميافارقين ثانيا وفيها مات تاج العلماء الحصكفي بميافارقين ، وفي سنة اثنتين وخمسين مات الشيخ الزاهد علي التركي رحمه الله بجبل ميافارقين .

وفي سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة ملكت الغز نيسابور بخراسان واخربتها وقتلت فيها خلقا عظيما ونهبتها ، وقتل الشيخ الامام محمد بن يحيى الفقيه ، وقتل جماعة من الفقهاء وكان يوما عظيما .

وفي سنة اربع وخمسين خرجت الروم الى الشام على بلدلاون (٩٨) واجتمعت العساكر مع نور الدين بباب حلب ، وخرج قطب الدين من الموصل ، وزين الدين الى باب نصيبين ، واقاموا

مدة ، ومات الامير عماد الدين ابو بكر الدبيسي هناك ، وملك اتـابك ممدود الجزيرة ، وقيل إنه مات مسموما ، وفي هذه الايام مات جلال الملوك كبك بن بدر الدولة بماردين ، وحضرت امه ملكة خـاتون بنت الملك رضوان من الموصل ، وكان تزوجها بعد السعيد حسـام الدين الامير زين علي كوشك ، وبقيت اياما وعادت الى الموصل .

ثم سارت العساكر الى الشام ، واجتازوا بحـران فحـاصروها وملكوها ، وكانت لنصرة الدين اميران ولد اتـابك زنكي ، وسـاروا الى حلب واجتمعوا بنور الدين ، وسمع ملك الروم ان عساكر الشرق قد وصلت ، وان الامراء من بني ارتق والتركمان قد اجتمعوا ، وان ابن الغازي قـد حضر ، فـوجم ملك الروم مـن ذلك ، لانه كان لبني ارتق الاسم الكبير ، ولهـم مـن الروم والافـرنج والروم المقـامات القديمة من ايام ارتق ببيت المقدس ، وايام الغازي فنفـذ ملك الروم رسولا الى نور الدين ، فجلس الصاحب نجم الدين للخطاب وسـمع الرسالة ورد الجواب ، واسمع الرسول احسـن جـواب في الطـف كلام ، فثبت في نفوسهم منه شيء عظيم اذ في نفوس الافرنج من هـذا البيت الخوف والرعب من قديم الوقت ، فعاد ملك الروم ، وكان هذا الكلام سبب عوده .

وتفرقت العساكر ، وعاد نجم الدين الى ماردين ، وتـوفي سـعد الدولة التونتاش الحاجب بماردين ، والامير بالشام ، واقطع شمس الدين سيونج سميساط ، وجمال الدين صـاحب حـاني قلعـة قلب ونواحيها ، وكانت اقـطاع سـعد الدولة ، واسـتقر شـمس الدين سيونج في الحجبة وامارة العسكر .

ووصل الخبر ان يوم الاحد ثاني شـهر ربيع الاول سـنة خمس وخمسين وخمسمائة مات الامام المقتفي لامـر الله ببغـداد رحمـه الله ، وكانت ولايته اربع وعشرين سـنة وثـلاثة اشـهر ونصـف ، وصلى عليه ولده وولي عهده الامير ابو المظفـر ، وكان عقـد اليه في سنة اربع واربعين وخمسمائة بالخلافة بعده ، وبـايع الناس للامير

ابو المظفر يوسف ، ويلقب بالمستنجد بالله صبيحة يوم مات ابـوه ، وبايعه الوزير والفقهاء والاكابر والامـراء ، وكان الوزير عز الدين ابن هبيرة ، وملك العراق بعد ابيه ، واستقر في الخلافة واحسن الى الناس ، واسقط المؤن والكلف وسائر الاعشار والبوائق التي كانت في العراق ، وقبض ابن المرخم ، واستنفد منه مـا كان اخـذه مـن الناس ورده اليهم ، وسلك بالناس احسن طريق ، ونفذ الرسـل الى جميع البـلاد فخـطب له في جميع الولايات ، ووصـل رسـوله الى الصاحب نجم الدين الى مـاردين ، ووصـل معـه الخلع والتشريف والمنشور بالبلاد ، ولبس نجـم الدين الخلعـة ، وقـرىء المنشـور بماردين ، وكان يوما مشهودا ، ووصـل منه خلعـة لشـمس الدين الحاجب .

وفي سنة خمس وخمسين وخمسمائة مات الخليفـة الفـائز بـن الظافر بمصر ، والسلطان اذ ذاك الملك الصالح بن رزيك ، واجتمعوا وولوا صبيا صغيرا من الدار اسمه عبد الله ، ويكنى بـابي محمـد ويلقب بالعاضد ، وهو ابن يوسف بن عبد المجيد الحـافظ ، وابـوه احد الثلاثة الذين قتلهم عباس بعد الظافر ، واسـتقر في الخـلافة ، وهو الخليفة الرابع عشر من حيث ولوا هذا البيت ، لان كل خليفـة ولي علقت منطقته بقبلة الجامع ، وتكون منطقة الذين قبله مكشوفة ، ومنطقة الحي مغطاة ، فاذا مات وولي غيره كشفت وعلقـت منطقـة المولى مغطاة ، وكمل في الجامع مع هذه الى هذه السنة اربـع عشر منطقة ، وحدثني بهذا جماعة ممن سـافروا الى ديار مصر ، وبقـي العاضد في الخلافة واستقر ، والصالح السلطان بالبلاد .

وفي سنة خمس وخمسين وخمسمائة مات السلطان سنجر بمرو ، ودفن بها ، وكان خلص مـن الغـز في سـنة (٩٩) ... وخمسين وخمسمائة . وفي سنة خمس وخمسين وخمسمائة مـات السـلطان محمد شاه بهمذان ، وبقي مدة ومـات اخـوه ملكشـاه بخـراسان والاهواز .

وفي سنة خمس وخمسين وخمسمائة حج زين الدين علي كوشك ، ونزل الى بغداد ، ودخل الى الخليفة من باب البشرى ، وحمل له مالا كثيرا ، وخلع عليه الخليفة ، وفيها حج اسد الدين شيركوه من دمشق على طريق خيبر وتيماء الى المدينة الى مكة ، وكان هذا الطريق له مدة لم يسلك ولم يحج فيه احد .

وفيها انتقل القاضي كمال الدين الى خدمة نور الدين ، واقام مدة ، واعطي قضاء دمشق وعزل القاضي ركن الدين ، وبقي مدة ، ورد اليه نور الدين امر دمشق من القضاء والوقوف والديوان والولاية وحصل الجميع تحت حكمه الى الان .

وفي شهر رمضان من السنة ولي ولده محي الدين ابو حامد بن محمد قضاء حلب وعزل ابن ابي جرادة وهو ابن العديم ، وولي شمس الدين ابو القاسم ابن اخيه قضاء حماه وعزل امين الدين بن جيش ، وبعد مدة عزل جعفر بن ابي هندي ، وولي حمص شرف الدين ابو المعالي بن شمس الدين ، وحصل الشام جميعة بحكم كمال الدين واهل بيته .

وفيها احترق سوق الباب بميافارقين اولا في سنة خمس وخمسين وخمسمائة .

وفي سنة خمس وخمسين وخمسمائة وصل صدر الدين نصر بن جبريل من اخلاط الى ميافارقين متوليا على الديوان وناظرا على ميافارقين ظاهرا وباطنا .

وفي يوم الخميس سادس عشر من صفر سنة ست وخمسين وخمسمائة وصل صدر الدين ابو علي الحسن بن معاذ قاضي اخلاط الى ميافارقين ، وتولى القضاء بها وخلع عليه جبة اطلس وعمامة وطيلسان ، ونزل الى الجامع والناس معه ، وعزل محمد بن ابي يعلى ، وكانت سفارة الخاتون اذفذت احضرته من أسعرد ، وكان

قاضيا بها ، وولي قضاء اسعرد القاضي بدر الدين احمد القاضي ابا جعفر بن ابي العلي ، وفيها احترق سوق القبة ثالثا .

وفي سنة ست وخمسين وخمسمائة وثب الاكراد الملية على قلعة شاتان(١٠٠) وملكوها ،وانصرف عنها الامير درباس الجوبي ، وكان من البيوت الكبار ، وانهزم الى الجزيرة وملك ومات في الطريق ، وحضر فخر الدين ارسلان وملكها واخربها ، ونازل حصن طالب (١٠١) وملكه في جمادى الآخرة .

وفي سنة ست وخمسين وخمسمائة وثب القسوس بمدينة أنه على صاحبها الامير فضلون بن منوجهر وانهزم ومضى الى قلعة تسمى بكران مجاور سر ماري وسلم القسوس أنه الى ملك الابخاز كركور وحضر وعساكره وملكها ونهب منها مالا عظيما ، وسبى جميع آل شداد وفضلون ، وفي شهر جمادى الاولى ولى ملك الابخاز فيها حاجبه سعدون وعاد الى تفليس .

وفي رجب من السنة اجتمعت العساكر جميعها من جميع اطراف شاه ارمن وعز الدين سلتق وفخر الدين صاحب ارزن وصاحب الفرس وسر ماري ، وساروا الى نهر الرس وخرج الصاحب نجم الدين يقصدهم ، فنزلوا على آنة في شعبان من السنة واناخوا عليها فقصدهم ملك كركور ملك الابخاز وكبسهم على باب انة ، ولما وصلت العساكر والملك انهزم الامير سلتق ، فانفصل عن المسلمين لانه كان ملك الابخاز ديميطري لما اسره ، كما ذكرنا واطلقه ، استحلفه انه لايضرب في وجهه بسيف ولا وجه اولاده ولا يلقي له عسكرا ولالأ ولاده ما عاش ، وطلب سلتق الفرس ، فلما انفصل الامير سلتق انهزمت العساكر من المسلمين ، ووقع فيهم السيف ، وقتل منهم خلقا عظيما وانهزم شاه ارمن من باب آنه وصاحب ارزن بفرسه ، واسر من المسلمين مالا يحصى ، ونهب بلد شاه ارمن وقتل اكثر اصحابه ، والمسعود من سلم من الواقعة ، واسر من المسلمين مقدار تسعة الاف فارس وراجل من عساكر بيت سكمان وغيرها ، واسر بدر

لدين اخو الخاتون صاحبة اخلاط لامهـا ، وخلقـا لايحصى ، وبلغ خبر الكسرة الصاحب نجم الدين ، وكان وصل الى ولاية مناز جرد ، فعاد ولم يجتمع بشـاه ارمـن ولاحضر الوقعـة ، ووصـل الى ميافارقين .

ونفذ الوزير جمال الدين وزير الموصل الى ملك الابخاز رسولا وشفع في الامير هلدري القرقطي صاحب اسباكرد وكان من اصحاب شـاه ارمن واسر في الوقت فاطلقه ، ونفذ خمسة الاف دينار واشترى بهـا اسارى من المسلمين ممن ليس له احدولااهل ولا مـال ، واشـترى قوما حجازيين كانوا اسروا في الواقعة .

وفي سنة ست وخمسين وخمسمائة وصل الخبر ان قاضي القضاة ابن الدامغاني عزل من القضاء ببغداد وولي قضاء القضـاة شـمس القضاة ابن الثقفي قاضي الكوفـة ، وبقـي مـدة ومـات وولي ولده موضعه ، وأخذما في الدفعتين مقدار خمسين ألف دينار آمرية .

وفي شهر رمضان سنة ست وخمسـين وخمسـمائة عصى كوجـا بالبارعيه وقابل نجم الدين بالعصيان فنزل العسكر عليهـا فقـاتلوا مدة ، ووصل الملك نجم الدين وشمس الدين الحـاجب وحـاصروهـا مدة ، ووصل ناصر الدين ولد فخر الدين قرا أرسلان ومعه عسكر ونازلوها مدة ، ونفذ فخر الدين وأقام عنده مـدة ، الى خـدمة نور الدين فأقام عنده وهو في خدمته الى الآن ، ومضى ودخل مـع أسـد الدين شيركوه الى مصر وأقام مدة وعاد الى خدمة نور الدين في سنة ست وستين وخمسمائة .

وفي ذي القعدة سنة ست وخمسين وخمسمائة كان ببعلبك اسارى من الافرنج فوثبوا في بعلبـك فملكوها فقصـدها اسـد الدين شيركوه ، وتكاثر المسلمون عليها ، فاستنقذت منهم ، وانصرفـت الافرنج بالامان الى الساحل ، وفي ذي الحجة من السنة كسر شهاب الدين محمد بن الياس بن الغازي بن ارتق الافـرنج كسرة عظيمـة

وقتل خلقا عظيما واسر البرنس وسلمه الى نور الدين ، وبقي في اسره ، وأسروا جماعة وجمعوا نهبا كثيرا .

وفي المحرم سنة سبع وخمسين وخمسمائة اتصل جمال الدين ابو القاسم بن نيسان الى أخت فخر الدين دولت شاه ابن صاحب ارزن ، وعبر القاضي ناصح الدين ، والامام أبو طاهر بن الجرجاني ، والقاضي علم الدين أبو الحسن بن البغل وجماعة الى ارزن ، وملكوا وعادوا ونزلوا بفندق خبق ، ولم يدخلوا المدينة ، وخرج اليهم القاضي صدر الدين والجماعة وعادوا الى آمد ، وفي جمادى الأولى عبرت العروس ومعها جماعة من أهل أرزن والحاجب أحمد بن الرغيهي ووصلت الى آمد خامس جمادى الأولى .

وفي صفر سنة سبع وخمسين مرض الصاحب نجم الدين ـ شفاه الله ـ بماردين ، ونفذ الأمير شير باريك والأمير خبق وجماعة من الأمراء الكبار الى أخلاط لاحضار ولده قطب الدين ايلغازي ، وكان مقيما بأخلاط عند خاله شاه ارمن والخاتون منذ كان له ثلاث أو أربع سنين ، ولم يمكناه من العود الى أبيه وأمه ، فعادت الرسل أجمع ، ولم يمكن من العود ، فنفذ وأرسلا آخرين ، فنفذ شاه أرمن جريدة ، فوصل سابع صفر الى ميافارقين وأقام يومين ، وسار الى ماردين ولقي الصاحب نجم الدين ، ومن الله عليه بالعافية ، وحصل ولي عهد ابيه ، فطابت قلوب الناس بتوليته .

وفي شهر ربيع الأول من السنة سلم قراقفجاق غلام أخواجا له قلعة الذال الى ابن حسان المنبجي ، وبقيت معه مدة وأعادها الى شمس الدين سيونج .

وفي سنة سبع وخمسين احترق سوق باب المدينة ثالثا ، وفي شهر رجب سنة سبع وخمسين وصل كتاب كمال الدين المهذب العراقي مشرف الديوان فسار الى اخلاط في رساله ، فوصل الى أخلاط

واقام أياما ، وعاد من أخلاط فوصل الى درب بدليس ، فوقع فوق دير البيرة من على بعض الجسور الى الشط ، فوقع على صخرة فاندقت رقبته ، وكان وقوعه يوم الجمعة خامس شعبان ، وحمل الى دير البيرة ، وفيه نفس فمات فحمل ودفن في صحراء مسجد اويس ، ثم حمل الى ماردين بعد مدة ، وترتب في الاشراف الكمال البغدادي ثم العبدي .

وفي شهر شعبان من السنة أغارت الكرج على مدينة دوين (١٠٢) ودخلت اليها ونهبوا جميع ماكان فيها ، وقتلوا خلقا عظيما واسروا من المسلمين خلقا لايحصى ، ونقضوا المنارة التي كان بناها قوتي بن الأحدب من جماجم الكرج في وقعة أوقع بهم ، وأخربوا المساجد وأكثر الدور وعادوا الى تفليس ، والأسارى على العجل ، وغنموا غنائما لاتحصى .

وفي العشر الآخر من شوال من السنة كان بالشام زلازل كثيرة متواترة وخرب من حلب مقدار سبعمائة دار ، وخرب أكثر الساحل ، وخرب بعض جبلة وجبيل ، وماكان بقي من شيزر وبعض حمص وبعض حماة وأكثر الشام وتشعث .

وكان في شهر ربيع الآخر من السنة تزوج ناصر الدين ولد فخر الدين قرا أرسلان بنت فخر الدين دولت شاه وصاحب أرزن ودخل بها .

وفي سلخ جمادى الآخر من سنة ثمان وخمسين نزل فخر الدين قرا أرسلان على آمد وخيم عليها في عسكر عظيم ، ونزل اليه شمس الدين سيونج بعسكر الصاحب نجم الدين ، وحوصرت وضيقوا عليها مدة ، ونصب عليها برجا عمله له رجل مغربي ، فأخرج جمال الدولة جماعة من أهلها من اليهود والنصارى فسباهم فخر الدين وباعهم ، واقتتلوا عليها قتالا عظيما ، وبقي القتال والحصار والعساكر عليها .

وفي شهر رجب سنة ثمان وخمسين وخمسمائة قبض اتابك قطب الدين ممدود بن زنكي بسفارة زين الدين على الوزير جمال الدين بن ابي جعفر محمد بن علي الأصفهاني ، وحبس في قلعة الموصل ، ولم ير الناس من عهد البرامكة مثل كرمه وعطائه ، وكان أول زمانه وخدمته أتابك زنكي يلي اشراف الديوان ، وكان معه من الظلم والجور مالا يرى الناس مثله ، فلما ولي أتابك سيف الدين غازي وولي الوزارة انتقل من الشر الى الخير ، ومن الظلم الى العدل ، ومن الجور الى الانصاف ، ومن البخل الى الكرم ، وأظهر من الكرم وفعل الخير والصدق والعطيات والصلات مالم يعتمده أحد في هذا الزمان ، ونفذ مالا كثيرا الى مدينة الرسول فبناها وبنى سورها ، وبنى ماكان خرب بمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبنى في المدينة مواضع كثيرة ، وبنى بمكة ماخرب من الحرم ومواضع كثيرة من الحرم ، وعمل جبل عرفات ، وعمل الدرج فيه من أسفله الى رأسه من جميع جوانبه وكبس (١٠٣)اليه الماء من موضع بعيد وساقهالى تحت الجبل موضع منزل وعمل الأنابيب والأحواض برسم الحاج ، وكان يحمل كل سنة الى مكة والمدينة من الأموال والكسوة والنفقات للضعفاء والمساكين والمنقطعين لأهل هذين الموضعين مايقوم بهم مدة السنة ، وكان ينفذ للمجاورين المقيمين بمكة والمدينة كل سنة مايحتاجون اليه ، وكان له السبيل برسم سقي الحاج والمنقطعين وسقي الماء في الطريق وحمل من ينقطع من الضعفاء والرجاله ، وليس بلد من البلاد يمضي اليه من المسافرين من أهله الا يعطيهم ويجزيهم ويثبت ذلك في دستور عنده ، ويبقى ذلك رسما لهم في كل سنة يمضون يجدونه ، وقصده من أهل بغداد والعجم خلق عظيم من الاكابر والاولاد والوزراء والكتاب ارباب المناصب والاشراف ويعطيهم ويجريهم ، وحضر عنده ناس كثر من اهل اصفهان فاعطاهم وزاد العطية ، ونفذ الى مدينة القرنين سبعة الاف دينار وبنى سورها وكان انهدم وكانت مناخة الكرج ، ونفذ رسولا الى ملك الابخاز وسأله ان يبني بيمارستان في مدينة تفليس برسم المسلمين والمرضى والضعفاء بها ، فقال ملك الابخاز : انا ابني ذلك

من مالي ، ومرض الملك بعد مدة ومات ، وكان في كل سنة يبعث الى الشام ويشتري من الافرنج اسارى المسلمين ، ونفذ عند وقعة الكرج بشاه ارمن واشترى جماعة من الابخازي وخلص الامير هلدري ، وقد ذكرنا ذلك ، وغرم على جسر الياريار بين الجزيرة وفنك مالا عظيما ، وعقد اربع عينات احسن بنيه ، وبنى في نصيبين البيمارستان واوقف عليه الوقف ، وحصل فيه الحوائج والادوية ورتب الاطباء ، وحصل ينفق عليه في كل سنة شيئا كثيرا ، وجدد بالموصل ونصيبين المكتب برسم الايتام ، وجعل نفقاتهم وكسوتهم واجارة المعلم من ماله ، وبنى الجسر بباب الموصل عند باب الحصاة احسن بنية ، وجدد من الربض والمصالح ماليس بقليل ، وشرع في بناء جسر البافتاه على دجلة تحت الجزيرة ، وغرم عليه مالا عظيما ، ولم يبق فيه غير العينة الوسطى ، وقبض ولم يتم ، وكان كل يوم على باب داره من الضعفاء والمساكين خلق كثير ، وكان كل يوم يمضي وقد اخذ اما قليلا واما كثيرا ، ولما قبض جرى من المساكين والضعفاء من البكاء والاسف والحزن ما لايوصف ، وبقي في السجن الى العشر الاخر من شهر رمضان سنة تسعة وخمسين وخمسمائة ، ومات رحمة الله عليه ، وصلي عليه بالموصل ، وكان يوما عظيما من ضجيج الفقراء والمساكين والايتام حول جنازته بحيث انه لم يسمع بمثل ذلك اليوم ، ودفن بالموصل مدة الى سنة ستين وخمسمائة ، وحمل الى مكة ، وطافوا بتابوته حول البيت ، وحضر كل من بمكة وضجوا حول جنازته ، وحمل الى المدينة ، ودفن بالمدينة بعد ان طافوا به حول قبة الرسول وحضر كل من في المدينة ، ولم يحمل الى مكة والمدينة في هذا الزمان من مقدار مائة وخمسين سنة غير رامش الخادم التاجر ، وصاحب عون ، واخي الملك الصالح بن رزيك سلطان مصر ، وهذا جمال الدين الوزير ، وغره اليمن ، ولم يكن مثل جمال الدين وكرمه في هذا الزمان .

وفي يوم الاربعاء تاسع شعبان من سنة ثمان وخمسين وخمسمائة كسر شاه ارمن والسلطان ارسلان شاه بن طغريل وشمس الدين الدكز وفخر الدين صاحب ارزن ملك الابخاز والكرج

كسرة عظيمة ودخلوا الى حصن ارزن ، وكانت الوقعة هناك ، وكسروا اقبح كسرة ، وغنم منهم من الاموال مالا يوصف ولايحصى ، واخذ اصطبل الملك وكانت معالفه فضة ، واخذ الشراب خاناه وما كان فيه ، واخذت الدنان الفضة التي كانت فيه ، واحضر الدن الواحد بين يدى السلطان ، وكان الدن ورفيقه يحملان على عجلة ، فذفذه السلطان وانفذ من الغنيمةمقدار الفي دينار يشتري بها ، وحمل شربات ذهب وفضة وحمل الجميع الى جامع همذان للسبيل برسم شرب الماء ، واخذ التركمان الدن الاخر ، وقطعوه ، ونهبوا منهم نهبا عظيما وقتلوا خلقا كثيرا ، وانهزم ملك الابخاز الى غيضه عظيمة فيها خشب الصنوبر مسيرة ثلاثة ايام لايقع على احد فيها الشمس الا نادرا ، ولقد رأيت موضع الوقعة في هذه الغيضة لما كنت في خدمة ملك الابخاز في سنة تسع واربعين ، واخذ شاه ارمن ثلاثة جمال ، كان احدهم فيه انية ذهب وفضة ، والثاني كان عليه بيعة الملك فيه صلبانا ذهب وفضة مرصعة بانواع الجواهر ، وفيه اناجيل مصورة بالذهب مرصعة بالجواهر لايعرف قيمتها ولايؤخذ مثلها ، والثالث عليه خزانة الملك من ذهب وفضة وجوهر ما لايقوم بعضه كثرة ، بحيث انه قيل ان كتاب اخلاط بديوانها قوموا ما وصل الى شاه ارمن ، وكان مثل ما اخذ منه على باب انه عندما كسر ثلاثين ضعفا ، ولقد سمعت هذا من جماعة كثيرة من اهل اخلاط ممن كان بالواقعة ، وكنت اذ ذاك ببدليس ، ويوم وصل المبشر الى اخلاط بالكسرة كنت باخلاط وجماعة من الفارقية ، وكان يوما عظيما بحيث انه ذبح من البقر بعد يومين مقدار ثلاثمائة رأس وفرق لحمها على المساكين والضعفاء ، وبعد ايام وصل شاه ارمن الى اخلاط واظهروا فيها كل شيء لايرى مثله من الاموال والتجمل ، ووصل صاحب بدليس اليهاوزين البلد لقدومه في اول شهر رمضان ، وكنت ببدليس وكان فخر الدين قرا ارسلان هذه المدة جميعها محاصرا لآمد الى ثاني عشرين شوال سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ، وكان سبب ذلك ان يعقوب ارسلان ابن الدانشمند قصد ولاية خرتبرت ونهبها ونهب ولاية شمشكازاك(١٠٤) وتوسط البلاد واخربها ، فرحل فخر الدين عن آمد يطلبه ، وخرج

المالك نجم الدين وسار اليه ، وأخبر فخر الدين صاحب ارزن وساروا جميعهم الى خرتبرت وراسلوا يعقوب ارسلان واقاموا هناك مدة ، وعاد يعقوب ارسلان الى بلاده ، وعاد المالك نجم الدين الى ميافارقين واقام بها الى ثامن عشر ذي الحجة سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ، ووصله فخر الدين سنقر بن الب قرا أرسلان رسولا من الخليفة المستنجد ، وخرج اهل البلد فلقوه ، ونزل بالربض وبات ليلة ، واصبح فخرج الامير الى لقائه ، ولقيه بالميدان ، ولقي شمس الدين الحاجب ، ودخل المدينة ، ونزل في دار العجمية واجتمعت به ، واخبر ان مؤيد الدين سديد الدولة ابا عبد الله محمد بن عبد الكريم بن الانباري توفي ببغداد في شعبان سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ، وصلى عليه الخليفة المستنجد بنفسه اماما ، فانهم احضروا التابوت الى الجامع الى المقصورة وحضر الخليفة وصلى عليه ، وصلى الناس عليه بامامته ، وكان يوما مشهودا ببغداد ودفن في مقابر قريش عند الامام موسى بن جعفر عليهما السلام ، ورضي الله عنه ، وترتب ولده شمس الدين شرف الدولة ابو الفرج في موضعه في ديوان الانشاء بديوان الخلافة .

وفي غرة المحرم سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ، وقع الخلاف بين ناصر الدولة محمود بن ظفر خان وبين الارمن بالسناسنة ، وكان له قلعة فنيزاثا ، واغار عليهم ونهبهم نهبا عظيما ، وسبى مماليكا كثيرة ، ونهبت ارتحوا واحرقت ، ووصلت خيله واغارت رجاله على مواضع من بلاد الارمن من لم تصل اليه الغازية من اول الزمان والاسلام ولازم الغارة عليهم كل اسبوع ، وبقي يجد في طلبهم وقلعهم .

وفي شهر رمضان ، في اوله ، سار الصاحب نجم الدين الى ماردين ، وقصد جسر اقرامان وبات هناك واصبح وسار الى اوسل الهينة ، وبات ونفذ احضر الطشتي الى معز الدين الوالي بميافارقين ، وامره بالقبض على الحاجب شمس الدين ، وكان تخلف بعد الامير بميافارقين فقبض في رابع المحرم واعتقل بالقصر ،

وحمل كل ما كان في داره الى ماردين : الدواب والقماش والخزانة ، وبعد ايام ولي الحاجب صلاح الدين زكري بن يوسف ينال الحجبة الصاحب نجم الدين ، وردت الامور اليه .

وفي ثاني عشرين رجب من سنة تسع وخمسين وخمسمائة مات ناصر الدين ولد فخر الدين قرا ارسلان بحصن كيفا ، وكان اكبر اولاده ، ونال فخر الدين عليه امرا لايوصف ، وحضرت الخاتون وقطب الدين وكهار خاتون وشير باريك ، واكابر الدولة ، ولقد حدثني جملة من الثقات من أرباب دولة فخر الدين انه في هذه السنة وماقبلها منذ نزل فخر الدين على آمد الى بعض سنة تسع وخمسين وخمسمائة مات من أولاد فخر الدين سبعة أولاد ما فيهم غير بنت واحدة مع ابن لهذا ناصر الدين ، ومات قبل ابيه بمدة .

وفي الخميس غرة جمادى من السنة مات القاضي ناصح الدين ابو عبد الله الحسن بن محمد بن وهبان بأرزن ، وولي قضاء أرزن صارم الدين حسن ابن اخيه ، وولي قضاء بدليس المؤيد أبو طاهر عبد الله بن الخطيب ، وصلي عليه يوم الجمعة بميافارقين .

وفي شهر ربيع الاول وصل الخبر أنه احترق بسوق اخلاط مقدار سبعين حانوتا وبيوتا كثيرة ، واحترق كل ما فيها من المال والقماش .

وفي ثاني شهر ربيع الاول من السنة ابتدي في نقض البرج المعروف ببرج اريق بتولي الزاهد قراقوش الحسامي ، وكمل نقضه في مدة شهر ونصف ، وابتدي في عمارته في يوم الاربعاء خامس جمادى الاخر وكملت عمارته جميعها وانفق العمارة يوم السبت ثامن عشر ذي الحجة سنة تسع وخمسين وخمسمائة ، وكانت مدة العمل ، غير النقض ، مدته ستة اشهر وثلاثة وعشرين يوما ، ولم يعمر مثله قط في مثل هذه المدة اليسيرة ، وجاء احسن بنية ، وذلك

بسعادة المالك نجم الدين ، وهمة ياقوت الحسامي ، فقد اجتهد في العمل وبالغ في ذلك .

وفي شهر ربيع الاخر سنة تسع وخمسين وخمسمائة ، مات الشيخ حجة الدين مروز رحمه الله بقرية من ولاية حصن طالب كرم الروذ ، وكان ضر ، وكان تسمى فقيها عالما فاضلا ، وكان في سادس نيسان في اول سنة تسع وخمسين ، خرج امير الجيوش شاور سلطان مصر الى نور الدين ، ولقيه فاجتمع به ، واقام عنده وتحدث معه واكرمه ونزل في جوسق معز الدولة ، ظاهر دمشق تحت القلعة ، واطمعه في مصر ، فتجرد اسد الدين شيركوه في ثمانية الاف فارس ، خيار العسكر ، وسار ليدخل مصر ، فخرجت الافرنج عليهم في الطريق ، واقتتلوا قتالا شديدا ، وقتل جماعة من الافرنج ، ودخلوا الى بلد مصر فملك اسد الدين شيركوه ولاية العريش ، ومدينة بلبيس ، وهي مدينة صغيرة من اول ولاية مصر ، واقام بها وراسل اهل مصر ، فخرج امير الجيوش الذي ولي موضع شاور وكان اسمه ضرغام ، ومعه عسكر ، فلقوا اسد الدين فكسرهم وعادوا فجمعوا فكسرهم مرارا ، ثم ان اهل مصر نفذوا الى شاور ليعود فلم يفعل ، فنفذوا الى الافرنج فارغبوهم وجاءوا ، ولقوا اسد الدين فكسرهم ونهبهم ونهب اموالهم ، وعاد الى بلبيس واقام بها وحصل كل بها مقيما ثلاثة وتسعين يوما ، وقتل الضرغام ، وصالح رابع ذي الحجة ، وحصل كل أيام قلائل يلقاه الافرنج ويكسرهم ، فنفذ اهل مصر الى شاور وطيبوا قلبه ، وحلفوا له ، فعاد وولي السلطنة بمصر واستبد بها ، فنفذ الى اسد الدين وقال له : تعود من حيث جئت ، ونفذ اليه شاور ولده فقتله ، وعاد فخرج شاور بعسكر مصر ، فلقوه فكسرهم ، فلقد سمعت من جماعة أن أسد الدين لقي الافرنج واهل مصر في سنة تسع وخمسين وخمسمائة ستة وثلاثين مرة وهو مقيم ببلبيس وجميعها ينصر أسد الدين عليهم .

ثم انه عاد الى الشام ، وبقي مدة ، ودخل ثانيا في العشر الثاني من شهر ربيع الاول سنة اثنتين وستين وخمسمائة وقيل رابعة ،

وهو الصحيح ، واخذ معه أجود العسكر ، وسار ودخل ولقي الافرنج فكسرهم ، وسار الى ولاية مصر فدخل اليها ، وجاءت الفرنج الى مصر واجتمعوا فلقوا أسد الدين فكسرهم ، ومضى نزل اسكندرية وحاصرها ، واجتمعت الافرنج بأهل مصر وضايقوا عليه ، واخذوا عليه الطرق ، فنفذ صلاح الدين بن نجم الدين الى الافرنج ، وقال : اتخذوا عندنا يدا وافتحوا لنا الطريق فقالوا : نحن بامركم اعبروا بالامان ، فرحل اسد الدين واصحابه ، وساروا في بلاد الافرنج امنين ونفذوا لهم العلوفة والاقامة في جميع بلادهم ، وخرجوا من الساحل الى الشام سالمين •

وفي سنة تسع وخمسين وخمسمائة في جمادى الاول دخلت الكرج مدينة آنة واخلوها ، ووصل شمس الدين الدكز وملكها ، واقام بها اياما ، وعاد اليها بعض من بعد عنها ، وشرع في عمارتها ، وانصرف شمس الدين الدكز الى باب مدينة جنزى ، وعزم على لقاء الكرج ، وفي هذه السنة اوقع الامير ابراهيم صاحب سرماري بالكرج وقعة عظيمة وقتل منهم خلقا كثيرا ، واسر جماعة من كبرائهم ، وفي اخر السنة سلم شمس الدين الدكز آنة الى الامير شاهنشاه اخو الامير شداد وفضلون الذين كانوا اصحابها من اولاد منوجهر .

وكان الامير نصرة الدين اميران بن اتابك زنكي لما اخذت حران وصل الى حصن اخلاط واقام عند ابن نيسان مدة ، ثم سار الى الروم ، ودخل الى السلطان قليج ارسلان واقام عنده مدة ، ثم انه عاد الى الساحل وجيش الافرنج على المسلمين في هذه السنة .

ووصل الخبر ان في هذه السنة في جمادى الاخرة سابع عشرة كبست الافرنج نور الدين على رأس الماء ، وقتل من المسلمين ، وقتل اخو مجد الدين صاحب حلب ، وقتل الامير يونس الذي كان في خدمة الحاجب شمس الدين ، وكان انهزم من ماردين قبل قبض شمس الدين ، ومضى الى خدمة نور الدين ، وقتل في هذا اليوم ، وقيل اسر

وقتل ، وقتل واسر جماعة من الامــراء الكبــار وقصــدوا ذور الدين واحاطوا به ، فحامى عنه شهاب الدين محمد بــن اياس بــن ارتــق ومعه جماعة ، وخرج شــهاب الدين وثبــت الى ان خلص ذور الدين وكانت وقعة عظيمة ، وبعد مدة سار اتــابك قــطب الدين وزين الدين وعساكر ديار ربيعة الى الشام الى نصرة ذور الدين .

وفي الاربعاء ثاني عشر جمادى الاخــر وصــل فخــر الدين قــرا ارسلان الى قلعة ماردين واجتمع بالصاحب نجم الدين .

وفي الخميس ثالث عشره ماتت كهارخاتون رضي الله عنها ، وشــهد فخر الدين موتها ودفنت بالمشهد في التربة ، واقام فخر الدين ثــلاثة ايام ، وقرر مع الصــاحب نجــم الدين المســير الى ولاية يعقــوب وقصده ، ثم سار الى حصن كيفا ، وخرج نجم الدين الى شــاطىء دجلة واجتمعا وسارا الى خرتبرت ، ولحقهم فخــر الدين صــاحب ارزن ، وساروا فعبروا الفرات الى ملطية ، ونهبــوا بعض بلدهــا ، فلما سمع يعقوب ارسلان بوصولهم انهزم من بين ايديهم الى اقصى بلاده ، وساروا الى ان بقي بينهم وبين سيواس القليل ، فــوصلهم رسول من ذور الدين ومن زين الدين يدعوهـم الى الغزاة ، ويقــول : ان الافرنج قد خرجت وانتم المسلمون يقاتل بعضكم بعضا ، ثم دخل بينهم في الصلح ، فاصطلحوا واعادوا اليه البلاد جميعا على جميع ماارادوا منه واختــاروا ، ودخــل تحــت حــكمهم ، وعادوا الى خرتبرت ، فسار فخر الدين بعسكره ومن كان معه الى الشــام الى الغزاة ، وعاد الملك نجم الدين الى البــلاد في اخــر شــعبان ، ونزل بقصر الشيبانية من ولاية ماردين ، وصام هناك شهر رمضان ، لانه موضع فيه الماء البارد والمروج والهواء الصحيح .

واما فخر الدين قرا ارسلان فانه سار الى الشام ، فصادف ذور الدين والعساكر نزولا على قلعة حارم وهــم محــاصروها ، فــاقام عندهم اياما ، وعاد نصرة الدين اميران الى خدمة اخيه ذور الدين ،

فأقاموا الى سابع عشرين شعبان ، وكان يوم الاربعاء سنة تسع وخمسين وخمسمائة ، واغارت الافرنج وكبسوا المسلمين واقتتلوا قتالا عظيما وانهزموا حتى اشرفوا على الهلاك ، ثم عاد زين الدين وعسكر الموصل وثبتوا ، وعادت العساكر وفخر الدين ، واعطاهم الله النصر ، فعادوا على الافرنج فكسروهم ، وقتلوا خلقا عظيما مقدار ثمانية الاف واسروا مثلها ، وكانت الواقعة في موضع يسمى عم (١٠٥) من ارض ، الشام ، بين صلاة العصر والظهر ، ولم ير مثل هذه الواقعة منذ سنين ، واسروا صاحب طرابلس وصاحب انطاكية ، وصاحب حصن الاكراد والفطرك الاكبر ، الواصل الى الافرنج من ملك الروم ، وكان فتحا عظيما ، ولم ير الناس مثله منذ ملكت الافرنج الساحل ، وملكوا قلعة حارم ، وعادوا بالاسلاب والغنائم ، وبعد الكسرة انفصل فخر الدين وعاد الى خرتبرت ومعه الاسلاب والاسارى والغنيمة ، وقد قتل من عسكره جماعة من الاكراد .

وفتح المسلمون دير سمعان ، ونهب كل ماكان فيه ، ولم يذكر احد انه فتح منذ اول الاسلام ، واقام عسكر الموصل وزين الدين اياما بعد الكسرة ، وعادوا الى الموصل .

وفي العشر الثاني من شهر رمضان من سنة تسع وخمسين وخمسمائة مات يعقوب ارسلان ودفن بسيواس ، وملك موضعه الامير اسماعيل بن ابراهيم بن الملك محمد بن غازي ابن الدانشمند ، وهو ابن ستة عشر سنة ، وعاد فخر الدين الى حصن كيفا اخر السنة .

وفي الخميس حادي عشر ذي الحجة وصل ولد فخر الدين ومعه الامير محمد بن عز الدين من الاقامة والضيافة والنزل شيئا كثيرا ، فمن غدوة ذلك اليوم ساروا الى حصن كيفا ، ويوم الاحد خامس محرم سنة ستين وخمسمائة وصل الملك نجم الدين وجمال الدين والجماعة الى ميافارقين ، وباتوا ليلتهم ، ويوم الاثنين سادسه

وصل الملك قطب الدين والخاتون بعد الظهر ، واقاموا الى يوم الجمعة عاشر المحرم ، وخرجوا الى اقرامان القاء الخاتون صاحبة اخلاط ، ودخلوا الى المدينة يوم الثلاثاء رابع عشر المحرم ، وكان يوما مشهودا ، ودخلت بالتجمل والجنائب والسجوف والمراكب ، واحسن زي واكمله ، واخبروا ان صفي الدين ابا البركات رشيق الصوفي بخلاط توفي بها في رابع المحرم من السنة ، واقاموا الى سادس عشر المحرم ، وساروا الى حصن كيفا لاحضار العروس بنت فخر الدين قرا ارسلان للمولى قطب الدين ايل غازي بن الملك نجم الدين ، وسارت الخاتون بين صمصام الدين وقطب الدين وسيف الدين شيرباريك واكابر الدولة واعيانها من النساء والرجال ، وتخلفت خاتون اخلاط بقصر ميافارقين الى ان وصلوا ، وكان وصولهم يوم الجمعة سابع عشرين المحرم سنة ستين وخمسمائة ، وحضرت معهم العروس واخوها نور الدين ولد فخر الدين ومعهم أكابر دولة فخر الدين ووصل معها من الجهاز مالا يحصى ، ووصل الحاجب كوجي والحاجب ياغي ، وعز الدولة ابن نيسان ، ودخلوا بعد العصر وكان يوما مشهودا بحيث انه لم ير مثله اهل ميافارقين ، ونزلوا دار ابن موسك ، ومن غدوه عمل في القصر السماط اربعة ايام متوالية ، وبعد ذلك عملت خاتون اخلاط السماط سماطا عظيما ، وخلعت على اكابر الدولتين من الخلع مالا ينحصر ، ولم يبق احد من الحاشية والامارة والحجاب الا وخلع عليهم .

وفي الاثنين رابع صفر سارت خاتون اخلاط على طريق جبل جور ، وخرج الامير والجماعة لوداعها ، وفيه سار ولد فخر الدين واصحابه بعد ان خلع عليهم والخاتون خلعا كثيرة ، وفيها سار جمال الدولة ابو الحسن محمد بن نيسان الى آمد وخلع عليه وعلى اصحابه ، واقام الامير واصحابه ومكث الجميع بميافارقين خمسة وثلاثين يوما غير اليوم الذي ساروا فيه ، ولما عادت خاتون اخلاط الى اخلاط امرت ببناء جميع الجسورة التي كانت بدرب بدليس بالكلس والحجر ،

وكانت جميعها بالاخشاب مطروحة عليها ، فعمرت وغرمت عليها مالا عظيما ، وعملت جميع طريق درب بدليس من مسجد اويس الى بدليس ، وكانت عدتهاتسع مواضع فيها تسع جسورة ، وعملت عاقبة تحت بدليس عملا لايرى مثله ، وبنت تحتها جسرا وجعلت في الجسر من جانبه فندقا عجيبا بحيث يبيت فيه مقدار ثلاثمائة دابة بأحمالها واصحابها ، فلقد اثرت في هذا الطريق من الخير لم يعمل احد مثله .

وفي صفر من السنة وصل الخبر ان اسد الدين شيركوه عاد الى الشام من مصر وتلف اكثر عسكره ، ووصل في ذفريسير .

وفي الاحد رابع عشر صفر تزوج الامير صمصام الدين يعقوب بن سليمان بن داود بكوج خاتون بنت شهر باريك .

وفي الجمعة غرة شهر ربيع الاول وصل جماعة من الحاج واخبروا انهم في هذه السنة ماوصلوا الى مدينة الرسول عليه السلام لانه وقع الموت في الجمال ، وغلا عليهم السعر .

وفي ليلة الاثنين منتصف شهر ربيع الاول توفي الامير سيف الدين بن داود بطنزى (١٠٦) ، وسار جمال الدين من حاني الى العزاء الى حصن كيفا ، واقام اياما ، وعاد وصحبته اخته هدية خاتون ، وبات بالربض ، وسار الى حاني

وفي شهر ربيع الاخر سنة ستين مات المقدم الزعفراني ، وكان في يوم الاثنين عاشر شهر ربيع الاول مات نصرة الدين اميران بن اتابك زنكي بحصن كيفا عند فخر الدين ، فانه كان وصل اليه على سبيل الغضب على اخيه نور الدين ، واحسن اليه فخر الدين ، وكان له جنازة عظيمة مشهورة ، بحيث نزل فخر الدين وتبعها راجلا وجميع اهل دولته ودفن بحصن كيفا .

ووصل الخبر ان في ثاني شهر ربيع الاخر من السنة توفي الشيخ الامام جمال الاسلام ابو القاسم بن البرازي الفقيه بالجزيرة رحمه الله ، وكان فقيها عالما فاضلا لم يكن مثله ، ووصل الخبر ان امين الدولة ابو الحسن بن التلميذ الطبيب ، توفي ببغداد ، وكان نصرانيا ، وقد جمع من سائر العلوم مالم يجمع في غيره ، وكان موته يوم صوم النصارى ، ولم يبق من الجانبين من لم يحضر البيعة ، وشهد جنازته.

وفي جمادى الاول وصل الآمدية في خدمة فخر الدين ، وعبر القاضي ناصح الدين قاضي آمد الى حصن كيفا وقرر الصلح ، وحلف لهم فخر الدين وصاروا من جملته .

وفي جمادى الاخرة ولى النفيس بن مخطر ابن عم المؤيد ولده شمس الدولة خدمة الخاتون ، وقطب الدين ولد الصاحب .

وفي شهر رجب وصل تميم بن عادل عميدا بميافارقين ، وعزل المهذب بن سالم ، ووصل ابو الوفاء بن المهذب بن حيان مشرفا على الديوان ، ووصل الزكي حسن بن زيد محتسبا ، وعزل حسين بن ابي يعلى عن الحسبة .

وفي رجب وصل الخبر ان الوزير عون الدين بن هبيرة توفي ببغداد رحمه الله في جمادى الاولى ، وجلس قاضي القضاة ابن الثقفي ينوب في الوزارة ، وفي العشرين من شهر رمضان سار القاضي صدر الدين ابو علي الحسن بن مسعود الى الموصل ليسير صحبة عمه بهاء الدين اوس الى مكة .

وفي ذي القعدة من السنة عبر قطب الدين ، ومعه الحاجب زكري الى خلاط ، واقاما اياما الى ثالث عشر ذي الحجة ، وعادوا الى ماردين .

وفي ذي الحجة والمحرم وصفر سنة احدى وستين وخمسمائة كان

بالشام موت عظيم ووباء على اكثر البـلاد بحيث قيل انه مـات مـن سلامية وبلدها مقدر عشرة الاف نفس ، وخرب اكثر الضياع مـن بلد حماه وحمص الى دمشق .

وفي ثاني عشر صفر سنة احدى وستين وخمسمائة مـات الامير محمود بن طرخان بميافارقين بدار العجمية ، ودفن عند قبة سـوار على طريق ارزن ، وكان رحمه الله قد وصـل مـن غزو السـناسنة والارمن وقتل وغنم ، وكان له فيهم وقعات جماعة ، وبعد ايام اعطي حصن ماناثا متاخم السناسنة ، وعين لبدر الدين زين الحجاب ابي منصور بن ابي صالح .

وفي سلخ صفر وصـل ابـراهيم بـن الحاج الماردي عميدا على ميافارقين ، وعزل تميم بن عادل ، وفي سابع شهر ربيع الاول وصـل صدر الدين من الحجاز سالما ، واخبر ان عمه بهاء الدين اوس جاور مكة ، وأخبر أن تابوت جمال الدين محمد بن علي الأصفهاني رحمه الله حمل معهم الى مكة ، وصعدوا به الى جبل عرفات ودخلوا به مكة واطافوا به حول الكعبة في كل يوم مرارا عدة مدة مقامهم بمكة ، وحمل معهم الى المدينة ، وطافوا به حول قبة الرسول صـلوات الله عليه ، ودفن بالبقيع عند الصحابة رضي الله عنهم وعنه ، وحـكي ان يوم وصوله الى مـكة كان يومـا مشـهودا بحيث كانوا يطـوفون بالتابوت حول الكعبة لم يوجد لاحد موضع يضع قدمه ، واهل مـكة يضجون ويبكون بحيث لم يسـمع بمثـل ذلك وكذلك عندمـا وصـل المدينة ، ولقد سمعت من جماعة ممن يتردد الى مكة وممن هـو مـن اهل مكة انهم اتفقوا انه لم يحمل الى مكة ميت منذ اول الزمان غير رامش الخادم ، وصاحب عمان ، وملكة عدن وهـي الحـرة ، وابـن رزيك اخو الملك الصالح الذي كان سلطان مصر في ايام الفائز ، وهذا جمال الدين وزير الموصل رحمه الله ورضي عنه وعنهم .

وفي شهر ربيع الاول مات عز الدين موسى بن حمود قاضي ماكسين (١٠٧) مات بماكسين وكان اماما عالما من اصحاب الامام الشـافي

(١٠٨)رحمهما الله وولي ولده موضعه ، وفي الاربعاء ثالث عشر شهر ربيع الاول سار الامير والخاتون والجماعة الى ماردين . وفي تاسع عشرين شهر ربيع الاول من سنة ستين وخمسمائة ابتدي في نقض برج المرأة عند باب القصر ليجدد .

وفي شهر ربيع الاخر من السنة مات شمس الدين سيونج الحاجب بالموصل ، وبعد مدة حمل الى ماردين ودفن بها .

وفي ثاني عشر جمادى الاول ، وفي الثلث الاول من الليل احترق سوق باب المدينة ،نوبة رابعة .

وفي جمادى الأول عزل جمال الدين الوزير بحصن كيفا نفسه عن الوزراة ، ولزم البيت والزاوية ، ورتب اخاه الأصيل في موضعه ، وولي الصفي يحيي بن عبد الواحد الاستيفاء بولاية فخر الدين جميعها .

وفي يوم الاربعاء ثامن عشر جمادى الأول وصل قطب الدين وشير باريك والعروس الى حصن كيفا ، وزين البلد ولقوهم احسن ملقى ، وجاء في دجلة زيادة عظيمة بحيث نفسخت قواعد الجسر بحصن كيفا ، وأقاموا الى الاثنين غرة جمادى الآخر ، وساروا جميعهم الى ماردين .

وفي غرة جمادى الآخر من السنة ابتدي في عمارة برج المرأة ، وكان نقضه في شهر ويوم واحد ، وفتح باب قلوفح من المدينة لأجل العمارة ونقل الآلة .

وفي جمادى سار قطب الدين الى جبل جور ، وعزل الوالي وقبضه .

وفيها وصل الخبر أن مجد الدين وعساكر الشام كسروا الافرنج كسرة عظيمة ، ونهبوا نهبا عظيما ، وكان فتحا مشهودا .

وفي سادس رجب ، قبل العصر أمطرت ، وجاء على الكروم والبساتين بميافارقين من المطر مالا يوصف ، بحيث تلفت جميع الغلات من الفواكه وغيرها مع الكروم ، وحمل المد دوابا كثيرة ومواشي كانت ترعى ، وقلع الأشجار ، وكنس الأراضي ، وكان منه على الناس مضرة عظيمة ، وتلف ما يحصى .

وفي الاثنين رابع عشر رجب من سنة ستين وخمسمائة عبر الأمير والخاتون الى حامة وجبل جور ، وباتوا بقرية البازار ، وفي هذا اليوم عبر فخر الدين قرا ارسلان الى خرتبرت من حصن كيفا .

وفي الأربعاء سلخ رجب عند صلاة الصبح كانت زلزلة عظيمة بحيث جرى الماء من حنباص(١٠٩) ورأس العين وجميع الأعين طينا أحمر الى ضحى النهار ، وبعد ايام وصل الخبر أن أرزن كان(١١٠) وما حولها خربت من الزلزلة ، وكانت اول يوم من حزيران من السنة ، وخربت مواضعا جماعة من ناحية أرزن كان وما حولها .

وفي الخميس ثامن شعبان من السنة عاد الأمير من الحامة من جبل جور ونزل بالزبيبة من ناحية الحيز ، وخرج اليه جمال الدولة ابن نيسان والجماعة من آمد .

وفي شهر شعبان من السنة وصل شمس الدين بن القرباشي الواعظ ، وجلس يوم الجمعة بميافارقين بعد العصر ، وكان له مجلسا عظيما مشهودا .

وفي الاثنين ثالث عشر رمضان فرغ من بناء برج المرأة من السور ، وكان مدة بنائه ثلاثة اشهر وثلاثة عشر يوما .

وفي يوم الجمعة خامس عشر رمضان ابتدأ الزاهد ابو الحسن علي بن الطويل في بناء قاعدة من جسر الدمس .

وفي رابع عشرين شوال وصل الخبر انه ولد لقطب الدين بنت من جارية .

وفي سابع عشرين شوال من السنة عند الليل كان زلزلة عظيمة ، وكان ضحوه الغد أخرى أقل من الاولى .

وفي ليلة الجمعة تاسع عشر ذي القعدة سنة احدى وستين وخمسمائة توفي الشيخ شيخ الشيوخ ابو الحسن علي بن المحور ، رحمه الله عن ست وتسعين سنة لانه كان مولده سنة ست وستين واربعمائة ، وصلي عليه بعد صلاة الجمعة ، ودفن بالأزج على اجداده رحمهم الله ، وكنت مريضا ، ولم احضر الجنازة .

وفي ذي القعدة وصل النفيس ابو طاهر بن السديد العارض بن الحديثي ناظرا على ديوان ميافارقين ، وبعد ايام وصل ابو سالم بن سكمان ، قبحه الله ، متوليا على اشراف الديوان .

وفي السبت ثاني المحرم سنة اثنتين وستين وخمسمائة سرت الى حصن كيفا ، وأقمت اياما وعدت الى ميافارقين ، ووليت اشراف الوقف بميافارقين في حادي عشر المحرم من السنة .

وفي صفر من السنة مات الشيخ خلف الزاهد بأسعرد ، وصلي عليه بميافارقين ، وفيه مات الشيخ الزاهد بن الزاهد عمر بن الأخوة ، وكان زاهدا تقيا ، وصلى عليه بهاء الدين بميافارقين .

وفي العشر الثاني من شهر ربيع الاول سنة اثنتين وستين وخمسمائة دخل اسد الدين شيركوه الى مصر ومعه من العسكر ما لا يحد من الرجل والخيل ، ولقوا الافرنج ، ونازلوا الاسكندرية ، وأنفذ أهل مصر واحضروا الافرنج وبذلوا لهم مالا عظيما لنصرتهم ، فحضروا ، وكان سلطان مصر شاور قد وصل الى

الشام لما خرج عليه الضرغام وقوي عليه ، وملك السلطنة ، وانهزم شاور ووصل الى دمشق واستنجد بنور الدين ، فسار معه أسد الدين ، فلما وصل الى مصر انهزم الضرغام ، وملك شاور الأمر ، فنفذ الى اسد الدين ان يرجع ، وحمل له مالا كثيرا ، فلم يفعل ، ومضى فنازل الاسكندرية ، فنفذ شاور وأحضر الافرنج ، واحاطوا بأسد الدين ، وجرى بينهم قتال كثير ، ثم إن صلاح الدين نفذ الى ملك الافرنج وقال له : اتخذ عندنا يدا ، وأطلق لنا الطريق في بلادك ، فقال ذلك لكم ، فسار أسد الدين و جماعته في بلاد الافرنج على الساحل الى دمشق فوصلها ومن كان معه من أصحابه .(١١١) .

وفي تاسع وعشرين شهر ربيع الاول من سنة اثنتين وستين وخمسمائة وصل الأمير والخاتون والجماعة الى ميافارقين واقاموا بها .

وفي الجمعة سادس عشر شهر ربيع الآخر وصل القاضي صدر الدين بن القربة وبقي الى ليلة الاربعاء واشتد به ، ومات يوم الخميس ثاني عشرين شهر ربيع الآخر من السنة رحمه الله ورضي عنه ، ودفن في داره في الحجرة ، وعمل شمس الدين ابو الفتح بن طبرله العزاء والمجلس ، وحضرت الخاتون وغرمت من مالها شيئا كثيرا ، وكان له عزاء عظيم ، وكانت ولايته القضاء بميافارقين سنة ست وخمسين وخمسمائة ، فرحم الله ذلك الشخص وفي الاحد عاشر جمادى الاول من سنة اثنتين وستين وخمسمائة ولي القضاء القاضي بهاء الدين ابو طاهر بن تاج الدين بن نباتة بميافارقين بسفارة امين الدين ورأي الخاتون ، واستبد له الأمر .

وفي ثامن عشر جمادى الأولى توفت زوجة الأمير سيف الدين شيرباريك .

وفي غرة جمادى الآخر سار الأمير والجماعة الى ماردين .

وفي عاشر شهر رمضان مات الشيخ مبارك الزاهد بآمد ، وصلي عليه بميافارقين .

وفي ثامن عشر شهر رمضان مات فخر الدين قرا ارسلان بن داود بخرتبرت ، وحمل الى حصن كيفا ، وعبر في بلد ميافارقين ، ودفن في التربة التي بنى بحصن كيفا .

وفي ليلة الأربعاء ثامن عشرين شوال كان زلزلة شديدة خربت بالشام مواضع كثيرة .

وفي آخر ذي العقدة احترق بدمشق سوق باب جيرون (١١٢) (واللبادين وباب الساعات) ودار سيف الدين وباب الجامع الشرقي ، وحضر اسد الدين وفتح باب الجامع وتكاثرت الناس وأطفىء الحريق بعد ان احترق شيئا كثيرا ، ونهب اكثر ما كان في تلك الناحية .

وفي شهر ربيع الأول سنة ثلاث وستين وخمسمائة ولي وزارة الخليفة المستنجد بالله ببغداد ابن البلدي ، وكان ناظرا بواسط ، يلقب بشرف الدين ، وأظهر العدل والاحسان الى الناس ، وبعد مدة عزل قاضي القضاة ابن الثقفي عن القضاء ، ورتب العدل روح بن الحديثي بتولي القضاء

وفي جمادى سنة ثلاث وستين ولي امين الدين التونتاش الديوان والبلاد مع المؤيد ، واظهر العدل والاحسان ، وقام بالواجب فيما فوض اليه .

وفي حادي عشرين جمادى الآخر قبض المهذب منصور بن الحباب ، وأخذ جميع ماله ، وحبس مدة ، وانهزم بعدما ضمنه جماعة من اهل ماردين ، ومضى الى الرها ، ودخل أنطاكية ، وسار أكثر الضمان في طلبه الى حلب ، وكنت بها ، ولم يعد ، وبقي بعد

ذلك مدة ، وعاد الى دارا ، وأقام اياما ، وعاد الى ماردين فقبض وحبس ومات في الحبس .

وفي رجب سنة ثلاث وستين وصل نور الدين الى الرها ونازلها مدة واخذها من اولاد الأمير حسان ورتب فيها الشيخ اسماعيل الخازن واليا ، وعاد الى منبج فنازلها اياما وأخذها وسلمها الى ابن حسان الآخر وعاد الى حلب .

وبعد ايام أغارت الافرنج على نواحي حمص وأخذوا تركمان وعرب كانوا هناك

وفي أول رجب وصل الخبر ان عز الدين سلتق صاحب أرزن الروم توفي وولي ولده الملك محمد موضعه .

وفي منتصف شهر شعبان سرت من ميافارقين الى دمشق ، واجتزت بالرها ومنبج وحلب وحمص وحماه ، ووصلت الى دمشق سابع عشر رمضان ، ولقيت المولى كمال الدين قاضي القضاة ابن الشهرزوري حرس الله ظله ، ولقيت منه كل احسان.
وأقمت بدمشق الى حادي عشر ذي القعدة ، ورد الي النظر في أوقاف دمشق بظاهرها ، وأقمت بدمشق .

وفي ثالث ذي القعدة وصلني الخبر أن القاضي شرف القضاة أبا علي سعيد توفي في ثاني شوال ، وهو ابن البغل الآمدي رحمه الله ، وكان عالما فاضلا ، من أكبر بيوت ديار بكر .

وفي ثالث عشر شوال قبض الحاجب زكري وحبس بميافارقين ، وبقي مدة وأخرج من الحبس ، وسار الى الموصل وأقام في خدمة قطب الدين بن أتابك وفي خدمتهم الى الآن .

وفي سنة ثلاث وستين وخمسمائة توفي ضياء الدين بن عبيد

بالموصل ، وكان نقيب العلويين ، وتولى ولده شهاب الدين موضعه .

وفي ذي الحجة سنة ثلاث وستين وخمسمائة رحلت الافرنج جميعها الى مصر ونازلوها منازلة عظيمة وضايقوها ، فنفذوا الى نور الدين واستغاثوا به ، فرحل من حلب ونفذ أسد الدين وجميع التركمان من الرها ، وأطرف الغزاة ، ووصل نور الدين الى دمشق ثامن عشرين صفر سنة أربع وستين وأقام بها ، وأنفق في الجند مالا عظيما ، ورحل أسد الدين شيركوه ومعه جماعة من الامراء وولد أخيه صلاح الدين يوسف بن نجم الدين ، وساروا الى مصر فوصلوا سابع عشرين شهر ربيع الاول سنة أربع وستين وخمسمائة ، وأقام بها ، ورحلت الافرنج ودخل الى القاهرة ، وبقي الى سابع عشر شهر ربيع الآخر ، وقتل شاور و ملك مصر ، وحصلت تحت حكمه وأمره ، وبقي الى حادي عشر جمادى الاول من السنة ، وأكل سمكا عظيما ولبنا وأكثر من أكله ، ومات من يومه ، ووصل الخبر الى دمشق بموته رابع جمادى الآخر ، وولي صلاح الدين يوسف بن أخيه نجم الدين موضعه ، وهاشت عليه السودان بعد أيام وقتل منهم خلقا عظيما ، وأقام وهاشوا عليه مرارا عديدة ، وهو يظفر بهم ، ويقتل منهم خلقا كثيرا ونهب ما لايحصى

وفي سنة أربع وستين وخمسمائة خرج شهاب الدين ولد الامير علي بن مالك يتصيد من قلعة جعبر فأسره قوم وحملوه الى نور الدين وبقي في أسره مدة وتسلم منه القلعة وأعطاه سروج (١١٣) اقطاعا وضياعا في بلد حلب وغيرها ، وحصل في خدمة نور الدين ، وترتب في القلعة الامير علي أخو مجد الدين في سنة أربع وستين .

وولد لقطب الدين ولد ، والصاحب ولد ذكر من جارية .

وفي سنة أربع وستين احترق جامع حلب ، وسوق حلب ، وبني احسن ماكان .

وفي سنة أربع وستين كان قد عقد جسر الدمس وبقي منه عينة واحدة وعقدت ، وعبر الناس عليه ، وبقي مدة وجاءت زيادة عظيمة وهدمت العينة الكبيرة وانقطع الجسر ، وخرب الجانب القبلي جميعه .

وفي سنة أربع وستين وخمسمائة وقع الخلاف بين الصاحب نجم الدين وبين صاحب أرزن ، ووصل الى ميافارقين ، وجمع عساكر لاتحصى من الخيل والرجل ، وبقوا أياما ، ثم انه دخل تحت حكمه وصار في خدمته .

وفي سنة خمس وستين وخمسمائة رحلت الافرنج جميعهم والملك الى ديار مصر ، فنازلوا دمياط وحاصروها وضيقوا عليها أياما وأخذوا من ديار مصر مواضع كثيرة ، وأقاموا على دمياط وأشرفت على الفتح ، فخرج صلاح الدين من قصره وأخوه شمس الدولة ، ومعهم جماعة من العساكر فاستداروا حول الافرنج وأخذوا عليهم الطرقات والمواضع بحيث لم يبق أحد من الافرنج يقدر ان يخرج من معسكره ، وبقوا اياما ، وأشرفوا على القبض ، وتقدم ملك الافرنج الى صلاح الدين يقول له : ان لي عندك وعند عمك يوم الاسكندرية يد ، واليوم أريد المكافأة فتفتح لي الطريق لأنصرف ، فقال صلاح الدين : ذلك لك ، ورحلوا عن طريقه ، فرحل الملك وعسكره جريدة ، ومضوا الى بلدهم ، ونهب جميع مابقي منهم من البرك والاثقل والخيم والمراكب ، وماكان فيها ، وكان قبل ذلك بأيام قد وصلهم في البحر ثلاثة مراكب من ملك القسطنطينية فيها من الزاد والعلوفه والسلاح والخيم ماليس بقليل ، فنهب جميعه ، وغنموا غنيمة عظيمة ، وعادوا راجعين خائبين ،

وبقي صلاح الدين بمصر مدة ، وخرج عليه رجل يسمى مـؤتمن الخلافة ، وكان خادما الخليفة ، وتبعه جماعة وكثير من السـودان وقاتلوا قتالا شديدا ، وظفر بهم صلاح الدين ، وقتـل منهـم خلقـا كثيرا ، ونهب من مصر مالا يحصى وأخرج كل من كان بالقاهرة من أهل مصر وعسكر الخليفة وأنزلهـا الأتـراك والأكراد بين عسـكر صلاح الدين .

وفي سنة خمس وستين وخمسمائة مات عز الدولة نصر بن نيسان بقلعة أكل .

وفي سنة أربع وستين مـات بهـاء الدين عمـر بـن الداية والي حلب ، وولي أخوه سابق الدين عثمان .

وفي رابع عشرين جمادى الآخر سنة خمس وسـتين سـار نجـم الدين أيوب ، أبو صلاح الدين الى مصر ، من دمشـق ، بمـرسوم نور الدين ، وسار معه خلق لايحصى من العسكر والرجال والنسـاء والأطفال الذين رجالهم بمصر ، وخرج في تجمـل لايمـكن أن يكون مثله ، وكان له بدمشق ثلاثة أهراءات من حنطة وشعير لا يعرف قدر ما فيها من كثرتها ، ففـرقها جميعـا على الفقـراء والضـعفاء و المساكين ، ولم يبع منها بدرهم فرد ، واستدان عليه مقدار عشرين الف دينار حتى حمل مايحتاج اليه ، ولم ير أنه يبيع الغلة ، وكانت تفي بما اخذ من الدين ، وأكثـر مـن ذلك ، وسـار معـه جميع أولاده ، ولم يبق بدمشق غير النساء والأطفال ، وبعـد أيام وصـل الخبر أنه وصل الى مصر سالما ، وأن صـلاح الدين خـرج فلقيه في الذقوب (وخرج العاضد لاستقباله)(١١٤)وكان بمصر يوما عظيمـا مشهودا ، كما ذكر الله سـبحانه في كتـابه في قصـة يوسـف عليه السلام وأبيه يعقوب :« ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين(١١٥)» ونزل نجم الدين بالقاهرة بدار تعرف باللؤلؤة واستقر بمصر هـو وأولاده، ومضى كل واحد منهم أقام بمدينة من مـدائن ديار مصر ، وبعـد أيام نفذ نجم الدين وولده صلاح الدين الى دمشق سـبعة آلاف دينار

مصرية عينا الى الفقراء والضعفاء والعلماء وربط فيها الصوفية والمجاورين بجبل دمشق ، فتفرقت عليهم ، وكان كل من أنفذ له شيئا قد شد في صرة وختمت ، وكتب عليها اسم صاحبها ، فعند الوصول سلمت اليه واستقر بمصر .

وفي سنة خمس وستين وخمسمائة مات عز الدين أبو بكر بن الداية بحلب ، وضاق صدر نور الدين لموته ولحقه من الحزن والكآبة ماليس بقليل .

وفي سنة ستين وخمسمائة مات العمادي صاحب بعلبك ، وكان أميرا كبيرا من مقدمي أمراء الشام ، وضاق صدر نور الدين لموته ، وولى أولاده موضعه ، وفيها نفذ نور الدين ليستحضر سابق الدين عثمان أخا مجد الدين من حلب ، وحصل أمير العسكر بالشام ، وولى أخيه شمس الدين علي واليا على ديوان حلب ، وجميع الأمور من القضاء والديوان لمحيي الدين ابي حامد ولد المولى كمال الدين دام ظله .

وفي سنة خمس وستين مات زين الدين علي كوجك بالموصل ، ووصل ولده الأصغر الى دمشق ، وهو علاء الدين الى خدمة نور الدين وأمه بانه الجيدية معه ، وبقي مدة ، وأعطاه نور الدين معيشة بدمشق ، ثم انه مرض ومات بدمشق ولحق أمه عليه مالا يوصف ، ودفن في تربة كانت لأسد الدين وأهله ،

وفي يوم الاثنين ثاني عشرين شوال من السنة كانت الزلزلة بالشام ودمشق ضحى نهار ، وأخربت أكثر بلد بعلبك ، ومات منهم خلق عظيم ، وانهدم أكثر سورها ، ووصل الخبر بعد ايام ان سور حلب انهدم اكثره ، وخرب من المدينة ماليس بقليل ، ومات تحت الردوم خلق لايحصى ، وانهدم البلد وناحية باب انطاكية وطرابلس ومواضع كثيرة من بلاد الاسماعيلية ، وطرف الساحل ، ولم يهلك بدمشق غير رجل واحد انهدم عليه شرافة من شرافات الجامع من

الشرق ، ولم يهدم بدمشق غير شرافات الجامع من الشرق والغرب وبعض الشمال ، وتواترت الزلازل وحصلت تحدث في اليوم والليلة مرة ومرتين ، ومازاد ، وخرج الناس أكثرهم الى ظاهر البلد والبساتين ، وأقاموا أياما وكنت اذ ذاك بدمشق .

وفي رجب سنة خمس وستين وخمسمائة عزل معين الدين عن ولاية ميافارقين ، وولي قيماز مملوك الصاحب .

وفيها مات عز الدولة أبو نصر بن نيسان بأكل ، وولي ولده أبو عمر موضعه .

وفي سنة خمس وستين وخمسمائة، وصل أتابك ممدود صاحب الموصل وأولاده الى قلعة ماردين لزيارة الصاحب نجم الدين ، فانه كان مريضا وتعافى ، وصعدوا الى القلعة وأقاموا أياما ، وغرم عليهم من الضيافة وما يحتاج إليه ما ليس بقليل ، وتولى آمين الدين خدمته بنفسه وقام فيما احتيج اليه قياما مرضيا . وعمل مالم يقدر أحد أن يعمل بعضه ، وبقيوا اياما وخلع عليهم وعلى جميع من وصل معهم خلعا لاتحصى ، واعتمد لأمين الدين من الخدمة ماكان عجز عنه جماعة كثيرة من الأمراء وغيرهم .

وفي شهر ربيع الأول سنة ست وستين وصل الخبر الى دمشق ، ثم ان في صفر رسم صلاح الدين ونجم الدين للخطيب بمصر ، وهو شمس الدين أبو أحمد بن أبي المضاء الوزير النظام الذي كان بدمشق أيام معين الدين أن يخطب ويصلي على الصحابة على منابر مصر ، فخطب وصلى على الصحابة بعد النبي صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين ، وكان يوما عظيما مشهودا ، ولحق أهل مصر من ذلك الحزن ماليس بقليل ، وبعد مدة صلى على العباس بعد الصحابة في الخطبة ، وكان هذا شمس الدين بن الوزير مقيما بدمشق ، فلما مضى نجم الدين سار معه في صحبته ، فلما

وصل الى مصر وولي النظر في الوقوف في جميع مصر ، وبقي مدة ، وولي الخطابة ، وهو الى الآن بمصر .

وفي شهر شوال سنة ست وستين توفي أتابك ممدود ، أخو نور الدين بالموصل وولي الأمر ولده سيف الدين الغازي وعبد المسيح الخادم متولي الولاية ، فانه ولي الموصل بعد زين الدين ، وبعد ايام سار نور الدين فوصل الى حران وأخذها ورتب فيها الأمير ابراهيم ولد أخيه أميران ، وسار فملك الخابور موضعا موضعا ، ووصل الى نصيبين فتسلمها من العلائي ، وأقام بها مدة ، ثم سار الى سنجار فنازلها أياما وملكها وأقام بها أياما ، ثم نزل الى الموصل وراسل فخر الدين عبد المسيح مدة ، ثم أظهر القوة والجلد والاحتباس ، ثم بعد ايام خرج الى نور الدين سيف الدين ابن أخيه وأخوته وعبد المسيح ، ودخل الى الموصل وتملكها ، وأقام بها مدة ، ورتب سعد الدين كمشتكين الخادم في القلعة ، وانفصل وعاد الى الشام وسلم البلاد جميعها الى ولد أخيه الأمير سيف الدين .

وفي تاسع ربيع الآخر سنة ست وخمسين وخمسمائة ، مات الخليفة المستنجد أبو المظفر يوسف بن المقتفي ببغداد ، وولي ولده أبو محمد الحسن الخلافة ، وبويع له يوم مات أبوه ، وتلقب بالمستضيء بأمر الله ، وأظهر العدل والاحسان وأطلق من في السجون وفعل الخير ، ورد املاك الناس التي اغتصبت في أيام أبيه ، ورد مالا عظيما على الناس ممن كان صادره أبوه ، وفعل كل خير ، واستوزر استاذ الدار ابن رئيس الرؤساء ، ويلقب عضد الدين ، وكانت ولايته أحد عشر سنة وشهر وسبعة أيام ، وقبض على الوزير ابن البلدي وقطع يده وأنفه ، وكان قطع ابن البلدي يد ابن السيدي ، وكان ابن عمته استاذ الدار ، وقطع انف عمه استاذ الدار ، فلما ولي قبضه وقطع يده وأنفه في سوق بغداد ، وبقي مدة ومات وولي أخوه استاذ الدار موضعه .

وقد قيل ان المستنجد كان دخل الى الحمــام و خرج وثــب عليه اســـــــتاذ الدار ورمــــــــاه تحتـــــــــــــه . وخذقه ، وولي بعده الموضع ، فانه كان اســاء الى الناس وظلمهــم واخذ اموالهم وقتل خلقا عظيما من الامراء والكبار ، فاستوزر ابــن البلدي ، واجحف بالناس ، وكان قدهم مرارا بقبض استاذ الدار ، وفي ايامه عزل ابن الثقفي عن قضاء القضاة والموضع الى اليوم(١١٦) لم يليه احد ، وينوب فيه العدل روح بن الحــديثي

وفي اوائل سنة ست وستين اغارت الافرنج على بلد الشام ، وحملت أهل قرية نخل (١١٧) باسرهم ،وما كان فيها من النساء والاطفال وجميع ما كان لهم ، ولم يفلت منهم الا الاقل ، وبعد ايام نزلوا على حصن يسمى عراق الامير(١١٨) واخذوه ، وبقوا مدة ،ثم صالحهم كمال الدين على اخرابه ، وقسم بلده على المسلمين والافرنج .

وفي العشرين من شهر ربيع الاخر سنة ست وســتين ســار الى مصر من دمشق قافلة لايمكن ان يجتمع مثلهــا في الدنيا ، وســارت بنت شــمس الدولة نجــم الدين واولاده واولاد اخــوته وجمــاعتهم ونساؤهم واتباعهم ونساء الحاشية باسرهم ، ومن اهل دمشق خلق عظيم لايحصى بحيث قيل انه كان في القفل نيف وسبعين الف جمل ، ولقد رأيت ذلك اليوم عند مسير القافلة محارة على جمل وفيها ثمانية انفس ، ثلاث نسوة وخمسة اولاد صــغار ، ووصــلوا ســالمين الى الذقوب ، وخرج صلاح الدين اليهم فلقيهــم وســار بهــم الى مصر سالمين ، ولقد حكي انه كان في يوم دخولهم الى مصر يوما عظيما .

ووصل الخبر الى دمشق ان صلاح الدين جمع العسكر في شــهر ربيع الاول وعرضه ، فاعتد في اربعة عشر الف تــركي وكردي ، ولم يبق من اجناد مصر احد .

وفي ثالث عشر جمادى الاول سنة ست وستين كان الخروج مــن دمشق ، وسرت فاجتزت بحمص وحماه وحلب ومنبج وحران ورأس

العين وماردين ، ووصلت الى ميافارقين يوم الاحد منتصف جمادى الاخر ، واقمت بميافارقين .

وفي جمادى الاخر نازل الصاحب نجم الدين والعساكر مدينة دارا وحاصرها وجمع عليها خلقا عظيما ، ثم وصل صمصام الدين ودخل عليه فرحل عنها ، وترك من العسكر جماعة منهم بكتمر رشيدي ، وصعد الصاحب نجم الدين الى ماردين .

وفي شهر رجب مات سيف الدين باريك ممدود بن علي بن البارق بن ارتق ، وكان اكبر من بقي من الارتقية بميافارقين ، ودفن في القبة تحت المقابر براس بستان الخردلي .

وفي شوال من السنة توفي شمس الدين بن الواسط بن حسن البغدادي بآمد وصلى عليه بهاء الدين بميافارقين .

وفي ذي القعدة توفي اخو سيف الدين صاحب الموصل ولد اتابك ، وسارت والدته زمرد خاتون الى مكة في منتصف شوال ، وفي يوم الثلاثاء رابع عشر ذي القعدة سنة ست وستين توفيت الخاتون زينب بنت الامير احمد بن سكمان زوجة الصاحب نجم الدين بماردين ، وكانت خرجت قبل ذلك بايام الى الصور لتسير الى اخلاط لزيارة اخيها شاه ارمن فمرضت وعادت الى ماردين وبقيت الى ذلك اليوم ، وماتت قبل العصر ، ودفنت بالدار بقلعة ماردين ، وسار بهاء الدين والجماعة الى ماردين الى العزاء فلقوا الامير في قرديس فعزوه ، فرسم لهم ان يسيروا الى التربة ، وكان امين الدين مقيما هناك ، فمضوا اليه وعزوه ، واقاموا اياما وعادوا الى ميافارقين ، ووصل الامير الى ميافارقين واقام بها اياما .

وفي خامس ذي الحجة من السنة عزل بهاء الدين عن قضاء ميافارقين ، وولي القاضي محمد بن أبي يعلى ، وكانت هذه ولاية ثالثة لقضاء ميافارقين ، وأقام الأمير والجماعة أياما وساروا الى

ماردين ، وأقاموا مدة وبقوا الى أول شهر ربيع الأول سنة سبع وستين وخمسمائة ، ووصل الأمير والجماعة الى ميافارقين وأقاموا بها ، ومرض قايماز والوالي مدة ، ثم قصد الأمير والجماعة - إلا قايماز - والوالي صحبتهم الى ماردين في سلخ شهر ربيع الاخر ، واقاموا بماردين ، ثم كانت فتنة جرت بباب المدينة من الرعاع والغوغاء ، وكان تخلف في ولاية ميافارقين علي ، وكان صاحب قايماز وغلامه ، ووصل قايماز مريضا في خامس جمادى الاخر ، وتوفي في سحر يوم الاثنين سابع عشر جمادى الاخرة ، ببرج الملك وحمل الى الجامع ، وصلى عليه ، ودفن في دار سراج الدولة بن غش ،

وفي السبت ثاني عشرين منه وصل عز الدين داود من ماردين وأقام بالقصر من قبل الصاحب ، واقام الى ثالث رجب من السنة ، ووصل في رمضان السلاحي من ماردين ، وجلس في القصر ، وسار امير داود الى ماردين (١١٩)

والاطفال وبقي على ذلك ، فلما دخل شمس الدولة طلبه فانهزم من بين يديه ، وفتح بلادا جماعة وطلب قبر المهدي فملكه وهدم القبة ، واخذ جميع ما كان فيها من الاموال والجواهر والالات ، فيقال انه اخذ منها ستمائة حمل ذهب وفضة وجواهر وغيرها واخذ عظام المهدي الخارجي فاحرقها وذراها في الهواء ، وسار ومعه خلق عظيم في طلبه ، فكان كلما وصل الى موضع انهزم الى موضع من بين يديه ، وفتح ذلك الموضع ونهب ما كان فيه ، وامن الناس ، وسار خلفه الى الموضع الذي يكون فيه ، وفتح بلاد اليمن الى ان وصل الحاج الى بلادنا اخبروا انه افتتح اكثر بلاد اليمن ، ولم يبق من بلاد اليمن الا القليل ، وحلف شمس الدولة ان لايبرح من اليمن حتى يدرك ابن المهدي ويقتله ويذري عظامه - بعد حرقها - في الريح ، كما فعل بأبيه .

وكان قد بنى جسرا على دجلة ، وبقي فيه عينتان ، خرج الشيخ

الزاهد ابن الطويل لاتمام ذلك ، فبنى برجا وعقد عينتين اخيرتين ، ومرض ودخل الى المدينة ، وجاءت زيادة كثيرة ، وهدمت ثلاث عينات اخربتها الزيادة وانقطع الجسر ، وتوفي الشيخ الزاهد بميافارقين في عشرين من شهر ربيع للأول سنة سبعين وخمسمائة رحمه الله ، ودفن بالمدرسة بميافارقين رضي الله عنه ، ومضى ولده الى ماردين وتولى موضع والده في نظر الاوقاف ، وعاد الى الدمس ورم رؤوس تلك القواعد ، ورفع بعض الالات والاخشاب ، الذي بقي ودخل المدينة يوم الخميس غره جمادى الاول من السنة .

وفي ربيع الاخر توفي شهاب الدين محمد بن ارسلان بن ارتق ، وتولى ولده معين الدين موضعه على البيرة وكانت بيد أبيه .

وفي اخر شهر ربيع الاخر سنة سبعين وخمسمائة وصل الخبر ان صلاح الدين يوسف بن ايوب وصل في أول الشهر من مصر الى دمشق على طريق الذقوب ، فنزل في داريا اياما ، وخرج اليه ابن المقدم وجمال الدولة ريحان ولقياه ، ودخل الى دمشق ، ونزل في دار العقيقي (١٢٠) وكانت دار ابيه نجم الدين ، وازال المكوس والضمانات ، وما كان ازاله نور الدين رحمه الله ورضي الله عنه ، واذكر اعادتها غاية الانكار ، وقال من عارض ازالتها اهدرت دمه ، فاحسن الى اهل دمشق غاية الاحسان ، ووصل اليه صاحب بصرى وصلخد وبانياس وبعلبك ، ووصل الى خدمته فخر الدين بن الزعفراني ، وكان عند موت نور الدين بحماه ، فلما مات نور الدين طلبه اهل حماه ونهبوا داره وقتلوا جماعة من اصحابه ، فطلب بعرين(١٢١) فملكها وتحصن بها وهادن الافرنج وعصى على الملك الصالح في بعرين ، وبقي فيها ، واقام بها ، فلما وصل صلاح الدين ، وصل الى خدمته ، وبعد ايام وصل اسد الدين محمد بن اسد الدين من الرحبة الى خدمته ، ومعه ثلاثة الاف فارس ، وامره على ان يخيم على نهر الذبك بين حمص ودمشق ، وخرج الى حمص وحماه ، فملك حماه ، وفي عزمه الوصول الى حلب وترتيب امر الملك الصالح وكونه في خدمته وبين يديه .

وفي اخر شهر ربيع الاول من السنة وصل جماعة من بغداد ، واخبروا ان زعيم الدين بن جعفر نائب الوزارة توفي ببغداد وقبض على املاكه ، واعادها الخليفة على اولاده في يومهم ، وناب في الوزارة صاحب ديوان الانشاء شمس الدين ابو الفرج بن سديد الدولة بن الانباري ، وكان في شهر ربيع الاول من السنة مات قاضي القضاة روح بن احمد الحديثي ببغداد ، ومات ولده بعده ، وولي قاضي القضاة علي بن احمد بن الدامغاني ، وكان له مدة معزولا من اول ايام المستنجد بالله ، وبقي معزولا في مدرسته هذه المدة الى الان ، واعيد الى موضعه .

وفي هذه السنة عملت جارية الخليفة بنفشا على دجلة جسرا آخر ، وغرمت عليه مالا عظيما ، ونفذت احضرت من حاني سلسلة عظيمة بمقدار الف وخمسمائة دينار ، وانحدروا الى بغداد ونصبوا الجسر تحت تاج الخلافة ، ونصبوا الجسر العتيق عند باب درب ناجي عند مدرسة الموفق ، وحصل لاهل بغداد راحة كبيرة .

وبعد موت زعيم الدين بمدة يسيرة عزم الخليفة المستضىء على اعادة الوزير عضد الدين رئيس الرؤساء الى الوزارة ، وكره الامير قطب الدين قايماز ذلك ، واجتمع به وقال : يامولانا انت سنتك العدل وفعل الخير والاحسان الى الناس والانصاف ودولتك فلا تحمل وزارة هذا الرجل ، وهو رجل مقدام حسود ، بطاش ، ولايبقي على احد ، ولايصلح لدولتك ، فقال : لابد منه فخرج من عنده ، وجمع العسكر واغلق الابواب ببغداد ، واغلق ابواب دار الخليفة ، وحوصرت الدار ، وماج الناس ، واستقر الحال الى ان اخرج الوزير من داره بدار الخليفة الى داره بالحريم الطاهري من الجانب الغربي ، وخرج وبقي هناك ، وخلع الخليفة على قطب الدين قايماز ، وطيب قلبه ، واستقر في نيابة الوزارة شمس الدين بن سديد الدولة بن الانباري ، وولي ولده مؤيد الدين بن سديد الدولة ابو منصور موضعه بديوان الانشاء ، وزاد احترامه عند الخليفة ، وبقي الوزير في الحريم مقيما فحصل يدخل اليه جماعة من البذوية(١٢٢)

والعيارين ويترددون اليه ، فنفذ الخليفة وقطب الدين فاستحضراه من الحريم ، ورداه الى داره بدار الخليفة ورتبوا عليه من يجلس على بابه ، وبقي الى قطب الدين وشمس الدين النيابة وظهير الدين ابن العطار في المخزن .

وفي شهر ربيع الاول من السنة قصد الكرج أنه وحاصروها اياما واخذوها من الامير شانهشاه اخي شداد ونهبوها ونهبوا كل ما كان فيها ، ورتبوا فيها واليا من قبلهم ، وحصلت من ولاية الكرج .

وفي هذه السنة وصل الخبر ان ملك القسطنطينية توفي الى لعنة الله وأليم عذابه ، وتملك موضعه ولده خذله الله وأهلكه .

وفي آخر شهر ربيع الاول من سنة سبعين وخمسمائة وصل الى ميافارقين شاهنشاه اخو السلطان قليج ارسلان من الشام ، ونزل بالقبة التي لجده السلطان قرا ارسلان واقام يوما واحدا ، وسار الى اخلاط قاصدا الى شمس الدين اتابك الدكز .

وفي جمادى الاول مات القاضي علم الدين بن الطالقاني ، وهو ابو علي قاضي نصيبين ، وولي قضاء نصيبين والخابور ، وحران والرها ، وجميع تلك البلاد نظام الدين ولد شهاب الدين بن بهاء الدين الشهر زوري ، واستناب في نصيبين النظام ولد الرئيس ابي الفضل .

وفي هذه السنة ظهر كتاب حكم من بعض قرايا الموصل كان نفذ الى نصيبين ، واثبت من سنين ، ثم اثبت بعد ذلك بالموصل فظهر انه مزور اصلا ، وقبض والي الموصل على جماعة من الشهود والقاضي ، فوزنوا له مقدار عشرين الف دينار .

وفي جمادى الاول سنة سبعين وخمسمائة وصل صلاح الدين يوسف الى حلب ونازلها وضايقها وشدد على اهل حلب ، فقاتلوا قتالا شديدا ، وبقي عليها مدة ، ثم رحل عنها ، وسار وقصد حمص

ونازلها اياما . وفي رجب هاش اهل حلب على ابن عصرون ونهبوا داره وهدموا بعض المدرسة ، ومضى فاختفى عند الياروقية ، ونهبوا ما كان بقي من دور بني العجمي ، وقتل في تلك الايام جماعة كثيرة .

وفي الثلاثاء العشرين من جمادى الاول وصل الخبر الى ميافارقين ان في يوم الاحد ثامن عشر الشهر امر قطب الدين فقتل امين الدين الخادم التونتاش بماردين بين يديه في الدار بامر من سعد الدين بن الامير عميد الدين ، فضربه بخنجره في كتفه ، وضربه الحاجب الاخر بخنجر في جوفه ، فوثب الامير فضربه بسيف فرماه ، واحضروا المطبخي فقطع رأسه ، ورمى رأسه وخلفه تحت القلعة عند الباب ، ونفذوا في الحال والوقت بدر الدين أبي منصور وسعد الدين ومعهم رأس أمين الدولة وخاتم الامير الى سميساط والدوزر والسبق فوصلوا وتسلموا الجميع ولم يعص عليهم موضع ، وحصلت البلاد جميعها بحكم قطب الدين ، واخذوا من امين الدين من الاموال والدواب والعدد والملبوس ماليس بالقليل ، واستدعى الشيخ ابو القاسم بن مهاجر الموصلي وكان مريضا ، فسألوه عن ماله فقال من أخذ كمران ؟ فاحضروا من أخذ الكمران ، فأحضروه وفتق وأخرجوا منه جوهر كثير وتذكرة فيها جميع ما يملك من مال ودار وملبوس وآلة وودائع وسمى فيها الموضع ، وماله عند ابن مهاجر مودوع بالموصل ، فأحضروا الحاجب اسماعيل بن أردم وكتب ابن مهاجر معه كتابا إلى داره وأخوته بالموصل ، وأن يسلم اليهم جميع ما كان عنده مودوعا ، فمضى إلى الموصل وتسلم جميع ما كان مكتوبا بخطه وأحضره إلى ماردين ، واعطي ولاية سميساط ، وسار فجلس فيها واليا ، واخذوا جميع ما كان له في جميع الاماكن وكان شيئا لاينحصر ولايعد ، وبقي الامير بماورين مدة ،ثم خرج فقصد ميافارقين ، فوصل إليها يوم سادس عشر جمادى الآخر ، ودخل قطب الدين قبل صلاة الصبح وجلس في القصر وكان وصله الخبر بوفاة ولد كان له في أخلاط عند خاله شاه أرمن، فجلس في العزاء وصعد اليه أهل البلد من القضاة والشهود والأعيان وحضر المقرئون والشعراء وأنشدوا وقرأوا وتكلم القاضي

بهاء الدين وبقي يفعل ذلك ثلاثة أيام، ودخل الصاحب نجم الدين ظهر ذلك اليوم والخاتون وجماعة العسكر والحاشية، وبعد ذلك بثلاثة أيام نهض الأمير من العزاء وأقاموا بميافارقين ٠

وفي جمادي الآخر راسل عماد الدين ولد اتابك قطب الدين صلاح الدين ، فوعده بالجميل ، فعصا على أخيه سيف الدين غازي في سنجار ووقع الخلاف بينهما ، فخرج سيف الدين ونازل سنجار وحاصرها بعسكر كثير . ووصل عز الدين أخو سيف الدين الى ميافارقين وخرج قطب الدين والجماعة فلقوه ، ودخل الى المدينة ونزل في دار ابن موسك ، فلقي خاله الصاحب نجم الدين ، ولقي أباه وخلع عليه وعلى اصحابه ، وجردوا له عسكرا وسار جمال الدين صاحب حاني معه الى سنجار ونزلوا عليها واشتد القتال ، وبقوا عليها والقتال دائر ، كل يوم يقتل من الطرفين جماعة .

وفي رجب وصل الخبر ان ولد علي الدين بن دولت شاه بن الدانشمند عاد الى ملطية ، وكان قد ملكها بعد أبيه ، وبقي مدة ، ثم ان الاجناد هاشوا عليه وأخرجوه ورتبوا موضعه أخ له صغير ، فخرج منها ، وبقي يدور من موضع الى موضع الى الآن ، ثم انه دخل اليها في زي بعض المكارية وبين يديه جمل ، فدخل واختفى في دار هناك خراب الى الليل ، ثم خرج وقصد القلعة ، وكان له جماعة فصعدوه فهجم ودخل على أخيه وهو في الفراش نائم ، فقتله وملك الموضع ، واصبح فسمع الناس ، فصعدوا اليه واستقر بها وملكها ، وحصل له جميع ما كان لأبيه ، وتزوج بزوجة اخيه بنت فخر الدين .

ووصل الخبر في رجب ان في اوائل هذه السنة قصد البهلوان ولد اتابك الدكز خوزستان والاهواز ، ولقي الامير شملة ، وعملوا مصافا عظيما ، فقتل فيه شمله ، وانهزم العسكر والملك الذي كان مع شمله ، ولحق اخاه السلطان ارسلان شاه ودخل عليه واستجاربه ، فرده الى بلاده واقره عليها ، وحصلت خوزستان

والاهواز له ، وحصل تحت طاعة أخيه السلطان ارسلان شـاه بـن طغريل بن محمد .

واقام الامير واصحابه بميافارقين ووصل الخبر ان اتـابك الدكز قصد الكرج فاقتتلوا قتالا عظيما وانهزم المسـلمون وقتـل جمـاعة واسر جماعة ، ونهب من المسلمين شيئا كثيرا ، وبقي أتابك مدة ثم جمع جمعا كثيرا وقصدهم فالتقوا في صحراء أو بين ، فمـا اختلط بعضهم ببعض ، ولا جرى بينهم قتـال ، وعادت الكرج ولم يظفـروا بشيء ، ودخل أتابك الدكز الى مدينة نقجوان هـو وجميع العسـاكر ونفذ الى صاحب اخلاط وجماعة الامـراء ليحضروا ويلقـاهم والله يخذ لهم وهم الكرج .

وفي عشرين جمادى الآخر خلع الامير على القاضي بهاء الدين جبة وعمامة وطيلسان ونزل الى الجامع ، ونزل الجمـاعة بين يديه مـن الاجناد وغيرهم .

وفي شعبان خلع على جماعة من اصحابه واعطى كل منهم بـوقا وعلما ، منهم الامير سعد الدين واقطع جملين والموزر لزين الحجاب أبو منصور بن العميد ، واقـطع الموزر شـمس الدين أخـو هلدري القرطقي اقطاعا كثيرا للمهذب بن البابولي ، واعطى امـارة الاكراد والازدلق ببلاد ماردين وشبختان واقام بميافارقين .

وفي رجب رحل صلاح الدين يوسف بن نجم الدين ايوب بن شـادي عن حلب بعد قتال شديد ، فنفذ اهل حلب الى الافرنج واستنجدوهم عليه ، واطلقوا مـن حلب جمـاعة كثيرة مـن الاقمـاص والرويس والبطارقةكل ذلك لينجدوهم على صلاح الدين ، فوصلوا الى صـلاح الدين الى بلد حماه ، فعلم بهم ، فانفرج عن المخيم ، ثم جعـل اكثـر عسكره كمينا ، ورتب عسكره في المضيق الذي خرجوا منه عند حصن الاكراد ، ثم خرج باقي العسكر وناوشوهم ساعة ، ثم انهـزموا بين ايديهم فطمعوا فيهم ولحقوهم ونهبوا بعض المخيم ، فخـرج الكمين

عليهم فقتـل خلقـا لايحصى واسروا جمـاعة كثيرة وعاد اكثـرهم منهزمين ، فطلبوا الطريق الذي جاء وافيه ، فاخذوهم الذين قعـدوا في المضيق بحيث لايذفلت احد منهم البته الا فني الجميع قتلا واسرا وغنم صلاح الدين وعسكره منهم غنيمة عظيمة ، واقام صلاح الدين بحماه ، وقصد حمص ، فنزل على القلعة مدة وحاصرها وضـايقها وتسلمها في رجب ، وحصلت حمص وحماه له ، واجتمعـت عسـاكر حلب وماحولها جميعها بحلب ، وحضر صمصام الدين وعز الدين بن اتابك من الموصل ومعهمـا عسـكرا كثيرا وراسـلوا صـلاح الدين يوسف وقالوا : لابد من المصاف ، فقال الى ان يخرج شهر رمضان ، فما الى القتال في شهر رمضان سبيل فبقـوا على ذلك مـدة ، وكان سيف الدين غازي قد احضر من نصيبين رأسـا مـن رؤوس البذوية وامر بصلبه فصلب ، فهاشت البذوية ، وخـرجوا مـن بلد الموصـل ونصيبين وبلدها ، وسـاروا طـالبين بـالعدة الى صـلاح الدين ، واجتازوا بالخابور ، فتبعهم خلق كثير من الخابور وطرف الفرات ، وعبروا فلما وصلوا الى قرية تسمى بـاب بـزاعة على بـاب حلب ، وجميع من فيهـا اسـماعيلية ، وبين البذوية والاسـماعيلية عداوة عظيمة ، فلما اشرفوا بذلك الجمع صاح جميعم وكبروا فقتلوا منهم ونهبوا بعض مالهم ، واختفى منهم جماعة في مغاير لهم .

واتفق ان جماع من التركمان سمعوا بعبور البذوية فتبعوهم طمعا فيهم ، فلما وصلوا الى الباب ورأوا ماجرى شدوا جميعهم وصاحوا وصاحت البذوية على اهل الباب ، ونهبوا وسـبوا منهـم جمـاعة ، ودخلوا في المغائر ، فدخنوا عليهم وجلسوا على ابواب المغائر ، وكل من خرج منهم قتل ، وتلف اكثـرهم في المغـائر ، وسـبوا النسـاء والاطفال واجتمع اليهم خلق كثير مـن منبـج وبـزاعة وجميع الذي حولهم الى باب حلب ، وقتلوا ونهبوا وسبوا منهم بحيث لم يبق منهم احد ، ومر الجميع تحت السيف والقتل والسبي ، ونهب منهـم مـالا يحصى ، وبقيت تلك الصحراء مدة لايستطيع احد يعبـر مـن بين تلك الجيف ، ولقد حدثني جماعة من الواردين مـن الشـام انهـم كانوا

يعبرون وهم قتلى على كل ستين تسعين في موضع ، بعضهم فوق بعض مثل الغنم ، وجرى عليهم مالم يجر على احد .

وبقي صلاح الدين على العاصي حوالي حماه ، واهل حلب كل يوم يذفذون اليه ويراسلونه وقالوا : لابد من المصاف ، فقال : الى ان يخرج رمضان ، فقالوا لانصبر ولابد من العناق ، ثم انهم رحلوا وقصدوه وهو نازل على العاصي على باب حماه ، فالتقوا يوم الاحد تاسع عشرين رمضان سنة سبعين وخمسمائة ، وكان عيد النصارى ، فلما التقوا شد عليهم صلاح الدين واصحابه وقصدوهم فانهزموا أقبح هزيمة ، فصعد صلاح الدين على رابيه ونادى : زنهار (١٢٣)من يضرب بسيف او يرمي بسهم او يقتل احد فخبز نور الدين عليه حرام ، فحصلوا يضربون الناس على اكتافهم بالرماح ويرموهم ويأخذون خيلهم وسلاحهم واسلابهم ، ونهب العسكر نهبا عظيما ، واسروا جماعة كثيرة ، فأحضرهم صلاح الدين بين يديه وخلع عليهم واطلقهم ، وعاد الناس الى حلب منهزمين مسلوبين ، ودخل عز الدين اتابك الى حلب في خمسة نفر ، وبات صمصام الدين على باب حلب ، وسار فعبر الفرات ، ولقد حدثني رجل رآه عبر الفرات ومعه اربعة نفر لاغير ، فعبر وسار ولحقه بعد ذلك اصحابه الى دارا ، وبعد ايام سار عز الدين الى الموصل وعبر الى اخيه سيف الدين وهو على سنجار يحاصرها ، وبقي صلاح الدين اياما بموضعه ، ثم رحل ونزل على تل السلطان(١٢٤) والعساكر معه جميعها واقام الامير قطب الدين بميافارقين والجماعة الى يوم الجمعة ثالث عشرين رمضان ، واطلق المكس والعشر والمؤونة التي كانت على باب المدينة ، من سائر الاشياء ، ونزل الخدم الى الجامع وقت الصلاة ، ودعا الخطيب على المنبر ، وضج الناس بالدعاء ، وكان يوما مشهودا ، فالله سبحانه يطيل عمره ، ويديم دولته ، ويلهمه العدل في رعيته وفعل الخير بمحمد وآله ، وفرح الناس بذلك غاية الفرح ، وزينوا البلد ثلاثة ايام ، ورسم وكتب ذلك على باب المدينة اسقاطا ثابتا ، وحصلت التجار ، واهل البلد يدخلون بأحمالهم إلى بيوتهم وقماشهم الى حوانيتهم لايعارضهم في ذلك

معارض ، وأقام قطب الدين بميافارقين إلى يوم الأحد رابع شوال ، وسار إلى أخلاط وصحبتهم المؤيد والمهذب وجماعة من العسكر ، وأقام الصاحب نجم الدين بميافارقين حادي عشر شوال ، وسار إلى ماردين ومعه الخاتون والحجاب وباقي العسكر والحاشية والجماعة ، ولم يبق بميافارقين احد ، ووصلوا الى ماردين ، وبقي قطب الدين بأخلاط الى اوائل ذي القعدة ، وسار من أخلاط وعبر جور وحاني ، ولقي جمال الدين وعبرا لبازا ربدلد ميافارقين الى ماردين ، ودخل المؤيد والمهذب الى ميافارقين ، وبقوا اياما ، وساروا الى ماردين .

وكان سيف الدين غازي منازلا سنجار هذه المدة كلها ، وبقي عليها إلى أوائل شوال ، ثم انه صالح أخاه عماد الدين ، واقطعه موضعا من بلد الخابور مجاور بلد سنجار ، ورحل عنها ، وعاد جمال الدين والعسكر الى ميافارقين ، وعبر الى حاني ، وكان اضطرب في سور ميافارقين مواضع ، فابتدي في نقض البدنة التي فوق الينبوع يوم الاثنين ثالث شعبان ، فنقضت إلى الأرض ظاهرا وباطنا ، وتم النقض في ثاني شوال يوم السبت من السنة وابتدي في العمارة يوم الاثنين خامس شوال بسم الله اتمامه ، وتم البناء في تلك البدنة في شهور احدى وسبعين وخمسمائة .

وبقي صلاح الدين مقيما على تل السلطان والعساكر معه وراسل سعد الدين الخادم وحلف له ، وحلف لجماعة العسكرية ولجماعة من اهل حلب في شوال واصطلحا على ذلك ، ولم يدخل الى حلب ، ولقي الملك الصالح وقبل الارض بين يديه ، وقال : انا المملوك والعبد ، انما جئت الى خدمتك ، واقام اياما ، واطلق بنو الداية ، واستقر الحال بينهم ان من حماه وحمص الى دمشق لصلاح الدين تحت يده، وهو تحت طاعة الملك الصالح ، وحلب وباقي المواضع تحت حكم سعد الدين والاكابر في خدمة الملك الصالح ، وحلفوا على ذلك الى اربع سنين الى ان يبلغ الملك الصالح ، وامره بالبلاد بما يراه .

وخرج صلاح الدين وقصد دمشق فدخلها ، وراسل الافـرنج وخـرج فنزل على رأس الماء (١٢٥) من بلد حوران ، وهو الان مقيم هناك .

وفي ذي القعدة عزم نور الدين قراأرسلان على العبور مـن حصـن كيفا الى خرتبرت ، فجفل بلد آمد منه وخافوا ، ولم يبق في الضـياع احد ، فلقد عبرت في ذي القعدة ببلد آمـد سائرا الى الحامة (١٢٦) بجرموك ومالبلد احد والضياع فارغة ، فوصلت الى الحامة واقمـت بها اياما ، وسرت عنها إلى حـاني فـوصلتها يوم الخميس سـابع عشرين ذي القعدة ، وعبرت بدير الصليب(١٢٧) ذلك اليوم واوائل عسكر فخر الدين قد عبرت ، وعبر يوم الجمعة ولم يؤذ أحـدا لا ببلد آمد ولامن غيرها ، وسرت يوم السبت تاسع عشرين الى ميافارقين ، فوصلت يوم الاحد غرة ذو الحجة ، واقمت بميافارقين ثلاثة ايام .

ووصل الخبر من العراق أن قطب الدين قايماز صـاحب الخليفـة المستضيء بالله ، خرج على الخليفة ببغداد ، وجمع العسـاكر واغلق بغداد وابواب دار الخليفة اياما وحاصرها وضـج الناس مـن ذلك ، وصعد الخليفة فوق التاج وصاح بالناس ، فاجتمع خلق لايحصى من اهل بغداد فانهزم قطب الدين ، وخرج من بغداد ومعه عسكر عظيم ، وقصد الحلة ، حلة بني مزيد ، وكانت اقطاعه واقـام بهـا ، وبقـي الخليفة ببغداد ونهب العوام دارقايماز وماكان فيها ، وخـربت الى الارض ، ومضى الى الحلة ، ونهب بعض الحاج ، واذكر ذلك ، وسار الحاج الى مكة ، وبعد ايام نفذ اليه الخليفة ، وامـره بـالخروج عن العراق ، فخرج من الحلة ، وسار الى الانبار ، وعبـر الى الرحبـة فوصلها ، واقام بها ، ونفذ الى دمشق يستأذن صـلاح الدين وروده عليه ، فلم يجبه الى ذلك ، وكتب اليه يقول : تقف موضعك حتى انفذ الى الخليفة واسأله واصلح عليك وتعود الى خدمته ، فبقي بـالرحبة مدة ومرض هو واصحابه مرضا شـديدا ، ومـات مـن اصـحـابه ومماليكه جماعة كثيرة بالرحبة ، وبقي إلى ذي الحجة ، وسار مـن الرحبة الى الموصل ، فوصل الى سنجار وهو مريض مدنف ، وسار منها الى الموصل ومات بعلته ذلك اليوم بتـل يعفر (١٢٨) ، وحمل

تابوته الى الموصل ،فخرج سيف الدين والجماعة فلقوه ، ودفن بالموصل ، ووصل بعده خيله وبركه الى سنجار فنهبه جميعه عماد الدين صاحب سنجار ، واخذ كل ماكان معه ، ومات بعده من اصحابه جماعة بالموصل كثيرة ، ووصل الخبر الى الخليفة ، فبقي اياما .

وفي المحرم سنة احدى وسبعين وخمسمائة عاد الوزير أبو الفرج عضد الدولة بن رئيس الرؤساء الى الوزارة ببغداد ، وعاد الأمر اليه ، واستولى على الدولة ، وقبض على عز الدين الخادم ، وعلى بهاء الدين صندل ، وكان استاذ الذعر ، وقبض الخادم الزائلي على جماعة من الخدم ، واستقر في الوزارة ، وظهير الدين بن العطار في المخزن ، وكل منهما يضادد صاحبه ، وبقي الامر كذلك الى شهر ربيع الاول من السنة ، ومرض الوزير مرضا شديدا ، وعارضه فالج ، وانقطع في داره وحصل كل الامر الى ابن العطار ، ودست الوزارة بغير وزير وكان في ذي الحجة سنة سبعين انهزم ظهير المقرب شاه ملك وزير صاحب ارزن وبدليس من صاحبه ، واجتاز بحصن كيفا ، وعبر في بلد الطور (١٢٩)الى نصيبين ، وسار الى اربل ، واقام عند مجاهد الدين قايماز الخادم صاحبها ، وكان اخذ من ولاية ارزن وغيرها مالا عظيما ، ورتب أمين الدين نصر بن جبريل في الديوان مستوفيا بولاية ارزن وبدليس .

وفي المحرم سنة احدى وسبعين قصد اتابك الدكز ، والسلطان ارسلان شاه ، وشاه ارمن صاحب اخلاط ، وعساكر ديار بكر ، والبلهوان وولد الدكز ، ومعه عساكر اذربيجان وهمذان في خلق لايحصى ، ولاية الكرج ، واجتمعوا بباب نقجوان واخذوا بين ايديهم بلد كنجة ، وساروا في خلق لايحصى الى ان جاوزوا صحراء اوري ودومانيس ،وخرجوا الى اتشهر وهي مدينة نحل كاعاك وصحراء تراباليث ، فنهبوا تلك الولاية ، واخربوا الضياع وسبوا ماوا شيها وحرقوا الزروع ، ولم يبقوا في تلك النواحي عماره ، وجلس الملك في غيضة ...(١٣٠) وتحصن بها وما اليه طريق ، ولم يقدم ان يخرج

اليهم ، فبقوا اياما وعادوا اجمع .... والسلطان بدوين ، وعاد شاه ارمن وعساكر ديار بكر الى اخلاط ، ووصلوا في العشر من ربيع الاول ، ودخلوا الى اخلاط ، وزينوا البلد وكان يوما مشهودا واظهر اهل اخلاط من الاموال والزينة مالم ير مثله ببلد اخر ، وبقيت الزينة ثلاثة ايام ، وكنت في هذه الايام هناك ، ولما عاد شاه ارمن من المعسكر نفذ وزيره الموفق بن دشتق واميرا آخر رسلا الى نقجوان ، وبقوا عند السلطان والبلهوان واتابك اياما ، ومرض الموفق اياما وتوفي في نقجوان ، وحمل تابوته الى شهاب الحراني الصوفي واصحابه الى خلاط فوصل يوم الثلاثاء تاسع شهر ربيع الاول سنة إحدى وسبعين وخمسمائة ، وخرج كل في خلاط ، وكان يوما عظيما ، ولقوه ، ولقد شاهدت من اسف شاه ارمن واصحابه عليه مالم اقدر اصفه ، تردد الى التربة سبعة ايام غدوة وعشية وغلقت اسواق اخلاط ثلاثة ايام ، وبطلت الذوبة (١٣١) يومين وطيب قلوب اولاده .

ورتب ولده مجد الدين محمد في الديوان ، وأخاه شمس الدين أبا الفضل امير حاجب والأمر اليه ، واستقروا على ذلك ، وبعد أيام وصل الخبر الى خلاط أن زوجة أتابك الدكز ووالدة السلطان أرسلان شاه توفت بنقجوان ، وجلس شاه أرمن بأخلاط في العزاء ، وغلقت الأسواق يومين .

كان في شهر ربيع الأول سنة سبعين وخمسمائة عبر بميافارقين الملك شاهنشاه أخو السلطان قليج أرسلان بن مسعود منهزما من أخيه ، وصعد الى أخلاط وقد ذكرنا ذلك أولا ، وسار من أخلاط الى أتابك الدكز ، وبقي عنده مدة ، وسار الى ملك الكرج ، فأكرمه وأحسن اليه ، وبقي عنده مدة ، وسار الى مدينة نجوم ، وركب منها في البحر الى القسطنطينية ، ودخل على ملك الروم واستجار به ، فأنزله وأكرمه ، ونفذ الى أخيه أن يرد عليه معيشته ، ولم يجبه الى ذلك ، وترددت المراسلة بينه وبين السلطان ، فلم يجبه الى

اي شيء مما طلب ، واتفق ان الأمير ذا الذون بن الدانشمند لما أخذ السلطان بلاد عمه ياغي سيان ، ودخل الى ملك الروم استجار به ، فنفذ اليه رسالة وسأله أن يرد عليه بعض بلاد عمه ويكون في خدمته ، فلم يفعل ، وترددت الرسل بينهما في حق المذكورين مدة ، فلم يجبه الى شيء مما طلب ، فجمع عساكر الروم وخلقا لايحصى ، وخرج ومعه أخو السلطان وذا الذون ، وعبر البحر واعتد في سبعمائة ألف فارس ومعهم فوق سبعين ألف عجلة ، وخرجوا الى ولاية الروم قاطع البحر وأقاموا هناك ، وبني مدينتين عظيمتين فجمع السلطان العساكر والتركمان ، وحصلوا يطرحون على جانب العسكر فينهبون ويقتلون ، ولايعلم الجانب الآخر ، فقتلوا منهم خلقا عظيما لايحصى ، ونهب منهم مالا لايوصف ،وخربت الولاية التي اليهم مجاور الاسلام ، وبنى الملك المدينتين واخربهما وغرم من الأموال شيئا لايحصى ، وسبوا من تلك الولاية مقدار مائة ألف مملوك بحيث وصل السبي الى هذه البلاد والشام ونزل الى الموصل وبغداد مالا حد له ، وبقيت العساكر والملك على ذلك الى شعبان ، فدخل الملك الى البحر ، وبقيت العساكر وأخو السلطان وذا الذون في هذه البلاد بلاد الملك من هذا جانب البحر ، وعسكر السلطان والتركمان كل يوم ينهب ويسبي موضعا وموضعا ، فبقوا على ذلك ولم يجر بينهم مصاف الى غاية شهر رمضان .

وكان في شهر ربيع الأول من هذه السنة صالح صلاح الدين يوسف بن نجم الدين الأيوبي الافرنج وأطلق لهم جملة من الأسارى ، وأعطاهم عشرة آلاف دينار واشترط عليهم حمل غلات ديار مصر الى حلب والشام ، ويحمل الى دمشق من بلاد الافرنج لأنه ظهر في هذه السنة ببلاد حوران من الفار مالم يسمع بمثله ، فقطع أصل الغلات واخرب الأرض وأهلك ماكان فيها من الزرع ، بحيث كان الفارس يقف في حفر الفار وخرابه الى صدر الفرس ، وتلفت جميع الغلات ، فصالح الافرنج على حمل الغلات

- ٥٣٤١ -

مـن ديار مصر الى دمشـــق ، وحضر جمــــاعة مــــن ديار مصر وأخبروا ··· بمصر يســوى ســـبعة أحمــــال محملة بـــدينار مصري ، واثنا عشر حمــلا ··· وخمســـة احمــال عدس وحمص وباقلاء بدينار ، وهذا شيء لم يسمع بمثله ··· مـن الزمــان ··· فجعل الثمان عشرة على ذلك ···

وفي شهر ··· ومكه عساكره ··· في الشام وبقي ··· اياما بحران ··· ونفذ الى ابن فخر الدين يستنجدهما فنفـذ نور الدين ابن ··· الحاجب اسد الدين ومعه عسكره ، وسار من ··· صالح ولد نور الدين رحمه الله ، وسار الى حلب و ..(١٣٢) .

من المنتظم في تواريخ الملوك والأمم لابن الجوزي

ثم دخلت سنة احدى وتسعين واربعمائة

فمن الحوادث فيها :

انه في شهر ربيع الآخر كثر الاستنفار على الافرنج وتكاثرت الشكايات بكل مكان ، ووردت كتب السلطان بركيارق الى جميع الامراء يأمرهم بالخروج مع الوزير ابن جهير لحربهم ، واجتمعوا في بيت النوبة وبرز سيف الدولة صدقة فنزل بقرب الأنبار، وضرب سعد الدولة مضاربه بالجانب الغربي ، ثم انفسخت هذه العزيمة ، ووردت الأخبار بأن الافرنج ملكوا انطاكية ، ثم جاءوا الى معرة النعمان فحاصروها ، ودخلوا وقتلوا ونهبوا ، وقيل: إنهم قتلوا ببيت المقدس سبعين ألف نفس ، وكانوا قد خرجوا في الف ألف .

وفي شعبان : خرج أبو نصر بن الموصلايا الى المعسكر الى نيسابور مستنفرا على الافرنج برسالة من الديوان .

ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة .

فمن الحوادث فيها :

أخذ الافرنج بيت المقدس في يوم الجمعة ثالث عشر شعبان ، وقتلوا فيه زائدا على سبعين ألف مسلم ، وأخذوا من عند الصخرة نيفا وأربعين قنديلا فضة ، كل قنديل وزنه ثلاثة آلاف وستمائة درهم ، وأخذوا تنور فضة وزنه أربعون رطلا بالشامي ، وأخذوا نيفا وعشرين قنديلا من ذهب ، ومن الثياب وغيره مالايحصى ، وورد المستنفرون من بلاد الشام ، وأخبروا بما جرى على المسلمين ، وقام القاضي أبو سعد الهروي قاضي دمشق في الديوان ، وأورد كلاما ابكى الحاضرين ، وندب من الديوان من

يمضي الى العسكر ويعرفهم حال هـــذه المصـــيبة ، ثـــم وقـــع التقاعد ، فقال أبو المظفر الابيوردي قصيدة في هذه الحالة فيها :

وكيف تنام العين ملء جفونها
على هذوات ايقظت كل نائم

واخوانكم بالشام يضحي مقيلهم
ظهور المذاكي او بطون القشاعم

تسومهم الروم الهوان وأنتم
تجرون نيل الخفض فعل المسالم

الى أن قال :

وتلك حروب من يغب عن غمارها
ليسلم يقرع بعدها سن نادم

يكاد لهن المستجن بطيبة
ينادي بأعلى الصوت ياآل هاشم

أرى أمتي لايشرعون الى العدى
رماحهم والدين واهي الدعائم

ويجتنبون الثار خوفا من الردى
ولايحسبون العار ضربة لازم

اترضى صناديد الاعاريب بالأذى
وتغضي على ذل كماة الأعاجم

وليتهم ان لم يذودوا حمية
عن الدين ضنوا غيرة بالمحارم

وان زهدوا في الأجر إذ حمي الوغى
فهلا اتوه رغبة في المغانم

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة

وفي هذه السنة خرج من الافرنج ثلاثمائة ألف فهزمهم المسلمون وقتلوهم ، فلم يسلم منهم سوى ثلاثة آلاف هربوا ليلا ، وباقي الفل هربوا مجروحين .

ثم دخلت سنة سبع وتسعين وأربعمائة

فمن الحوادث :
أن الافرنج اجتمعوا فحاربهم المسلمون فقتلوا منهم اثني عشر الف ، ورجعوا غانمين .

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسمائة

فمن الحوادث فيها : أخذ الافرنج طرابلس

ثم دخلت سنة أربع وخمسمائة

فمن الحوادث فيها : أنه وصل الخبر بأن الافرنج ملكوا الشام ، فقام التجار فمنعوا الخطبة في جامع السلطان ، فقال السلطان ، لاتعارضوهم ، وبعث عبيدا ومعهم ولد للسلطان .

وخرج شيخنا أبو الحسن الزاغوني الى الغزاة ، ورافقه جماعة فبلغني انهم ساروا الى بعض الأماكن ورجعوا .

ثم دخلت سنة خمس وخمسمائة

فمن الحوادث فيها :

أنه كان قد بعث السلطان محمد الى الافرنج الأمير مودود في خلق عظيم ، فخرج فوصل الى جامع دمشق ، فجاء باطني في زي المكدين فطلب منه شيئا فضربه في فؤاده فمات .

ثم دخلت سنة سبع وخمسمائة

فمن الحوادث فيها :

الوقعة الكبيرة بين المسلمين والافرنج ، قتل من الافرنج ألف وثلاثمائة ، وغنم المسلمون منهم الغنيمة العظيمة ، واستولوا على جميع سوادهم ،

ثم دخلت سنة اربع وعشرين وخمسمائة

... ووصل الخبر بكسر الافرنج من دمشق ، وأنه قتل في تلك الوقعة عشرة آلاف نفس ولم يفلت منهم سوى اربعين نفرا .

ووصل الخبر بأن خليفة مصر الآمر بأمر الله وثب عليه غلام له ارمني ، فملك القاهرة وفرق على من تبعه من العسكر مالا عظيما ، وأراد ان يتأمر على العسكر فخالفوه ومضوا الى ابن الافضل الذي كان خليفة قبل المقتول فعاهد فعاهدوه ، وخرج فقصد

القاهرة فقتلوا الغلام الذي في القاهرة ، ونهبت ثلاثة ايام وملك ابن الافضل .

ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة

فمن الحوادث فيها :

...وجاء الخبر بفتح الروم بزاعة ، فقتلوا الذكور وسبوا النساء والصبيان ، وجاء الناس يستنفرون ، ومنع الخطبة والخطباء ببغداد وقلعوا طوابيق الجوامع ، وجرت محن .

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وخمسمائة

فمن الحوادث فيها :

انه وصل الخبر يوم السبت خامس عشر جمادى الآخرة ان زنكي فتح الرها عنوة وقتل الكفار الذين فيها ، وذلك انه نزل عليها على غفلة ونصب المجانيق ، ونقب سورها ، وطرح فيه الحطب والنار فتهدم ودخلها فحاربهم ، ونصر المسلمون وغنموا الغنيمة العظيمة ، وخلصوا اسارى مسلمين يزيدون على خمسمائة .

ثم دخلت سنة احدى واربعين وخمسمائة

....ووصل الخبر يوم الثلاثاء خامس عشر ربيع الآخر بأن ثلاثة من خدم زنكي الخواص قتلوه وقام بالامر ابنه غازي في الموصل ، وأكد الولاية ، وكان ابنه محمود في حلب .

ثم دخلت سنة ثلاث واربعين وخمسمائة

فمن الحوادث فيها :

انه وصل الخبر بأن ملوك الافرنج وهم ثلاثة انفس وصلوا الى بيت المقدس وصلوا صلاة الموت ، وانحدروا الى عكة ، وفرقوا الاموال في العساكر فكان تقدير ما فرقوا سبعمائة الف دينار وعزموا على قصد المسلمين ، فلما سمع المسلمون بقصدهم اياهم جمعوا الغلة والتبن ولم يتركوا في الرساتيق شيئا ، ولم يعلم أهل دمشق أن القصد لهم بل ظنوا انهم يقصدون قلعتين كانتا بقرب دمشق ، فلما كان يوم السبت سادس ربيع الاول لم يشعروا بهم الا وهم على باب دمشق ، وكانوا في اربعة الاف لابس وستة الاف فارس وستين الف راجل ، فخرج اليهم المسلمون وقاتلوا ، فكانت الرجالة التي خرجت اليهم سوى الفرسان مائة وثلاثين الفا فقتل من المسلمين نحو مائتين ، فلما كان في اليوم الثاني خرج الناس اليهم وقتل من المسلمين جماعة ، وقتل من الافرنج مالا يحصى ، فلما كان في اليوم الخامس وصل غازي بن زنكي الى حماه في عشرين الف فارس لنصرة صاحب دمشق ووصل اولاد غازي الى باناس في ثلاثين الفا فقتلوا من القوم مالا يحد .

وكان البكاء والعويل في البلد وفرش الرماد أياما . وأخرج مصحف عثمان الى وسط الجامع واجتمع عليه الرجال والنساء والاطفال وكشفوا رؤوسهم ودعوا فاستجاب الله منهم ، فرحل اولئك ، وكان معهم قسيس طويل بلحية بيضاء فركب حمارا أحمر وترك في حلقه صليبا وفي حلق حماره صليبا ، واخذ في يده صليبين ، وقال للافرنج :اني قد وعدني المسيح ان آخذ دمشق ولا يردني احد ، فاجتمعوا حوله واقبل يطلب دمشق ، فلما رآه المسلمون

غاروا للاسلام وحملوا عليه بأجمعهم فقتلوه وقتلوا الحمار ، وأخذوا الصلبان فاحرقوها.

ثم دخلت سنة اربع واربعين وخمسمائة

....ومن ذلك : أن محمود بن زنكي بن أقسنقر غزا فقتل ملك انطاكية ، واستولى على عسكر الافرنج وفتح كثيرا من قلاعهم .

ثم دخلت سنة اثنتان وخمسين وخمسمائة

....وكانت وقعة عظيمة بين محمود بن زنكي وبين الافرنج ، وفتح عسكر مصر غزة واستعادوها من الافرنج ، ووصل رسول محمود بتحف وهدايا ورؤوس الافرنج وسلاحهم واتراسهم .

ووصل الخبر في رمضان : بزلازل كانت بالشام عظيمة في رجب تهدمت منها ثلاثة عشر بلدا ، ثمانية من بلاد الاسلام وخمسة من بلاد الكفر اما بلاد الاسلام ، فحلب وحماة وشيزر وكفر طاب وفامية وحمص والمعرة وتل حران ، واما بلاد الافرنج فحصن الأكراد وعرقه واللاذقية وطرابلس وانطاكية ، فاما حلب فأهلك منها مائة نفس ، وأما حماة فهلكت جميعها الا اليسير ، وأما شيزر فما سلم منها الا امراة وخادم لها ، وهلك جميع من فيها ، وأما كفر طاب فما سلم منها أحد ، وأما فامية فهلكت وساخت قلعتها ، وأما حمص فهلك منها عالم عظيم واما المعرة فهلك بعضها ، وأما تل حران فانه انقسم نصفين وظهر من وسطه نواويس وبيوت كثيرة ، وأما حصن الأكراد وعرقه فهلكتا جميعا ، وهلكت اللاذقية فسلم منها نفر ونبع فيها جوبة فيها حمأة ، وفي وسطها صنم واقف ، وأما طرابلس فهلك اكثرها ، وأما انطاكية فسلم بعضها .

ثم دخلت سنة تسع وستين وخمسمائة

....وتوفي في هذه السنة محمود بن زنكي فتجدد بعد موته اختلاف بحلب بين السنة والشيعة فقتل من الطائفتين خلق ونهب ظاهر البلد فذهب خمسة آلاف خركاه وبيت من التركمان .

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

....محمود بن زنكي بن آقسنقر ، الملقب نور الدين

ولي الشام سنين وجاهد الثغور ، وانتزع من ايدي الكفار نيفا وخمسين مدينة وحصن ، منها الرها ، وبنى مارستان في الشام انفق عليه مالا ، وبنى بالموصل جامعا غرم عليه ستين الف دينار ، وكانت سيرته اصلح من كثير من الولاة ، والطرق في ايامه آمنة والمحامد له كثيرة ، وكان يتدين بطاعة الخلافة ، وترك المكوس قبل موته ، وبعث جنودا افتتحوا مصر ، وكان يميل الى التواضع ومحبة العلماء اهل الدين ، وكاتبني مرارا ، واحلف الأمراء على طاعة ولده بعده ، وعاهد ملك الافرنج صاحب طرابلس وقد كان في قبضته اسيرا على ان يطلقه بثلاثمائة الف دينار وخمسين ومائة حصان ، وخمسمائة زردية ومثلها تراس افرنجية ، ومثلها قنطوريات ، وخمسمائة اسير من المسلمين ، وانه لا يعبر على بلاد الاسلام سبع سنين وسبعة اشهر وسبعة ايام ، واخذ منه في قبضته على الوفاء بذلك مائة من أولاد كبراء الافرنج وبطارقتهم ، فان نكث اراق دماءهم ، وعزم على فتح بيت المقدس فوافته المنية في شوال هذه السنة ، كانت ولايته ثمانية وعشرين سنة واشهرا .

ثم دخلت سنة اثنتان وسبعين وخمسمائة .

.... وجاء الخبر بنصر المسلمين على الافرنج في غرة جمادى الآخرة .

البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان

تصنيف

العماد الأصـــــفهاني محمـــــد بـــــن محمـــــد

(هو غير العماد الكاتب ، انما معاصر له)

سنة تسعين واربعمائة :

ـ نزل الفرنج على انطاكية ، وفيها كان الغلاء الكثير لا أعاده الله ، وفيها فتح قوام الدولة الرحبة ، وفتحت الفرنج سميساط ، وفتح الأفضل بن أمير الجيوش دمشق . وولد الآمر بن المستعلي .

سنة احدى وتسعين واربعمائة .

ـ ملكت الفرنج الرها . والحدث ، ومرعش ، وكيسون ، وانطاكية ، وتسلم الأفضل البيت المقدس .

سنة اثنتين وتسعين واربعمائة :

ـ اخذت الفرنج البيت المقدس والمعرة ، وخطب لتتش بالموصل ، وفيها نقل مصحف عثمان الى دمشق من طبرية ، وفيها تسلم فرنج الرها سروج ، وفيها توفي القاضي جلال الملك بطرابلس .

سنة ثلاث وتسعين واربعمائة

ـ فيها فتحت حيفا وفيها توفي عميد الدولة ابن جهير ، وابن جزلة الطبيب ،

سنة اربع وتسعين واربعمائة

ـ احرقت رسائل اخوان الصفا ببغداد وقتل جماعة من الاسماعيلية بالمعسكر منهم عين القضاة الصوفي ، وفيها كانت وقعة نهر الكلب ، وفيها تسلم اتابك جبلة ، وفيها ملكت الفرنج قيسارية ، وفيها قتل سعد الدولة على عسقلان .

سنة خمس وتسعين واربعمائة

ـ جعلت البيعة الخضراء التي بتكريت جامعا ، وفيها توفي المستعلي خليفة مصر ، وكانت خلافته ثمان سنين وخلفه الآمر ، وكانت وقعة أنطرسوس وفيها نزل ابن صنجيل على طرابلس .

سنة ست وتسعين واربعمائة .

ـ مات جاسوس الفلك المنجم الحاذق وأبو المظفر الخجندي ، وفيها قتلت الاسماعيلية جناح الدولة بجامع حمص ، وفيها فتح دقاق الرحبة ، وفيها دخل الحاجب كمشتكين بعلبك .

سنة سبع وتسعين واربعمائة

- ولد تتش بن دقاق ، وفيها ملكت الفرنج عكا ، وفيها دخل الملك الياس الشرق ، وفيها مات الملك دقاق توفي سابع جمادى الآخرة ، وظهر في المغرب كوكب ابيض له ذؤابة من شرقة بعيدة عن الشمس نصف برج في الحوت طول ذؤابته مائة وخمسون ذراعا .

سنة ثمان وتسعين واربعمائة

- قران في برج الجدي ، وفيها ملك طغتكين دمشق ، وفيها تسلم بعلبك ورفنية ، وفيها قتل اياس غلام السلطان محمود ببغداد .

سنة تسع وتسعين واربعمائة

- استولى الملك رضوان على فامية ، وفيها مات يوسف بن تاشفين صاحب المغرب ، واستولى الملك طغتكين على بصرى وصلخد ، وفيها كسرسكمان بن أرتق بعساكر الشام الفرنج على ارتاح ، وفيها ظهر النجم المذنب ، وفيها توفي تتش بن دقاق .

سنة خمسمائة

- فيها قتل قليج ارسلان ، وفيها قتل صدقه بن دبيس قتله السلطان محمد ، وفيها قتل سيف الدولة على بن سالم صاحب الرقة ، وفيها تسلمت الفرنج فامية من المسلمين ، وفيها توفي ابن الشكوك ، وفيها ولد الشيخ محمد بن بري لخمس بقين من رجب .

سنة احدى وخمسمائة

- نزل الجاولي ببالس يوم الجمعة وفتحها بالسيف ونهبها لثمان عشرة ليلة خلت من ذي الحجة ،وفيها سلم منصور بن جوشن الى الملك رضوان الرقة واعطاه عوضا منها قلعة الجسر وسبعة آلاف دينار ،

سنة اثنتين وخمسمائة

- سلمت الموصل لمودود ، وملكت الفرنج طرابلس وجبلة من ابن عمار ، ومات ابن الحارث الخطاط واسمه أبو الفوارس الحسين بن علي بن الحسين ، وفيها توفي الأمير بوري ، وفيها توفي غضب الدولة ابق .

سنة ثلاث وخمسمائة

- تسلمت الفرنج بيروت .

سنة أربع وخمسمائة

- توفي قراجا صاحب حمص ، وتسلمت الفرنج صيدا ، ومات الوزير هبة الله بن الموصلي بحلب ، وفيها ملك صارم الدين جرجان .

سنة خمس وخمسمائة

- توفي ابو حامد الغزالي في جمادى الآخرة ،وعاش خمس وستين سنة .

سنة ست وخمسمائة

- تسلم أتابك صور من المصريين وفيها توفي على كرد صاحب حماه ، وفيها قتل مودود بجامع دمشق قتله الاسماعيلية .

سنة سبع وخمسمائة

- وفاة الملك رضوان وملك حلب تاج الدولة الأخرس بن رضوان ،

سنة ثمان وخمسمائة

- كسر أتابك الفرنج على طبرية ، وفيها دخل أتابك صور ، وفيها غار طنطاش وعبر على قلعة جعبر وفيها توفي تاج الدولة الأخرس ابن رضوان وملك الخادم لؤلؤ حلب وفيها كانت زلزلة الأثارب وما حولها وخسفت سميساط ومرعش ، وفيها وصل جكرمش رسول السلطان الى دمشق ، وفيها سار أتابك نحو بغداد ، وفتح برسق حماه ،

سنة تسع وخمسمائة

- نزل أتابك على فامية ، وفيها قتل ابن بهيس بدمشق .

سنة عشر وخمسمائة

- احترقت النظامية وقتل احمديل صاحب اذربيجان ، وفيها خلع الخليفة والسلطان على أتابك ، وفيها رحل عن بغداد،وفيها توفي برسق ، وفيها هجم أتابك على حمص ، وفيها قتل الخادم لؤلؤ صاحب حلب بقلعة ديرحافر في الصيد قتله سنقر ، وملك بعده ابن الملحي حلب أياما ، وفيها قتل السلطان تبر ببغداد .

سنة احدى عشرة وخمسمائة

- قتل كامل بن منقذ بشيزر ، وفيها نزل أتابك الى عسقلان وخلع عليه خليفة مصر وفيها توفي السلار بختيار ، وفيها توفي الملك بردويل ، وفيها أخرب السيل سنجار ، وفيها كبس أتابك طبرية .

سنة اثنتي عشرة وخمسمائة

- تسلم إيلغازي حلب ، وملك الفرنج عزاز ، ومات المستظهر بن المقتدي ، وكانت خلافته خمسا وعشرين سنة وخمسة أشهر وثلاثة أيام وخلفه المسترشد ، وفيها كسر الفرنج بالسواد لأتابك دمشق .

سنة ثلاث عشرة وخمسمائة

- كسر سنجر لمحمود ابن اخيه ، وفيها انكسرت الفرنج على جبل السماق .

سنة اربع عشرة وخمسمائة

- كسر السلطان أخاه مسعود ، وفيها توجه أتابك للقاء ايلغازي ، وانتهب السلطان الحلة .

سنة خمس عشرة وخمسمائة

- قتل الأفضل ابن أمير الجيوش بمصر ليلة عيد الفطر ، وفيها مات القاضي عماد الدين . ومات توفيق المهندس بدمشق . وفيها أحرقت الفرنج جرش . وفيها مات أبو محمد القاسم بن علي الحريري صاحب المقامات ، وفيها كسر الفرنج أتابك على تل حورين ، وفيها كسرت الفرنج ايلغازي .

سنة ست عشرة وخمسمائة

- مات ملك الخزر داود (١) وهو الذي فتح تفليس وكان له نظر عظيم في الاسلام وجرت له مناظرة مع القاضي الكنجي في الكلمة هل هي مخلوقة أم قديمة ، واكل القطا زرع الشام . وفيها كسر دبيس البرسقي ، وفيها توفي الحاجب فيروز . وفيها قبض المصريون على الامير مسعود سلار والى صور عن أتابك وتسلموا صور . وفيها توفي نجم الدين بن ارتق صاحب ماردين . وفيها تسلم سليمان بن عبد الجبار بن أرتق بعد عمه نجم الدين مدينة حلب . وفيها نزل الفرنج على بالس .

سنة سبع عشرة وخمسمائة

- فيها انكسر عسكر المصريين ، وفيها تولى المأمون بن البطائحي الوزارة بمصر وكان في ابتداء امره فراشا وشوهد في صغره وهو يرش بين القصرين ، وفيها توفي تميرك وفيها تسلم بلك قلعة حلب . وفيها توفي محمود بن قراجا ، فيها تسلم أتابك حماه .

سنة ثمان عشرة وخمسمائة

- ملك البرسقي حلب ، وهبت ريح من أرض رصافة الى قلعة جعبر ، وفيها فتحت الفرنج صور وكان واليها عز الملك عم المأمون وزير مصر باعها بمال جزيل للفرنج ، وخاف من خليفة مصر فهرب الى دمشق ، فيها تسلم حسام الدين تمرتاش حلب بعد بلك ، وفيها قتل بلك على منبج بسهم نشاب ، وفيها مات حسن الصباح رئيس الاسماعيلية ، وكان رفيق الامام العارف أبي حامد الغزالي قدس الله روحه في قراءة بعض العلوم على بعض الفقهاء ، وفيها قتل القاضي الهروي وولده ببغداد ، وفيها توفي سليمان بن ايلغازي ، وفيها نزل سيف الدولة دبيس بن صدقة ومعه ملوك الفرنج على حلب ، وجاءهم البرسقي صاحب الموصل فرحلهم عنها ، وتسلمها وكانت الفرنج قد أشرفوا على أخذها لأنها كانت قد خلت من الرجال والزاد ، ولم يبق فيها غير مائتين وستين رجلا ، وكانوا تحيلوا بالنساء ، وامهلهم الفرنج عشرة أيام فلما كان اليوم التاسع تشاور أهل حلب على انهم يخرجوا نساءهم ليلا ، فلما بعد العصر جاء مد عظيم في قويق ، وكان الفرنج نازلين عليه فأخذ خيامهم وجميع مالهم ، وغرق منهم جمع كثير ، ووصل البرسقي أول الليل وأصبح فقاتلهم فكسرهم . وفيها كان الغلاء .

سنة تسع عشرة وخمسمائة

- ومات ناصر الدولة بن طرخان الشيباني بحلب وهو دمشقي ، وقتل رافع البالسي داعي الخليفة بحلب ، وفيها قبض على المأمون بمصر وكان قد ارسل رجلا يعرف بابن الحسن نجيب الدولة رسولا الى اليمن ضرب له سكة وكتب عليها الامام المختار محمد بن نزار فقبض الآمر الخليفة عليه وعلى أخيه المؤتمن وعلى خمسة وثلاثين

نفسا معهم وصلبهم على رأس الطابية ، وفيها انكسر المسلمون ثـم بمرج الصفر على ضيعة يقال لها شرخوب ، وقتل من أهـل دمشـق عشرون رجلا سوى الجند.وفيها نزل البرسقي على عزاز ، فـرحله الفرنج عنها . وكسروه ، وقتل ذلك اليوم اولاد عامـر النميري وعلي ابن صالح ، وفيها قتل محمود بن قراجا صـاحب حمـاه على كفـر طاب ، وفيها توفي علي بن سلام النميري .

سنة عشرين وخمسمائة

ـ فيها تسلم أتابك تدمر ، وفيها قتل البرسقي ، وفيها كان قران ، وفيها دخل محمد بن تومرت الى بغداد في طلب الفقه وقرأ على الامام العالم أبي حامد الغزالي قدس الله روحه عشرين مجلدا من جملتها الوسيط ، والبسيط ، وتهافت الفلاسفة ، وفيها سلمت بانياس الى بهرام . وفيها توفي ابن بركات النحوي بعد استيفاء مائة سنة .

سنة احدى وعشرين وخمسمائة

ـ دخل أتابك الشهيد الموصل ، وفيها توفي مسعود بن البـرسقي ، وفيها توفي شمس الخواص صاحب رفنية ، وفيها ملك مسعود بن البرسقي الموصل وأعمالها ونزل على الرحبة ، وفيها قتل حسن بـن قرواش ، وفيها تسلم المختص الرحبة من حسن بن قرواش.وفيهـا استولى على الموصل والرحبة .

سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة

- فيها توفي أتابك طغتكين وملك ولده تاج الدولة وجلس الوزير ابو على بن المزدغاني ، وفيها تسلم شرف الدين الى حماه ، وفيها دخل اتابك الى حلب ، وملك ابن تومرت الجبل ، وقتل خواجا بهرام داعي النزارية بوادي التيم .

سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة

- قتل الوزير المزدغاني بدمشق وقتل معه من الاسماعيلية مقدار عشرين الف نفر سقيم وبري . وفيها كان قران المريخ وقلب الاسد . وفيها وصل الى الساحل اسطول الفرنج ، وفيها نزل الفرنج على دمشق ووصل سوازورسلان دغمش وكسروا الفرنج على دمشق .

سنة اربع وعشرين وخمسمائة

- خطب للسلطان محمود بألموت مقر ملك الاسماعيلية ، وقتل ابن البيمند صاحب انطاكية ، وكان الرصد بظاهر بغداد بدار السلطنة المدفق على الرصد محمود الراصد وهبة الله الاسطرلابي أحد منجمي بغداد وإلى غير بغداد ما نقل ، وفيها قبض أتابك زنكي بسونج بن تاج الملوك بوري ، وفيها قبض صمصام الدين خيرخان صاحب حمص ، وصلخد وفيها قبض مكتوم بن حسان بن مسمار الكلبي لسيف الدولة دبيس بن صدقة ، استضاف به ، وسلمه الى

تاج الملوك بوري فافتدى به عن ولده سونج أتابك زنكي ، وفيها قتل علي بن حامد ، وفيها تقلد الوزير محيي الدين الوزارة بدمشق ، وفيها قتل الآمر يوم الثلاثاء رابع عشر ذي القعدة في الجزيرة ، وكانت خلافته بمصر تسعا وعشرين ، وكان له ولد قد نص عليه بالخلافة واسمه أبو محمد فدس عليه الحافظ عبد المجيد رجلا اسمه ناصر الديثي ، ركاب دار الآمر ، فأخذه عنده ولم يظهر له خبر الى الآن بموت أو بغيره وجماعة من المصريين يقولون انه حي ويعتقدون فيه الامامة ، وفيها رحل أتابك عن حمص ، وفيها جلس الحافظ عبد المجيد بمصر فاعتقله أبو علي بن الافضل في خزانة ، وخطب القائم المنتظر سنة ونصف ، وجرت منه أسباب فأخفيت الا عن الله تعالى ، فأقام سنة وثمانية أشهر ، وقتله صبيان الخاص الذين كانوا للآمر ، واستوزر الحافظ بهزار الملوك .

سنة خمس وعشرين وخمسمائة

ـ فيها قبض تاج الملوك على الرئيس محيي الدين وقرابته ووثب الباطنية على تاج الملوك . وخرج الرئيس من الاعتقال ، ووزر له كريم الملك ، وفيها توفي السلطان مسعود، وفيها أخرج اتابك لابن صدقة من الحبس وعمل له بركا ، وساروا طالبين بغداد لحرب المسترشد ، فكسرهما الخليفة على تل عقرقوف ، وفيها ولد الملك الناصر يوسف بن أيوب بن شاذي بن مروان في الخامس والعشرين من جمادي الآخر بتكريت .

سنة ست وعشرين وخمسمائة

ـ وفاة عمر السلار بن بختيار ، وفاة تاج الملوك بوري من الجــراح لان السكاكين كانت مسمومة وقام بعده ولده شمس الملوك ، وفيها فتح شمس الملوك بانياس ، وفيها وزر يانس للحــافظ عبــد المجيد وقتل من صبيان الخاص خمسمائة نفر وهرب الباقون الى الغرب ، وأقام تسعة أشهر ثم مات .

سنة سبع وعشرين وخمسمائة

ـ نزل المسترشد على الموصل ، ورحــل عنهــا عاشر ذي القعــدة ، وفيها قبض نزار بن ربيعة ، وفيها تــوفي كريم الملك ، وفيهــا كسر أتابك زنكي لاولاد أرتق · داود وتمرتاش وأسر من رجالهم جمعــا كبيرا ، وباع كل واحد منهم بــكلب ، وفيهــا وصــل رســـول مصر بالخلع .

سنة ثمان وعشرين وخمسمائة

ـ مات محمد بن تومرت وظهر عبد المؤمــن وفيهــا مــات أبــو علي الحسن شيخ ابن عصرون ، وفيهــا قبض شــمس الملوك على أخيه سونج وحبسه بين حيطين حتى أكل لحم كتفه ومات ، وخنق لدرا بن ربيعة ولولده في دار رضوان بقلعة دمشق ، وفيها تسلم أتــابك زنكي البارعية من قرا ارسلان . وفيها سألت الاجناد الحافظ أن يجعــل ولده الأمير حسن بينه وبينهم واسطة ، وأخرجوا حسن مــن القصر الغربي بغير اختيار الحافظ . وألزمــوه بــأن يوليه ، فقــال لهــم :

رضيتموه؟ فقالوا: نعم ، فكانوا في قوة ، فبقي تسعة اشهر ثم سـلط السودان عليهم وكان لهم مقدم عبد يعرف بغلام الاجنادي فقتل عالما كثيرا من الجند وبدع فيهم وأخرجهم من دورهم وحشرهم في البرقية أياما ، واستولى السودان على القاهرة ، فخـرج بعض الأجناد الى المحلة مستصرخا بالوالي ، وكان رجلا جيدا سـليم الجـانب الا انه كان ارمنيا باقيا على دينه يسمى تاج الدولة بهرام ، فـانضوى اليه بعض العساكر واجناد الريف بذو قرة ، ووصل الى القاهرة وأحرق باب القنطرة ، وباب الخوخة وباب السعادة ، وباب زويلة البراني ، والجواني ، وباب البرقية ، وركب السيف على السودان فقتل منهـم خلقا كثيرا ، واما الأمير حسن فاذفق الذهب ، وكان يعطي الأسـود فيخرج ويقتل ويؤخذ ما معه ، وقالت الاجناد الحافظ سلم الينا ولدك حسن فتمنع عليهم وعظم عليه أن يسلم اليهـم ولده فسـقاه سـما وقتله ، ودخل الأجناد اليه خفية فجسوه بالمسل ، ووزر بهرام ،

سنة تسع وعشرين وخمسمائة

ـ قتلت خاتون لولدها شمس الملوك قدامها وجعـل يقـول زنهـار ، زنهار(٢) ، وهي واقفة عليه حتـى قضى ، فجعلتـه في بسـاط ، وقالت للجند ادخلوا ابصروا سلطانكم ، واجلسـت أخـا له صـغير يعرف بشهاب الدين ، وانفـذت الى الحـاجب يوسـف بـن فيروز فــأحضرته وســلمت اليه دمشــق

فبقي مدة يسيرة واعترضه بزواش فقتله بخنجـر كان في وسـطه ، وتفرقت الأجناد فقوم مضـوا الى بـزواش ، وقـوم مضـوا الى منازلهم ، وكان أمين الدولة صاحب بصرى حـاضرا قتلتـه ، وكان باطنيا جدا ، فخاف وتم هـاربا على فـرسه يتـأدى بين وشـاقين راكبين حتى وصـل الى بصرى ونزل أتـابك على دمشـق وتقـرر الصلح .

سنة ثلاثين وخمسمائة

- توفي شهاب الدين صاحب قلعة جعبر وملك ولده شرف الدولة . وفيها تسلم أتابك زنكي الرقة منزعيم الدولة مسيب، وفيها ظهر حسام الدين تمرتاش بن ايلغازي الى دمشق في خدمة أتابك ، وفيها قتل الرئيس محيي الدين بن الصوفي ، وفيها كانت وقعة المسترشد والسلطان مسعود ، وقتل المسترشد ، وكانت خلافته سبعة عشر سنة وثمانية أشهر ، وخطب للراشد والمسعود بالحضرة ، ووصل مخاوعا ، وكانت خلافته سنة واحدة ، وفيها استولى تاج الدولة بهرام على ديار مصر ، وعزت طائفة الارمن ، وطمع أقاربه وأرادوا أن يغيروا الملة فخرج رضوان بن ولخشي من المحلة ، وحشد لواته وبنى قرة المقطعين بالريف وهم خلق عظيم ، وحمل المصاحف على الرماح ، ووصل بهرام في عشرة آلاف فارس وراجل وطلب الصعيد ثم أتى أسوان ووزر رضوان بن ولخشي وقتل السبع الاحمر .

سنة احدى وثلاثين وخمسمائة

- استولى بنو الصوفي على رئاسة دمشق ، وفيها تقلد السلار زين الدين وأخوه عماد الدين شحنكية دمشق ، وفيها نزل ملك الروم على انطاكية .

سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة

- قتل الراشد وولي بعده المقتفي ، ومات شمس الدولة محمد بن خاروف ، وفيها رحل اتابك زنكي عن دمشق ، وفيها كسر شهاب الدين الفرنج ، وفيها قتل ابن البقش ، وفيها تسلم أتابك حمص ، وفيها سارت خاتون عن دمشق معه لما تزوج بها .

سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة

- زلزلت حلب والاثارب ،وخرج ملك الروم الى الشام ، وفتح براغة وسبا اهلها وأسر منهم مقدار عشرة آلاف نفس ، ثم رحل فجعلهم في خندق الاثارب يخرجوهم كل يوم يرعون في الباقلي الأخضر ، ورحل ملك الروم طالبا شيزر ، ونزل عليها ، فخرج سيف الدين سوار بن ايدكين في خيل من عسكر حلب فخلص الاسرى جميعهم ماخلا اليسير منهم ، خرج ضياء الدين حقوي من دمشق ، وفيها قتل شهاب الدين صاحب دمشق ، وجلس الامير بهرام شاه بعد أخيه شهاب الدين . وفيها وصل جمال الدين صاحب بعلبك وتسلم دمشق وفيها أخرج بهرام شاه أخاه من دمشق وهج في البرية ، وفيها دخلت خاتون بنت عضد الدولة الى دمشق ، وفيها تقلد ابو الكرم البعلبكي الوزارة بدمشق ، وفيها نزل أتابك زنكي على بعلبك ،وأمن أهل القلعة ، وحلف لهم ، ثم غدر بهم فقتل الجميع ، وكانوا ثلاثمائة وخمسين نفر .وفيها تسلم الملك زنكي بزاعة من الفرنج ، وفيها طلب رضوان بن ولخشي من الحافظ خليفة مصر جانبا من القصر يسكن فيه ، وجرت اسباب ، وثار عليه الأجناد وخرج هاربا الى الشام ، ونهبت دوره ، ووصل الى أتابك زنكي فأرسل معه ألفي فارس وحشد عربان

الحوف دوما ، وجذام وزريق ونزل على رأس الطابية ، فكسر العسكر ، وقتل خلقا عظيما ، ولم يدخل الى القاهرة فأقام على الرصد ثمانية أيام ، ثم تفلل العسكر منه ، فعاد صحبة العرب ، وكتب الى الحافظ يطلب منه أمانا ، فأمنه فلما حصل في القصر مسكه وجعله في حجرة مكروما موكلا . وفيها تسلم اتابك حران من علي الكرجي

سنة اربع وثلاثين وخمسمائة

- كانت كسرة الزيتون قتل أتابك من أهل دمشق عشرين ألف على تل الثعالب ، وفيها وفاة جمال الدين وجلوس مجير الدين ، وفيها أغار أتابك زنكي على دمشق ، وفيها تسلمت الفرنج بانياس ، وفيها استجار الزيذبي بدار السلطان من خوف ابي عبد الله المقتفي ، وكان قد اخرجه من وراء حائط وزوجه احدى بناته ، وغدر به وخطب بعد ذلك وهو في حالة الموت فاستشهد بيتا من الشعر وهو :

أتت وحياض الموت بيني وبينها
وجادت بوصل حين لم ينفع الوصل

ومات شرف الدين ابو العلاء قاضي الممالك ، وفيها تسلم اتابك بعرين .

سنة خمس وثلاثين وخمسمائة

- مات قراسنقر صاحب اذربيجان ومات ابن أفلح الشاعر وقاضي البيمارستان فيلسوف عصره وفيها نزل أتابك بمرج الزبداني ، ورحل الى البقاع ، وفيها خطب بجامع دمشق لاتابك ، وفيها دخل ربيع الاسلام أمين الدولة الى دمشق ، وفيها تسلم أتابك من ركن الدولة بهمرد ، وفيها كانت زلزلة بشيزر وأحرقت القلعة ، وكان صاحبها محمد بن منقذ حاضرا وأبوه وبنوه وبنو عمه واولاده فماتوا بجميعهم تحت الردم ما خلا خاتون زوجة الأمير ، وفيها تسلم أتابك الموزر .

سنة ست وثلاثين وخمسمائة

- وصل عز الدين أخو معين الدين الى دمشق ، وفيها دخل ظهير الدين دمشق ، وفيها توفي سني الدولةالكاتب الخياط ، وفيها كانت شرقي الفرات مطر ورعد ورمل ونزل مع المطر حيات وعقارب وضفادع ، وفيها مات شرف الاسلام عبد الوهاب بن الحنبلي ، وفيها ولد الملك العادل ابو بكر بن أيوب

سنة سبع وثلاثين وخمسمائة

- وفاة ملك الروم بانئة قتله خنزير في الصيد وكان معه ولده منويل ، ومضى على وجهه من انئة مع جماعة يسيرة الى القسطنطينية ، وفيها كبس سيف الدولة سوار الفرنج بكبسة فاطلع جسر الحديد وأخذ كند اصطبل.

سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة

- فيها ولى الصالح طلائع بن رزيك بحيرة اسكندرية فخرج عليه لواتة فاعتصم بدمنهور الوحش ، ونصره الله عليهم فقتل محمد بن رافع اميرهم وعلى بن المحجب ، وفيها كان الغلاء بمصر وبلغ القمح الديوكي ويبة ونصف بدينار وكانت سنة صعبة .

سنة تسع وثلاثين وخمسمائة

- فيها نزل ابو الحسن عم الحافظ الى صاحب بابه وقال له تجعلني الخليفة؟ فقال:ياعم لا تخف انت في امان الله وخلاه موكلا عليه كغيره من الاقارب ، وفيها خرج الرئيس مؤيد الدين بن الصوفي الى صرخد ، وفيها خرج كوكب الذنب ، وفيها خرج مؤيد الدولة من دمشق وأرسل الى معين الدين القصيدة التي اولها .
ولوا فلما رجونا عدلهم ظلموا .....

وأخرج ايضا الوزير البعلبكي ، وفيها نزل اتابك على الرها وفتحها بالسيف ، وفيها تسلم سروج من الفرنج ، وفيها نزل على البيرة ، وفيها مات تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين ، ومات داود وولي بعده فخر الدين قرا ارسلان صاحب حصن كيفا .

سنة اربعين وخمسمائة

- فيها ذقب رضوان بن ولخشي قصر مصر ، وخرج فقدم له فرس فركبها ، وخرج من القاهرة ونزل الجيزة على أمير من لواته ، واستنجد به فجمع له المغاربة والعرب ، وحشدوا ودخل الى القاهرة

فدس عليه فقتل في الجامع الشرقي بالركن المخلق ، وبعد ذلك خرج رجل آخر على الحافظ بالمغرب ادعى انه ابن نزار ، وكان كذابا فاخرجت اليه العساكر الى الحمامات ، وعادوا ، ثم انه بعد ذلك قتلته العرب وأحضروا رأسه ويده اليمنى الى الحافظ ، وفيها فتح عبد المؤمن مراكش وكان البربر اصحاب محمد بن تومرت يأخذون الصبي الصغير فيذبحوه ،فقتلوا على هذه الصفة خلقا كثيرا وفيها توفي امين الدولة بدمشق ، وفيها نزل أتابك زنكي على قلعة جعبر

سنة احدى واربعين وخمسمائة

ـ ملك سيف الدولة غازي اتابك الموصل ، وملك نور الدين محمود ابن أتابك حلب ، وفيها وزر جمال الدين محمد بن علي الاصفهاني المعروف بالمكرم لصاحب الموصل ، وفيها نزل معين الدين على بعلبك ، وفيها وصلت زمرد خاتون الى دمشق وحملت الى الجناح ، وفيها نزل معين الدين ومجير الدين على بصرى وصرخد ، وفيها سرق الفرنج الرها من المسلمين وأقاموا يحاصروا المطيعان وحصن ابن عطير يومين ، وأخذوا من كان فيه من اليهود والنصارى والمسلمين ، وطلعوا بهم سميساط ، فاجتمع عليهم عساكر المسلمين ومقدمهم سيف الدين سوار بن ايدكين فخلص الأمم جميعهم وقتل منهم خلقا عظيما ، وفيها أحرقت بنو لام والشرفاء قبر عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وقتل عليه من المسلمين خلق كبير ، وفيها خرج بختيار طالبا للوزارة فانفذ اليه رجلا من لواته يعرف بسليمان بن يونس وتوجه الى الصعيد فاخذه وانفذه الى القاهرة فقتله الحافظ .

سنة اثنتين واربعين وخمسمائة

- كسرت الفـرنج على الميدان ، وفيهـا تسـلم معين الدين بصرى وصرخد . وفيها دخل ذور الدين دمشق مع معين الدين . وفيها دخل معين الدين أنر الى دمشـق . وفيهـا وصـل ملك الفـرنج الى أنطاكية . وفيها اجتمع مجير الدين وذور الدين ، وفيهـا تسـلم ذور الدين باسوطا ، وتسلم سـيف الدين غازي حمص ، وفيهـا كسرت الفرنج ذور الدين على يغرى . وفيها أخذت زعب وبذو حارث ، وبذو سنبس ، وقحطان حـاج العـراق والشـام ، وهلك خلق كثير مـن الناس ، وفي تلك السنة أنزل الله عليهم وباء مـات جميعهـم وجميع عبيدهم ومواشيهم .

سنة ثلاث واربعين وخمسمائة

- فيها توفي جمال الدين بن الصوفي . وفيها كسرت الفرنج وقتـل صاحب أنطاكية على إنب واخذ ذور الدين رأس البرنس ضببه بفضة وبعثه الى السلطان ، وفيها نزل ملك المان على دمشق وخيم بقـرب بـاب الجـابية ، وكان في خلق عظيم يكون مقـدار أحـد عشر الف انسان وكان بدمشق ناس قلائل من الجند ، ولكن كان لهم سـطوة وشجاعة مثل أنجق وطرلجق وبلق ومجـاهد الدين بـزان والذي غير الخـواص والحـرامي والنابلي والنصـاروا والديوي والسـليماني وغيرهم ، فحلفوا بالطلاقات أنهم لايغلقـون بـابا بـدمشق ليلا ولا نهارا ولايحمل أحد منهم الا ويوصل الطين ، ثم إن الفرنج ثاني يوم شربوا وصلوا الصلاة للموت ، وركبوا جميعا وقدامهم قسيس راكب حمارا بين يديه الانجيل مفتوح ، وفي يده صـليب ، وجعـل يسـير قدامه الى أن وصل إلى آخر القنوات قدام باب الجابية فضربه رجل يقال له كبل بن الدورسي بياسج (٣) في صدره فـوقع وحمـل عليه

رجل يقال له ابن خمار ، فطعنه وهو على الأرض ، فرجعت الفرنج القهقرى ، وقتل أهل دمشق منهم خلقا عظيما ، ثم رحلوا في اليوم الثالث وهو يوم الاربعاء وكان نزولهم يوم الأحد لعنة الله عليهم . وفيها زاد نيل مصر حتى بلغ تسعة عشر ذراعا واربع اصابع وبلغ الماء الى الباب الجديد ، وفيها ولد العاضد .

سنة اربع واربعين وخمسمائة

- وفاة الحافظ خليفة مصر ليلة الاحد لخمس باقين من جمادي الآخر ، وكانت خلافته خمسا وعشرين سنة ، وجلس الظافر ، وفيها توفي تاج الدولة قرواش بن شرف الدولة ، وتوفي سيف الدين غازي وتولى قطب الدين مودود ، وفيها وزر ابن مصال للظافر خليفة مصر وأقام شهورا ، وخرج عليه العادل بن السلار فهرب الى الصعيد ، وجمع فخرج عليه عباس والصالح فكسراه على دلاص ، وفيها تسلم نور الدين فامية ، وفيها مات معين الدين ، وفيها كانت الفتنة بدمشق وهربت السلارية ، وفيها نزل نور الدين دمشق وتقرر الصلح معه ، وفيها كسر نور الدين صاحب أنطاكية على تل كشفهان وأخذ ملوكهم في صفر . وفيها تسلم حارم وفامية من الفرنج ، وفيها نزل مسعود بن قليج أرسلان على مرعش وأخذها بالسيف من الفرنج وفيها توفي غازي أتابك ، وملك أخوه قطب الدين مودود ، وفيها أخذ التركمان جوسلين وسلموه الى نور الدين .

سنة خمس واربعين وخمسمائة

- خرج مجير الدين ومعه مؤيد الدين بن الصوفي ولبس خلعة نور الدين ، وفيها تقلد مجاهد الدين الشحنكية ، وفيها توفي بهاء الدين عبد الملك بن عبد الوهاب الحنبلي ، وفيها نزل نور الدين على

دمشق ، وتسلم من الفرنج قورص والراوندان ، وفيها تسلم الملك مسعود بهسنا ورعبان والمرزبان و قونية وكيسون من الفرنج ، وفيها تسلم نور الدين تل باشر وأعزار .

سنة ست واربعين وخمسمائة

- تسلم نور الدين حمص من ابن أخيه ، وتسلم الملك مسعود قونية وعين تاب ، وفيها قويت شوكة العادل ابن السلار بمصر وكان يقال له دماغ البغل ، وقيل إنه كان من صبيان الحجر في أول أمره ، وأنه على صبا ه ماعرف له صبوة ولا ضحك في مجلس ولا يخالط لأحد كان سني المذهب ، وفيها وفاة القاضي ابن أبي الحداد الخطيب بدمشق ، وفيها طلع ذو ذؤابة من المشرق .

سنة سبع واربعين وخمسمائة

- مقتل عباس ببغداد ، وفيها مات العبادي الواعظ ، وفيها تملك عبد المؤمن على ولاية بنى حماد . وفيها أكل الجراد بالموصل والجزيرة ودمشق ومكث سبع سنين وقحطت ديار بكر ، وفي أخرها قتل العادل بن سلار الوزير بمصر قتله ابن عباس في داره وجلس عباس في الوزارة ، وفيها توفي السلطان بخراسان .

سنة ثمان وأربعين وخمسمائة

- أخذت الفرنج عسقلان ، سلمها اليهم عباس وزير مصر صحبة الأمير تميم ، وقتل زين الدين الرئيس وابتلي أهله ، وفيها قتل

الحاجب عطا الخادم بدمشق ، وفيها عزل مؤيد الدين بن الصوفي عن الرئاسة ، وفيها تقلد ابن القلانسي الرئاسة بدمشق . وفيها هجمت الفرنج تنيس في خمسين مركبا فأخذوا جميع من فيها من الأقوياء وقتلوا الضعفاء وغنموا من الأموال مالا يوصف .

سنة تسع وأربعين وخمسمائة

— فتح نور الدين بن زنكي دمشق ، وفيها وقع الحريق ببغداد في دار الخليفة بصاعقة . وفيها نزل الظافر خليفة مصر مع ولد عباس الوزير الى داره ليلا ومعه خادما صغيرا على سبيل الدعوة وان ولد عباس غدر به فقتله ، وقتل الخادم الصغير ، ورمى بهما في بئر ، وجرت بينهما أسباب ، وذلك ان ابن عباس كان من اجمل الناس ، وكان الظافر قد اتهم به وكان ينزل عنده في كل دعوة فكثر الحديث فيهما ، فقال له ابوه افضحتنا يا ولدي فطلع الى القصر وحلف عليه وقتله ، وظهر بعد ذلك وقيل ان عباسا طلع الى القصر فأحضر الخدام اليه فقال لهم : أين مولانا ؟ فقالوا : ما نعلم.فجمع الخدام ونصبوا له كرسيا وجلس عليه وقتل جماعة الاستاذين ، واحضر أخوة الظافر فقال لهم اين الخليفة فقالوا: ما أنت تعلم اين هو ، فأمر بقتلهم فقتلوا واستحضر ولد الظافر واسمه أبو القاسم عيسى ، وبايعه وقال له قاتل الله قاتل أبيك ، فكانت دعوة مستجابة ، ولقب بالفائز بنصر الله ، وكانت خلافة الظافر خمس سنين ، ثم هرب عباس وولده من القاهرة لما علم بحركة الصالح طلائع بن رزيك من ولايته وقصد عباس وولده الشام ، فمسكهما الفرنج بين الورادة والعريش ،وقتل عباس بايديهم وبقي ولد عباس عند الفرنج فنفذ الفائز اشتراه منهم بمائة ألف دينار واحضر من بلاد الفرنج الى القاهرة وعذبوه باشد العذاب ، وقتلوه ، واستوزر الصالح بن رزيك وظهر الظافر مقتولا ودفن بالقصر ، وفيها وردت مراكب من صقلية نهبت تنيس ، وفيها مات مؤيد الدين بن الصوفي

سنة خمسين وخمسمائة

- يقال ان الفائز حضر قتل عمومته ، وقتل الاستاذين ونهب الامراء الستور والتعاليق فلحقه من ذلك رجفة ، وافضت به الى الصرع ، وصار ذلك يأخذه في بعض الاوقات لصغره ، وبهذا المرض مات . وذكر أنه لما نظر الفائز الى ولد عباس عند وصوله من الشام بين يديه في القفص قال لعمته ست القصور : ياعمة هذا قاتل أبي ؟ قالت:نعم ياأمير المؤمنين ، قال:وأين قتله ؟ قالت في داره . قال:ولم ينزل من قصره ، إنا لله وإنا اليه راجعون ، نجوه مما هو فيه من العذاب بالقتل ، فأخرجوه وصلبوه ، وفيها تسلم نور الدين عين تاب من السلطان مسعود ، وفيها زلزلت شيزر وخربت ، وفيها مات أبو الحكم الطبيب الاندلسي بدمشق ، وكان عالما شاعرا ظريفا .

سنة احدى وخمسين وخمسمائة

- خطب لسليمان شاه ببغداد ، ومات ابن نيسان بآمد ، وولي ولده أبو القاسم علي جمال الدولة ، وفيها كانت الزلزلة وأخربت حماه ، وفيها كسرت الفرنج لنور الدين محمود بن زنكي على الدولة . وفيها كان الغلاء الصالحي ، وكان مدته سبعة أشهر .

سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة

- قبض زين الدين علي كوجك على سليمان شاه في دربند ابن القراملي ، واجتمع هو ومحمد شاه ورجعا الى حصار بغداد وضايقوها . وفيها استولت الغز على خوزستان ، وفيها اسر سنجر

وانقطعت خطبته ومات في ايدي الغز ، وفيهـا فتـح عبـد المؤمـن المهدية ، وفيها مات الفائز الخليفة وكانت خلافته اربع سنين وخلف العاضد ابن عمه ، وفيها مات ابن منير الشاعر والقيسراني ـ ولد خالد ، وفيها كسر نور الدين الفرنج ، وفيها تسلم شـهاب الدين محمد بن نجم الدين البيرة ، وفيها تسلم نور الدين شيزر ، وفيهـا توفي صلاح الدين صاحب حمص وملك ولده ، وفيهـا نزلت الفـرنج على شيزر وسبوا أهلها وقتلوا خلقا عظيما ، وكان متـولى شـيزر مجد الدين ابو بكر بن الداية ، وفيهـا سـلم نور الدين ، الى أخيه نصير الدين حران .

سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة

ـ استولى الغز على خراسان ونهبوا مرو وسـألوا عن ذخـائر سنجر وفيها مـات صـدر الدين بـن عبـد اللطيف الخجندي رئيس أصفهان ومفتيها ، وفيها تسلم نور الدين مدينة حارم وفيها خـرج ملك الروم الى الشام ووصل الى البيرة ، وفيها تسـلم ملك الفـرنج حارم ، أقام عليها اثنين وعشرين يوما يحاصرها ، وفيهـا تـوفي امير جندار وولي ولده اسحاق ، وفيهـا خـرج الأمير تميم المصري على الصالح بن رزيك من مدينة اسيوط فأنفذ اليه عسكرا فقتلوه .

سنة اربع وخمسين وخمسمائة

ـ مات شرف الدين بن صدقة ،ووصل زين الدين علي وجمال الدين الى دمشق ، وفيها وصل نصير الدين الى قلعة جعبر نزل بالغروب يريد العبور وعبر بعض عسكره ، وفيها وصلت عساكر المسلمين الى خدمة نور الدين ، ووصل الىخدمته قطب الدينوعلي كوجـك وداود ابن ارتق ونزلوا بالبيرة وأرسل نور الدين لملك الروم تقرر الصـلح

على ان يطلق نور الدين ابن اخت ملك الفنس وثلاثين فـارسا ، وأن يحمل ملك الروم الى نور الدين سـتين الف دينار وفـرجية لولو وسبعمائة أسيرا ومائتي ثوب أطلس ، ورحـل ملك الروم . وفيهـا تسلم نور الدين من نصرة الدين حران ، وفيها تسلم نور الدين مـن اسحق بن مبارك الجندار الرقة .

سنة خمس وخمسين وخمسمائة

ـ فوض الامر بدمشق الى القاضي كمال الدين بـن الشـهرزوري ، وفيها مات المقتفي وكانت خلافته ثـلاثا وعشرين سـنة وشـهرا . وخلف المستنجد ، ثم غرقت بغداد ووصل الماء الى قبلة جامع بغـداد وتساقطت جميع العمارة وفار الماء من البلاليع . وفيها أخرج قـطب الدين صاحب الموصل سليمان شاه من الحبس لما سمع بمـوت أخيه وحمل له بركا ، وسيره واستخلفه على ما يريد .

سنة ست وخمسين وخمسمائة

ـ فتح عبد المؤمن مدينة المرية ، وقتل من الفرنج مالايحصى ، وفيها هـم ألدكز بحصار بغداد فأمر المستنجد وزيره عون الدين ابن هـبيرة أن يكتب الى ملك الخزر بأن يخرج الى مدينة دوين المسـماة بـدبيل فخرج وفتحها عنوة وقتل عالما من المسلمين ورجـع . وفيهـا قتـل طلائع بن رزيك الوزير بمصر وكانت عمـة الخليفـة قـد كمنت له في دهليز باب الذهب عدة رجال من السودان فاختفوا في حجرة في دهليز القصر وردوا عليهم طرف الضبة فتغلقت ولم يشـعر فلمـا سـلم الصالح وخرج وثب اليه رجلان فقال له الحسين الواسطة:ياطـلائع جاءوك . فصاح عليهم فضربه رجـل منهـم يعـرف بـابن الراعي ضربتين وارمي أمير يعرف بابن الزبير نفسه عليه فمشى السـودان

على ظهره ، ودخل الأمراء خلصوه فلما ركب وشدوا جراحه فتطلعت ست القصور رأته راكبا فقالت رحنا ، فبقي ليلة ومات ودفن في دار الوزارة ، وكانت مدة وزارته اربع سنين وست شهور وعشرة أيام ، وقام مقامه ولده رزيك ، فلما استقل بالأمر بعث وطلب العمة من أهل القصر فسلمت اليه فخذقها بمنديل رومي قدامه ورثاه العرقلة بقصيدة من جملتها :

ناعي ابن رزيك لاحييت من ناعي
ولا برحت بأرض غير جعجاع

أين الذي كان يحمي آل فاطمة
يومَ اللقاء ويعطي المال بالصاع

لانجحت بكم في الارض ناجحة
ولا رعيتم يابنى الراعي

وكانت سيرة وزارته حسن السير ، وكان فاضلا شجاعا كريما شاعرا ، وفيها تسلم نور الدين من سيف الدين بن مجاهد الدين صرخد ، وفيها حج أسد الدين شيركوه ، وفيها أغار ملك الفرنج على عين تاب وأخذ من الترك خلقا عظيما ، وعاد يريد انطاكية فوصل مجد الدين ومعه عسكر حلب فكسر الفرنج ، وأسر ملكهم ابرنس آرناط ، وخلص جميع ماأخذه ، ولم يدخل انطاكية من الفرنج الا قليل .

سنة سبع وخمسين وخمسمائة

- مات ذو النون صاحب ملطية ، وفيها مات الخادم القصي .

سنة ثمان وخمسين وخمسمائة

- خرج شاور على رزيك بن الصالح فأرسل اليه عز الدين حسام ، فنزل على دجوه عند صلاة الظهر فلم يبق معه أحد فرجع وأما رزيك فانه خرج من القاهرة مع عمه فارس المسلمين وسيف الدين حسين فردهما واستجار برجل من العرب يعرف بابن البيض فأنزله عنده ، ووشى به الى شاور ، وأن شاور ، قال له ويلك قد كان لهم اليك سابقة خير فما دعاك الى تسليمه الينا وأمر أبا الهيجاء والي القاهرة فضرب عنق البدوي ، وصدق شاور قد كان لهم عليه منن وصنائع فمسكه وسلمه الغلام لشاور ، فأحضره الى شاور فاعتقله عنده ودخل عليه ولده المسمى بطيء فقتله ، ثم ان ضرغام خرج عليه لطلب الوزارة وأخرجه من القاهرة هاربا ، فأحضر ولده طي الى ضرغام فلعب عليه في دار سعيد السعداء ، وفيها استدعى ضرغام الوزير أمراء مصر وأوهمهم انه يخلع عليهم وكان عدتهم اربعين أميرا فضرب رقابهم وخرب ديارهم وهتك حريمهم . وفيها خرج شمس الخواص أحد أمراء الاسكندرية طالبا للوزارة من الاسكندرية وكان واليا عليها فظفر به ضرغام الوزير فأركبه جملا وطوف به ثم صلبه على باب زويلة ونشبه ، وفيها ظهر عبد المؤمن صاحب المغرب ، وفيها راح نصرة الدين الى عند ملك الفرنج من عند قليج ارسلان ، ورجع الى أخيه نور الدين محمود ، وفيها وصل غازي من عند نور الدين ، وفي هذه السنة دخل شاور دمشق يستنصر الشهيد نور الدين بن زنكي

سنة تسع وخمسين وخمسمائة

- توجه اسد الدين شيركوه الى مصر مع شاور بعساكر الشام والسلطان يومئذ نور الدين محمود فملك مصر ، وقتل ضرغام ، ثم غدر شاور بأسد الدين وكاتب ملك الفرنج فأتاه بسائر عسكره وأهل الساحل فخرج أسد الدين الى بلبيس فحاصرته الفرنج ستة أشهر وقتل بهاسيف الدين بن بزان مجاهد الدين ثم انه بحسن الاتفاق وسعادة البخت نصر عليهم . وفي هذه السنة كسرت الفرنج لنور الدين على البقيعة تحت حصن الاكراد بكبسه ، وقتل الأمير عزيز بن مظفر الكردي وجماعة من الأمراء ، وفيها وصل عسكر الموصل فنزل على حارم مع نور الدين وحاصروا حارم ووصل نصرة الدين الى أخيه وفيها كسر عسكر نور الدين الفرنج على حارم وقتل وأسر منهم ثلاثين الف انسان وأخذ جميع ملوكهم وأخذ حارم وبانياس ، وفيها ورد الخبر بموت عبد المؤمن وقام بعده ولده ابو يعقوب ، وفيها توفي ابو طالب ، وفيها شرق نصرة الدين من عند نور الدين حردان الى صاحب حصن كيفا ، وفيها مات جمال الدين محمد بن علي الاصفهاني وهو المعروف بالمكرم وحمل تابوته الى مكة ودفن بها ، وفيها مات عون الدين بن هبيرة .

سنة ستين وخمسمائة

- فيها ركب شهاب الدين صاحب قلعة جعبر نصف الليل يريد الشام ، فأصبح بأرض يقال لها الذورة ، فخرج عليه سابق الدين صاحب بالس ، وكان مالك قد فرق عساكره ، فانهزم وترك سيفه رهنا عندهم ، وركب معه بعض التركمان الى أن وصلوا الى الرصافة وأخذ معه من أهل الرصافة خفيرا ، فوصل الى قلعته وقدم له بكرة حصانا واكديش . وثياب عتابي ، وفروة سنجاب ، وقدم

له شهاب الدين مالك فرسا ادهما وخمس خلع ، وطلب منه قرية يقال لها عكين ، فوهبها له ، ومضى سابق الدين ، وفيها توفي نصرة الدين بحصن كيفا ، وفيها باع نور الدين البرنس صاحب انطاكية بمائة ألف دينار وخمسمائة أسيرا ، وفيها تسلم نور الدين من إينال حمص وسلمها الى غازي ابن أخيه وسلم الرقة الى إينال عوضا عن حمص ، وفيها عصى أهل الرصافة على مالك صاحب قلعة جعبر وكان مقدمهم سليمان بن قطن .

سنة احدى وستين وخمسمائة

- فيها توفي سيف الدين أخو نور الدين ، وفيها توفي البزواشي صاحب حران وتسلمها علي كجك وفيها تسلم نور الدين حمص ، وفيها تسلم قليج ارسلان من نور الدين بهسنا ومرعش ، وفيها تسلم نور الدين الرقة من إينال ، وفيها كان قران وغيرت الاسماعيلية مذهبهم ، وشربوا الخمور ، واستحلوا أولادهم وشربوا في شهر رمضان ليلا ونهارا ، ولبسوا الرجال منهم مقانع صفراء، وتعصبوا ومشوا وسموا ارواحهم الصفاة وخربوا المساجد والجوامع في قلاعهم وبطلوا الأذان والصلاة

سنة اثنتين وستين وخمسمائة

- فتح نور الدين المنيطرة وأخذ منها اسارى . وفيها طلع أسد الدين شيركوه الى ديار مصر ، وأرسل شاور خلف الفرنج وأعطاهم في كل مرحلة ألفي دينار ، فسبق أسد الدين تعدى نقب ايلة ، ووصل الى الديار المصرية ، واتفق عليه المصريون والفرنج ، وضبطوا عليه الطرق فجاء رجل يعرف بابن قلاوز وسلك به على وادي الغزلان الى

اطفيح فنزل الجيزة ، وجاءت الفرنجية والمصريون الى مصر وتقاتلوا اياما ، ثم أن أسد الدين بعث سريه مع ابن بهرام الى المحلة ، فاجتمع عليهم العرب وبعض عسكر مصر ومائتا قنطارية من الفرنج ، فقتلوا جميع المسلمين بجزيرة ابيار ، وعملوا من مصر جسرا بمراكب الى الجزيرة ، ورحل أسد الدين الى الفيوم ثم صعد الى أن وصل الى دلجة ، ثم الى بابين فتواقع العساكر فكان أول النهار للفرنج فانهزم الجاولي وخطليا بن موسى الى الاسكندرية ، ثم ان الله تعالى نظر الى المسلمين وفتح بالنصر من الظهر ، فلم تزل الغز بالطعن والضرب في أقفية الفرنج والمصريين الى الليل ، وقتلوا عالما كثيرا لا يحصى عدده ، وغرق أكثر من ذلك وأسر ما لا يحصى ، وأخذ من الياروقية جماعة وقتل صاحب قيسارية وغيره ، وهلك منهم في النهر خلق كثير .

ثم مضت الأسرى والقلائع والرؤوس الى ثغر الاسكندرية حرسه الله فخرجوا لقائهم ، وكان ذلك يوم عيد عندهم ، ثم أن أسد الدين سلم الى أهل الثغر ابن أخيه صلاح الدين رحمة الله عليه وجماعة عسكر مجرحين ، وانتقل العسكر ورجع الى الصعيد ، وأخذ شاور الفرنج ونزل على الاسكندرية يحاصرها ، وكان الوالي نجم الدين ابن مصال ، والحاكم الأشرف ابن الحباب ، والفقيه ابن عون ،، والناظر الرشيد بن الزبير ، فتشاوروا ، وأحضروا جميع القبائل واتفقوا على انهم لا يسلمون نزيلا لهم ، ولو كان كافرا ، وتحالفوا ، وأخرجوا العدة والمال والميرة

والرجال وأربعة وعشرون قوس زنبورك وغير ذلك ، وحملتهم الحمية والدين فوقف شاور اليهم من خارج السور وقال : لاتفعلوا سلموا الغز إلي وصلاح الدين ، وأخلي لكم المكس ، وأعطي لكم الخمس ، وأضع عنكم الخراج ، فقالوا : معاذ الله أن نسلم المسلمين إلى الفرنج والاسماعيلية ، هذا مالايكون أبدا وكان ابن مصال الوالي وابن الحباب القاضي لايبرحان في الليل عند صلاح الدين .

وجرت أسباب واتفق الصلح بين الملك مري وبين صلاح الدين بغير علم من شاور ، ورحل إلى عند الملك مري ، فنظر إلى صلاح الدين قاعد الى جانبه فقال للملك في أذنه : سلمه إلي وأعطيك كل سنة خمسين ألف دينار ، فقال الملك : حلفت له بالانجيل والمسيح ، وأما اسد الدين شيركوه فانه بادر من قوص إلى مصر فتسلمها برضا من أهلها ، وهم بحصار القاهرة ، وكان بعض رجال الفرنج بها مع ابن بارزان ، فسمع شاور بالقضية فرحل هو والملك قاصدينه ، وخافوا من أسد الدين ، فلما فارقوا القاهرة رحل أسد الدين إلى بلبيس ، فأنفذ الملك إليه صلاح الدين ، وأرسل ثقله من الاسكندرية في المراكب إلى عكا ، ووصل إلى الشام .

وأما شاور فيحكى أنه دخل إلى الاسكندرية قبل مجيئه إلى القاهرة فاستتر منه ابن مصال وابن الحباب ، وهرب الزبير بن الرشيد ،ولم يظهر له – إلا الفقيه ابن عوف ، فراح إلى المنارة ورجع والقبائل حوله وصاحت العامة إليه وقالوا : اعذرنا ياأمير الجيوش ، فقال : ما فعلتم إلا فعل العرب وأنتم بذمتكم ، فاستخشن المدينة ، وولى ابن المحيلي الاسكندرية ، وقرر معه انه يذفذ إليه ابن الحباب والرشيد ابن الزبير، فاما ابن الزبير فإنه نفذ اخذ من دير الماء في طريق برقة من عند الرهبان وسيره وسير ابن الحباب إلى القاهرة إلى شاور فحملوا فيه أقاربه ذهبا إلى الكامل ولده فعفا عنه بعد ماضربه ، وأما ابن الزبير فانه بدع به ، وأركبه جملا وطوف به عريانا راكبا على الجمل علىهيئة يقبح ذكرها ، القاهرة ومصر وبعد ذلك ضرب رقبته ورقبة ابن قلاوز ، وجرت أسباب يضيق شرحها في هذا المختصر . وفي هذه السنة احترقت الساعات بدمشق المحروسة .

سنة ثلاث وستين وخمسمائة

- أحرق شاور مدينة مصر مقابلة تسليمهم إياها لأسد الدين .
وفيها خرج يحيى بن الخياط على شاور طالبا للوزراء من قوص فلم يظفر بشيء ، فراح الى عند الفرنج هو وأمير يعرف بابن قرجلة

سنة أربع وستين وخمسمائة

- ركب شهاب الدين مالك صاحب قلعة جعبر يريد الصيد ، وكانت ليلة مطر ورعد فلقيه فريق من العرب يقال لهم بنو كلاب فجرحوه ثلاث جراحات وقتلوا من أصحابه جماعة واخذوه وسلموه إلى نور الدين فبقي أياما في أسره ، وتقرر بينهما تسليم القلعة إلى نور الدين وعوضه عنها سروج وباب بزاعه وأورم الكبرى ، والملوحية وعشرين ألف دينار .

وفيها خرج الفرنج خذلهم الله إلى ديار مصر فحاصروا القاهرة وهجموا بلبيس وأسروا طيئا بن شاور، وأخذوا جميع من في البلد ، واضطر أهل مصر إلى نجدة أسد الدين شيركوه ، فكتبوا إليه ومنوه بكل أمر ، فخرج وطلع الى ديار مصر بكل عساكر الشام ، وطرد الفرنج عنهم ، ثم إن شاور عزم على قتل أسد الدين وشهاب الدين ، وقطب الدين ، وجميع الأمراء الكبار فانفذ العاضد إلى أسد الدين رقعة فأعلمه بالقضية فبدا أسد الدين بشاور فقتله وملك ماكان معه ، وشرفه العاضد بخلع الوزارة ، وقلده إياها ومكث أربعين يوما ومات رحمه الله وملك الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب رحمه الله . وفيها كانت وفاة أسد الدين في الثاني

والعشرين من جمادى الآخرة من هذه السنة رحمه الله تعـالى ، وفي شهر أيار كثرت الرياح والأهوية والغيوم بإربل وظهر في هـذا الغيم تنين عظيم أسود ، وكان يقرب من الأرض ، ثـم يرتفـع ولم تـدرك حقيقته من الضباب ، ولم تزل الرياح تطرده إلى بحيرة أرمية مـن كورة أذربيجان فهلك هناك .

سنة خمس وستين وخمسمائة

ـ نزل الفرنج على دمياط في البر والبحر ، وغرق في تلك السـنة عسكر المصريين في بحيرة الأشـموم ، وهلك أكثـرها وكانت آخـر سعادتهم ، وفيها كانت سـنة الثـلاث بمصر ، وفيهـا زلزلت حلب وبعلبك وخربتا وهلك فيهما عالم عظيم ، حسب من مات تحت الردم بحلب فكان مقداره أحد عشر ألفـ من كهل وشـيخ وصـبي وامـرأة وجويرة ، وانشق جبل اللبنان المطل على بعلبـك شـقا لايعـرف له منتهى ودامت مرات ، وفيها بطل الأذان بحي على خير العمـل مـن بلاد مصر جميعا إلى أسوان .

سنة ست وستين وخمسمائة

ـ كانت كسرة السـودان ، وقتـل منهـم خلق كثير ، واخـرج الباقون من القـاهرة ، وكتـب الملك الناصر صـلاح الدين إلى ولاة الحرب أن يقتلوا كل أسود تقع العين عليه في جميع الاعمـال فقتلوا من وجدوه . وفيها ابتدأ صلاح الدين ببناء سور القـاهرة . وفيهـا ظهر ملك الخزر ففتح دوين وقتل من المسـلمين ثـلاثين ألفـ نفر ، وفيها توفي المسـتنجد وكانت خـلافته احـدى عشر سـنة ، وجلس المستضيء ببغداد .

سنة سبع وستين وخمسمائة

- قطعت خطبة العاضد بمصر ، وخطب للمستضيء العباسي يوم الجمعة مستهل المحرم وكان الخطيب الشريف العباسي المعروف بأبي الدلالات . وفيها توفي العاضد آخر خلفاء المصريين وعمره احدى وعشرين سنة إلا عشرة أيام ، ومدة ولايته إحدى عشرة سنة وخمسة أشهر وثلاثا وعشرين يوما واستولى الملك الناصر صلاح الدين على القصور ، واستخرج ذخائرهم ظاهرا وباطنا ، وفيها انكسفت الشمس كسوفا كليا حتى ظهرت النجوم .

سنة ثمان وستين وخمسمائة

- قبض صلاح الدين على جماعة من أهل مصر ، وكانوا قد كاتبوا الفرنج حتى يطلعوا إلى مصر ، وضمنوا لهم أموالا عظيمة ، وكتبوا خطوطهم بذلك وقالوا لنجم الدين بن مصال : كن أنت الوزير ، فقال لهم : نعم ، وجاء أعلم السلطان بالقضية ، وذكر جماعة منهم زين الدولة شير ماأحد الدعاة والقاضي العوريس ، وضياء الدين بن كامل ، وعمارة الشاعر اليمني ،والقاضي عبد الصمد علم الدين ومصطنع الملك نجاح ، وقاضي القضاة عبد القوي والمنجم النصراني قال لهم أنتم تملكون بعد سبعين يوما ، فتقدم السلطان صلاح الدين بقتل الجميع ، وصلبهم بين القصرين ، وسوق القاهرة ، والشريف الجليس وابن عبد القوي قتلا تحت العقوبة .

وفيها حاصر الملك الناصر صلاح الدين الكرك ، ورحل عنها ولم يأخذها . وفيها ملك نور الدين محمود مرعش . وفيها ولد الملك العزيز عثمان بن يوسف بن أيوب رحمه الله . وفيها فتح شمس

-٥٣٩٠-
الدولة تورانشاه ابريم من بلاد النوبة . . وفتحت برقة وسنترية وجبل نفوسه بعساكر الشام على يد قراقوش التقوي ، وفتحت قفصة على يد ابراهيم ، وفتح اليمن على يد شمس الدولة .

وفيها مات فخر الدين صاحب حصن كيفا بن داود وولي بعده ولده نور الدين . وفيها كانت وقعت الكلمان مع مليح بن لاون فكسر الكلمان وقتل اكثر جيشه .

سنة تسع وستين وخمسمائة

- مات نجم الدين أيوب أبو صلاح الدين بمصر يوم الأربعاء ، تاسع عشر ذي الحجة من السنة وفيها مات نور الدين محمود بن زنكي في نصف شوال . وفيها ظهر رجل مغربي بضيعة من أعمال دمشق يقال لها مشغرا ادعى النبوة ، وقلب رؤوسهم ، وعصوا على دمشق ، وأرسل اليهم عسكرا من دمشق عاد بعضهم مجرحين ولم يظفروا به لأنهم في وعر جبل وملك السلطان صلاح الدين دمشق . وسار شمس الدولة الملك المعظم بن أيوب إلى اليمن وفتحه في هذه السنة .

سنة سبعين وخمسمائة

- ملك صلاح الدين دمشق في مستهل ربيع الآخر ، وملك حمص في العشر الأخير من شعبان ، وملك بعلبك في العشر الاول من رمضان . وفيها أرسل صلاح الدين رسولا إلى الذي ادعى النبوة فوجده عند ابن الفقيه بن عبد الدمشقي ، فحجبه ، وكان كثير المحال فخاف من الملك الناصر فهرب إلى حلب ، وفيها نافق الكنز

بصعيد مصر بقرية تعرف بطود ، فخرج إليه الملك العادل سيف الدين أبو بكر فقتله بالمدينة المذكورة بطود وجميع من كان معه . وفيها خرجت مراكب من صقلية فحاصرت الاسكندرية ، وكان الظفر للمسلمين ، وقتلوا عالما كثيرا ، ولم ينج منهم إلا القليل ، وقتل ابن البصار ولاغير . وفيها قتل قديم بالاسكندرية وكان يعرف شيئا من علم السيمياء استمال به جماعة من أهل الثغر وفيها خرج أبو الفضل ابن الخشاب بحلب ، وهم بحصار القلعة مستهل المحرم ، واجتمع إليه الحلبيون ثم خذلوه وتفرقوا عنه فأخذه الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين بالأمان وقتله بالقلعة . وفيها صلب نور الدين تورانشاه بن أيوب لعبد النبي بن مهدى بن علي صاحب اليمن . وفيها ظهر المؤيد من خراسان إلى طبرستان فخرب جرجان واستراباذ وميشا والميزوان ومدينة الملك ساوه ، وأحرق هذه المدن ، وقتل خلق لايحصى عددهم ورجع ، وقتل ملك طبرستان ونهب خزانته ، وفيها كسر صلاح الدين العسكر الموصلي على تل السلطان ، وأخذ الناس من الكسب مالا يحصى قيمته وكانت المواصلة أحد وعشرين الف فارس .

سنة إحدى وسبعين وخمسمائة

ـ كسفت الشمس حتى شوهدت الكواكب . وفي ذلك اليوم ظهر رجل بكفرند من أعمال حلب ادعى النبوة ، وهو الذي انتقل من مشغرا ، فخرج اليه سعد الدين كمشتكين الخادم ببعض عسكر حلب فقتل ، وقتل معه ثلاثين ألف انسان ، ونهب البلد واستغنى جماعة . وفيها قتل سيف الدولة لناشر بن هلال صاحب عدن . وفيها قفز الاسماعيلية على صلاح الدين وهو يحاصر اعزاز ونجاه الله منهم ، وقتل الاسماعيلية صاحب بوقبيس شهوة بالسلطان . وفيها قتل نجم الدين بن منكلان قتله الاسماعيلية في ذلك اليوم . وفيها كسر صلاح الدين لسيف الدين مودود صاحب الموصل كسرة ثانية ونهب

عسكره . وفيها خرج المؤيد من خراسان يريد خوارزم يحاصرها فوصل من المفازة إلى حد خوارزم في طلب الماء ، فأوقع بهم وكسرهم ، وظفر بالمؤيد في ثلاث مائة مملوك وحمل رأسه على رمح وطيف به في ولاية خوارزم ، وفيها مات نجم الدين بن حسام الدين ابن ايلغازي بن ارتق . وفيها عصى قليج صاحب تل خالد على الملك الصالح اسماعيل وارسل إليه عسكر حلب ففتحها بالأمان . وفيها تسلم اعزاز من شهاب الدين الجفنية . وفيها وصل الفرنج إلى داريا وصحبتهم يوسف التاجي وأحرقوا جامع داريا وأخذوا بابه . وفي ذلك اليوم قتل امام الدكة لاغير ، ورحلوا من يومهم واحرقوا الحرجلة ومضوا . وفيها قتل الأمير صديق بن جكو قتله ابن أخيه ، وملك بعده بصرى وصرخد شهورا ، فكاتبه شمس الدولة تورانشاة بن نجم الدين أيوب وحلف له على نسخة كتبها قاضي بصرى منتقضة ، وكان قليل العلم ، ونزل إلى دمشق فمسكه وعوضه عنها بعشرين ضيعة من أعمال دمشق واقامت معه شهورا .

سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة

- مات شهاب الدين بن الشهرزوري بدمشق ، ومات الركن اتابك السلطان ، وفيها مات السلطان طغريل بن مسعود ، وفيها قتل الاسماعيلية شهاب الدين أبا صالح بن العجمي بحلب في باب الجامع ، وفيها كسرت الفرنج لشمس الدولة تورانشاه بن أيوب على بعلبك ، وأسروا جماعة من الامراء مثل ابن سلار وغيره .

سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة

- هبت ريح شديدة ببلاد القبجق وصلت إلى تفليس ، ثم إلى همذان وأصفهان وأكثر بلاد كرمان ، فأحرقت البيوت الضعيفة ،

وقتلت الغنم والبقر والخيل ورئي رجل في دهستان خزري عليه زيهم زعم أنه كان البارحة في بلاد الخزر ومعه خيل يرعاها فهبت ريح حملته ورمت به في دهستان ولايعلم ماكان منه ولايدري كم المسافة الا أنه بالتقريب نحو من خمسة عشر يوما .

سنة أربع وسبعين وخمسمائة

- قران زحل والمريخ في السرطان ، ومات المستضيء ، وكانت خلافته ثمان سنين وسبعة أشهر وأياما ، وخلف الناصر ، وفيها كسرت الفرنج صلاح الدين على رملة وأسروا الفقيه عيسى الكردي . وفيها قتل الوزير أبو نصر بن العطار وكان حنبلي المذهب .

سنة خمس وسبعين وخمسمائة

- فتح قصر يعقوب بالسيف ، وكسرت الفرنج ، وأخذت أبطالهم وقتل منهم خلق كثيرة وفيها قتل الهذفري وستون فارسا من الخيالة .

سنة ست وسبعين وخمسمائة

- توفي شمس الدولة تورانشاه مستهل صفر بالاسكندرية وقبر بها . وفيها نافقت سليم بالبحيرة ، فخرج اليهم أبو الهيجاء السمين فكسرهم نصف النهار ، وكانوا في ستين ألف فارس وأبو الهيجاء في ألفين ، وبيع كل خمس جمال بدينار ، وكل خمسين رأس غنم بدينار ، وفيها بنيت قلعة القاهرة . وفيها ولد الملك الكامل محمد بن

أبي بكر في مستهل جمادى الأولى بالقاهرة . وفيها مات الصالح اسماعيل بن نور الدين محمود بن زنكي ، وفيها نافق خلدك الشهابي فخرج إليه قراقوش وأبو الهيجاء السمين فأخذاه سليما .

سنة سبع وسبعين وخمسمائة

- وفيها تسلم عماد الدين قلعة حلب من أخيه عز الدين ، وفيها مات الخطيب بحلب المسمى بهاشم وهو مصنف كتاب الحسن الخفي . وفيها خرج الملك محمد الغوري إلى الهند وعدة عسكره ثلاثمائة الف وتسعين سوى الرجالة ، وفي صحبته أربعمائة فيل ، ففتح من بلاد الهند عدة مدن . وفيها طلعت الفرنج على ايلة وعمرت مراكب وشواني وركبوا بحر القلزم وقطعوا البحر ، فوصلوا إلى عيذاب متاخم جدة فأخذوا عدة مراكب موسقة بهارا وبضائع وتجارا وقتلوا من أهل عيذاب جماعة ، ومن الذواتية لأنهم ماتحققوا أنهم فرنج لأنهم لم يعهدوا مثل هذه القضية ، ولم يسمع بمثلها ، فبلغ ذلك السلطان فجهز أسطول المسلمين ، وعمره بالرجال والعدد ، وجعل مقدمه الحاجب حسام الدين لولو ، ثم رموا المركب من السويس وقصدوهم في البحر ، فصادفوهم في ميناء (رابغ) بأرض الحوراء فقاتلوهم قتالا شديدا ، ونزلوا من المراكب وطلعوا الى البر فلم يفلت من العدو أحد واحتاط المسلمون عليهم وعادوا بهم الى عيذاب ، ووصلوا بهم الى قوص ثم الى مصر وكان لوصولهم يوم عظيم وفتح مبين فلو والعياذ بالله سلموا بما معهم كانوا يفتخرون الى الأبد ، وكان العدو خذله الله عزم على مقصد آخر فما اوصله الله اليه فلله الحمد والمنة .

وفيها ظهر بالغربية عند ناحية تعرف بالكنيسة قريبا من المحلة تتاخم أرض قلين عين ماء ذكر رجل نصراني أنه رأى في المنام فيها معجزة وأن ماءها يبري من العلل ، وقصدها الناس من كل مكان

وعمل عليها سوق وركز عسكر ، ولم يكن ذلك الذي ذكر لأن عقول الجند ضعيفة

سنة ثمان وسبعين وخمسمائة

– نزل صلاح الدين رحمه الله الى الشام وحمل تابوت شمس الدولة توارانشاه أخيه وقبره بدمشق وعبر الفراه ثم إلى الجزيرة ، ففتح سروج ، والرها ، حران ، والرقة ، والبيرة ، وسنجار ، ونصيبين .

وكاتب عز الدين صاحب الموصل لشاه أرمن ، فجمع العساكر ، وقصد صلاح الدين ، فوصل إلى ماردين ومكث شهورا لايقدم الى صلاح الدين ، ثم إنه اجتمع مع عز الدين بقلعة ماردين ، وكان معهم عساكر لاتحصى وتأخر صلاح الدين إلى حران ، وكان خائفا منهم ، ثم أن شاه أرمن ، وعز الدين ، وقطب الدين صاحب ماردين اختلفوا ، فحاصر ماردين ، ثم رحل إلى آمد ففتحها وأعطاها لنور الدين ابن فخر الدين ، وكان قد حاصر الموصل ولم يقدر عليها ، وفيها فتح عز الدين دبوريه بالسيف وحبيس جلدك

وفيها عدى أبو يعقوب إلى الأندلس فنزل على شنتريه يحاصرها وعدة عسكره مائتا ألف وستون ألف ، فخامر عليه وزيره ابن المالقي وقال للموحدين قد قال أمير المؤمنين تقدموه ، فرحل أكثر العسكر ، وبعث إلى ملك الفرنج ابن الديك ، وقال له قم أخرج عليه فما بقي عنده أحد ، فلم يشعر أبو يعقوب إلا وهو في أناس قلائل وخرج الملك وكسره ، وقتل خلقا كثيرا من المسلمين ، وطعن أبو يعقوب ، ووصل عسكره بعد يومين ومات وقام بعده أبو يوسف ولده . وفيها بلغ الملك الناصر صلاح الدين ا ن الفقيه ابن أبي العيش

الحنفي صنف كتابا اسماه الذوري في شرح القدوري ، وذكر فيه أصحاب الحديث الشافعي بما لا يحسن ذكره ، فطلب السلطان منه الكتاب فانكره فقال له تحلف أن ما هو عندك فوقف ، وأحضر الكتاب فأمر السلطان صلاح الدين بغسله بجامع دمشق يوم الجمعة ، وانكر على ابن أبي العيش ، فسأل فيه الفقهاء فعفي عنه .

سنة تسع وسبعين وخمسمائة

- ملك صلاح الدين رحمه الله حلب وقتل أخوه تاج الملوك بوري بسهم نشاب وقع عليه ، ونزل عماد الدين من قلعة حلب في العشرين من ربيع الأول وتسلم عماد الدين سنجار والخابور عوضا عنها . وفيها مضى صلاح الدين على الكرك فحاصره وكتب لتقي الدين عمر بن شاهنشاه أخيه عهدا إلى مصر ، وكتب عهدا لسيف الاسلام إلى اليمن ، واستدعى أخاه الملك العادل سيف الدين أبا بكر من مصر فأقطعه حلب . وفيها ظهر بضيعة مصر تعرف ببوصير السدر متاخم مصر القديمة بيت هرمس الثاني فتحه القاضي النظام بن الشهرزوري ، وأخرج منه أشياء من جملتها كباش وضفادع بازهر وقوارير دهنج وفلوس نحاس وفيها فضة وأصنام نحاس وموتى تناهز خمسة آلاف نفس من رجل وامرأة وأكفانهم سالمة لم تبلى ، وغلبهم السافي على الباقي فلم يصلوا إليه ، وأقول إن المطالب مدائن وقرى بعظيم الرمل والتراب ، ويكون فيها خبايا وغيرها فتوجد بعد حين من الدهر ، فيقال صبنا مطالب وكذلك الكيمياء إنما هي زغل ، وعند جميع أهل العلم أن الذهب معادن ، وفيها توفي تاج الملوك بن أيوب .

سنة ثمانين وخمسمائة

ـ فيها فتح سيف الدولة فتوحات باليمن ،ووقع بين الكرد والترك وقتل بينهم عالم عظيم ،وكانت الغلبة للترك ،وفيها مات الفقية أبو الطاهر بن عوف ، مدرس الاسكندرية (وكان) مالكي المذهب كبير في العلماء . وفيها أنفذ تقي الدين ابن أخي صلاح الدين أحد كتابه يعرف بالرضى ابن سلام إلى بحيرة الاسكندرية ليسير ارتفاعها فمضى ، وكتب شيئا لايجب من المظالم ، وضرائب قد بطلت فلما عاد ، فعند وصوله إلى معدية صاو ، وضعت بغلته يدها في المعدية ، وصاعقة قد نزلت عليها فأحرقت البغلة والخرج الذي فيه الرقائع ، وسلم الرجل بمشيئة الله تعالى ، وهذا أمر عجيب .

سنة احدى وثمانين وخمسمائة

ـ مات الفقيه علاء الدين الكاساني ، امام الحنفية بحلب .

سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة

ـ عبر صلاح الدين الفرات . وحاصر الموصل وضايقها ، ولم يفتحها ، وانتظم الصلح بينه وبين صاحبها عز الدين ، ومات شاه أرمن وقطب الدين صاحب ماردين ، ومات نور الدين صاحب آمد ابن فخر الدين ،واختلفت ديار بكر والجزيرة ، ووقع خلف كثير بين العالم ، وبين الترك والكرد ، وبين المسلمين والفرنج ، وبين الاسماعيلية والبذوية وقتل بينهم عالم عظيم بالباب والبارة من أعمال حلب ، وقتل في هذه السنة من سائر اجناس الامم مالايحصى عدته .

وفيها فتح صلاح الدين ميارفاقين وقتل عليها عالم كثير . ومات من الأمراء المشهورين مثل ناصر الدين بن أسد الدين صاحب حمص وقتلت الاسماعيلية لابن نيسان ، ومات محمود بن ايلدي وهو شمس الملوك صاحب آمد لان صلاح الدين أخذ آمد منه ، وسلمها إلى نور الدين فأخرج صاحبها منها بجميع ماله فمضى إلى ملك الروم ومعه وزيره ابن نيسان (فقتل ابن نيسان) ومات صاحبها شمس الملوك ابن ايلدي بن ابراهيم .

وفي هذه السنة كان المنجمون قد أرجفوا في سائر الارض بأن يكثر الهواء ويهلك الخلق ، ويخرب ماعلى وجه الأرض ولاينجو الا من يأوي إلى مغارات ، حتى أن قلج أرسلان سلطان الروم والأرمن عمل مغارات وسروبا تحت الأرض ، وسقفها بالأخشاب وأحرز فيها القوت ، وكذلك في عامة ملكة ، واشتد الارجاف. وكان بدمشق رجل يقال له عباس الطبيب عمل له مغارة بجبل قاسيون وأودعها جميع ما يحتاج اليه ، وعزم تلك الليلة بأن يبيت هو وعياله ، فبعث إليه الصفي بن القابض وأخذ منه مفتاح المغارة ، وقال : ماتسلم أنت ويهلك جميع الناس يكون لك أسوة بمن في دمشق فبات تلك الليلة في هم طويل . ولم يحدث في تلك الليلة ضرر البتة إلا سكون الهواء حتى أذى الناس الكذب ، وفيها تسلم صلاح الدين شهرزور والبوازيج ، وفيها نزل الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب من قلعة حلب وتسلمها منه الملك الظاهر ابن اخيه وفيها مضى الملك العادل الى مصر ، وفيها مات سعد الدين بن معين الدين .

سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة

- اتفق طالعها العقرب ، وفيها خرج الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب رحمه الله بعساكر المسلمين من أهل مصر والشام والجزيرة وديار بكر والموصل ، وكان زحل والمشتري في الميزان ففتح مدينة طبرية عنوة وذلك يوم الخميس ثالث وعشرين ربيع الآخر ،

وكسر جميع الفرنج على تل حطين ، وقتل من الفرنج عالما لايحصى وأسر ملكهم الأعظم ، وسائر ملوكها ، وأمراءهم ، وأسر منهم مايزيد على العشرين ألفا ، ثم سار من بعد قتلهم وأخذهم الى مدينة عكا فتسلمها يوم الجمعة مستهل جمادى الاولى ، ثم شرع في طلب بلاد الفرنج ، فتسلم قيسارية ، وحيفا ، ويافا ، وارسوف ، وتبنين ، وهونين ، والناصرة ، واسكندرية ، وبيسان ، والفولة ، وصفورية ، وجميع تلك البلاد ، ثم سار الى مدينة صيدا فتسلمها بعد حصارها يوم الأربعاء ثامن وعشرين جمادى الاولى ثم تسلم جبيل في جمادى الآخر ومايليها ، ثم رجع وسار إلى عسقلان فقاتلها قتالا شديدا ، ثم كسفت الشمس يوم الجمعة ثامن وعشرين جمادى الآخرة كسوفا كليا ، حتى أظلم الجو ، وشوهدت الكواكب ، ثم فتح عسقلان يوم السبت ، ثم تسلم غزة ، والداروم ، والرملة ، ونابلس .

ثم سار منها إلى البيت المقدس فتسلمها بعد قتاله إياها أياما قلائل ، اتفق تسليم البيت المقدس آخرها يوم الجمعة سادس عشر رجب ، وهو ثاني تشرين الأول سنة ألف واربعمائة وتسع وعشرين ، والطالع الحمل ، وقتل عز الدين صاحب سروج واستقر بين صلاح الدين وبين الفرنج شراء أرواحهم ، وأن يزن الرجل عشرة دنانير، ومن لم يقدر على شراء نفسه يؤخذ جميعهم أسارى ، وخلص في هذه السنة من أساري المسلمين الذين كانوا في أسر الفرنج في هذه البلاد التي فتحت عشرة آلاف نفس ممن كان له في الاسر السنة والعشرة والعشرين وكان الذي قبض من المفاداة ثلاثمائة ألف دينار مصرية ، وفيها توجه قراقوش مملوك تقي الدين إلى بلاد المغرب واستولى على بلاد قيروان ، والتقاه ابن عبد المؤمن صاحب المغرب بظاهر مدينة تونس ، وكسره قراقوش يوم الجمعة سادس عشر ربيع الأول ، واستولى على البلاد ، وخطب فيها لصلاح الدين يوسف بن أيوب ثم رجع ابن عبد المؤمن مفلولا فجمع اطرافه ، وحشد خلقا لايحصى عدده ، ورجع إلى قراقوش في هذه السنة فكسره ، وانفض عنه جيشه ، ومضى قراقوش فارا هاربا في البرية .

وفيها قتل شمس الدولة بن المقدم أمير حاج الشام على جبل عرفات قتله طشتكين أمير حاج العراق ، والخليفة يومئذ الناصر لدين الله أبو العباس أحمد .

- كسر صلاح الدين (الفرنج) على تل حطين يوم السبت رابع عشرين ربيع الأول ، وفتح عكا بتاريخ يوم الخميس مستهل جمادى الأولى ، وفتح في هذه السنة حيفا وقيسارية ، وصفورية والناصرة وتبنين وبيروت وعسقلان وغزة والداروم وبيت جبريل والنطرون ، وتل الصافية ، وتل الجزر ، وفتح البيت المقدس يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب من هذه السنة .

سنة أربع وثمانين وخمسمائة

- وفيها خرج صلاح الدين مستهل جمادى الآخرة وخرب مدينة انطرسوس ، وفتح جبلة واللاذقية ، وفتح حصن صهيون ، وحصن بكاس ، وقلعة السرمانية ، وحصن شغر ، وحصن برزية عنوة ، وقتل مقاتلته وسبى ذراريهم ، وفتح دربساك ، وحصن بغراس وتسلم الكرك بعد حصاره ومقاتلته أشد القتال ، وكان بعض عسكر صلاح الدين نازلا من مدة سنة ، وفيها تسلم صفد ، وكوكب بعد القتال ، وفيها أطلق الملك الناصر صاحب عسقلان ، وفيها صالح البرنس صاحب أنطاكية على أن يطلق كل أسير بأنطاكية ، وكان عدتهم ألف أسير ، وفيها مات شجاع الدين عيسى ابن بلاشو والي قلعة حلب ، وولي بعده أمير جندار الملك الظاهر اسمه محمد .

سنة خمس وثمانين وخمسمائة

- ظهرت الفرنج في الشام بحرا وبرا ، وحاصروا عكا ، وكان نزولهم عليها مستهل رجب والقمر بالدلو ، فلما علم صلاح الدين ذلك قصدهم بجميع العساكر ، فخندقوا على أنفسهم ، وكان المسلمون يقاتلونهم من عكا ، والعساكر مع السلطان يقاتلونهم من برا من وراء خنادقهم .

ثم انهم اجتمعوا يوم الأربعاء العشرين من شعبان وخرجوا بكليتهم إلى المسلمين ، والمسلمون يومئذ على غرة ، فوصلوا إلى خيمة صلاح الدين ، فقتلوا من كان حول السرادق ، ثم نهبوا سوق العسكر ، وقتلوا من لحقوا به ، وقتل في ذلك اليوم ابن رواحه الشاعر الحموي والمكبس ، وظنوا أنهم قد ظفروا ، ثم رجع صلاح الدين ، وجمع العسكر فهزموهم وقتلوا منهم خلقا عظيما ، وأمر صلاح الدين أن يحصوا القتلى فحسب عدتهم ، فكانوا أربعة آلاف وسبعمائة وستين نفرا ، ولم يفقد من المسلمين إلا القليل ، وفيها تسلم الشوبك بعد أن كان بعض العسكر يحاصره مدة سنة . وفيها توفي الفقيه عيسى ليلة الثلاثاء تاسع ذي القعدة منها .

سنة ست وثمانين وخمسمائة

- هذا والفرنج مقيمين على عكا يحاصرونها برا وبحرا ، والسلطان يقاتلهم كما ذكرنا من وراء خنادقهم صباحا ومساء ، وفيها تسلم صلاح الدين شقيف أرنون . وفيها قتل ابن قريش الموقع المصري قتله أبو الفضل بن خليل الدمشقي . وكان الفرنج خذلهم الله قد نصبوا ابرجة خشب ومناجيق ، ودبابات ، ونقبوا سور

عكا ، وأصبح المسلمون على الهلاك ، ثم نصرهم الله ، فأحرقوا مناجيقهم وآلاتهم الخشب وذلك يوم السبت العشرين من شهر ربيع الأول ، ثم خرج المسلمون عقيب الحريق وقتلوا منهم خلقا عظيما ، ونهبوا من خيمهم ماقدروا عليه ، وأخذت الشواني في البحر .

وفي هذه السنة طلع ملك الألمان على قسطنطينية ، ثم إلى بلاد قليج أرسلان ، فمنعهم قطب الدين بن قليج أرسلان وضرب معهم مصافا فهزموه ، وهجموا قونية ، ونهبوها وقتلوا منها خلقا لايحصى عدده حتى أنهم أخذوا النساء من الحمامات ، ثم رحلوا عنها فهلك ملك ألمان في الطريق ، وقام مقامه ولده ، ووصلوا مدينة أنطاكية وهم نحو من مائة ألف انسان ، ومضوا إلى عكا وخرجوا إلى محاربة صلاح الدين يوم الأربعاء العشرين من جمادى الآخرة ،وهجموا خيام الملك العادل أخي صلاح الدين ، ثم تراجع المسلمون عليهم من كل جانب فردوهم ، وقد قتل منهم خلقا كثيرا ، حتى طبق وجه الأرض القتلى بالدم ، فأمر صلاح الدين باحصاء المقتولين من الفرنج ، فكانوا إثنا عشر ألفا ، وكان عدد الذين خرجوا للقتال من الفرنج اثنين وستين ألفا .

ثم وصلت في هذه السنة جميع ملوك الافرنجية في البحر ، وتوهم صلاح الدين خوفا لكثرتهم ، وكثرة عددهم ، فخرب طبرية وقيسارية ، وحيفا ، ويافا ، وصيدا ،وجبيل ، وأرسوف وسائر بلاد الساحل على ضفة البحر ماخلا عسقلان .

وذكر أن الفرنج الذين اجتمعوا على حصار عكا في البر والبحر كانت عدتهم مائتي ألف وأربعين ألفا مع قلة خيلهم .

سنة سبع وثمانين وخمسمائة

ـ أخذت السفينة التي أرسلها صلاح الدين ، وكان قد أوسقها بالمال والرجال والعدد والميرة ، فصادفها عشرون شينيا للفرنج فقاتلوها قتالا شديدا وتيقن المسلمون الغلبة فغلبتهم الحمية وكبر الذفوس ، فنزا منهم رجل حلبي يقال له غلام ابن شقويق بقادوم فخسفها فغرق من كان فيها جميعهم إلى رحمة الله .

ثم ضعفت عكا من الذخيرة والرجال وأكثروا القتال ، وهجمتها الفرنج يوم الخميس سادس عشر جمادى بالمناجيق من كل جهة ، وفتح فيها مواضع عدة حتى خربت وصارت مثل الطريق ، فغلب المسلمون ، وطلبوا الأمان وأخذها الفرنج يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة بالأمان ، ثم غدروا بهم وقتلوهم من آخرهم ، ولم يسلم منهم إلا القليل ، وقتلوا المسلمين يوم الثلاثاء سابع وعشرين رجب رحمهم الله ، وأسر بهاء الدين قراقوش ، وسيف الدين علي المشطوب وابن باريك ، وجماعة من الأمراء المشهورين ، وقتل بها قبل فتحها شمس الدين جكو بن زكريا ابن اخت أبي الهيجاء السمين رحمه الله ، وذكروا أن عدة من كان داخل عكا من المسلمين سوى من خرج في المراكب خمسة آلاف وسبعمائة

وطلب الفرنج عسقلان ، والسلطان معارضهم في الطريق إلى حيفا ، ثم إلى قيسارية ، ثم إلى أرسوف ، ثم إلى يافا ، ثم التقوا مع السلطان يوم السبت النصف من شعبان على يافا ، وقتل منهم وسار السلطان إلى مدينة عسقلان وخربها وخرب غزة ، والداروم ، ورد الرجال والعدة والذخيرة التي كانت بعسقلان إلى بيت المقدس .

وفيها أرسل إلى سليمان بن جندر أن يخرب حصن بغراس ، فخرب بعضه فبادر ابن لاون فرحله عنه وأخذه بلا تعب .

وفيها مات محيي الدين ابن الشهرزوري قاضي الموصل ، وكان كريم زمانه رحمه الله .

وفيها ظهر بجبل سمعان من أعمال حلب بضيعة تعرف بـكفرتين امراة لها كلام دقيق في شرع الاسلام ، وحدس قوي ، بحيث أنها تعلم القاصد لها في أي شيء جاء ، وبعث الملك الظاهر صاحب حلب إليها ضياء الدين ابن دهن الخصا ، وتكلم معها فرأى معها شيئا عجيبا .

وفيها مات شرف الدين ابن عصرون قاضي دمشق وكان في الأربعة مذاهب أوحد عصره ، وفيها توفي علاء الدين أبو بكر الكاساني الحنفي بحلب ، وكان فريد عصره في مذهب أبي حنيفة رحمه الله .

وفيها ذكر رجل منجم يعرف بابن السنباطي لقوم من السودان ، والمصامدة أنكم تملكون ديار مصر من الغز في الليلة الفلانية بعد العشاء الأول ، وقلب رؤوسهم واستعدوا بقوارير نفط ، واجتمعوا بحارة تعرف بالهلالية بشارع القاهرة ، وشربوا المزر ، وخرجوا بعد العشاء ، ودخلوا باب زويلة ، وأخذوا العدة التي كانت عليه وهم يصيحون يا آل علي ، يا آل علي ، فوصلوا إلى السيوفيين فأسروا الدكاكينيين وأخذوا منها عدة ، وأتوا إلى خزانة البنود ليخرجوا منها الفرنج ليستعيذوا بهم ، فركب الأمير بدر الدين موسك بعسكره فلم يبق لهم أمر ، ومسك المنجم وجماعة منهم بعد أيام قتلوا تحت الضرب .

وفيها تسلم تقي الدين ابن أخو صلاح الدين : الرها ، وسميساط ، والسويدا ، وبعض بلاد أخلاط وكسر بكتمر صاحب أخلاط ، وملك من بلاده عدة حصون ، وقصد منازكرد فحاصرها ثلاثة أشهر ، وتوفي فيها يوم الجمعة سابع عشر رمضان ، وحمل الى ميارفارقين وقبر بها . وفيها مات قزل صاحب بلاد خراسان ،

وملك ابن أخيه . وفيهـا تسـلم الملك الظـاهر غازي صـاحب حلب بهسنا ، وكيسون ، وقلعة جعبر ، وفيها توفي الشريف أبـو المكارم حمزة بن زهرة بحلب مصنف كتاب العتبة في مذهب الامامية ، وفيها توفي ابن عمه أمين الملك أبو طالب نقيب العلويين . وفيها مات الفقيه نجم الدين ابن شرف الاسـلام ابـن الحنبلي بـدمشق ، ولم يكن في زمانه أسرع منه في الفتيا ، ولا أعلم منه . وفيها مات الموفق خالد بن القيسراني وزير نور الدين بحلب ، وفيها مـات ابـن الخلي بحلب . وفيها مات القاضي المؤتمن بن كاسيبويه بـدمشق ، وفيهـا أخـذت الفرنج القافلة على خويلفة ، وفقد المسلمون من الأمـوال مـالايحد وهلك من البضائع مالايحصى للتجار وللجند وكان الأمر عظيما .

سنة ثمان وثمانين وخمسمائة

- وفيها قتل الفقيه شـهاب الدين السـهروردي وتلميذه شـمس الدين بقلعة حلب . أخـذ بعـد أيام ، وكان فقهـاء حلب تعصـبوا عليه ،ماخلا الفقيهين ابني جهبل فانهما قالا : هـذا رجـل فقيه ومناظرته في القلعة ليست تحسـن ، ينزل الى الجـامع ، ويجتمـع الفقهاء كلهم ويعقد له مجلس ، وكان له تصـانيف مـن جملتهـا : تفسير القرآن على رأيه ، وكتابا سماه بالرقم القدسي ، وكتاب آخر يقال له الألواح العمادية ، وفي الخلاف ماترجح لهم عليه حجة ، وأما علم الأصول مـاعرفوا أن يتـكلموا معـه وقـالوا له : أنت قلت في تصانيفك إن الله قادر على أن يخلق نبيا ، وهذا مسـتحيل ، فقـال لهم : ماحد القدرة ، أليس القادر إذا أراد شيء لايمتنع منه ؟ قالوا : بلى ، قال : فالله قادر على كل شيء ، قالوا إلا على خلق نبي فإنه يستحيل ، قال : فهل يستحيل مطلقا أم لا ؟ قـالوا : قـد كفـرت ، وعملوا له أسبابا لانه كان بالجملة كان عنده نقص عقل لا علم ، ومن جملته أنه سمى روحه المؤيد بالملكوت .

وفيها تقرر الصلح بين صلاح الدين وبين الفـرنج على شرط أن تكون الأيمان بينهم وبين أولاده ، وفيها مات الصفي بن القابض أبو الفتح ، وفيها خرج المشطوب من الأسر في مستهل جمادى الأولى .

سنة تسع وثمانين وخمسمائة

ـ فيها توفي الملك الناصر صلاح الدين رحمه الله في صبيحة يوم الأربعاء سابع عشر صفر ، ووصلت التعزية مـن القـاضي الأجـل الفاضل رحمه الله إلى الملك الظاهـر صاحب حلب ، وهي : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة)(٤) كتبت وقد زلزل المؤمنون زلزالا شديدا ، والدموع قد حفرت النواظر ، وبلغت القلوب الحناجر ، وقد ودعت أباك ومخدومي وداعا لاتلاقي بعده ، وقبلت وجهه عني وعنك ، واسلمته إلى الله مغلوب الحياة ، ضـعيف القـوة عن النجـاة ، راضيا عنه الله ، لاحول ولا قـوة إلا بـالله ، وبـالباب مـن الجنود المجندة والأسلحة المغمـدة مـالم يدفـع عنه القضـاء ، ولم يملك رد البلاء ، وتدمع العين ، ويحزن القلب ، ولانقول إلا مـايرضي الرب ، وإنا عليك يايوسف لمحزونون . وأما الوصايا فما تحتـاج إليهـا ، وأما الاراء فقد أدهشتني المصائب عنهـا ، واما لائح الأمر فإنه ان وقع بينكم اتفاق فمـا عدمتـم إلا شـخصه الكريم ، وان كان غيره فالمصائب المستقبلة أهونها موته وهو الأعظم »

وفيها قتلت الاسماعيلية بكتمر صاحب أخلاط ، وملك بعده اخلاط ، هـــزاردينارى ، وفيهـــا مـــات ســـنان رئيس الاسماعيلية وقام بعده رجل يقال له نصر العجمي لايفهـم ولايدري شيئا .

وفيها مسك ابن لاون البرنس صاحب أنطاكية وذلك أنه خرج إلى

ابن لاون ، ومعه امرأته وبنيه ليدعوهم ابـن لاون ، فلمـا شربـوا وسكروا غشيهم الليل ، قال ابـن لاون للبـرنس · لا آمـن عليك أن تبيت هنا ، بل تـطلع إلى الحصـن ، فلمـا طلع مسـكه ومسك امرأته وبنيه ، وبعث بهم إلى الحصون ، فبقي أشهرا يسيره ثم خلصه ملك الفـرنج صـاحب قبـرص الذي كان في أسر صـلاح الدين ، وشرط عليهم أن لايسـلموا إليه قلعـة أنطـاكية إلى ثـلاث سـنين ، وفيهـا هلك بـطرق قصير أنطاكية ، وفي تشرين الأول ظهر بداخل حمص عيون ماء حتى امتلأ الخندق ولم يعهد ذلك ، وشرب منها أهـل حمص فـوخموا ، وظهر عقيبة طاعون مات منه ثلث أهـل البلد مـع صحة الهـواء وجودته .

وفيها حكي عن ابن العميد أنه ورد من ملك الحبشـة كتـاب إلى سيف الاسلام صاحب اليمن أن جبلا بالحبشة رمل يعرف بـالأصم يبعد عن المدينة ثـلاثة أيام ، تحملته الرياح والأهـوية إلى بـاب المدينة ، وأن خليجا بتلك المدينة أصبح دما عبيطا .

وفيها ورد أن ذئبا كلبا هجم دنيسر بكرة فـأكل اثنين وسـبعين نفسا وماتوا جميعا ، وفيها دخل الأمير فـرج أرزن الروم ، وتلقـب بالملك المهدي ، وفيها توفي عز الدين صاحب الموصل وملك بعـده نور الدين ، وفيها تسلم الملك العادل سروج ، وخرب المشرق ،وفيها فتح الرقة ، وفيها صالح صاحب سنجار ، ووصل إليه عسكر دمشـق ، وحلب ، وقصدوا أخلاط ، وكان جماعة من أهل اخلاط كاتبوه ثـم رجعوا عن ذلك • وفيها خرج السلطان طغريل بن ألب أرسلان من همذان ، فأخذ الري ، ونقض قلعتها حجرا حجرا ، وقتـل جمـاعة أمراء . وفيها ضرب السلطان أبو بكر مصـافا مـع أخيه خـوارزم شاه ، وفيها خرج ملك الخزر ، وفيهـا ضرب السـلطان أبـو بـكر مصافا مع أخيه خطاوخ فكسره على بـاب تـوريز . وفي ليلة سـابع عشر من رمضان المبارك رئي ببغداد عمود نار من الأرض إلى وسط

السماء عرضه ثلاث رماح ، ورآه الخليفة وجميع أهل بغداد ، وفيها ضرب ابن محيي الدين ابن زكي الدين قاضي دمشق رجلا يعرف بالفأفاء بسبب كلام أخطأ فيه ، وكان المضروب صاح بالله وبالمسلمين فلم يغثه أحد ، فصاح يا آل سنان ، فطالب الاسماعيلية بدمه القاضي محيي الدين بهذا الوجه فخاف القاضي منهم ، وعمل له سردابا تحت الأرض يخرج منه إلى الجامع ، وفيها أخذ الخليفة الناصر الدوازيج من ابن زين الدين وأعطاها لصاحب الموصل ، وفيها مات سيف الدولة ابن منقذ بمصر ، وفيها وقع بأرض بالس في موضع يعرف بالوتيقي برد وزن كل حبة مائة وخمسون درهما وفيها كانت صاعقة بشيح الحديد من أعمال حلب ، وقتلت جماعة وبقي موضعا خلوا أربعين ذراعا ، وفيها كان بجبل ليلون من أعمال حلب مطر أهلك ضياعا كثيرة وكان خلاله برد كل بردة ست أواق بالحلبي فأهلكت الطير والوحش ، وأخذ أهل حارم منها شيئا كثيرا ، وأهلك الشجر والقطن ، وفيها كان بمصر برد عظيم لم تجر عادتهم بمثله حتى تعجب أهلها من ذلك . وفيها حمل السيل ضياعا فأصبح خشبها في نهر عفرين . وفيها كانت صاعقة بحلب في الياروقية ، ووقعت في اصطبل الحاجب انساقت فقتلت له تسعة من الخيل ، وقيل إنها دخلت من طاقة الاصطبل . وفيها ولدت امرأة بحلب بباب الجنان أربعة أولاد في بطن ، وفيها تسلم الظاهر صاحب حلب من أخيه صاحب دمشق جبلة ولاذقية . وفيها خسف القمر مرتين ، وفيها تسلم الملك العادل قلعة جعبر من ابن أخيه صاحب حلب بعد خطوب جرت وأسباب طرأت . وفيها مات ملك الفرنج بسيواس وحمل إلى بيت المقدس وقبر بزيتون الجلجلة .

سنة تسعين وخمسمائة

ــ وفيها مسك الظاهر صاحب حلب الياروقية: بدر الدين دلدرم وبكمش وبقطران والحاج ، وبلك وابن قيماز وجماعة منهم ، وأوهمهم أنه يخلع عليهم ، فلما حضروا أودعهم السجن ، وسير

بكمش إلى حارم بعد ماعذبه بالضرب ، وأراد أن يكحل دلدرم ، وطلب منه تل باشر ، ونزل عليها بعسكر حلب وحماة وشيزر أياما ، فجاء الخبر من دمشق بمجيء الملك العزيز ، فرحل في تلك الليلة فلم يصبح له أثر بموضعه ، وكان أهل تل باشر في ضائقة ، ووصل الملك العادل بعد يومين إلى تل باشر ، وطلع القلعة فأخرج في تلك الساعة بدر الدين دلدرم وأقاربه منها ، ومن الله عليهم بالفرج من غير تقرير ولا علم عنده بذلك ، ولم يكن للملك الظاهر أن يرد شفاعته فيهم بل للوقت خلع عليهم وأعطى بدر الدين علما ونزلوا جميعهم وبدر الدين دلدرم بين يدي الملك العادل يحجبه إلى دار أخته امرأة شهاب الدين ، فودعها وخرج كما هو مجدا إلى دمشق ، وتقرر الصلح بينه وبين الملك العزيز صاحب مصر ، ورجع إلى الديار المصرية ، وهو متمرض ، وخامر عليه بعض عسكره .

وفيها مات الفقيه أبو الحسن بن الطرسوسي بحلب ، وفيها مات الفقيه المقرىء الشاطبي بمصر رحمه الله ، وكان من أهل العلم والعمل ، وفيها كان لنيل مصر أمر عجيب وذلك أنه زاد حتى بلغ اثنين وعشرين اصبعا من سبعة عشر ذراعا ، ثم نقص فزرع الناس أكثر غلائلهم وقرطهم وكتانهم ، ثم رجع بمشيئة الله زاد فغرق الجميع وأتلفه ، وهذا شيء لايعهد مثله من تقادم السنين ، وفيها وزر ابن الحصين الواسطي لصاحب حلب الملك الظاهر ، ولما تولى شرع في قطع أرزاق الناس فلا أوصل الله ظلمه .

وفيها مات بطريق بقلعة الروم ، وقام بمقامه ابن أخيه فاحتال عليه ابن لاون فأخذها منه . وفيها كانت زلزلة بحلب ، وفيها كان المد بحلب حتى دخل الماء من باب الجنان ، وفاضت الأودية وبطلت الرحا وخربت ، وأصبح الناس على خطر عظيم ، وغرقت من البقر والغنم عدة وجمال بأحمالها ، وغرقت جماعة من الناس ، وخربت ثلاثمائة دار ، وانشق من باب قنسرين إلى باب أنطاكية ، وبالجملة إنه كان شيئا عجيبا .

وفيها أخذ ابن عبد المؤمن المايرقي على جبل زوران أسيرا ، وقتل معظم رجاله وأسر منهم مالايحصى عدده ، ورجع إلى مدينة مراكش ، فسمع بخروج ملك الفرنج ألفنس إلى بلاده في الأندلس في جميع العساكر ، وتشاوروا واتفقوا على المسير إلى الاندلس في جميع العساكر ، وتبعته المراكب وجمع الأموال وعمل السلاح ، ونادي بالجهاد في سبيل الله تعالى ، وسنذكر في سنة احدى وتسعين ماجرى فيها بينه وبين ملك الفرنج وكيف كانت كسرته بمشيئة الله تعالى وفيها مات بطريق اليعاقبة ابن زرعة بمصر .

وفيها قصد خوارزمشاه بعسكر عظيم بغداد ، وطلب الخطبة والسكة ودار السلطنة فخامر عليه بعض عسكره فرجع .

وفيها تواقعت الحنابلة والشفعوية والحنفية بأصبهان ، وقتل منهم خلق كثير .

وفيها هرب السلطان طغريل من حبس الخليفة ، وقصد همذان ، واجتمع إليه الترك وبقي شهورا ثم قتل فأرسل رأسه إلى بغداد فطيف به في شوارعها .

وفيها تسلم الملك العادل من ابن اخيه المعروف بخضر المشمر الرقة ، وامتنع من تسليمها الوالي ابن الزعيم اياما ، وفيها باعت الاكراد جبيل للافرنج بستة آلاف دينار وقتلوا الوالي •

وفيها نافق الكمال الكردي وطلب برقة ، واستولى على بلد قماري سنة ، وهي قريتين بموضع يقال لها البطنان ، وهي فوق العقبة الكبيرة بيومين دون برقة العلوية •

وفيها قتل صاحب قسطنطينيه ، قتله أخوه وبعث صورته وانجيلا مجوهرا إلى مصر وسألهم أن يذكروه في صلواتهم •

سنة إحدى وتسعين وخمسمائة

فيها تجهز الملك العزيز ، وخرج في عسكر لايوصف في قوته وكثرته وحسن عدته وكثرة خيله حتى أن الجندي يكون معه عشرة مماليك ترك وأكثر وأقل ، وأعظمهم يعمل اقطاع الجندي العشرة آلاف دينار وأكثر ، وأقل ، حتى كان عدة الجيش سبعة آلاف ، فاذا عرض يكون خمسين ألف لقوته بالمماليك والجند ، وقصد حصار دمشق ، وفيها دخل الملك العادل إلى دمشق بالعساكر ، وكاتب الملك العزيز في الرجوع فأبي ، ووصل الفوار ، ثم إن بعض عسكره تقلبت قلوبهم فرحلوا إلى الملك العادل ليلا ، ثم إن الملك العزيز رحل بعدهم طالبا للقدس ، ثم أسرع منه إلى الديار المصرية خوفا أن يسبقوه إليها ، فوصل في ايام يسيرة فنهب بعض دور الذين رحلوا .

ثم وافى الملك العادل عمه بعد أيام والأسدية صحبته إلى الخيس ، فأنفذ العزيز إلى بلبيس عدة امراء أركزهم فيها ، وقواها بالذهب والميرة والعدة والرجالة ، ثم إن عسكر العادل نزلوا عليها من جانب البساتين والرمل ، ولم يلحقوا بقتال لاهو ولاأهلها اياما عدة ، ثم أراد الملك العزيز أن يستظهر أهلها بالمال والعدة والسلاح والرجال فأرسل إليهم إثنين وسبعين مركبا موسقة بالمال والرجال والسلاح والأطعمة وجميع مايحتاج إليه ، فلما توسطت المراكب في الجزائر تجري بينها خرج عليها الأسدية وعسكر الملك العادل فأخذوا المراكب وجرحوا جماعة من الجند والجيش وغرق بها بهاء الدين بن النصارو ، ولم يسلم من المراكب إلا مقدار يسير ، فعظم على الملك العزيز ماجرى وعلى الملك العادل ، ثم إن جماعة من أهل بلبيس كتبوا إلى الملك العادل أن يرحل عنهم حتى يخرجوا إليه ، فخرجوا إلى البئر البيضاء فخرجت جماعة من أهل بلبيس خلفه ، وتسلل معه اثنا عشر أميرا الذين كانوا كاتبوه ، ثم إن الملك العزيز تقرر بينه وبين عمه الصلح على ماأراد ، فانطفأت الفتنة وجمع

الكاملة ، وكان حلفهم رحمه الله ، ودخل الملك العـادل إلى القـاهرة وسكن في القصر ، وألف الله بينهم •

وفيها كان بمصر غلاء عظيم ، وفيها جدد الملك العزيز الصلح مع الفرنج ، وفيها عزل زين الدين أبو يوسـف قـاضي القضـاة بمصر وولى محيي الدين أبو حامد بن أبي عصرون القضاء بمصر . وفيها عزل ابن كهدان والي المحلة ، وولي بعده ابن بهـرام . وفيهـا كسر ابن عبد المؤمن الفرنج ألفنش وجميع ملوك تلك البلاد بالأندلس على مدينة طليطلة ، وأسر منهم مامقداره سـتون ألف إنسـان ، وقتـل منهم مائة ألف ، وستة عشر ألف من الفرنج ، وأخـذ مـن السـلاح مالايحصى ، وذكر أن قسمته من الدروع سـتون ألف زردية ، ومـن الخيل ستون ألف حصان ومائة ألف أتان .

سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة

فيها عزل العادل لمحيي الدين بن عصرون عن قضاء مصر وولى زين الدين ، وفيها عصى أبو الهيجاء السمين ببيت المقدس ، وفيهـا خرج الملك العزيز وعمه العادل وقصدوا دمشق وصـحبتهم عسـكر عظيم لايوصف من كثرة الرجـال والعـدد ، ونزلوا ميدان الحصى ، وجرى بينهم وبين أهل دمشق حروب وقتال عظيم مـدة سـبعة عشر يوما ، وكان الملك الأفضل نور الدين علي قد عسـف بـأهل دمشـق مرارا ، وخرق بهم حتى أسرف في ذلك ، وكتب إليهم الملك العادل ، ووعدهم بالعدل والانصـاف ومناهـم ، وكاتب عز الدين الحمصي ، وكان معه باب توما من البلد فـاتفقوا على أنهـم يسـلمون المدينة ، فأصبح الملك العزيز عبأ العدة ، وهيأ الرجـالة ، وقسـم الأطـلاب والفرسان وشرعوا في القتال من بـاكر إلى الظهـر ، فمضى كل أمير لداره ، ثم تفلل أهل دمشق ، ورجع الملك العزيز وأمر العسـكر أن يركبوا فركبوا وحملوا جميعـا وفتـح لهـم البـاب الذي كان عليه

وجماعة من أهل البلد ، ودخل الملك العادل والملك العـزيز المدينة ولم يفقد غير شرف الدين بن البصراوي صادفته رمية سهم فمات ، ثم إن الملك العزيز عوض لأخيه نور الدين علي صرخد ، ومسك اخاه خضر أياما ثم خيره في المقام فأبي ، فتـوجه إلى حلب ، وعاد الملك العزيز إلى القدس وتسلمه من أبي الهيجاء السمين بعـدما حلف له عن نفسه وماله . وفيها مات سابق الدين صاحب شيزر ٠

وفيها كان الغلاء بمصر ، وفيهاخـرج الملك العـزيز إلى الداروم وغزة وجدد الصلح مع الفرنج ثلاث سنين . وفيها عزل ابن الجويني عن الاسكندرية وتولاها سنقر الكبير. وفيها مسك ابـن المنذر بمصر وقيد لسبب رواحه إلى اليمن وفيها عزل ابن شكر صـاحب الديوان بمصر ، وتولى ابن حمدان وفيها جاءت ريح شديدة مـزعجة كثيرة الرمل بمصر .

وفيها مسك الملك الظاهر صاحب حلب العلم ابن ماهان وقطع يده وأنفه وأذنيه وأصابع يده اليمنى ، وركبه حمارا وأشهره بحلب ، وسبب ذلك أنه ولاه اللاذقية فعصى وحلف الأجناد له .

وفيها مات وزير الخليفة المعروف بابن القصاب ببغداد . وفيهـا أمر الملك العزيز بهدم الاهـرام بمصر فـابتدأ فيهـا بنقض الهـرم الصغير الغربي ، وهـو صوان سماقي فهدموا بعضه ، وعجزوا عن باقية ، وسبب هدمهم حاجتهم إلى الحجارة الصوان ليبنوا بها برج دمياط .

سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة

ـ وفيها فتح المايرقي إفريقية ، وبجاية ، وقلعة ابن حماد ، وعدة مدن بسبب اشتغال ابن عبد المؤمـن ببـلاد الأندلس ، وأوغل حتـى وصل إلى القصبات متاخم لبلاد الأمان بعد ماكسر ألفنش ، ووصل

الى طليطله وأشرف على أخذها ، وفتح عدة مدن من بلاد الفرنج ، وغنم المسلمون مالايحصى .

وفيها كانت زلزلة بمصر ، وفي جمادى الآخرة جاءت شديدة مزعجة ورمل كثير أصفر ليلا ، وكان الناس يرون في أثناء السماء نارا ، فأصبحوا على خوف عظيم ، وفيها مات أبو الهيجاء السمين ببلاد الشرق بعد انفصاله من الخليفة ، وفيها تولى عز الدين بن الجويني القاهرة ، وعزل ابن حمدان ، وأودع السجن هو وأخوته ، وطلب منهم أموالا وغيرها ، وفيها نزل سيف الدين بن يوسف الدمشقي عن القضاء بمصر ، وولي صدر الدين بن درباس .

وفيها نزل الفرنج بمرج عكا وخرج الملك العادل من دمشق وصحبته عسكر الشرق ، وأنفذ الملك العزيز العساكر من مصر فالتقوا الملك بمرج عيون ، واجتمع العسكران وشنوا الغارة على الفرنج ، وأخذوا منهم جماعة ، ثم إن العادل قصد مدينة يافا ببعض العساكر ، وأيد الله المسلمين ، ففتحوا يافا بالسيف ، وأخذوا منها مقدار عشرة آلاف نفس ، وأخذوا من العدة والميرة والمال شيئا لايحصى ، وأخذ ابن الست الذي كان بهاء الدين أسره بعكا وأنفذه السلطان إليه وظفر به .

وبها جهز الملك العزيز أسطول مصر ، واسكندرية ، ودمياط ، وأربعة غربان وقصدوا بلاد الفرنج ، فأخذوا عدة بطس ، من جملتهم ثلاثة بطس فيهم من الأموال والخيالة والعدد مايضيق شرحه في هذا المختصر ، وأحرقوا فيها مركبا كبيرا ، وأن ملوك الفرنج والبطريق الذي لهم ذكروا أن فيه خمسين صندوقا موسقة ذهبا وفضة ، وكان لهم مدة سبع سنين يجمعونها من سائر بلاد الفرنجية فغرقت في البحر ، ولم يقدر المسلمون على شيء منها ، ولا وصلوا إليها من كثرة النيران ، ثم أنهم أتوا بالجميع إلى الديار المصرية ، وكان لوصولهم يوم عظيم وفتح جسيم .

-٥٤١٥-

وفيها تجهز الملك المشمر وقصد الساحل ، وفيهـا مـات سـيف الاسلام أخو الملك الناصر ، وملك بعده اليمن ولده .

والى هاهنا انتهى

الحواشي

حواشي ابن القلانسي :

(١) كذا في الاصل ولم اجدها في المظان الجغرافية وسواها .
(٢) كذا بالاصل ، والاصح « واغارت» .
(٣) كثيرون من سكان المنطقة كانوا من غير المسلمين ، من الارمن .
(٤) حصن منيع في منطقة الثغور كان من أعمال حلب . معجم البلدان .
(٥) مدينة كانت ذات شهرة كبيرة ، فيها آثار كثيرة ، وتتبع البارة اداريا لمنطقة اريحا في محافظة ادلب في سورية .
(٦) من كور حلب المشهورة في غربيها بينها وبين المعرة . معجم البلدان
(٧) إن الاميرة اناكومينا افضل من تحدث عن وصول حشود الصليبيين الى القسطنطينية ووصف علاقاتهم بالامبراطور الكسيوس كومنين ، ثم قص خبر سقوط نيقية . وكيف الت ملكيتها الى البيزنطيين ، وقد أودعت هذا كله في كتابها عن حياة ابيها الذي حمل عنوان «الالكسياد» . انظر الجزء المترجم من هذا الكتاب في الجزء السادس من موسوعتنا هذه .
(٨) هو فيروز في مصادر اخرى .
(٩) انظر تفاصيل هذا في كتابي مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية · ٢٣٨ ـ ٢٤٢ .
(١٠) انوشتكين الدانشمند ، وعند ابن العديم حدثت المعركة في أرض مرعش ، زبدة الحلب ٢ . ٥٠٨ ـ ٥٠٩ .

(١١) كان جوسلين هو كونت الرها ، وقد ارخ كاتب سرياني مجهول لملكة الرها حتى سقوطها ، ونص هذا المؤرخ هو بين محتويات موسوعتنا هذه .
(١٢) في ترجمة جناح الدولة حسين لابن العديم جاء « وكان قتله ... بتدبير الحكيم ابي الفتح المنجم الباطني ، ورفيقه ابي طاهر ، وقيل كان بأمر رضوان ورضاه » . انظرها في كتابنا هذا .

(١٣) في بغية لابن العديم « ... وبقي المنجم الباطني بعده أربعة وعشرين يوما ومات » . انظرها في ترجمة جناح الدولة في كتابنا هذا .
(١٤) تكررت « وأرهفت بالاصل » .
(١٥) كذا في الاصل ، وفي الذفس شيء منه ، ولم أجد في المتوفر من المصادر المتوفرة ما يفيد حوله ، ولعل العبارة « بنا » زائدة فحين اورد سبط ابن الجوزي الخبر قال « وكان واليها زهر الدولة الجيوشي » .
(١٦) اقيم هذا الحصن على تلة ابي سمرة الحالية الواقعة على الضفة اليسرى من نهر قاديشا ، وهي كانت تعرف بتلة الحجاج . طرابلس الشام في التاريخ الاسلامي · ٩٥ ـ ٩٦ .
(١٧) جبال النصيرية أو العلويين حاليا .

(١٨) هناك مطابقة شبه كاملة بين رواية ابن القلانسي هذه ، وما جاء عند ابن العديم في زبدة الحلب : ٢ ١٥٠ ـ ١٥١ ، وفي بغية الطلب يقدم ابن العديم في ترجمة رضوان تفاصيل اضافية ، انظرها في كتابنا هذا .
(١٩) كذا بالاصل ، ولم أهتد الى هذا الاسم .

الحواشي

حواشي ابن القلانسي :

(١) كذا في الاصل ولم اجدها في المظان الجغرافية وسواها .
(٢) كذا بالاصل ، والاصح « واغارت» .
(٣) كثيرون من سكان المنطقة كانوا من غير المسلمين ، من الارمن .
(٤) حصن منيع في منطقة الثغور كان من أعمال حلب . معجم البلدان .
(٥) مدينة كانت ذات شهرة كبيرة ، فيها آثار كثيرة ، وتتبع البارة اداريا لمنطقة اريحا في محافظة ادلب في سورية .
(٦) من كور حلب المشهورة في غربيها بينها وبين المعرة . معجم البلدان
(٧) إن الاميرة اناكومينا افضل من تحدث عن وصول حشود الصليبيين الى القسطنطينية ووصف علاقاتهم بالامبراطور الكسيوس كومنين ، ثم قص خبر سقوط نيقية . وكيف آلت ملكيتها الى البيزنطيين ، وقد أودعت هذا كله في كتابها عن حياة ابيها الذي حمل عنوان «الالكسياد» . انظر الجزء المترجم من هذا الكتاب في الجزء السادس من موسوعتنا هذه .
(٨) هو فيروز في مصادر اخرى .
(٩) انظر تفاصيل هذا في كتابي مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية ٠ ٢٣٨ ــ ٢٤٢ .
(١٠) انوشتكين الدانشمند ، وعند ابن العديم حدثت المعركة في أرض مرعش ، زبدة الحلب ٢ . ٥٠٨ ــ ٥٠٩ .

(١١) كان جوسلين هو كونت الرها ، وقد ارخ كاتب سرياني مجهول لمملكة الرها حتى سقوطها ، ونص هذا المؤرخ هو بين محتويات موسوعتنا هذه .
(١٢) في ترجمة جناح الدولة حسين لابن العديم جاء « وكان قتله ... بتدبير الحكيم ابي الفتح المنجم الباطني ، ورفيقه ابي طاهر ، وقيل كان بأمر رضوان ورضاه » . انظرها في كتابنا هذا .

(١٣) في بغية لابن العديم ٠ « وبقي المنجم الباطني بعده أربعة وعشرين يوما ومات » . انظرها في ترجمة جناح الدولة في كتابنا هذا .
(١٤) تكررت « وأرهقت بالاصل » .
(١٥) كذا في الاصل ، وفي الدفس شيء منه ، ولم أجد في المتوفر من المصادر المتوفرة ما يفيد حوله ، ولعل العبارة « بنا » زائدة فحين اورد سبط ابن الجوزي الخبر قال « وكان واليها زهر الدولة الجيوشي » .
(١٦) اقيم هذا الحصن على تلة ابي سمرة الحالية الواقعة على الضفة اليسرى من نهر قاديشا ، وهي كانت تعرف بتلة الحجاج . طرابلس الشام في التاريخ الاسلامي ٠ ٩٥ ــ ٩٦ .
(١٧) جبال النصيرية أو العلويين حاليا .

(١٨) هناك مطابقة شبه كاملة بين رواية ابن القلانسي هذه ، وما جاء عند ابن العديم في زبدة الحلب : ٢ ١٥٠ ــ ١٥١ ، وفي بغية الطلب يقدم ابن العديم في ترجمة رضوان تفاصيل اضافية ، انظرها في كتابنا هذا .
(١٩) كذا بالاصل ، ولم أهتد الى هذا الاسم .

(٢٠) يعرف هذا الموقع الآن باسم « العال » وهو واقع في محافظة القنيطرة ، منطقة فيق ، ويبعد عن فيق مسافة ٧ كم ، وعن القنيطرة ٤٩ كم . انظر التقسيمات الادارية في الجمهورية العربية السورية . ط . دمشق ١٩٦٨ : ٤٠ .

(٢١) في الأصل « بأبي الفتح » وهي مصحفة صوابها ما أثبتنا ، وذلك عن خط ابـن العـديم في كتابه بغية الطلب في ترجمته لابن ملاعب .

(٢٤) في معجم البلدان تبنين في جبال بني عامر المطلة على بلد بانياس بين دمشق وصور .

(٢٥) لم أجد هذا الموقع في المصادر المتوفرة ، وهو لا شك على مقربة من منطقة الشيخ مسـكين الحالية في سورية .

(٢٦) هي بلدة أزرع الحالية في حوران – انظر معجم البلدان .

(٢٧) السن بليدة على دجلة في أعلى تكريت ، عندها يصب الزاب الأصغر الى دجلة . تقويم البلدان : ٢٨٨ – ٢٨٩ .

(٢٨) في الاصل « الصورة » وهي تصحيف صحح من مرآة الزمان حيث ينقل رواية ابن القلانسي هنه – اخبار سنة – ٥٠٠ هـ – .

(٢٩) سيكون بين حصون الدعوة الاسماعيلية في منطقة مصياف . انظر تقويم البلدان : ٢٢٩ .

(٣٠) تحدث وليم الصوري في تاريخه – الترجمة الانكليزية . ١ ، ٥٣٨ – ٥٣٩ عن حمله طغتكين هنه لكنه لم يذكر جرفاس هنا بين رجال ملك القدس أو المدافعين عن طبرية .
واورد سبط ابن الجوزي هذا الخبر فقال : « وفيها أغار طغتكين على طبرية ، وبها جرفاس مقـدم الفرنجة ، وكان من أكبر الملوك فخرج من طبرية ، والتقوا فقتل أتابك منهـم مقتلة عظيمـة ، وأسر جرفاس وخواصه ، فبذل في نفسه أموالا عظيمة ، فلم يقبل منه ، وبعث به وبأصحابه .

(٣١) كانت عرقة هي الخط الدفاعي الاول عن طرابلس ، تقـع على سـاحل البحـر وتبعـد عن طرابلس مسافة اثنتي عشر ميلا ، تقويم البلدان : ٢٥٤ – ٢٥٥ .

(٣٢) في الأصل « واليا » وهي تصحيف صوابه ما أثبتناه .

(٣٣) لم اجد هذا الحصن في المظان المتوفرة ، وفي الكامل لابن الاثير ٨ ، ٢٥٦ ما يفيد اثبـاته حول عرقه ، فقد ذكر ان حصن عرقه وهو من الحصون المنيعة « انقـطعت عنه الميرة لطـول مـكث الفرنج في نواحيه ، فأرسل – صاحبه – الى أتابك طغتكين صاحب دمشق ، وقال له : ارسل مـن يتسلم هذا الحصن مني ، قد عجزت عن حفظه ، ولان يأخذه المسلمون خير لي دنيا وآخرة مـن ان يأخذه الفرنج ، فبعث اليه طغتكين صاحبا له اسمه اسرائيل في ثلاثمائة رجل يتسلم الحصن ، فلما نزل غلام ابن عمار منه رماه اسرائيل في الاخلاط بسهم فقتله ، وكان قصده بـذلك أن يطلع اتـابك طغتكين على ما خلفه بالقلعة من المال وأراد طغتكين قصد الحصن للاطلاع عليه وتقويته بـالعساكر والاقوات وآلات الحرب ، فنزل الغيث والثلج مدة شهرين ليلا ونهـارا ، فمنعـه ، فلمـا سـمـع ، الفرنج ...

(٣٤) من أجل النزاع بين وليم جوردان السرديني ، وبرتراند الابن الاكبر لريمـوند الصـنجيلي وعلاقة ذلك بحصار طرابلس ، انظر طرابلس الشام في التاريخ الاسلامي : ١١٧ – ١٣١ .

(٣٥) انظر كتاب طرابلس الشام في التاريخ الاسلامي : ١١٧ – ١٣١ .

(٣٦) قال ياقوت عن المنيطرة : حصن بالشام قريب من طرابلس .

(٣٧) قلعة صغيرة في شمالي لبنان (٢٥ ميلا تقريبا الى الشمال الشرقي من طرابلس) تـربض فوق جرف على السفوح الشمالية لجبل عكار .

(٣٨) قلعة ومدينة صغيرة في وسط سورية الى الغرب من مدينة حماة ، تقـع فـوق تـل متدرج الانحدار في الشعاب الشرقية لجبال النصيرية .

(٣٩) لم اجد هذا الحصن في المظان حتى احدد مكانه .

(٤٠) تعرف الآن باسم قلعة الحصن في وسط سـورية الى الغـرب مـن حمص في منطقـة وادي

النضارة ، موقعها ممتاز فوق ذروة مرتفعة تزيد عن ٢١٠٠ قدم وتحيط بها من جميع جهاتها مدرجات متوسطة الانحدار

(٤١) ترسم الآن ، صلخد ، وهي مركز منطقة تابعة لمحافظة السويداء ، وقد وصفها ابو الفداء في تقويم البلدان ٢٥٨ ـ ٢٥٩ بقوله وهي بلدة صغيرة ذات قلعة مرتفعة وكروم كثيرة ، وليس لها ماء سوى مايجمع من الامطار في الصهاريج والبرك ومن شرقها تسلك طريقا تعرف بالرصيف الى العراق

(٤٢) في الاصل ، الى دمشق ، وهو غير مستقيم المعنى قوم من مرآة الزمان ـ اخبار سنة ـ ٥٠٣ ـ حيث نقل رواية ابن القلانسي هذه

(٤٣) في الاصل ، بعض خراج اهلها ، وهو غير مستقيم المعنى ، وفي مرآة الزمان عن ابن القلانسي ، وحط بعض الخراج ، لذا تم التقويم

(٤٤) يعرف الآن باسم ، تل باجر ، وهو تابع اداريا لمنطقة جبل سمعان ، احدى مناطق محافظة حلب .

(٤٥) كان جمع العساكر الاسلامية موسميا خاضعا لقواعد الاقطاع العسكري

(٤٦) هي قلعة حصينة بين حلب وانطاكية . اللباب في تهذيب الانساب لابن الأثير ط بيروت ١٩٨٠

(٤٧) اضيف ما بين الحاصرتين من الكامل لابن الأثير ٨ ٢٦٠

(٤٨) في تقويم البلدان ١١٨ ـ ١١٩ ، وتنيس جزيرة في مصر في وسط بحيرة تعرف ببحيرة تنيس قريبة من ماء البحر ، المتوسط

(٤٩) اسمه الآن نبع السريا قرب قرية فقيع بحوران بين جاسم ونوى ، جرت مياهه الى قرية الشيخ مسكين ويبعد عن دمشق مسافة ٧٠كم .

(٥٠) على الطريق الدولية التي تصل دمشق بدرعا ، وتبعد عن دمشق حوالي ١٥ ميلا

(٥١) في الاصل سنجتان ، وقد ضبطه امدروز سنجتان ولم اجد لهذا الموقع من ذكر في المصادر الجغرافية ووجدت في الباهر لابن الاثير ١٧٠ ، شبختان ، حيث قال ، فما بلغني منها ان الأمير مودودا سار الى الغزاة بالشام ، ففتح في طريقه قلاعا من شبختان كانت للفرنج ، وشبختان كما يستنتج من ياقوت هي في بلاد الارمن في ديار ربيعة . انظر زبدة الحليب ٢ ١٥٨

(٥٢)في الاصل ،تل مراد ، وهو تصحيف صوابه ما اثبتنا ، ففي معجم البلدان ، تل قراد حصن مشهور في بلاد الارمن من نواحي شبختان

(٥٣) احمديل الكردي صاحب مراغة أعظم بلاد اذربيجان واشهرها ، ترجم له ابن العديم في بغية الطلب انظر محتويات هذه الترجمة في كتابنا هذا

(٥٤) انظر تفاصيل خبر هذا واثاره في ترجمة رضوان في بغية الطلب لابن العديم . المنشورة في كتابنا هذا .

(٥٥) في الاصل ، ولده ، وهو تصحيف صوابه ما اثبتناه .

(٥٦) سكمان القطبي هو صاحب ميافارقين ، وكان قبل ذلك يمتلك اخلاط ، وتحدث الفارقي في تاريخه : ٢٤٧ ـ ٢٧٨ عن تسلمه لميافارقين ثم مشاركته في حملة مودود حتى وفاته . ورواية الفارقي لها اهمية خاصة لان حوادثها وقعت في منطقة هو مؤرخها ، يقول الفارقي: ، وفي الخميس العشرين من جمادى الاولى سنة اثنتين وخمسمائة نزل الأمير سكمان صاحب اخلاط الى ميافارقين وحاصرها ، وكان تشرين الاول من السنة ، وحاصرها وضايقها وكانت شتوة صعبة ، وبقي يحاصرها سبعة اشهر ، ثم سلمها اليه أتابك تمر تاش بعد ذلك في شوال سنة اثنتين وخمسمائة ، ودخل ميافارقين ... واقام بميافارقين ، وازال عنهم الكلف والمؤن والاعشار والاقساط واسقط دار الضرب ، وما كان جدده المحتسب وأتابك واتخذوه من الرسوم ، وحط عن الناس اشياء كثيرة ، واطلق الحشر للسور ، واجرى الناس على املاكهم ، وخفف عنهم من

الخرج ، وازال عنهم جميع اسباب الظلم ، ونزل في القصر واليا مملوكه غزغلي وسلم البلد الى خواجا اثير الدولة ابو الفتوح ، وبقي الناس معه على كل خير .... وفي سنة اربع وخمسمائة نزل الامير سكمان الى ميافارقين ، وقصد الرها ومعه عساكر عظيمة فمات هناك ، ووصل تابوته الى ميافارقين ، وحمل الى اخلاط ودفن بها ... وفي سنة ست وخمسمائة نزل الامير سكمان الى ميافارقين ، وقصد الرها ومعه عساكر عظيمة فمات هناك ، ووصل تابوته الى ميافارقين ، وحمل الى اخلاط ودفن بها ....وفي سنة ست وخمسمائة وصلت خاتون زوجة الامير شط ساتيدما الى باب الشعب الى شط ارزن مقدار ستمائة ضيعه ، لماردين نجم الدين ايلغازي بلد الحناضلة من قاطع دجلة الى جبل الصور مقدار ثمانين ضيعة ، واخذ الامير فخر الدولة ابراهيم صاحب امد مقدار ثلاثين ضيعة من شرقي نهر الحو ، واخذ الامير شاروخ صاحب حاني راس الجسر الاعلى ، واخذ الامير احمد صاحب ابن مروان (وهو ابن الامير نظام الدين) بلغ الهتاخ ، واخذت السناسنة مقدار ثلاثين قرية من غاب الجوز وما حوله داخل راس السلسلة ، واخذ حسام الدولة صاحب ارزن خمسا وعشرين قرية من بين النهرين ، وكان ذلك لاختلاف الولاة وتغير الدول .

وقال ايضا ان في سنة اثنتي عشرة وخمسمائة نفذ السلطان الى الرزبيكي رسولا يامره أن يسلم ميافارقين الى نجم الدين ايلغازي ، فحضر وسلمها اليه ، وملكها وخرج الرزبيكي ونزل على الروابي ، واقام ثلاثة ايام ، فلما كان اليوم الرابع وصله رسول من السلطان يامره ان لا يسلم ، فوجد الامر قد فات ، واستقر نجم الدين بميافارقين ، واظهر العدل والانصاف والاحسان الى الناس .

(٥٧) اي صدو هم وذفوهم . النهاية في غريب الحديث والاثر لابن الاثير .

(٥٨) كذا في الاصل ، وفي مرآة الزمان ـ اخبار سنة ٥٠٥ هـ ـ « الجيش » وفي الكامل لابن الاثير ٨ / ٢٨٤ ، في اخبار سنة ٥١٢ هـ اخذ الفرنج حصنا من اعمال طغتكين « يعرف بالحبس ، ويعرف بحصن جلدك » سلمه اليهم المستحفظ به ، وقصدوا اذرعات » وهذا يفيد وجود هذا الحصن قرب درعا ، ومفيد هنا الاشارة الى الاسم القديم من درعا ، وهو اشبه بالقلعة يدعوه السكان هناك « الكرك » اي الحصن ....

(٥٩) في مرآة الزمان ـ اخبار سنة ٥٠٥ هـ ـ « فتحيل واحد من المسلمين له خبرة بالحرب ، فعمل كباشا في اخشاب ، تدفع البرج الذي يلصقونه بالسور . ثم تحيل في حريق البرج الكبير فاحترق ، وخرج المسلمون فاخذوا منه آلات واسلحة فحينئذ يأس الفرنج ، فرحلوا واحرقوا جميع ما كان لهم من المراكب على الساحل والاخشاب والعمائر والعلوفات وغيرها ، وجاءهم طغتكين فما سلموا اليه البلد فقال : انا ما فعلت ما فعلت الا لله تعالى لا لرغبة في حصن ولا مال . ومتى دهمكم عدو جئتكم بنفسي ورجالي ، ورحل عنهم » .

(٦٠) لعل المراد « نشارة الخشب » .

(٦١) كذا في الاصل . بدران ، وهو تصحيف صوابه برتران . انظر تاريخ طرابلس ١٤٦ ـ ١٤٩ ، ويلاحظ ان تعريب ابن القلانسي لاسماء قادة الصليبيين متفق على العموم مع القاعدة التي اعتمدها المؤرخون العرب .

(٦٢) جعله من خيله اي من فرسانه ، واسم ابن برتران « بونز » وترسمه المصادر العربية « بنص » انظر طرابلس الشام : ١٥٠

(٦٣) قال عنها ياقوت : قلعة حصينة في سواحل حمص ، ويستفاد من ابي الفداء ٢٩ انها كانت بين بانياس وطرطوس .

(٦٤) في الاصل « غارب » وهو تصحيف قوم من معجم البلدان ، والمقصود هنا صحراء الذئب .

(٦٥) كذا في الاصل ، وقد لحق الاسم تصحيف ، فهو « طوروس الاول » [١١٠٠ ـ ١١٢٢] بارون دولة ارمنية الصغرى التي قامت مع نجاح الحملة الصليبية الاولى ، وتمركزت في المنطقة الواقعة فيما بين طرطوس وعين زربة . انظر القلاع أيام الحروب الصليبية ط . دمشق ١٩٨٢

٣١ ـ ٣٤ صفحات من تاريخ الامة الارمنية لعثمان الترك ط حلب ١٩٦٠ ١٣٤ ـ ١٣٥
(٦٦) يرسمه ابن العديم في زبدة الحلب ٢ ١٦٣ روجار وهو اصح من رسم ابن القلانسي.

(٦٧) فراغ بالاصل . وجميع الذين تعرضوا لهذا الموضوع لم يأت واحد منهم على ذكر هذه التفاصيل حتى وليم الصوري ١ ٤٩٧ ـ ٥٠٠ اكتفى بذكر اسباب الخلاف بين بلدوين صاحب الرها وجوسلين صاحب تل باشر . وبين انها اسباب مالية . ووصف القاء القبض على جوسلين وطرده الى مملكة القدس . وكذا فعل ابن الاثير في الكامل ٨ ٢٦٥ ـ ٢٦٦ الباهر ١٧ ـ ١٩ . ورسم الناسخ في هذه الصفحة اسم الحصن الاول مرة تماسين ومرة ثانية تمنين وحيث ان المنطقة هي جبل عاملة وجدت في كل من الاعلاق الخطيرة ـ قسم الاردن ١٥٢ وصبح الاعشى ٤ ١٥١ ـ ١٥٢ هونين وتبنين حصنان بنيا بعد الخمسمائة بين صور وبانياس بجبل عامل وهنا رجحت ان يكون اسم ثمانين . تمنين مصحف صوابه تبنين . وبناء على هذا قدرت ان الاسم الساقط هو هونين
(٦٨) هي بحيرة قطينة قرب حمص
(٦٩) على مقربة من الحدود السورية اللبنانية بعد (المصنع) قرب قرية عنجر الحالية
(٧٠) في الاصل تمنين انظر الحاشية (٦٧) المتقدمة
(٧١) الصنبرة موضع بالاردن مقابل لعقبة افيق بينه وبين بحيرة طبرية ثلاثة اميال معجم البلدان

(٧٢) لم يذكر وليم الصوري هذه الواقعة حتى نحدد هوية الكنيسة هذه
(٧٣) بحيرة طبرية
(٧٤) كذا في الاصل وفي الدفس شيء منه . فكلاب بيارها في شمال الشام و كلب في الحدود
(٧٥) اي انقطع وانفرد النهاية لابن الاثير
(٧٦) لم اجده في المصادر
(٧٧) كذا وهذا التاريخ مبكر . فوفاته كانت سنة ٥١٢ هـ ١١١٨م وسيذكره المؤلف ثانية في اخبار سنة ٥١٢ وبعدما تولى خلافه بلدوين الثاني صاحب الرها انظر حول هذا كله تاريخ وليم الصوري ـ بالانكليزية ١ ٥١٤ ـ ٥٢٢ الكامل لابن الاثير ٨ ٢٨٤
(٧٨) كذا في الاصل وهو وهم . فبرتران كان توفي سنة ٥٠٥ هـ ١١١٢ م وخلفه ابنه بونز وقد سبقت الاشارة الى ذلك انظر كتاب طرابلس الشام ١٤٩ ـ ١٥٢
(٧٩) حوت جيوش الفرنجة عدة نوعيات من الاسلحة تقدمها سلاح الفرسان الثقال من طبقة النبلاء الاقطاعية . وتلاهم السرجندية وهم رجالة ثقال كانت تجسدهم الكنائس والديرة وتدفق هذه المؤسسات عليهم . وغالبا ماكان السرجندية ضعف عدد الفرسان الثقال ومعد هؤلاء جاء الخيالة او الفرسان الخفاف التركبول ثم الرجالة العاديين والحجاج وكان الجزء الاكبر من الصنفين الاخيرين من المرتزقة افضل مصدر حول هذا الموضوع كتاب فن الحرب في الحروب الصليبية (بالانكليزية) تأليف ر سميل ط لندن ١٩٦٧
(٨٠) قتل في معركة قرب عفرين قادها ضده ايلغازي بن ارتق الكامل لابن الاثير ٧ ٢٨٨ ـ ٢٨٩
(٨١) هو الكسيوس كومنين افضل مصدر عنه كتاب الالكسياد لابنته الاميرة انا كومنينا
(٨٢) في الاصل كند هو الملك واضيف ما بين الحواصر كيما يستقيم السياق . هذا وسبق المؤلف ان ذكر وفاة بلدوين الاول في اخبار سنة ٥٠٨
(٨٣) اضيف ما بين الحاصرتين كيما يستقيم السياق
(٨٤) سبق للمؤلف ان اشار الى هذه الواقعة باختصار في اخبار السنة الماضية
(٨٥) كذا في الاصل ولم اجد بين المصادر من اتى على ذكر مجيء اسطول بحري يقوده كونت ما . او حتى قيام بلدوين الثاني او سواه من قادة الفرنجة بالشام بعمل بحري كل ما هنالك ان وليم

الصوري تحدث عن قدوم اسطول البندقية على راسه الدوج دومنجو ميشيلي الى ساحل يافا في سنة ٥١٧ هـ ١١٢٣ م اي بعد ثلاث سنوات . وكان بلدوين الثاني اسيرا آنذاك لدى الامير الارتقي بلك . وسيذكر ابن القلانسي هذا كله

(٨٦) ذكر المؤرخ السرياني المجهول بالتفصيل واقعة اسر جوسلين وقريبه جاليران وسجنهما في حصن زياد (خرتبرت) وروي انه عندما غادر بلك حصن زياد قال لجوسلين سوف اجلب الملك بلدوين ليكون معك ان شاء الله وهكذا كان بعد سنة

(٨٧) في الاصل الامير بدر الدولة بن ايل غازي بن ارتق وهو وهم فسليمان بن ايل غازي تسلم ميافارقين . انظر زبدة الحلب ٢ ٢٠٩ ـ ٢١٠ الكامل لابن الاثير ٨ ٣١١

(٨٨) كركر حصن بين سميساط وحصن زياد ـ خرتبرت أو خربوط معجم البلدان

(٨٩) في الاصل بالقرب من منظرة وقد الم بالجملة سقط وتصحيف . استدرك ذلك من زبدة الحلب ٢ ٢١١ حيث جاء فيه بالقرب من قنطرة سنجة وفي معجم البلدان سنجة نهر عظيم لايتهيأ خوضه لان قراره رمل سيال كلما وطئة الانسان برجله سال به ففرقة . وهو يجري بين حصن منصور وكيسوم وهما من ديار مضر . وعلى هذا النهر قنطرة عظيمة هي احدى عجائب الدنيا . وهي طاق واحد من الشط الى الشط

(٩٠) انظر الحاشية رقم ٤٩ المتقدمة

(٩١) كذا بالاصل . وهناك سقط بالرواية واضطراب . وذكر هذه الواقعة ابن العديم . زبدة الحلب ٢ ٢١٣ ـ ٢١٤ وسواه . إنما من الملاحظ ان معلومات المصادر العربية حول هذه الحادثة لاتفي بالغرض . ولحسن الحظ ان المؤرخ السرياني المجهول تحدث عنها باسهاب

(٩٢) اضيف ما بين الحاصرتين كيما يستقيم السياق

(٩٣) لم اجد هذا الموقع في المعاجم والمصادر الجغرافية .

(٩٤) لم اقف على ذكر لهذا الموقع في المتوفر من المصادر

(٩٥) كان هناك تحالف بين الحشيشية وسلطات دمشق . انتهى هذه السنة بصدام بين الطرفين وبتوجيه ضربة قاصمة للاسماعيلية

(٩٦) هو فولك صاحب انجو . زوج ميليسند اكبر بنات بلدوين الثاني انظر تاريخ وليم الصوري ٢ ٤٧ ـ ٥١

(٩٧) فراغ بالاصل . ويبدو ان ذلك حصل في أواخر ذي القعدة حيث جاء في الكامل لابن الاثير ٨ ٣٢٩ ووصل الفرنج في ذي الحجة فنازلوا البلد . وارسلوا الى اعمال دمشق لجمع الميرة والاغارة على البلاد

(٩٨) ذكر ياقوت اكثر من موقع يحمل هذا الاسم واكتفى عند احدها بقوله موضع بالشام . وبناء على معطيات المصادر العربية مع وليم الصوري . فان موقع براق هو في حوران . بعد منطقة مرج الصفر حيث كان معسكر الفرنجة . وفي منطقة أزرع التابعة لمحافظة درعا قرية ما تزال تحمل اسم براق . من المرجح انها المقصودة . وتبعد براق هذه عن درعا مسافة ١١٢ كم وعن ازرع ٨٢كم وعن مركز ناحية الصمية ٢٠ كم انظر التقسيمات الادارية في الجمهورية العربية السورية ط دمشق ١٩٦٨ . ص ٥٠

(٩٩) هو وليم دي بري كان يمتلك موقعا على مقربة من صور قاد حسب وليم الصوري ٤٠ ـ ٤٢ . أكثر من الف من الفرسان انطلق بهم من مرج الصفر حيث كان معسكر الفرنجة . وقد وصف وليم مقتل هؤلاء الفرسان ثم هزيمة جيوش الفرنجة واحوال المناخ السيء آنذاك . ومع هذا تبقى معلومات ابن القلانسي اكثر دقة واوفى بالتفاصيل

(١٠٠) قال ياقوت زردنا بليدة من نواحي حلب الغربية . ويجعل كل من ابن الاثير في كتابه الباهر ٣٩ ـ ٤١ . والمؤرخ السرياني المجهول العملية احتلال لزردنا من قبل زنكي . انما مع اختلاف في التاريخ

(١٠١) هو محمد بن غازي خلف اباه سنة ٥٢٠ هـ ١١٢٦ م حسب رواية المؤرخ السرياني وفي

الكامل لابن الاثير ٨ ٢٤٤ قال في اخبار سنة ٥٢٨ ـ في هذه السنة اوقع الدانشمند صاحب ملطية بالفرنج الذين بالشام . فقتل كثيرا منهم . ولم يذكر لا ابن الاثير ولا سواه الايقاع بفرنجة قادمين من القسطنطينية

(١٠٢) هو سيف الدين سوار من كبار قادة اتابك زنكي انظر زبدة الحلب ٢/٢٥١ . والحادث عنده سنة ٥٢٦ هـ

(١٠٣) هو دوبز بن برتران ـ انظر طرابلس الشام في التاريخ الاسلامي ١٥١

(١٠٤) اضيف ما بين الحاصرتين كيما يستقيم السياق . انظر الكامل لابن الاثير ٨ ٢٤١

(١٠٥) بعرين الآن احدى قرى محافظة حماه . تابعة لمنطقة مصياف . وهي تبعد عن مدينة حماه ٢٤ كم وعن بلدة مصياف ١٧ كم التقسيمات الادارية في الجمهورية العربية السورية ١٤٤

(١٠٦) في ياقوت هي احدى قرى جبل السماق من اعمال حلب

(١٠٧) ذكر بعضهم ابن العديم في زبدة الحلب ٢ ٢٥٢

(١٠٨) كذا بالاصل ولم اهتد الى هذا الموقع

(١٠٩) كذا بالاصل . والنقرة موقع خارج حلب . وقد اكتفى ابن العديم في زبدة الحلب ٢ ٢٥٢ بالقول . وتحول الفرنج الى النقرة فصابحهم سوار والعسكر فاوقعوا بسرية منهم فقتلوهم وعادوا برؤوسهم واسرى منهم

(١١٠) اضيف ما بين الحاصرتين توضيحا . انظر زبدة الحلب ٢ ٢٥٢

(١١١) كذا وهذا فيه بعض البعد عن الاصل جون ـ اويوحنا

(١١٢) هو . ليو بن رافين انظر صفحات من تاريخ الأمة الارمنية . ١٣٥ ـ ١٣٧

(١١٣) هو ريموند بن كونت بويتو انظر تاريخ وليم الصوري (بالانكليزية) ٢ ٥٩

(١١٤) لعله الحصن الذي نال اسم يحمور فاسمه بالافرنجية الحصن الاحمر انظر القلاع ايام الحروب الصليبية ط ١ دمشق ١٩٨٢ (ترجمة لكتاب فولفغانغ مولر ـ فينر) ص ٦٤ طرابلس الشام ١٥١ ـ ١٥٢

(١١٥) يريد به صلاح الدين محمد الياغيسياني انظر كتاب الباهر ٣٤

(١١٦) مع وضوح المعنى يبدو ان هناك سقط بالسياق

(١١٧) فولك اوف انجو

(١١٨) انظر الكامل لابن الاثير ٨ ٣٥٧ ـ ٣٥٨ وليم الصوري ٨٥ ـ ٩١

(١١٩) مازالت تعرف بهذا الاسم في منطقة طرابلس في لبنان

(١٢٠) كذا بالاصل . وهو مضطرب ويمكن ان يكون صوابه . في عسكره عن شيزر الى ناحية بعرين فالامبراطور البيزنطي حاصر شيزر . وهذا ما سيفصل خبره المؤلف بعد قليل . وهو ما اتت على ذكره جميع المصادر . هذا وسيشير المؤلف ايضا انه بعد عودة الامبراطور الى انطاكية . بعد ما اخفق في اخذ شيزر توجه من انطاكية نحو بزاعة حيث اخذها

(١٢١) كان قوام الجيوش البيزنطية من المرتزقة . وشكل الخزر الاتراك قسما كبيرا من هؤلاء المرتزقة

(١٢٢) اضيف ما بين الحاصرتين كيما يستقيم السياق

(١٢٣) المصاع الجلاد والضراب النهاية لابن الاثير

(١٢٤) انظر زبدة الحلب ٢ ٢٧٧

(١٢٢٥) ذكر المؤرخ السرياني المجهول ان الامبراطور وصل الى طرطوس . ومعه جيش كبير . واخذ يعد الترتيبات لغزاة كبرى في سورية . واثناء ذلك خرج الى الصيد فاصيب ذراعه بجراح سبب له تورما شديدا دعا الى وفاته بعد ايام وقد قاد هذا الى عودة الجيش الى القسطنطينية

(١٢٦) هو فولك اوف انجو . آل الحكم بعد وفاته الى ولده بلدوين الثالث مع امه ميليسند انظر تاريخ وليم الصوري ١٣٦ ـ ١٤٠

(١٢٧) انظر زبدة الحلب ٢ / ٢٧٧ ـ ٢٧٨ .
(١٢٨) عين زين الدين علي كوجك صاحب اربيل وشهر زور حاكما على الرها . هذا ما ذكره المؤرخ السرياني المجهول .
(١٢٩) اورد ابن الاثير في كتابه الباهر تفاصيل عظيمة عن حوادث الموصل الانقلابية ضد زنكي ٧١ ـ ٧٢ .
(١٣٠) الم بالنص سقط لم اتمكن من جبره من المصادر العربية المتوفرة ، وقد تحدث المؤرخ السرياني ان احد قادة جوسلين صاحب الرها . واسمه روبرت السمين قام بعدما انضم اليه عدد من قادة الفرنج بالتوجه نحو البيرة لمساعدتها فنال عظيم الاخفاق .
(١٣١) في الأصل « وترحيلهم » وهو تصحيف صوابه ما اثبتنا .
(١٣٢) لم اجدها في المصادر الجغرافية .
(١٣٣) هو « يوسف بن دوناس بن عيسى ، ابو الحجاج المغربي ، الفقيه المالكي ... قدم الشام ، وسكن بانياس مدة وانتقل الى دمشق فاستوطنها . ودرس بها بمذهب مالك ، وحدث بالموطأ وغيره ... وكان شيخا حسن المفاكهة ، حلو المناظرة ... كريم النفس مطرحا للتكلف ، وقوي القلب ، صاحب كرامات » . مرآة الزمان ١ / ٢٠٠
(١٣٤) في الاصل « العطاير » وهي تصحيف لعل صوابها ما اثبتنا .
(١٣٥) كانت هذه السهام تطلق من قسي خاصة ، قوية وبعيدة المدى ، وغالبا ما كانت تحمل مواد ملتهبة من النفوط وغير ذلك . انظر مادة جرخ في معجم دوزي ١ / ١٨٢ ، وتنتع الدم خرج من الجرح . القاموس .
(١٣٦) جمع يعقوب وهو الحجل . القاموس المحيط .
(١٣٧) الاين : الاعياء والتعب . النهاية لابن الاثير .

(١٣٨) وصف سبط ابن الجوزي احوال دمشق في اواخر ايام الحصار بقوله : « ولما ضاق باهل دمشق الحال اخرجوا الصدقات بالاموال على قدر احوالهم ، واجتمع الناس في الجامع مع الرجال والنساء والصبيان ، ونشروا مصحف عثمان ، وحثوا الرماد على رؤوسهم ، وبكوا وتضرعوا ، فاستجاب الله لهم ، فكان للفرنج قسيس كبير ، طويل اللحية ، يقتدون به ، فأصبح في اليوم العاشر من نزولهم على دمشق ، فركب حماره ، وعلق في عنقه صليبا ، وجعل في يديه صليبين ، وعلق في عنق حماره صليبا ، وجمع بين يديه الاناجيل والصلبان ، والكتب والخيالة والرجالة ، ولم يتخلف من الفرنجية احد الا من يحفظ الخيام ، وقال لهم القسيس : قد وعدني المسيح انني افتح اليوم .
وفتح المسلمون الابواب . واستسلموا للموت ، وغاروا للاسلام ، وحملوا حملة رجل واحد . وكان يوما لم ير في الجاهلية والاسلام مثله . وقصد واحد من احداث دمشق القسيس ، وهو في أول القوم . فضربه فأبان راسه ، وقتل حماره . حمل الباقون . فانهزم الفرنج ، وقتلوا منهم عشرة الاف ، واحرقوا الصلبان والخيالة بالنفط . وتبعوهم الى الخيام ، وحال بينهم الليل ، فاصبحوا قد رحلوا ، ولم يبق لهم اثر » . مرآة الزمان : ١٩٨ ـ ١٩٩ .
(١٣٩) فراغ بالاصل ، استدراك من الكامل لابن الاثير : ٩ / ٢١ . والعريمة كانت احدى قلاع الساحل السوري تربض فوق جرف يتاخم السهل العريض الذي يجتازه النهر الكبير ، وتتحكم بمدخل وادي الابرش ، القلاع ايام الحروب الصليبية . ٦٥ . وتمت الحملة ضد العريمة بناء على اقتراح من ريموند الثاني صاحب طرابلس نظرا لاحتلال العريمة من قبل ارملة الفونسو صاحب تولوز وابنه ، وكان هذا الابن حفيدا لريموند صاحب تولوز ولهذا ادعى الحق ليس في ملك العريمة فحسب بل في عرش طرابلس . انظر وليم الصوري . ٢ / ١٩٧ . وكتاب « الصليبيون في المشرق » تأليف ستيفنسون . ط . بيروت ١٩٦٨ (بالانكليزية) ص : ١٦٤ ـ ١٦٥ .
(١٤٠) ذكر سبط ابن الجوزي أثناء حديثه عن حصار دمشق : ٢ / ١٩٧ ـ ١٩٨ « وكان معين أنر كاتب سيف الدولة غازي صاحب الموصل قبل نزول الفرنج على دمشق ، يستصرخ به ويخبره

دشدة باس الفرنج . ويقول ادركنا عسار سيف الدين في عشرين الف فارس . مرل بجوار بحيرة حمص

(١٤٣) فراغ في الاصل والسبت يقابل العاشر من صفر . ذلك ان ابن القلانسي دفسه وابن العديم في كتاب زبدة الحلب ٢ ٢٩٨ اوردا ان نور الدين اشتبك مع الفرنجة يوم الاربعاء حادي وعشرين من صفر انظر ايضا الكواكب الدرية ١٣٠

(١٤١) انظر الخبر مفصلا في الكواكب الدرية في السيرة النورية لابن قاضي شهبه ط بيروت ١٩٧٢ ١٣٠ الروضتين ط مصورة بيروت ١ ٥٥

(١٤٢) في الاصل الدرك وهو تصحيف صوابه ما اثبتنا . واليزك نوع من الحرس الطليعي الجيش انظر المائة في معجم دوزي

(١٤٣) فراغ في الاصل . وا ...ت يقابل العاشر من صفر . ذلك ان ابن القلانسي دفسه وابن العديم في كتاب زبدة الحلب ٢ ٢٩٨ اوردا ان نور الدين اشتبك مع الفرنجة يوم الاربعاء حادي وعشرين من صفر انظر ايضا الكواكب الدرية ١٣٠

(١٤٤) حصن من اعمال عزار في جهات حلب ياقوت

(١٤٥) هو ريموند امير انطاكية . استمر في حكمه ثلاث عشرة سنة وقد خلف وراءه زوجته كونستانس مع اربعة اولاد ذكرين وابنتين تاريخ وليم الصوري ٢ ١٩٨ - ٢٠٠ الباهر ٩٨ - ١٠٠

(١٤٦) اضيف مابين الحاصرتين من الروضتين ١ ٥٨ . حيث نقل من ابن القلانسي وهو خبر اورده وليم الصوري في تاريخه ١٩٩ - ٢٠٠

(١٤٧) خارج دمشق تعرفان بهذين الاسمين

(١٤٨) في الاصل معه

(١٤٩) صوح النبات اذا يبس وتشقق النهاية لابن الاثير

(١٥٠) هو الملك مسعود بن قلج ارسلان صاحب قونية وكان نور الدين زوجا لابنته انظر زبدة الحلب ٢ ٣٠١

(١٥١) اضيف ما بين الحاصرتين من زبدة الحلب ٢ ٣٠٢ . حيث تحدث عن سقوط عدد من الحصون لنور الدين . وفي معجم البلدان تل خالد . قلعة من نواحي حلب

(١٥٢) في الاصل واجتماعهم ثم تقاطع عليهم وقد زيد ما بين الحاصرتين وقومت العبارة من الروضتين ١ ٩٠

(١٥٣) كان والي دمشق انداك ايوب بن شادي والد صلاح الدين . ومفيد ان نشير انه في هذه السنة التحق صلاح الدين بعمه اسد الدين فقدمه الى نور الدين الروضتين ١ ٨٣ ٨٤

(١٥٤) في الاصل وعادوا والتقويم من الروضتين ١ ٨٦ حيث الرواية عن ابن القلانسي

(١٥٥) لم اجده في المصادر الجغرافية وسواها

(١٥٦) يروي المقريزي دخول طلائع الى القاهرة ويذكر واما عباس فانه سار بمن معه يريد ايلة ليسير منها الى بلاد الشام فارسلت اخت الظافر الى الفرنج بعسقلان رسلا على البريد تعلمهم الحال . وتبذل لهم الاموال في الخروج الى عباس . واباحتهم ما معه . وان يبعثوا به الى القاهرة . فاجابوا الى ذلك اتعاظ الحنفا ٣ ٢١٥ - ٢٢٠

(١٥٧) في الاصل وهي صفر وهي تصحيف قوم من الروضتين ١ ٩٩ حيث رواية ابن القلانسي

(١٥٨) فراغ بالاصل . وقد اتى المقريزي على ذكر هذا الخبر دون ان يذكر اسم هذا الامير او المقدم وانما كان هو الامير الاوحد بن تميم انظر اتعاظ الحنفا ٣ ٢٢٤

(١٥٩) القران الكريم - المائدة ٣٣ ٥

(١٦٠) القران الكريم - الشعراء ٢٢٧

(١٦١) فرسان خفاف غالبا ما كانوا من المرتزقة .

(١٦٢) أضيف ما بين الحاصرتين من الروضتين ٠ ١ ١٣٠ .

(١٦٣) فراغ بالاصل ، وحين روى صاحب الروضتين ١ ١٣٠ الخبر عن ابن القلانسي اختصر نهايته فلم يذكر تاريخ عودة نور الدين الى دمشق .

(١٦٤ (في الأصل ، محمود الولد من ناحية مصر بجواب ما تحملنا ، وقد اصاب بعض العبارات تصحيف تم تقويمه من الروضتين : ١ ، ١٢١ . وكان المسترشدي رسول نور الدين ، وبصحبته الامير عز الدين ابو الفضل غسان بن محمد بن جلب وقد جهز الملك الصالح ، رسول محمود بن زنكي بجواب رسالته ، ومعه هدية منها من الأسلحة وغيرها ما قيمته ثلاثون الف دينار ومن العين ما مبلغه سبعون الف دينار تقوية له على جهاد الافرنج ، . اتعاظ الحنفا : ٣ ، ٢٣٣ _ ٢٣٦ .

(١٦٥) في الاصل : الاعمال ، والتقويم من الروضتين : ١ ١٢٢ .

(١٦٦) في الاصل :، وبغال ، وهي تصحيف صوابه من الروضتين . ١ ١٢٣

حواشي العظيمي

(١) كذا في الاصل وقد ذكر ابن القلانسي · ٣٠٦ ـ الخبر فلم يذكر شمس الخواص وإنما بين أنه تسلمها من الفرنج ·

٢) في الاصل قلعة نادر وهو وهم والتصويب من ترجمة الب أرسلان بن رضوان الموجودة ضمن نصوص هذا الكتاب .

(٣) زيد مابين الحاصرتين من تاريخ دمشق لابن القلانسي ٣٢٩

(٤) فراغ الاصل ، وفي تاريخ دمشق لابن القلانسي · ٣٣٥ « ولما عرف ظهير ذلك انهض الى حماة من تسلمها ، وتولى أمرها من ثقاته » .

(٥) بياض بالأصل ، وقدر مابين الحاصرتين من سياق الخبر .

(٦) في الاصل : حلب وهو تصحيف صوابه ماأثبتنا ـ انظر تاريخ دمشق . ٣٦١ ـ ٣٦٢ .

(٧) فراغ بالأصل والاضافة من تاريخ دمشق لابن القلانسي ٤١٢ ـ ٤١٦

(٨) كذا في الاصل ، والعبارة أقوم بدون أداة التعريف ، وقدس هي منطقة بحيرة قطينة خارج حمص ومعروف أن اسمها في العصور القديمة (قدش أو قادش) .

(٩) الامير حذش قراقش من أمراء زنكي ، سيرد ذكره في ترجمة زنكي

حواشي ابن الازرق الفارقي

(١) بداية الجزء غير المنشور من كتاب تاريخ ميافارقين .
(٢) انظر تفاصيل ذلك في كتابي مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية - ط دمشق ١٩٧٥ ص ١٩٢ - ١٩٥
(٣) جاء سنة ١٠٨٦ . انظر تفاصيل الخبر في كتابي مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية ص ٢٠٢ - ٢٠٥
(٤) كذا جاء رسم هذا الاسم في الأصل المخطوط والرائج رسمه «ايلغازي»
(٥) غياث الدين محمد (٤٩٨ - ٥١١ ١١٠٥ - ١١١٨ م) .
(٦) استقر في خراسان وحكم اطول مدة بين أبناء ملكشاه (٥١١ - ٥٥٢ ١١١٨ - ١١٥٧ م) .

(٧) بلد مدينة قديمة على دجلة فوق الموصل بينهما سبعة فراسخ . معجم البلدان ، وشمس وهو شمس الدولة التاش.انظر تاريخ ميافارقين ط . القاهرة ١٩٥٩ ص ٢٦٩ . الاعلاق الخطيرة لابن شداد - قسم الجزيرة ط . دمشق . ١٩٧٨ ج ٢ ص ٤١٦
(٨) لتفاصيل أوفى انظر الاعلاق - قسم الجزيرة . ٢ . ٤٢٨ - ٤٢٩ . ومصدر ابن شداد الرئيس هو كتابنا هذا الذي نحققه .
(٩) اي الخيم
(١٠) أرزن مدينة معروفة قرب خلاط ، وكانت أعمر مدن ارمينية . معجم البلدان
(١١) اسم مدينة مشهورة بديار بكر . معجم البلدان .
(١٢) أوفى التفاصيل في نصوص ابن العديم المنتزعة من كتابي بغية الطلب وزبدة الحلب .
(١٣) من جورجية في الاتحاد السوفييتي السابق ، وصفها ياقوت بأنها ازلية تقع قرب باب الابواب دربندر .
(١٤) ويقال لها كنجة ايضا وهي الآن في القوقاز في الاتحاد السوفييتي السابق اسمها جلزوفسكا ،على مقربة من تفليس.الاعلاق الخطيرة - قسم الجزيرة : ٢ ; ٨٢٧ .

(١٥) أي ملك جورجيا .
(١٦) انظر ترجمته الوافية المنتزعة من كتاب بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم
(١٧) بدليس الآن في تركيا قريبة من بحيرة وان على مقربة من خلاط
(١٨) هي الآن من مدن الاتحاد السوفيتي السابق بقرب تفليس منها جاءت الأسرة الايوبية .

(١٩) الخدمة هنا ضريبة الرؤوس السنوية ،مثل الجزية .
(٢٠) يرسم هذا الاسم « مودود » ، وكان الأمير مودود أميرا على الموصل ، قدم إلى بلاد الشام لتقديم العون في القتال ضد الفرنجة ، واغتيل بجامع دمشق من قبل الحشيشية .
انظر تاريخ دمشق لابن القلانسي تحقيقي - ط . دمشق ١٩٨٢ ص ٢٩٨ - ٢٩٩ (حوادث سنة ٥٠٧) وأوضح ابن القلانسي انه دفن « في مشهد داخل باب الفراديس من دمشق » .
(٢١) من قرى ميافارقين ، الاعلاق الخطيرة - قسم الجزيرة : ٢ / ٧٥٧ .
(٢٢) كذا والرسم الاشهر طغتكين ، ظهير الدين مؤسس الدولة البورية ، أو اتابكية دمشق ، وخير مصدر حول حكمه تاريخ دمشق لابن القلانسي .
(٢٣) من أبواب مدينة ميافارقين - الاعلاق الخطيرة - قسم الجزيرة : ٢ ; ٧٦٣ .

(٢٤) رضوان بن تتش ، انظر ترجمته المنتزعة من بغية الطلب وماكتبت حول حكمه في كتابي مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية ص ٢٣١ ـ ٢٤٨

(٢٥) خرتبرت أو حصن زياد ، في أقصى ديار بكر بينه وبين ملطية الفرات وبينهما مسيرة يومين معجم البلدان

(٢٦) حزة موضع بين نصيبين ورأس العين معجم البلدان

(٢٧) لمزيد من التفاصيل انظر تاريخ دمشق لابن القلانسي ص ٢٢٣ ـ ٢٢٥ مع مناقشة رواية قتله من قبل الحشيشية

(٢٨) يرد رسم هذا الاسم أحيانا . ختلغ .

(٢٩) قلعة عظيمة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر معجم البلدان الاعلاق الخطيرة قسم الجزيرة ١ ٤٧

(٣٠) فراغ بالأصل

(٣١) أي مالا وهدايا خاصة من الخلع

(٣٢) كذا بالأصل ، والأفضل ، وربما الأصح ، ووقع له .

(٣٣) بلدة قرب أخلاط عندها وقعت المعركة الحاسمة سنة ٤٦٣ هـ ١٠٧١ انظر كتابي مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية ص ١٤٥ ـ ١٥١

(٣٤) أوفى التفاصيل لدى ابن القلانسي ص ٣٥١ ـ ٣٥٦

(٣٥) في زبدة التواريخ الحسيني ـ ط لاهور ١٩٣٣ ص ١١٤ سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة

(٣٦) لمزيد من التفاصيل انظر كتاب الباهر لابن الأثير ـ ط القاهرة ١٩٦٣ ص ٣٨ ـ ٣٩

(٣٧) قلعة حصينة قرب جزيرة ابن عمر معجم البلدان

(٣٨) لم يرد ذكرهما لدى ياقوت . ولم يتوصل محقق الأعلاق الخطيرة ـ قسم الجزيرة ٢ ٨٢٠ ، ٨٢٣ إلى رأي حاسم حول التعريف بهما أو ضبطهما

(٣٩) في هذا اشارة إلى انشطار الدعوة الاسماعيلية بعد وفاة المستنصر إلى نزاريه ومستعلية . وإلى أن الذين حكموا بعد الأمر لم يكونوا أئمة

(٤٠) لم أجده بهذه الصيغة

(٤١) ويقال لها سعرت ، وأسعرت ، وسعرد وسعرذ ، مدينة في تركية بالقرب من شط دجلة تبعد عن ميافارقين مسيرة يوم الأعلاق الخطيرة ـ قسم الجزيرة ٢ ٧٥٥

(٤٢) باهمرد أو بهمرد احدى قلاع ديار بكر الأعلاق ـ المصدر نفسه ٢ ٨٢٠

(٤٣) سرجة حصن بين نصيبين ودنيسر ودارا معجم البلدان

(٤٤) انظر ترجمته المنتزعة من بغية الطلب لابن العديم

(٤٥) قرية بهستون بين همذان وحلوان . وجبل بهستون عال مرتفع ممتنع أملس كأنه منحوت معجم البلدان

(٤٦) أطلق اسم الملاحدة على أتباع الدعوة الاسماعيلية الجديدة في خراسان

(٤٧) أعظم بلاد أذربيجان وأشهرها معجم البلدان

(٤٨) زندرود . نهر مشهور عند أصبهان . معجم البلدان

(٤٩) جماعة من أرمن المناطق الجبلية ورد ذكرهم أكثر من مرة لدى ميخائيل السوري

(٥٠) قلعة حصنية في الجبال قرب ماردين معجم البلدان
(٥١) انظر الاعلاق الخطيرة ـ قسم الجزيرة ٢ ٤٣٨
(٥٢) مدينة في تركية الآن ، هي من مدن ديار بكر الاعلاق الخطيرة ـ قسم الجزيرة ٢ ٨٠٨
(٥٣) زيد مابين الحاصرتين من الاعلاق الخطيرة ـ قسم الجزيرة ٢ ٤٣٦ حيث ينقل عن الازرقي
(٥٤) جبل جور أحد حصون ديار بكر ، ويقع حصن القرنين إلى الشمال من ميافارقين حيث منبع دجلة ، والسيوان قرب ماردين
انظر الأعلاق الخطيرة ـ قسم الجزيرة ٢ ٧٧٦ ، ٧٨٣ ، ٨٠٤
(٥٥) قلعة وبليدة شمالي ميافارقين ، تسميها العامة انطاخ . اللؤلؤ المذثور للبطريرك اغناطيوس افرام الأول ـ ط حلب ١٩٨٧ ص ٥٢٠
(٥٦) كذا بالأصل تداخل خبر تملك زنكي الرقة وسيره إلى دمشق مع أخبار قلعة جعبر ، لذلك وضعت أخبار زنكي بين حاصرتين

(٥٧) درن هو الأطلس الكبير
(٥٨) كذا بالأصل وهو وهم ، والمعني هنا البشير عبد الله بن محسن الونشريسي ، ثم إن المعلومات عن عبد الله بن ماوية ليست سليمة انظر أخبار المهدي البيذق ـ ط الجزائر ١٩٧٤ ص ٨ ، ١٥ ، ٤٤ ، ٦٤ ، ٦٨ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٨٥ ، ١٥٥ ، ١٧١ ، ١٧٩
(٥٩) كذا وهو وهم لم تذكره المصادر الموحدية ـ انظر الحلل الموشية ـ ط الدار البيضاء ١٩٧٩ ص ١٤٢ ـ ١٥٧
(٦٠) بزاعة بلدة من أعمال حلب في وادي بطنان معجم البلدان
(٦١) لم أقف لهذه القلعة على ذكر في مصدر آخر
(٦٢) قارن بما جاء في الباهر لابن الأثير ص ٦٦ والأعلاق الخطيرة ـ قسم الجزيرة ٢ ٤٣٩ .

(٦٣) تل بسم أو بسمة بلد من نواحي ديار ربيعة شمالي غربي ماردين اللؤلؤ المنثور ٥ ـ ٥
(٦٤) في الأعلاق الخطيرة ـ قسم الجزيرة ٢ ٤٣٩ « دخل على حبشي في خيمته مؤمل الشافعي ، ومحمد بن أبي المكارم وقتلاه » ومصدر ابن شداد هنا هو كتابنا هذا
(٦٥) جامع في ميافارقين أقامه نصر الدولة المرواني الاعلاق الخطيرة ـ قسم الجزيرة ٢ ٧٧٥
(٦٦) بالو احدى قلاع ديار بكر الاعلاق ـ المصدر نفسه ٢ ٨٢٠
(٦٧) انظر الأعلاق ـ المصدر نفسه ٢ ٤٤٠
(٦٨) تاج الدولة تتش بن الب ارسلان وتعرضنا لحكمة من قبل في الجزء الأول من المدخل
(٦٩) البيرة الآن في تركية اسمها بيرجك على مقربة من سميساط على الفرات
(٧٢) قلعة باغين احدى قلاع ديار بكر الاعلاق ـ المصدر نفسه ٢ ٨٢٠
(٧٣) تصحف هذا الخبر في الاعلاق ٢ ٤٤٠ ـ ٤٤١ بحيث اصبح جسر القرمان بالقيطوم ، بتولي الزاهد ابي الحسن علي ، وأسس قواعده من الجانبين ، فجاء المد فهدمه لضعف عمله ، فالزم الزاهد الغرامة ، ثم وليه سيف الدين شيباريك مودود بن علي بن أرتق
(٧٤) هناك مزيد من التفاصيل في ترجمة زنكي المنتزعة من بغية الطلب .
(٧٥) جميع هذه المواقع من اعمال ما بين ديار مضر وديار بكر على مقربة من حران الاعلاق ٢ ٧٧٩ ، ٨٣٧
(٧٦) هذه المواقع قرب نصيبين اللؤلؤ المنثور ٥١٧
(٧٧) كذا بالاصل وفي العبارة غموض ووهم فقد توفي الحافظ سنة ٥٤٤ هـ ١١٤٩ وولي

الامر من بعده ولده الاصغر ابو منصور اسماعيل بن عبد المجيد الحافظ . ولقب بالظافر بالله وولي الوزارة امير الجيوش ابو الفتح بن مصال المغربي . تاريخ دمشق لابن القلانسي ٤٧٨ وفي شعبان من السنة نفسها خلع الظافر الوزارة على . امير الجيوش ، شرف الاسلام ، كافل قضاة المسلمين ، وهادي دعاة المؤمنين العادل المظفر ابو الحسن علي بن اسحق السلار ،وكان من اصل كردي من الزرزارية الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي لمحمد حمدي المناوي ط القاهرة ١٩٧٠ ص ٢٨٢ _ ٢٨٤

(٧٨) الخدمة هنا تقديم مبلغ من المال لنيل الوظيفة المطلوبة

(٧٩)نسبة الى الخليفة الفاطمي الآمر (٤٩٥ _ ٥٢٤ هـ ١١٠١ _ ١١٣٠م)

(٨٠) مدينة بين اربل وبغداد معروفة معجم البلدان

(٨١) انظر الباهر ٩٢ _ ٩٣

(٨٢) مدينة كبيرة من مدن البيرة في الاندلس . معجم البلدان

(٨٣) كركر او جرجر حصن وبلدة قرب ملطية بين سميساط وحصن زيادغربي الفرات اللؤلؤ المنثور ٥١٨

(٨٤) قلعة حصينة وبلد غربي الفرات مقابل البيرة ، وكان اسم القلعة زوغما اللؤلؤ المنثور ٥١٨

(٨٥) كذا تكرر بالاصل

(٨٦) قرية مشهورة على عشرة فراسخ من بغداد معجم البلدان

(٨٧) انظر الباهر ٤٣ _ ٤٥

(٨٨) تقدم الحديث حول بناء هذا الجسر ص ٢٦

(٨٩) انظر ابن القلانسي ٥٠٦ _ ٥٠٧ الكامل لابن الاثير ط القاهرة ١٣٤٨ هـ ٩ ٤٣ اتعاظ الحنفا للمقريزي _ ط القاهرة ١٩٦٧ ٣ ٢١٥ _ ٢٢٠

(٩٠) ارجيش مدينة قرب اخلاط . ولم اقف لبركري على ذكر آخر . ونوشهر اسم لنيسابور ونواحيها . ولم أقف لفطور هذه على ذكر، وخوي بلد من اعمال اذربيجان ، ومرند من مشاهير مدن اذربيجان بينها وبين تبريز يومان . ولم يذكر ياقوت زنكنان معجم البلدان وباتت الري ضاحية لطهران فيها بعض المعالم التاريخية

(٩١) هي أني بين خلاط و كنجة ،معجم البلدان .

(٩٢) كانت اليهم رئاسة المدينة بدمشق انظر الوزير والرئيس في مدن الشام في العصر السلجوقي لاكسد هافمان _ مجلة الاجتهاد ، العدد السادس ، بيروت ١٩٩٠ ص ٢١٠ _ ٢١٤

(٩٣) سرماري قلعة وولاية واسعة بين تفليس وخلاط معجم البلدان

(٩٤) بلدة في شمال ديار بكر الاعلاق ٢ ٨١٩ اللؤلؤ المنثور ٥٠٤

(٩٥) دمانس) مدينة من نواحي تفليس معجم البلدان

(٩٦) ويقال لها نخجوان ايضا ، وهي بلد بأقصى اذربيجان معجم البلدان

(٩٧) الرس وادي في اذربيجان معجم البلدان

(٩٨) اي دولة ارمنية في كليكية

(٩٩) فراغ بالاصل ، ولايمكن الركون الى التواريخ المعطاة هنا ، ذلك أن سنجر أسر سنة ٥٤٨ هـ ١١٥٣ م

(١٠٠) وبقي في الاسر ثلاث سنوات هرب بعدها ، حيث وصل الى مرو ، وتوفي فيها عام ٥٥٢ هـ ١١٥٧ م انظر كتابي تاريخ العرب والاسلام . ط بيروت ١٩٧٥ ص ٣٣٤ _ ٣٣٥

(١٠١) شاتان قلعة بديار بكر . معجم البلدان

(١٠٢) حصن طالب قلعة مشهورة قرب حصن كيفا معجم البلدان

(١٠٣) دوين بلدة من نواحي اران في آخر حدود اذربيجان معجم البلدان

(١٠٤) كبس الحفرة طمها ، وكبس رأسه في جيب قميصه أدخله فيه . أساس البلاغة
(١٠٥) قلعة شمشكازاك او جمشكازاك كانت من جملة قلاع ديار بكر ، وفي معجم البلدان شمشكازاد قلعة ومدينة بين آمد وملطية لها ورستاق ، وهي قرب حصن الران ، وواضح أن هذه المادة تصحفت في معجم البلدان أو هناك خطأ مطبعي انظر الاعلاق الخطيرة . ٢ ٨٢٣
(١٠٦) قرية غناء ذات عيون جارية وأشجار متدانية بين حلب وانطاكية . معجم البلدان .
(١٠٧) وترسم ايضا ، طنزة ، بلد بجزيرة ابن عمر من ديار بكر . معجم البلدان .
(١٠٨) ماكسين بلد بالخابور قريب من رحبة مالك بن طوق (الميادين حاليا) من ديار ربيعة . معجم البلدان
(١٠٩) لعله اراد محمد بن احمد ، ابو بكر الشاشي القفال الفارقي (٤٢٩ ـ ٥٠٧ هـ ١٠٣٧ ـ ١١١٤م) رئيس الشافعية بالعراق في عصره . الاعلام الزركلي .
(١١٠) عين يخرج منها نهر قصير في اطراف ميافارقين . الاعلاق .٢ ٨١٣
(٩٩) هي عند ياقوت ارزنجان . بلدة طيبة مشهورة نزهة من بلاد ارمينية قريبة من ارزن الروم

(١١١) سلف أن روى مؤلفنا هذه الواقعة بين حوادث سنة ٥٥٩ هـ
(١١٢) طمس بالاصل استدرك من مراة الزمان ١ ٢٧٠
(١١٣) سروج بلدة قريبة من حران من ديار مضر . معجم البلدان
(١١٤) مابين الحاصرتين مطموس بالاصل وقد استدركت ما قد يكون المقصود من مفرج الكروب ١ ١٨٥
(١١٥) سورة يوسف ـ الآية ٩٩
(١١٦) في حاشية الاصل ما يفيد انه في نسخة أخرى . الآن
(١١٧) موضع في طريق الشام من ناحية مصر معجم البلدان
(١١٨) لم يذكره ياقوت في معجم البلدان
(١١٩) سقط من الاصل ما لايقل عن ورقة ذلك ان بداية الورقة التالية تتحدث عن تتمة أخبار التوسع الايوبي في اليمن
(١٢٠) هي حيث المكتبة الظاهرية بدمشق الآن
(١٢١) تعرف الآن بهذا الاسم والرسم الافضل لاسمها . بارين .
(١٢٢) من التنظيمات الاسلامية المعادية للاسماعيلية التي ظهرت في هذه الفترة
(١٢٣) كلمة فارسية تعني تنبيه . تحذير كما وتعني أمن . أمان وتعهد
(١٢٤) على مقربة من حلب وكان هذا الموقع يعرف من قبل باسم الفنيدق
(١٢٥) هو نبع السريا الذي تشرب منه الشيخ مسكين حاليا في حوران سورية
(١٢٦) احدى حصون ديار بكر الاعلاق ٢ ٨٢١
(١٢٧) يعرف اليوم باسم دير محراي الوادي بجانب قرية دفعة في طريق حصن كيفا اللؤلؤ المنثور ٥١١
(١٢٨) ويقال له تل اعفر وتل يعفور بلدة في العراق على طريق سنجار الاعلاق ٢ ٧٧٣
(١٢٩) لعله يريد طور عبدين . وهي دلية من اعمال نصيبين الأعلاق ٢ ٨٠٩
(١٣٠) مع انتهاء المخطوط كثر الطمس في الورقة الاخيرة
(١٣١) قرع الطبول على باب الحاكم
(١٣٢) ارجح أنه سقط من أخر المخطوط اكثر من ورقة

حواشي البستان الجامع

(١) كذا والمراد هنا الكرج . وهناك تفاصيل مفيدة في نص ابن الازرق الفارقي المتقدم
(٢) أي امان ، أمان
(٣) رمح ذو سنين
(٤) سورة الاحزاب ـ الآية ٢١

المحتوى

٣٥٤ ـ سنة ثلاث واربعين وخمسمائة
٣٥٥ ـ سنة اربع واربعين وخمسمائة
٣٥٥ ـ سنة خمس واربعين وخمسمائة
٣٥٦ ـ سنة ست واربعين وخمسمائة
٣٥٦ ـ سنة سبع واربعين وخمسمائة
٣٥٦ ـ سنة ثمان واربعين وخمسمائة
٣٥٧ ـ سنة تسع واربعين وخمسمائة
٣٥٨ ـ سنة خمسين وخمسمائة
٣٥٨ ـ سنة احدى وخمسين وخمسمائة
٣٥٨ ـ سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة
٣٥٩ ـ سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة
٣٥٩ ـ سنة اربع وخمسين وخمسمائة
٣٦٠ ـ سنة خمس وخمسين وخمسمائة
٣٦٠ ـ سنة ست وخمسين وخمسمائة
٣٦١ ـ سنة سبع وخمسين وخمسمائة
٣٦٢ ـ سنة ثمان وخمسين وخمسمائة
٣٦٣ ـ سنة تسع وخمسين وخمسمائة
٣٦٣ ـ سنة ستين وخمسمائة
٣٦٤ ـ سنة احدى وستين وخمسمائة
٣٦٤ ـ سنة اثنتين وستين وخمسمائة
٣٦٧ ـ سنة ثلاث وستين وخمسمائة
٣٦٧ ـ سنة اربع وستين وخمسمائة
٣٦٨ ـ سنة خمس وستين وخمسمائة
٣٦٨ ـ سنة ست وستين وخمسمائة
٣٦٩ ـ سنة سبع وستين وخمسمائة
٣٦٩ ـ سنة ثمان وستين وخمسمائة
٣٧٠ ـ سنة تسع وستين وخمسمائة
٣٧٠ ـ سنة سبعين وخمسمائة
٣٧١ ـ سنة احدى وسبعين وخمسمائة
٣٧٢ ـ سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة
٣٧٢ ـ سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة
٣٧٣ ـ سنة اربع وسبعين وخمسمائة
٣٧٣ ـ سنة خمس وسبعين وخمسمائة
٣٧٣ ـ سنة ست وسبعين وخمسمائة
٣٧٤ ـ سنة سبع وسبعين وخمسمائة
٣٧٥ ـ سنة ثمان وسبعين وخمسمائة
٣٧٦ ـ سنة تسع وسبعين وخمسمائة
٣٧٧ ـ سنة ثمانين وخمسمائة
٣٧٧ ـ سنة احدى وثمانين وخمسمائة
٣٧٧ ـ سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة
٣٧٨ ـ سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة
٣٨٠ ـ سنة اربع وثمانين وخمسمائة

توطئة

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد الفراغ من تقديم النصوص غير العربية الاصل ، نشرع الآن بتقديم النصوص العربية التي كتبها عدد من المؤرخين العرب ، عاصر بعضهم احداث الحروب الصليبية ، وبعضهم الآخر لم يعاصرها غير انه نقل عمن تقدمه ، ويلاحظ ان مواد المؤرخين العرب لا تمثل من بعض الجوانب وجهة نظر المسلمين مما حدث فحسب بل فيها تفاصيل وروايات ليست متوفرة لدى غير العرب ، وعليه لايمكن لاي باحث الاستغناء مطلقا عما كتبه العرب ، ومن هنا الباب جاءت جل الكتابات المعاصرة حول تاريخ الحروب الصليبية فيها عيوب كثيرة ونقص مشوه بحكم ان جل الاوروبيين لايعرفون العربية ، ففي فرنسا عد غروسية أشهر المؤرخين الفرنسيين المعاصريين ممن بحث في تاريخ الحروب الصليبية ، وفي انكلترا عد رنسمان بالمرتبة نفسها ، والعجب العجاب انهما لايعرفان العربية ، واقتصرت استفادتهما من المصادر العربية على بعض الترجمات .

واهتم المؤرخون العرب بقدوم الفرنجة وبما أحدثوه ، ويروى أن حمدان بن عبد الرحيم الاثاربي صنف كتابا مفردا حول هذا الموضوع ، وهذا الكتاب بحكم المفقود ، لانعرف محتواه ولا منهج مصنفه .

وبعد عبد الرحيم ، او حتى في ايامه تحدث المؤرخون العرب عن الفرنجة واعمالهم ضمن منظومة اخبار الحوليات ، ولم يحاول ايا منهم السؤال : من اين جاء هؤلاء ، ولماذا قدموا ، وما هي أصولهم واوضاعهم الاجتماعية والسياسية وسواها ؟

لقد عالجوا اخبارهم منذ دخولهم الى بلاد الشام ضمن النسيج السياسي الشامي ، وليس في هذا قصور في الاهتمام انما اتباع لمنهج اعتادوا عليه ، فهكذا تعاملوا مع الغز والتركمان وسواهم .

في المصادر العربية مواد بالغة الاهمية ، يضاف إلى هذا إن المتمعن في ترييب الاخبار لاسيما كما ظهر فيما بعد لدى ابي شامة في الروضتين ، يمكن ان يتلمس معالم مدرسة عربية عالجت موضوع تاريخ الحروب الصليبية ، فمع أن أبا شامة أوقف كتابه — من حيث المبدأ — على الدوليتين النورية والصلاحية ، اهتم أولا وقبل كل شيء بماسلف ودعيته « مرحلة الموصل مع طور الاحتلال » ثم انبرى الحديث عن مرحلة حلب ونور الدين ، ثم مرحلة دمشق وصلاح الدين وقام اثر هذا بالتنييل على الروضتين ، اي بالحديث عن بدايات مرحلة القاهرة .

لقد عاصر أصحاب نصوص هذا المجلد بدايات قيام الحروب الصليبية وتطوراتها اللاحقة ، وخدم توزعهم الجغرافي في تقديم المزيد من التفاصيل والروايات ، وفي تبيان اصداء الوقائع والاحداث في البلدان العربية وسواها ، لاسيما بلاد الكرج « جورجيا » فقد فتح الجورجيون جبهة صليبية شرسة ، كان لها أعمق الآثار ، وقد لايكون المرء مغاليا اذا ما قال لولا هذه الجبهة لما وجد صلاح الدين .

استخرجت اول نصوص هذا المجلد من تاريخ دمشق لابن القلانسي « الرئيس الاجل مجد الرؤساء . ابو يعلى حمزة بن أسد ابن علي بن محمد التميمي » صاحب أقدم تاريخ لمدينة دمشق وصل الينا ، وكنت قد قمت بتحقيق هذا الكتاب ونشره في دمشق سنة ١٩٨٣ . وعاش ابن القلانسي في الفترة الممتدة ما بين ٤٧٠ — ٥٥٥ هـ / ١٠٧٧ — ١١٦٠م . عاش في دمشق ، وكان من كبار شخصياتها واعيانها ، فقد ولي ديوان المدينة اكثر من مرة ، والمعني هنا ديوان الانشاء ، لكنه لربما ولي ديوان الخراج ايضا .

وعاصر ابن القلانسي ما عرف باسم الحملة الصليبية الأولى والحملة الثانية ، وعاصره من الجانب اللاتيني وليم الصوري ، ولا شك أن رئاسته للديوان وصدارته وضعته وسط أخبار الوقائع والاحداث مع شيء من المشاركة ، ومكنته من الاطلاع على الوثائق الرسمية على مختلف انواعها وانماطها ، ولهذا رقت رواياته وموادة الى الدرجة الوثائقية العالية ، لكن وثائقية مثلث في كثير من الاحيان الموقف الرسمي او قامت بمداراة هذا الموقف ، وبتقديري أنه لولا هذا الموقف لكان بامكانه أن يودع كتابه أضعاف ما اودعه .

ولغة ابن القلانسي تدل على تمكنه وعلو ثقافته ، وهو وان شد عليه أهل عصره بالصنعة بالمترادفات ،الاانه لم يسرف في ذلك كما أسرف العماد الاصفهاني ، صاحب مواد المجلد المقبل . ومفيد ان أبين هنا أن مواد ابن القلانسي عن الحروب الصليبية سلف وأن ترجمت - لأهميتها - الى كل من الانكليزية والفرنسية ، وانما اعتمادا على أصل غير محقق بشكل علمي دقيق .

وكان ابن القلانسي بالدرجة الاولى مؤرخا دمشقيا ، أولى دمشق جل اهتمامه ، وركز على مواجهتهاالمملكة اللاتينية في القدس ، ثم على سوى ذلك ، وعاصر ابن القلانسي عدد من المؤرخين الحلبيين لم يقلوا شأنا عنه ، ولكن لسوء الحظ لم تصلنا مصنفاتهم ، بل عرفناها من خلال بعض النقول والمختصرات ، ونذكر من هؤلاء الحلبيين حمدان بن عبد الرحيم الاثاربي (ت ١١٤٧ م)وعلي بن عبد الله بن ابي جرادة (ت ١١٥١ م) ومحمد بن علي العظيمي (ت حوالي ١١٦١ م) .

وكان حمدان طبيبا وشاعرا كبيرا بالوقت نفسه ، عمل في الادارة الصليبية لمنطقة « الجزر » بين انطاكية وحلب ، كما عمل في ادارة زنكي ، وقد اوفده زنكي سفيرا عنه الى كل من أنطاكية ، ودمشق وبغداد ، والقاهرة ، حيث لقي الخليفة الفاطمي الآمر (١١٠١ - ١١٣٠ م) وكان حمدان مثله مثل اكثر أهل حلب شيعيا

اماميا ، ومع هذا فقد اتهمته أجهـزة القـاهرة بـأنه اسـمـاعيلي حشيشي ، والمهم هنا أن حياة حمدان في الشام الشمالي وأدواره قد زودته بمعلومات على درجة قصوى من الاهمية ، ولم يصلنا أي من كتب حمدان غير أننا سنطلع على بعض رواياته في نصـوص ابـن العديم في كتابه بغية الطلب .

وكان علي بن ابي جرادة صديقا لحمدان ، ينظم الشعر ، وله من الثقافة والمكانة الاجتماعية والدينية والسياسية ماأهله لشغل ادوار هامة وللاطلاع على معلومات ثمينة ، ولكن لسوء الحظ لم يصلنا أي من كتبه ، غير اننا سنتعرف على بعض مواد كتابه عن ملوك حلب في نصوص بغية الطلب للصاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن العديم ، واسرة آل أبي جرادة هي أسرة ابن العديم نفسها .

وكان العظيمي من كبار شخصيات حلب : شاعرا ومعلما ، وقد كتب اكثر من كتاب في التاريخ العام والخـاص ، أوقـف أحـدها ـ على الأقل ـ على تاريخ مـدينة حلب وبقيتهـا على التـاريخ الاسـلامي ألعام ،مع اهتمام خاص بحلب والشام الشمالي ، ووصلنا مما كتبه العظيمي كتاب مختصر واحد لعله هو الذي سـماه « الموصـل على الاصل المؤصل » ومن هذا الكتاب نسخة فريدة لايعـرف في العـالم سواها موجودة في مكتبة بايزيد في استانبول (رقم ٣٩٨) .

والنصوص المختارة من تاريخ العظيمي جاءت في آخـر الكتـاب ، وحوت ما عاصره لا ما نقله من المصادر ولهذا لها أهميتها ومكانتها العالية ، ومفيد أن أذكر أن ابن العديم أثبـت في كتـابه بغية الطلب نقولا واسعة من كتب العظيمي الأخرى .

ولئن عددنا ابن القلانسي صاحب أقدم كتاب تاريخ يصـلنا حـول دمشق ، فان ابن عساكر هو أهـم وأشـهر مـن أرخ لهـذه المدينة العريقة ، وابن عساكر هو أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله .

ولد في دمشق سنة ٤٩٩ هـ / ١١٥٠ م ، وكانت اسرتـه أسرة

اشتهرت في دمشق بالعلم والتقوى ، لذلك اقبل منذ صباه على العلم والتعلم ، فأخذ عن أهله ، وعن عدد كبير من شيوخ دمشق ، ولم يقتصر عمله على ذلك ، بل عمل على مراسلة علماء في العراق وخراسان ، وكان الجامع الاموي أهم المراكز التي تردد اليها ابن عساكر للسماع من الشيوخ والتزام حلقات تدريسهم ، وبالاضافة الى الجامع الاموي أقبل على محاضرات عدد من مدارس دمشق ، وزوايا التعليم فيها ، كما كان يزور الشيوخ في بيوتهم ويأخذ عنهم .

وعندما بلغ ابن عساكر العشرين من عمره ، فقد والده ، فتحللت ارتباطاته الاسروية بعض الشيء ، فقرر الرحلة في طلب العلم ، وخاصة الحديث النبوي الشريف ، الذي سيطر على اتجاهاته منذ البداية ،فاتجه نحو بغداد العراق ،لانها كانت ماتزال مركز الثقافة الاول في العالم الاسلامي،وفيها كانت المدرسة النظامية نشطة جدا .

واقام ابن عساكر في بغداد مدة سنة حيث عاد الى دمشق ، فأقام قليلا ، ومن هناك توجه الى الحجاز ، وفي الحجاز قضى فريضة الحج والتقى بعدد من علماء الحجاز ، ومن جاء لاداء فريضة الحج ، فأخذ عنهم ، ومن جديد قرر التوجه الى العراق ، وأقام هذه المرة خمس سنوات هناك ، درس خلالها في النظامية ، وزار مدن العراق ، فلقي بها العلماء واخذ عنهم .

وعاد مجددا الى دمشق ، وقد ملك طاقات علمية كبيرة ، فلم يعد تلميذا يأخذ ، بل وصل الى حال يمكنه فيها العطاء وذلك بالاضافة الى متابعة الاخذ ، وشعر ابن عساكر بحاجته الى مزيد من التحصيل ، لذلك قرر مجددا التوجه شرقا ، فذهب الى العراق سنة ٥٢٩ هـ حيث أقام قليلا ، ثم اتجه الى خراسان ، فزار كبريات المدن هناك مثل همذان ، والري ، واصبهان ، ونيسابور ، وبيهق ، وتبريز ، وسرخس ، ولقي العلماء واخذ عنهم .

وفي سنة ٥٣٣ هـ ، انهى رحلته وعاد الى بغداد ، ومضى الى

دمشق حيث قر به القرار ، وبدأ يحدث في دمشق ويحاضر ، وذلك بعد شيء من التردد ، ويمكن ان نعد الفترة الواقعة ما بين ٥٣٣ هـ وسنة وفاته ٥٧١ هـ / ١٢٢٣ م ، هي فترة العطاء الخصب في حياة ابن عساكر ، حيث صنف عددا كبيرا من الكتب ، واوقف وقته كله على العلم ، فأعرض عن مغريات الدنيا ، وصرف وجهه عن المناصب والوظائف ، واحتقر المال و عده من توافه الحياة التي ترفع عنها ، ولهذا أخذ نفسه بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فحظي بمكانة رفيعة جدا بين اهل دمشق ، واحترمه الناس جميعا من عوام واصحاب السلطان .

وفي هذه الفترة ـ كما اشرنا ـ كانت الامة تعيش مرحلة الاستفاقة ، وروح الجهاد وحرب التحرير والعمل في سبيل الوحدة ، وخاصة وحدة شمال الشام مع جنوبه ، فمنذ قيام الحروب الصليبية كان دور دمشق في هذه الحرب يكاد يكون سلبيا ، وكانت مدينة حلب انشط مراكز المسلمين للجهاد ضد الصليبيين ، وفي حلب استقر آنذاك نور الدين محمود ، الذي تجمعت في شخصه الصفات المؤهلة للزعامة .

وحدث في سنة ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م أن دخل ـ كما رأينا من قبل ـ نور الدين محمود مدينة دمشق ، وذلك بناء على رغبة من اهلها ، وهكذا توحد شمال الشام وجنوبه ، وصارت دمشق الآن مقر الجهاد ، وقاعدة انطلاق اعمال التحرير والجهاد والوحدة الكبرى ، ووضع نور الدين الخطط للتحرير وخوض معركة فاصلة مع الصليبيين ، مدركا ان شروط التحرير هي الوحدة والثقافة ، والامن الداخلي والاستقرار ، مع الاقتصاد القوي ، ومن هذه المنطلقات نمت العلاقات بين نور الدين وابن عساكر ، واعجب ابن عساكر بنور الدين ، كما ان نور الدين رفع من مكانة ابن عساكر ، وكان من نتائج العلاقات بينهما بناء دار الحديث النورية ، وهي اول جامعة من نوعها في التاريخ الاسلامي ، وقد اسندت اعمال التدريس بهذه الجامعة الى ابن عساكر ، هذا من جهة ومن جهة

اخرى شجع نور الدين ابن عساكر على انجاز كتابه في تاريخ دمشق ، ومعلوم ان نور الدين توفي سنة ٥٦٩ هـ ، وجاءت وفاة ابن عساكر بعد وفاة نور الدين بعامين ، ايام دولة صلاح الدين الايوبي وقد سار صلاح الدين الايوبي في جنازته حاسر الرأس متأسفا على فقدانه .

وكان ابن عساكر خصب الانتاج ، متخصصا في أعماله ، بحيث غلب عليه الحديث وما تعلق بعلومه ، فقد صنف « كتاب المعجم » لمن سمع منه أو أجاز له وكتاب آخر ذكر فيه من سمع منه من النسوان ، ومعجما بأسماء القرى والامصار التي سمع بها ، وجاء في سفر واحد ومعاجم بالمشيخات ، كما خاض معركة استفاقة السنة في مرحلتها الثانية ، لذلك دافع عن الاشعري بكتابه « تبيين كذب المفتري فيما نسب الى الامام أبي الحسن الاشعري » وحيث أن العصر الذي عاشه كان عصر الجهاد ، فقد صنف في الحض على الجهاد وفي فضائل بيت المقدس ، وفي باب الفضائل صنف ايضا في فضائل العشرة الصحابة ، وفي فضل قريش ، وفضل مكة ، وفي فضائل الاوزاعي وأخباره .

ولم يتأت خلود ابن عساكر وشهرته من مؤلفاته العظيمة هذه ، بل بسبب . تصنيفه تاريخ مدينة دمشق ، فهو اوسع كتاب صنف لمدينة ، ولا عجب في ذلك فدمشق هي أعرق مدينة في التاريخ الانساني ، وجدت الحياة فيها منذ الأزل ، ولم تنقطع او تتوقف ابدا ، وهذا الكتاب يشكل بحد ذاته ثروة رائعة في التراث العربي ، وحين نتحدث عنه ، لانعرف متى بدا ابن عساكر بالتحديد في جمع مواده ثم كتابته ، فلعله شرع في ذلك عندما كان في خراسان ، او قبيل ذلك ، ويبدو ان العمل في الكتاب قد مر بثلاث مراحل :

أ — خرج الكتاب في المرحلة الاولى في / ٧٧٥ / جزءا اي ما يعادل ٥٧ مجلدة .

ب — وفي المرحلة الثانية حوالي سنة / ٥٦١ هـ / أصبح الكتاب في سبعين مجلدة .

ح - وفي المرحلة الثالثة - وهي الاخيرة ، وصل الكتاب الى ثمانين مجلدة ، ويبدو ان ابن عساكر قد ادرك وجود بعض الثغرات في كتابه اراد تداركها ، لكن المنية حالت دون تنفيذ رغبته هذه ، لهذا نجده وقد ادرك انه لن يتاح له اعادة النظر في كتابه ، قال : « هذا مبلغ علمي وغاية جهدي »

إن الغالب على منهج ابن عساكر في كتابه هو صفة الجمع ، وقد اتبع طرق المحدثين بذكر الاسانيد كلها مع الروايات المتعددة ، كما انه اهتم برجال الحديث وحملة العلم اكثر من سواهم ، وكتاب ابن عساكر هو تاريخ الفبائي ، وليس تاريخ حوليات أو أحداث متوالية أو منتقاة ، فهو قد أوقف مجلدة كتابه الاولى للحديث عن دمشق بشكل عام ، فتحدث عن فضائل الشام ، كما تحدث عن الفتح الاسلامي لها ، موردا جل الروايات التاريخية حول هذا الموضوع .

وتحدث ابن عساكر في قسم من المجلدة الثانية عن خطط دمشق ، وذكر مساجدها وأبوابها وكنائسها ، ودورها وأنهارها واقنيتها ، وبعد هذا تحول الكتاب الى معجم للتراجم ، وجاء بذلك متوافقا مع عنوان الكتاب وهو : « تاريخ مدينة دمشق ، وذكر فضلها ، وتسمية من حلها من الاماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها » .

لقد ترجم ابن عساكر لكل من عرف من الاعلام الذين ولدوا في دمشق مع جنوب الشام ، أو نشأوا هناك او اقاموا او اجتازوا المنطقة ، وذلك منذ ما قبل الاسلام وحتى عصره ، واعلام ابن عساكر هم : الانبياء ، والخلفاء والامراء ، والولاة ، والحكام ، والفقهاء ، والقضاة ، والعلماء ، والرواة ، والشعراء ، والنحاة .... وقد توسع ابن عساكر في بعض التراجم اكثر من غيرها ، وانصب اهتمامه على رجال الحديث ، فأولاهم الجزء الاكبر من العناية .

إن الجمع هو الصفة الغالبة على كتاب ابن عساكر ، وابن عساكر حين صنف كتابه ، لم يبدع طريقته ، فهو - كما هو

مرجع ــ قد قلد الخطيب البغدادي صاحب تاريخ بغداد ، انما جـاء عمله على درجة كبيرة من الكمال ، وبذلك فاق الخطيب البغـدادي ، وكان كتابه افضل وأوسع .

لقد نال كتاب ابن عساكر شهرة كبيرة ، ومكانة عالية ، لهذا نيل عليه عدد من الكتاب كما اختصره عدد آخـر وانتخبـوا منه ، انمـا المنتخبات والمختصرات لاتغني عن الكتاب نفسه .

وكتاب ابن عساكر ليس تاريخا لمدينة دمشـق وحـدها او بـلاد الشام فقط ، انه تاريخ لرجالات العالم الاسلامي مشرقه ومغـربه ، فيه تتجلى وحدة هذه الامة ، وتفاعل أحداثها ، فالذين ذكرهم ابـن عساكر من غير أهل الشام هم اكثر بكثير من الشاميين ، ومواد هذا الكتاب المرتبطة بأحداث الحروب الصليبية ، عاصرها ابن عساكر ، وهذه هي المرة الاولى التي تنشر فيها هذه المواد .

وكان ابن الازرق الفارقي من معاصري ابن عساكر ، وهو احمد ابن يوسف بن علي ، ولد بمدينة ميافارقين سنة ٥١٠ هـ / ١١١٦ م . ويرجح أنه انتمى الى اسرة لها مـكانتها في مـدينته ، وأنه أمضى طفولته في هذه الحاضرة الهامة ، وابن الازرق لم يحدثنا عن تفاصيل مراحل حياته ، بل أشار الى نفسه اشارات عابرة ، ومـع ان عددا كبيرا من المؤرخين العرب استفادوا من تاريخه ، فـان أيا منهـم لم يترجم له ، ومنذ ان بات ابن الازرق شـابا صـار كثير التـرحال ، سافر الى بلاد الشام خاصة الى دمشق ، وقصـد العـراق ، وقضى فترة من حياته في بلاد الكرج (جورجيا) .

ومن الواضح أنه نال ثقـافة عالية في الفقـه والحـديث والتفسـير واللغة ، كما تولى العديد من المناصب ، وكان لهذا كله انعـكاساته على معلوماته التاريخية وقد كتب ابن الازرق كتابا أرخ فيه لمدينتـي آمد وميافارقين ، وربما كتب كتابا آخر واكثر ونحن لانعـرف سـنة وفاته بالتأكيد ، ونرجح انها كانت حوالي سنة ٥٧٢ هـ / ١١٧٦ م .

ويوجد من كتاب « تاريخ آمد وميافارقين » أكثر من نسخة خطية ، منها واحدة في كمبردج وأخرى في اكسفورد ، واثنتان في المتحف البريطاني في لندن ، وسلف لبدوي عبد اللطيف عوض أن نشر في عام ١٩٥٩ القسم الاول من الكتاب الذي أرخ للدولة المروانية . ولدى عودتي لمخطوطتي المتحف البريطاني لاحظت أن احداهما أطول من الأخرى ، وان ما نشره الدكتور عوض – على اهميته – مما جمع ابن الازرق مواده ولم يعاصره ، وأن الموجود في النسخة الطويلة مما لم ينشر هو اخبار الحوادث التي عاصرها ابن الأزرق ، وانفرد بروايتها ، ولهذا هي عالية القيمة لامثيل لها في مصدر آخر ، منها نعرف ان الدعوة الى حمل الصليب أثرت في جورجيا ، ففتحت هناك جبهة صليبية جديدة ، ومسألة وصول الدعوة الى حمل الصليب الى خارج اوربا هامة جدا ، فقد تبين لي أنها لم تصل الى جورجيا فقط لابل حتى وصلت الى اثيوبيا ، وهذه مسألة قد يتاح لي السبيل فيما بعد القيام بمعالجتها .

وهذه هي المرة الاولى التي تنتشر بها مواد ابن الازرق عن احداث عصره ، ويبدو لي انه حتى المخطوطة الطويلة في المتحف البريطاني هي مبتورة الآخر ، وغير كاملة ، وبنشر مواد ابن الأزرق تكتمل لدينا صورة رقعة الأحداث وما تركته من اصداء ولقد اهتممت بتعقب أصداء ما جرى في بلاد الشام في العراق وبلدان المشرق ، ولقد وجدت ان مشاغل بغداد ظلت كما هي مشرقية خراسانية منذ يوم تأسيسها ، وخير ما يعكس ذلك ما أودعه ابن الجوزي في كتابه المنتظم عن أخبار أحداث الحروب الصليبية ، وهي احداث كان معاصرا لها .

وابن الجوزي هو عبد الرحمن بن علي بن محمد بن جعفر الجوزي ، ولد في بغداد حوالي سنة ٥١٠ هـ / ١١١٦ م وفيها توفي سنة ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م ، وكان قرشي النسب ، تيمي العشيرة وبكري الاسرة ، يعتز بذلك ويفاخر بأنه من أحفاد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وقد نشأ في بغداد وفيها تعلم فنال ثقافة عالية ،

وأوتي موهبة فائقة بالوعظ وبـذلك بـات علم عصره وأكثـر الناس شعبيه في اوساط بغداد ، وقد تأثر بفقه مدرسة الامـام أحمـد بـن حنبل ، فصار واحدا من فقهائها الكبار .

ومما ساعده على النجـاح بـالوعظ قـوة الحجـة لديه وسرعة البديهة ، ولذلك كان عظيم التأثير في الناس ، وصلنا جزء كبير من مواعظه ، فيها نرى صورة واضحة لمكانته ولاهتمامات أهل عصره ، والعربية الدارجة آنذاك .

وكان ابن الجوزي غزير الانتاج ، واسع التصنيف ، مـن اهـم كتبه في التاريخ كتاب « المنتظم في تواريخ الملوك والامم » وقد حققت هذا الكتاب مؤخرا ونشرته في بيروت وانتزعت منه مـا حـكاه ابـن الجوزي عن احداث الحروب الصليبية ، وليس في رواياتـه مـا هـو فريد أو مهم ، لكنها من هذا الواقـع تعـكس واقـع الاهتمـامات والمشاركة في المشاعر ، وهذا بحد ذاتـه جـدير بـالتسجيل ، هـذا وسيورد ابو شامة في نيل الروضـتين بعض أخبـار ابـن الجـوزي ومحنته في أواخر سني حياته .

ومنذ سنوات طويلة خلت اطلعت في مكتبة احمد الثالث ـ في طوب قبي سراي في استانبول على مخطوط في التـاريخ رقمـه (٢٩٥٩) حمل عنوان « البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمـان » لمؤرخ اسمه محمد بن محمد الاصفهاني ، وكان يعرف بالعماد ، وهـو غير العماد الاصفهاني كاتب نور الدين وصلاح الدين ، لكنه كمـا يبـدو كان من معـاصريه ، كتـاب البسـتان الجـامع وان كان مختصرا لايخلو من الفائدة لذلك اضفت ما حواه عن احداث الحـروب الصليبية الى نصوص هذا المجلد .

ولله الحمد والشكر ، والله أسأل العون والتـوفيق والصـلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

دمشق ١٠ / ٤ / ١٩٩٥ سهيل زكار